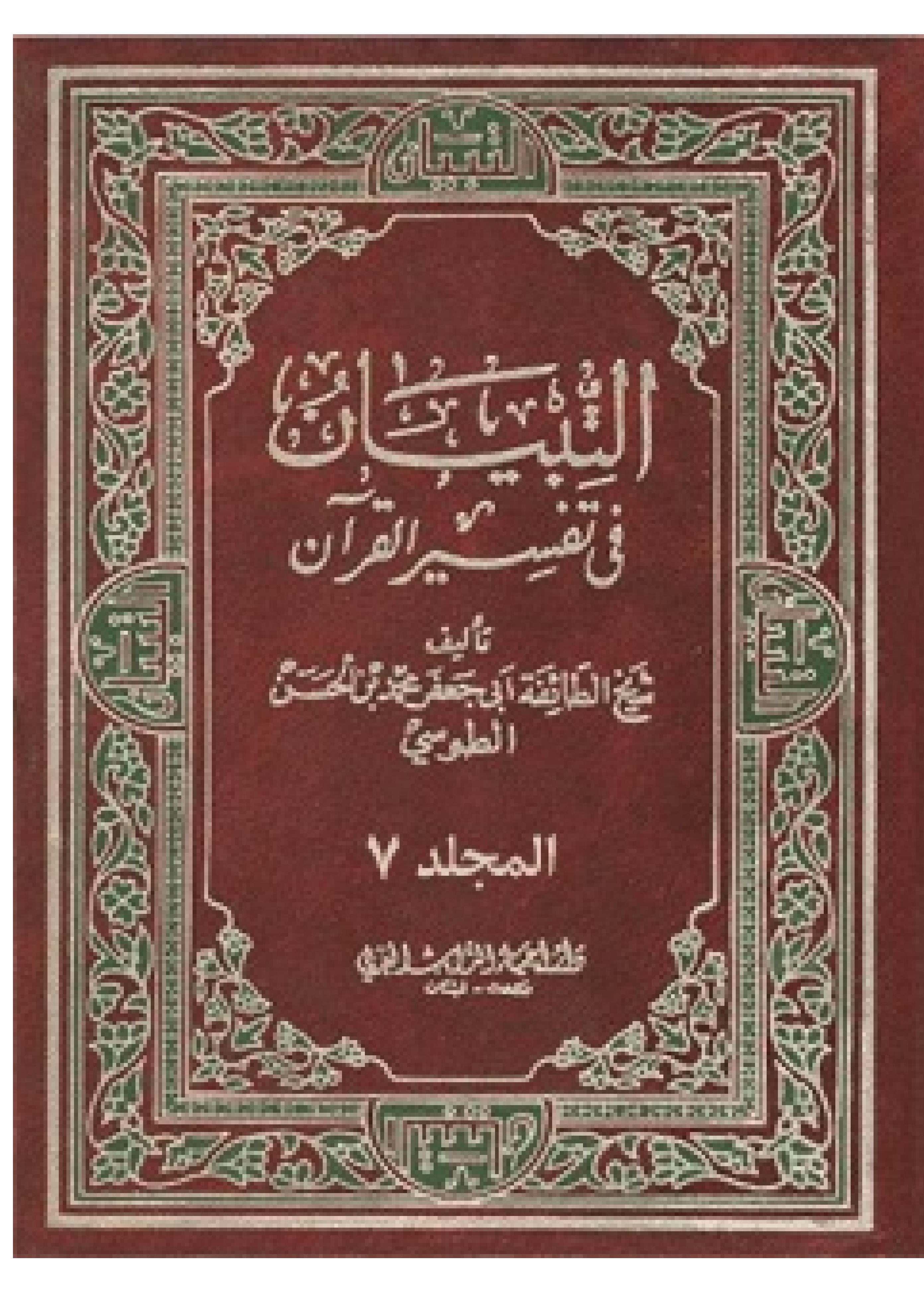


التبيان
في تفسير القرآن
تأليف
شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن
الطوسي
المجلد ٧



التبيان فى تفسير القرآن

كاتب:

محمدبن حسن طوسى

نشرت فى الطباعة:

موسسه النشر الاسلامى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

التبيان فی تفسير القرآن المجلد ۷

اشارة

شماره بازيابی:۵-۷-۱۴۶-۱

سرشناسه:طوسی محمد بن حسن ۳۸۵-۴۶۰ق

عنوان و نام پديدآور:التبيان فی تفسير القرآن[نسخه خطی]/محمد بن الحسن الطوسی

وضعيت استنساخ :، صفر ۵۹۵ق.

آغاز، انجام، انجامه:آغاز:بسمله. الحمدلله الواحد...سوره و الصافات. مکيه فی قول قتاده و مجاهد و... ليس فيها ناسخ و لا منسوخ...

انجام:... و لو کان مامورا...دون التلاوه لما وجب ان ياتی بلفظه قل فی هذه المواضع کلها. تم الکتاب و الحمدلله رب العالمين.

انجامه:فرغ الحسين بن محمد بن عبدالقاهر بن محمد بن عبدالله بن يحيی بن الوکيل المعروف بابن الطو...من کتابه هذا الجزء الخامس لنفسه...عشر صفر من سنه خمس و تسعين و خمس مايه و صلی الله علی سيدنا محمد النبی و اهل بيته الطاهرين و سلم تسليما کثيرا. بلغ المقابله جهد الطاقه اتانا جعفر و ابی يزيد و ان محمد و علی سعيد.

مشخصات ظاهری:گ ۴۰۰ - ۷۳۱، ۲۷ سطری

يادداشت مشخصات ظاهری:نوع و درجه خط:نسخ

نوع کاغذ:نخودی رنگ، آهار مهره

تزئينات متن: بعضی عناوين و علائم: قرمز

خصوصيات نسخه موجود:امتياز:ابتدای کتابت اين نسخه ربيع الاخر ۵۹۴ ق. و خاتمه ی کتابت صفر ۵۹۵ق. است.

حواشی اوراق:اندکی تصحيح با نشان" صح "دارد.

يادداشت های مربوط به نسخه:يادداشت هايی درباره تعداد اوراق و برگ های کتابت شده نسخه در برگ نخست است. هم چنين تذکری مبنی بر اين که مذهب نويسنده معتزلی است ": فافهم ان هذا الکتاب مصنفه معتزلی فاحذر من توجيهه لمذهبه "در برگ ۴۰۰ دارد.

معرفی نسخه: اولين تفسير مفصل شيعی است که متضمن علوم قرآن است و از قرائت، اعراب، اسباب نزول، معانی مختلفه، اعتقادات دينی، وجوه ادبی و نقل روايات از ائمه طاهرين و بقيه مفسران شيعه و سنی بحث می کند، در آغاز مقدمه مفصلی دارد در اهميت قرآن و رد تحريف و تفسير به رای، چگونگی نزول قرآن و نامهای قرآن، عدد کلمات و حروف و نقطه ها و جز آن. اين نسخه جلد ۵ تفسير از سوره صافات تا آخر قرآن است. اين نسخه در لوح فشرده ای به شماره ۱۴۶، از نسخه های اهدايی " دايرة المعارف بزرگ اسلامی "است که از" کتابخانه های يمن "تهيه شده است.

ياداشت تملک و سجع مهر:شکل و سجع مهر:مهر بيضی و مهر به شکل چشم با سجع ناخوانا در برگ ۴۰۴ دارد. مهر بيضی ديگری با سجع " جمال الدين الحسينی "(؟)در برگ ۴۰۰ دارد.

توضيحات نسخه:نسخه بررسی شده.اسکن از روی نسخه اصلی است. آثار جداشدگی اوراق از شيرازه، مرمت صحافی، لکه، رطوبت، شکنندگی لبه ها، پارگی در اوراق مشهود است. شماره گذاری دستی ۱-۳۲۸ دارد.

يادداشت کلی:زبان:عربی

عنوانهای ديگر:تفسير تبيان

موضوع:تفاسير شيعه -- قرن ۵ق.

شناسه افزوده:حسين بن محمد، قرن ۶ق. كاتب

المجلد السابع

۱۸-سورة الكهف ..... ص : ۳

اشارة

قال مجاهد و قتادة: هى مكية، و هى مائة و عشرون آية فى الكوفى و أحدى عشرة فى البصرى و خمس فى المدنيين.

[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۱ الى ۳] ..... ص : ۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (۱) قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَ يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً (۲) ماكِثِينَ فِيهِ أَبَداً (۳)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابو بكر (لدنه)بإسكان الدال و إشمام الضمة، و كسر النون و الهاء و إيصالها بياء. الباقون بضم الدال و سكون النون و ضم الهاء من غير واو، إلا ابن كثير، فانه كان يصل الهاء بالواو.

و اعلم أن (لدن)اسم غير متمكن، و معناه (عند)، قال اللَّه تعالى «مِنْ التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴
لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ»

«۱» فالنون ساكنة فى كل أحوالها، و الهاء إذا أتت بعد حرف ساكن لم يجز فيها إلا الضم نحو (منه) فالأصل (منهو) و (لهو) فهو كقول ابن كثير، غير أنهم حذفوا الواو اختصاراً، و إنما أسكن ابو بكر الدال استثقالا للضم كما قالوا «فى كرم زيد»: قد كرم زيد، فلما سكن الدال التقى ساكنان، النون و الدال، فكسر النون لالتقاء الساكنين، و كسر الهاء لمجاورة حرف مكسور، و وصلها بهاء كما تقول: مررت به، و لو فتح النون لالتقاء الساكنين لجاز، بعد أن أسكن الثانى كقول الشاعر:

عجبت لمولود و ليس له أب و من ولد لم يلده أبوان «۲»

يعنى آدم و عيسى. فلا يتوهم أن عاصماً كسر النون علامة للجزم، لان (لدن) لا تعرب. و حكى ابو زيد: جئت فلاناً لدن غدوة- بفتح الدال-.

يقول اللَّه تعالى لخلقه قولوا (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي) خص برسالته محمداً (ص) و انتجبه لابلاغها عنه، و بعثه الى خلقه نبياً رسولا، و انزل عليه كتاباً قيما، و لم يجعل له عوجاً. و قيل فى معنى قوله (قيماً) قولان: أحدهما- معتدلا مستقيما الثانى- أنه قيم على سائر الكتب يصدقها و يحفظها. و الأول قول ابن عباس. فعلى هذا «قيما» مؤخر، و المراد به التقدم، و تقديره أنزل الكتاب قيماً، و لم يجعل له عوجاً أى اختلافاً. و قال الضحاك: معناه مستقيماً. و قال ابن إسحاق: معناه معتدلا لا اختلاف فيه. و قال قتادة: أنزل اللَّه الكتاب قيماً، و لم يجعل عوجاً. و فى بعض القراءات «و لكن جعله قيما» و كسرت العين من قوله «عوجاً» لأن العرب تقول: عوجاً

---

(۱) سورة ۱۱ هود آية ۱

(۲) تفسير الطبرى ۱۵/ ۱۱۹ و هو فى مجمع البيان ۳: ۴۴۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵

- بكسر العين- فى كل اعوجاج كان فى دين أو فيما لا يرى شخصه قائماً و لا يدرك عياناً منتصباً كالعوج فى الدين، و لذلك كسرت العين فى هذا الموضع. و كذلك العوج فى الطريق، لأنه ليس بالشخص المنتصب. فأما ما كان فى الاشخاص المنتصبة فان عينها تفتح كالعوج فى القناة و الخشبة و نحوها.

و قال ابن عباس: معنى قوله «وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً» أى لم يجعله ملتبساً. و لا خلاف بين أهل العربية ان قوله (قيماً) و إن كان مؤخراً فتقديره الى جنب الكتاب.

و إنما افتتح اللَّه تعالى هذه السورة بذكر نفسه بما هو أهله، و بالخبر عن انزال كتابه على رسوله، ليخبر المشركين من أهل مكة بأن محمداً (ص) رسوله،

لأن المشركين كانوا سألوا رسول اللَّه (ص) عن أشياء لقنوها إياهم اليهود، من قريظة و النضير، و أمروهم أن يسألوه عنها، و قالوا: إن أخبركم بها فهو نبى، و إن لم يخبركم فهو مقتول، فوعدهم رسول اللَّه (ص) الجواب عنها، موعداً فأبطأ- على قول بعضهم- الوحى عنه بعض الإبطاء و تأخر مجيئ جبرائيل (ع) عنه، عن ميعاده القوم فتحدث المشركون بأنه اخلفهم موعده، و أنه مقتول، فأنزل اللَّه هذه السورة جواباً عن مسائلهم، و افتتح أولها بذكره تكذيباً للمشركين فيما تحدثوا بينهم من احدوثتهم- ذكر ذلك محمد بن إسحاق بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس- و كان الذين ذهبوا الى اليهود و سألوهم عن أمر النبى (ص) النضر بن الحارث بن كلدة، و عقبة بن أبى معيط، و كانت المسائل التى لقنوهم إياها: أن قالوا: سلوه عن ثلاثة أشياء، فان أخبركم بهن، فهو نبى مرسل، و إن لم يفعل فانه مقتول، سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول، ما كان أمرهم؟ فانه كان لهم حديث عجيب. و سلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض و مغاربها، ما كان نبؤه؟ و سلوه عن الروح ما هو؟ فان أخبركم بذلك فانه نبى مبعوث، فاتبعوه، و إن لم يخبركم فانه مقتول. فرجعا الى مكة التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۷، ص: ۶

و اجتمعا مع قريش فجاءوا الى رسول اللَّه (ص) فسألوه عنها، فقال النبى (ص) أخبركم بذلك. و قال بعضهم: انه قال: أخبركم غداً بما سألتم، و لم يستثن، و انصرفوا عن النبى (ص) فمكث رسول اللَّه خمس عشرة ليلة لا ينزل اللَّه اليه فى ذلك وحياً، و لا يأتيه جبرائيل (ع) حتى اوجف أهل مكة، و تكلموا فى ذلك، فشق ذلك على رسول اللَّه (ص) فأنزل اللَّه عليه جبرائيل و معه (سورة الكهف) يخبره فيها عما سألوه عنه من أمر الفتية، و الرجل الطواف، و انزل عليه «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ...» «۱» الآية.

فروى ابن إسحاق أن رسول اللَّه (ص) أفتتح السورة، فقال «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی أَنْزَلَ عَلی عَبْدِهِ الْکِتابَ وَ لَمْ یَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَیِّماً» أى معتدلا، لا اختلاف فيه.

و قوله «لِیُنْذِرَ بَأْساً شَدِیداً مِنْ لَدُنْهُ، وَ یُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِینَ الَّذِینَ یَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ماکِثِینَ فِیهِ أَبَداً» معناه أنزل على عبده القرآن معتدلا مستقيماً لا عوج فيه، لينذركم أيها الناس بأساً شديداً من أمر اللَّه. و معنى البأس العذاب العاجل و النكال الحاضر، و السطوة. و معنى «مِنْ لَدُنْهُ» من عند اللَّه، و هو قول ابن إسحاق، و قتادة. و مفعول «لينذر» محذوف، لدلالة الكلام عليه، و تقديره: لينذركم بأساً كلما قال «یُخَوِّفُ أَوْلِیاءَهُ» «۲» و تقديره يخوفكم أولياءه، و معنى «وَ یُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِینَ» يعنى المصدقين باللَّه و رسوله «الَّذِینَ یَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ» يعنى ما أمرهم اللَّه به من الطاعات، و هى الاعمال الصالحات، و الانتهاء عما نهاهم عنه «أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً» يعنى ثوباً جزيلا من اللَّه على ايمانهم باللَّه و رسوله، و عملهم فى الدنيا بالطاعات و اجتناب المعاصى، و ذلك الثواب هو الجنة.

و قوله «ماکِثِینَ فِیهِ أَبَداً» أى لابثين فيه ابداً خالدين مؤبدين لا ينتقلون

---

(۱) سورة ۱۷ الإسراء آية ۸۵ [.....]

(۲) سورة ۳ آل عمران آية ۱۷۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۷

عنه و لا ينقلبون، و نصب (ماكثين) على الحال من قوله «أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً» فى هذه الحال، فى حال مكثهم فى ذلك الأجر.

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۴ الى ۵] ..... ص : ۷

وَ يُنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً (۴) ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَ لا لِآبائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً (۵)

آيتان.

يقول اللَّه تعالى أنه يحذر ايضاً محمد (ص) القوم «الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً» من مشركى قومه و غيرهم- عقاب اللَّه، و عاجل نقمته و أليم عذابه على قولهم ذلك.

و قوله «ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ» [معناه ما لقائلى القول هـذا يعنى قولهم «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً» به من علم «۱» يعنى ليس لهم باللَّه من علم. و معنى الكلام ما لهؤلاء القائلين هذا القول باللَّه من علم بأنه لا يجوز أن يكون له ولد. فلجهلهم باللَّه و عظمته قالوا ذلك.

و قوله «وَ لا لِآبائِهِمْ» معناه و لا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل الذى هم عليه اليوم، ما كان لهم باللَّه و عظمته علم.

و قوله «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ» نصب (كلمـة) على التمييز، و تقـديره كبرت كلمتهم التى قالوها كلمة، كما تقول: نعم رجلا عمرو، و نعم الرجل رجلا قام.

و قال بعضهم: نصب (كلمة) لأنها فى معنى: اكبر بها كلمة، كقوله

(۱) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۸

«وَ ساءَتْ مُرْتَفَقاً» «۱» و هى فى النصب كقول الشاعر:

و لقد علمت إذا الرياح تروحت هدج الرئال تكبهن شمالًا «۲»

أى تكبهن الريـاح شـمالا، فكـأنه قال كبرت تلك الكلمـة. و روى عن بعض المكيين انه قرأ ذلك بالرفع، كقولهم: كبر قولك، و كبر شأنك، فعلى هذا لا يكون فى قوله (كبرت) مضـمر، بل يكون صـفة الكلمة، و الأول أقوى، لإجماع القراء على النصب، و هذا شاذ، و تأويل الكلام: عظمت الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء القوم «الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً» او الملائكة بنات اللَّه.

و قوله «إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً» معناه ليس يقول هؤلاء القائلون «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً» إلا كذباً، و فرية افتروها على اللَّه- عز و جل-.

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۶ الى ۸] ..... ص : ۸

فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً (۶) إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (۷) وَ إِنَّا لَجاعِلُونَ ما عَلَيْها صَعِيداً جُرُزاً (۸)

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى لنبيه محمد (ص) «فلعلك» يا محمد قاتل نفسك و مهلكها على آثار قومك الذين قالوا: «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً ...» «۳»

تمرداً منهم على ربهم بأنهم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذى أنزلته عليك، فيصدقوا بأنه

(۱) سورة ۱۸، الكهف آية ۲۹

(۲) تفسير الطبرى ۱۵/ ۱۱۹ و هو فى مجمع البيان ۳/ ۴۴۹

(۳) سورة ۱۷، الإسراء آية ۹۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۹

من عند اللَّه- حزناً و تلهفاً و وجداً- بادبارهم عنك و اعراضهم عن قبول ما أتيتهم به. و (أسفاً) نصب على المصدر. يقال بخع نفسه يبخعها بخعاً و بخوعاً، قال ذو الرمة:

ألا ايهذا الباخع الوجد نفسه لشیء نحته عن يديه المقادر «۱»

يريد (نحته) فخفف. و ما ذكرناه قول قتادة و غيره. و قوله «اسفاً» قال قتادة: معناه غضباً و تقديره: فلعلك باخع نفسك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً يعنى غضباً. و قال مجاهد: معناه جزعاً. و فى رواية أخرى عن قتادة: حزناً عليهم.

و فى رواية ثالثة عن قتادة حذراً. و كسرت (إن) لأنها فى معنى الجزاء و لو فتحت لجاز قال الشاعر:

أ تجزع أن بان الخليط المودع و حبل الصفا من عزة المتقطع «۲»

و هذا معاتبة من اللَّه لرسوله على وجده بمباعدة قومه إياه فيما دعاهم اليه من الايمان به و البراءة من الآلهة و الأنداد، و كان بهم رحيماً، و هو قول ابن إسحاق.

و قوله «إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها» معناه انا جعلنا الذى على الأرض من انواع المخلوقات جمادها و حيوانها و نباتها «زِينَةً لَها» يعنى للأرض «لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ» أى لنختبر عبادنا «أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» يعنى من اتبع أمرنا و نهينا و عمل فيها بطاعتنا، و هو قول مجاهد.

قوله تعالى «وَ إِنَّا لَجاعِلُونَ ما عَلَيْها صَعِيداً جُرُزاً» فيه اخبار من اللَّه تعالى انا مخربوها بعد عمارتنا إياها بما جعلنا عليها من الزينة فنصيرها صعيداً جرزاً، و الصعيد

---

(۱) مجاز القرآن ۱/ ۳۹۳ و تفسير الطبرى ۱۵/ ۱۲۰ و هو فى مجمع البيان ۳/ ۴۴۸

(۲) مر هذا البيت فى ۱/ ۳۴۹ من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۰

ظهر الأرض، و الجرز الذى لا- نبات عليه و لا زرع و لا غرس. و قيل انه أراد بالصعيد- هاهنا- المستوى من وجه الأرض. و قال ابن عباس: معناه نهلك كل شیء عليها زينة.

و قال مجاهد: «جرزاً» أى بلقعاً. و قال قتادة: هو مالا شجر فيه و لا نبات. و قال ابن زيد: الجرز الأرض التى ليس فيها شیء، بدلالة قوله «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً» «۱» يعنى الأرض التى ليس فيها شیء من النبات.

و الصعيد المستوى قال: و هو كقوله تعالى «لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً» «۲» قال سيبويه: يقال جرزت الأرض فهى مجروزة و جرزها الجراد و النعم، و أرضون اجراز إذا كان لا شیء فيها، و يقال للسنة المجدبة جرز، و سنون أجراز لجدوبها و يبسها و قلة أمطارها. قال الراجز:

قد جرفتهن السنون الأجراز «۳»

و يقال: أجرز القوم إذا صارت أرضهم جرزاً، و جرزوا هم أرضهم أكلوا نباتها كله.

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۹ الى ۱۰] ..... ص : ۱۰

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً (۹) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقالُوا رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَ هَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً (۱۰)

آیتان بلا خلاف.

یقول اللَّه تعالی لنبیه (ص) «أَمْ حَسِبْتَ» یا محمد، و المراد به أمته أی

(۱) سورة ۳۲، الم السجدة آیة ۲۷

(۲) سورة ۲۰، طه آیة ۱۰۷

(۳) تفسیر الطبری ۱۵/ ۱۲۱ و روایته (حرقتهن) بدل (جرفتهن)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۱

أحسبت «أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً» بل ما خلقت من السموات و الأرض و ما بینهن من العجائب اعجب من اصحاب اهل الکهف، و حجتی بذلک ثابتة «۱» علی هؤلاء المشرکین من قومک و غیرهم من جمیع عبادی، و هو قول مجاهد و قتادة و ابن إسحاق. و قال قوم: معناه «أَمْ حَسِبْتَ» یا محمد «أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً» فان الذی آتیتک من العلم و الحکمة أفضل منه، و هو قول ابن عباس، و قال الجبائی: المعنی أ حسبت «أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً» و لو لم نعلمک ذلک لما علمته. و الأول أشبه، لأن اللَّه تعالی جعل انزال سورة الکهف احتجاجاً علی الکفار بما واطأهم علیه الیهود.

و المراد بالکهف فی الآیة کهف الجبل الذی أوی الیه القوم الذین قص اللَّه شأنهم و ذکر اخبارهم فی هذه السورة.

و اختلفوا فی معنی «الرقیم» فقال قوم: هو اسم قریة- ذهب الیه ابن عباس- و فی روایة أخری عنه: أنه واد بین غضبان، و ایلة، دون فلسطین، و هو قریب من ایلة. و قال عطیة: «الرقیم» واد. و قال قتادة: «الرقیم» اسم الوادی الذی فیه اصحاب الکهف. و قال مجاهد: «الرقیم» کتاب تبیانهم. و فی روایة ایضاً عن ابن عباس أن «الرقیم» هو الکتاب. و قال سعید بن جبیر: هو لوح من حجارة کتبوا فیه قصص اصحاب الکهف ثم وضعوه علی باب الکهف، و هو اختیار البلخی و الجبائی و جماعة. و قیل: جعل ذلک اللوح فی خزائن الملوک، لأنه من عجائب الأمور. و قیل بل جعل علی باب کهفهم. و قال ابن زید: الرقیم کتاب، و لذلک الکتاب خبر، فلم یخبر اللَّه عن ذلک الکتاب و ما فیه، و قرأ قوله «وَ ما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ كِتابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ» «۲» و قال: هو اسم جبل اصحاب الکهف،

(۱) فی المخطوطة (قائمة) بدل (ثابتة)

(۲) سورة ۸۳ المطففین آیة ۱۹- ۲۱

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۲

روی ذلک عن ابن عباس. و قیل: إن اسم ذلک الجبل (تیحلوس) «۱» و قیل تیاحلوس «۲».

و قد روی عن ابن عباس أنه قال: کل القرآن أعلمه إلا (حنان) و (الأواه) و «الرقیم». و اختار الطبری أن یکون ذلک اسماً لکتاب أو لوح أو حجر کتب فیه.

و الرقیم (فعیل). أصله مرقوم، صرف الی فعیل مثل جریح بمعنی مجروح و قتیل بمعنی مقتول یقال: رقمت الکتاب أرقمه إذا کتبته و منه الرقیم فی الثوب لأنه خط یعرف به ثمنه. و قیل للحیة أرقم لما فیها من الآثار، و تقول العرب علیک بالرقمة [بمعنی علیک برقمة الوادی حیث الماء] «۳» و دع الضفة أی الجانب و الضفتان جانبا الوادی، و لعل من ذهب الی أن الرقیم الوادی: ذهب الی رقمة الوادی.

و قوله «إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ» معناه «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً» حین «أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ» أی حین جاء أصحاب الکهف الی الکهف، کهف الجبل هرباً بدینهم الی الله، قالوا إذ أووه «رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً» رغبة منهم الی ربهم فی أن یرزقهم من عنده رحمة.

و قوله «وَ هَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً» معناه انهم قالوا يسر لنا ما نبتغي و نلتمس من رضاك أى دلنا على ما فيه نجاتنا و الهرب من الكفر بك و من عبادة الأوثان التى يدعونا اليها قومنا «رشداً» أى رشداً الى العمل الذى تحب.

و قيل إن هؤلاء الفتية كانوا مسلمين على دين عيسى (ع) و كان ملكهم يعبد الأصنام، فهربوا بدينهم منه. و قال آخرون: هربوا من الملك بجناية اتهموا بها

---

(۱) فى المخطوطة (بجلوس)

(۲) فى المخطوطة (بنا جلوس) [.....]

(۳) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۳

فدخلوا الكهف.

و يجوز «رشداً»- بضم الراء و تسكين الشين- غير أنه لم يقرأ به- هاهنا- أحد، لأن أواخر الآيات كلها على وزن (فَعَل) فلم يخالفوا بينها.

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۱۱ الى ۱۲] ..... ص : ۱۳

فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً (۱۱) ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً (۱۲)

آيتان.

يقول الله تعالى «فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ»، يعنى بالنوم، كما يقول القائل لآخر: ضربك الله بالفالج بمعنى أبلاك الله به. و قيل معناه منعناهم أن يسمعوا، و المعنى أنمناهم. و قوله «سِنِينَ عَدَداً» معناه سنين معدودة. و نصب (سنين) على الظرف بقوله «فضربنا» و «عدداً» بمعنى معدود، و العدّ المصدر و مثله نقضت الشيء نقضاً، و المنقوض نقض، و كذلك قبضته قبضاً، و المقبوض قبض.

و قوله تعالى «ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً» معناه بعثنا هؤلاء الفتية الذين أووا الى الكهف بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عدداً، من رقدتهم لينظر عبادى فيعلموا بالبعث أى الطائفتين اللتين اختلفتا فى قدر مبلغ مكث الفتية فى كهفهم رقوداً «أَحْصى لِما لَبِثُوا» بمعنى أصوب لقدر لبثهم فيه أمداً.

و الأمد الغاية قال النابغة:

ألا لمثلك او من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد «۱»

و قال قوم: الحزبان جميعاً كانا كافرين. و قال آخرون: كان أحدهما مسلماً

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۵/ ۱۲۷ و مجمع البيان ۳/ ۴۵۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۴

و الآخر كافراً، فالأول قول مجاهد. و قال: الحزبان من قوم الفتية. و قال قتادة:

أحدهما كان كافراً، و الآخر كان مؤمناً، و لم يكن لواحد منهما علم بمقدار زمان لبثهم. و قال قوم: الحزبان هم اصحاب الكهف اختلفوا فى مدة لبثهم. و قال قوم: احد الحزبين اصحاب الكهف، و الآخر أصحابهم و قومهم.

و معنى «أمداً» قال ابن عباس يعنى بعيداً. و قال مجاهد: يعنى عدداً.

و يحتمل نصب «أمدا» وجهين:

أحدهما- التمييز في قوله (أحصى) كأنه قال أى الحزبين أصوب عدداً.

و الثاني- أن يكون نصباً بوقوع قوله «لبثوا» عليه، كأنه قال: أى الحزبين أحصى للبثهم غاية أى في الأمد.

و الفتية جمع فتى مثل صبى و صبية و غلام و غلمة.

قوله تعالى:[سورة الكهف (١٨): الآيات ١٣ الى ١٥] ..... ص : ١۴

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْناهُمْ هُدىً (١٣) وَ رَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ إِذْ قامُوا فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً (١۴) هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً (١۵)

ثلاث آيات في عدد الكل- إلا الشامي- آخر الأولى «هدى» و عند الشامي شططاً.

يقول اللَّه تعالى إنا نخبرك يا محمد و نقص عليك نبأ هؤلاء الفتية الذين آووا الى التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ١۵

الكهف على وجه الصحة. و القصص الخبر بمعانى يتلو بعضها بعضاً و أصله الاتباع من قولهم: قص أثره يقصه قصصاً إذا اتبعه، و منه قوله تعالى «وَ قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ» أى اتبعى أثره. و النبأ الخبر. و فتية جمع فتى، و هو جمع لا يقاس عليه لأنه غير مطرد، و قد جاء غلام و غلمة و صبى و صبية، و لا يجوز غراب و غربة.

ثم أخبر عنهم بأنهم فتية آمنوا بربهم، و اعترفوا بتوحيده «وَ زِدْناهُمْ هُدىً» و المعنى و زدناهم المعارف بما فعلنا لهم من الالطاف لما فيها من الآيات التى رأوها، و من الربط على قلوبهم حتى تمسكوا بها.

و قوله «إِذْ قامُوا فَقالُوا» معناه حين قاموا بحضرة الملك الجبار، فقالوا هذا القول الذى أفصحوا فيه عن الحق فى الديانة و لم يستعملوا التقية، فقالوا: ربنا الذى نعبده هو الذى خلق السموات و الأرض لن ندعوا من دونه إلهاً آخر، فنوجه العبادة اليه، و متى قلنا غير ذلك و دعونا معه إلهاً آخر «لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً». و الشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه، فقلنا شططاً أى غلواً فى الكذب و البطلان. قال الشاعر:

ألا يا لقوم قد شطت عواذلى و يزعمن أن أودى بحقى باطلى

و يلحيننى فى اللهو ألا أحبه و للهو داع دائب غير غافل «١»

و منه أشط فلان فى السوم إذا تجاوز القدر بالغلو فيه يشط إشطاطاً و شططاً و شط منزل فلان يشط شطوطاً إذا جاوز القدر فى البعد، و شطت الجارية تشط شطاطاً و شطاطة إذا جاوزه القدر فى الطول.

و قوله «هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً» إخبار من الفتية بخضرة الملك على وجه الإنكار على قومه «إن هؤلاء» قومك اتخذوا من دون اللَّه آلهة يعبدونها

---

(١) قائله الأحوص. مجاز القرآن ١/ ٣٩۴ و الكامل للمبرد ۴٩ و تفسير الطبرى ١۵/ ١٢٨ و اللسان و التاج (شطط).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ١۶

«لَوْ لا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً».

معناه هلا يأتون على عبادتهم إياها بحجة واضحة و دلالة بينة. و حذف لدلالة الكلام عليه ثم قالوا: فمن اظلم لنفسه ممن يتخرص على اللَّه كذباً، و يضيف اليه مالا- اصل له. و فى ذلك دلالة على أن التقليد فى الدين لا- يجوز و انه لا- يجوز أن يقبل دين إلا بحجة واضحة. و فى قصة اصحاب الكهف دلالة على أنه لا يجوز المقام فى دار الكفر إذا كان لا يمكن المقام فيه إلا بإظهار كلمة الكفر و انه يجب الهجرة الى دار الإسلام أو بحيث لا يحتاجون الى التلفظ بكلمة الكفر.

قوله تعالى:[سورة الكهف (١٨): الآيات ١۶ الى ١٨] ..... ص : ١۶

وَ إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَ ما يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً (۱۶) وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَتَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَ إِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ وَ هُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً (۱۷) وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ وَ نُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَ ذاتَ الشِّمالِ وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً (۱۸)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و اهل الكوفة، و ابو بكر و الأعشى إلا يحيى و العليمى «مرفقاً» بفتح التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۷

الميم و كسر الفاء. الباقون- بكسر الميم و فتح الفاء- و قرأ ابن عامر و يعقوب (تزور)- بتخفيف الزاى و تسكينها و تشديد الراء من غير ألف- و قرأ أهل الكوفة بتخفيف الزاى و الف بعدها و تخفيف الراء. الباقون كذلك إلا أنهم شددوا الزاى. و قرأ أهل الحجاز «لمليت» بتشديد اللام. الباقون بتخفيفها و بالهمز.

قال ابو عبيدة: المرفق ما ارتفقت به و بعضهم يقول: المرفق. فأما فى اليدين فهو (مرفق) بكسر الميم و فتح الفاء، و هو قول الكسائى، و أجاز الفراء الفتح أيضاً.

و قال ابو زيد يقال: رفق اللَّه عليك أهون المرفق و الرفق. قال ابو على: ما حكاه أبو زيد فى (المرفق) فانه جعله مصدراً، لأنه جعله كالرفق، و كان القياس الفتح لأنه من (يرفق) لكنه كقوله «مرجعكم» «۱» «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ» «۲» و قال ابو الحسن: (مرفقاً) أى شيئاً يرتفقون به مثل المقطع. و (مرفقاً) جعله اسماً مثل المسجد أو يكون لغة يعنى فى اسم المصدر مثل المطلع و نحوه. و لو كان على القياس لفتحت اللام. و قال الحسن ايضاً: مرفق- بكسر الميم و فتحها- لغتان لا فرق بينهما انما هما اسمان مثل المسجد و المطبخ.

و من قرأ «تزورّ» فانه مثل تحمر و تصفر، و معناه تعدل و تميل قال عنترة:

فازور من وقع القنا بلبانه و شكا الى بعبرة و تحمحم «۳»

و قرأ عاصم و الجحدرى «تزوار» مثل تحمار و تصفار.

---

(۱) سورة ۳، آل عمران آية ۵۵ و سورة ۵، المائدة آية ۵۱، ۱۰۸ و سورة ۶، الانعام آية ۶۰، ۱۶۴ و سورة ۱۰ يونس آية ۲۳ و سورة ۱۱، هود آية ۴ و سورة ۲۹، العنكبوت آية ۸ و سورة ۳۱، لقمان آية ۱۵.

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۲۲۲

(۳) ديوانه ۳۰ من معلقته المشهورة (ج ۷ م ۳ من التبيان)

. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۸

و من قرأ «تزاور» أراد تتزاور فأدغم التاء فى الراء.

و من خفف أراد ذلك، و حَذَفَ إحدى التائين و هى الثانية مثل تساقط، و تساقط، و تظاهرون، و تظاهرون. قال أبو الزحف:

و دون ليلى بلد سمهدر جدب المندى عن هوانا ازور «۱»

يقال: هو أزور عن كذا أى مائل. و فى فلان زور أى عوج، و الزور- بسكون الواو- هو المصدر، و مثله الجوشن، و الكلكل، و الكلكال، كل ذلك يراد به المصدر و قال ابو الحسن: قراءة ابن عامر «تزور» لا توضع فى ذا المعنى، انما يقال:

هو مزور عنى أى منقبض. و قال ابو على: يدل على أن (ازور) بمعنى انقبض- كما قال ابو الحسن- قول الشاعر:

و أزور من وقع القنا بلبانه «۲»

و الذى حسَن القراءة به قول جرير:

عسفن على الاداعس من مهيل و فى الاظغان عن طلح ازورار «۳»

فظاهر استعمال هذا (الاظغان) مثل استعماله فى (الشمس). و يقال: مليء فلان وعياً و فزعاً، فهو مملؤ، و ملى، فهو مملى- بالتشديد، للتكثير من ملأت الإناء فهو ملآن، و امتلأ الحوض يمتلئ امتلاءً، و قولهم: تمليت طويلاً و عانقت حبيباً، و مت شهيداً، و أبليت جديداً، فهو غير مهموز. قال ابو الحسن: الخفيفة أجود فى كلام العرب، لأنهم يقولون ملأته رعباً، فلا يكادون يعرفون (ملأتنى).

---

(۱) ابو الزحف الكلبى مترجم فى الشعراء ۴۶۲، و البيت فى مجاز القرآن ۱/ ۳۹۵ و تفسير القرطبى ۱۰/ ۲۵۰ و جمهرة اشعار العرب ۱/ ۴۴۳، ۳/ ۳۷۰ و اللسان و التاج (زور، سمهد، عشنزر).

(۲) قد مر فى الصفحة التى قبلها

(۳) ديوانه (دار بيروت) ۱۸۲ و روايته (على إلا ما عز من حبى).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۹

قال ابو على: يدل على قول أبى الحسن قولهم (فيملأ بيتنا اقطاً و سمنا) و قال الأعشى:

و قد ملأت بكر و من لف لفها

و قال الآخر:

لا تملأ الدلو و عرق فيها

و قولهم: (امتلأت) يدل على (مليء) لأن مطاوع (فعلت) (افتعلت) و قد انشدوا فى التثقيل قول المخبل السعدى:

فملأ من كعب سلاسله

و قوله «وَ إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ» خطاب من اهل الكهف بعضهم لبعض، و دعاء بعضهم بعضاً الى أن يأووا الى الكهف، رجاء من اللَّه أن ينشر لهم من رحمته و يبسطها عليهم، و يهيئ لهم من أمرهم مرفقاً اى شيئاً يرتفق به و يستعان به كالمقطع و المجزر.

و قوله «وَ ما يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ» (ما) فى موضع نصب و معناه و إذ اعتزلتموهم و ما يعبدون من دون اللَّه من الأصنام و الأوثان، و يحتمل الاستثناء أمرين:

أحدهما- أن يكون متصلا، فيجوز على ذلك أن يكون فيهم من يعبد اللَّه مع عبادة الوثن، فيكون اعتزالهم للأوثان دون اللَّه.

و الثانى- يجوز أن يكون جميعهم كان يعبد الأوثان دون اللَّه فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً.

و قوله «فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ» أى اجعلوه مأواكم و مقركم «ينشر» اللَّه «لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ» ما ترتفقون به.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۰

و قوله «فأووا» جواب (إذ) كما تقول: إذ فعلت قبيحاً، فتب.

و قوله «وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَتَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ» أى تعدل عنهم و تميل، يقال: ازور ازوراراً، و فيه زور أى ميل.

و قوله «وَ إِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- تقطعهم فى ذات الشمال أى انها تجوزهم منحرفة عنهم، من قولك قرضته بالمقراض أى قطعته.

الثانى- تعطيهم اليسير من شعاعها ثم تأخذه بانصرافها، من قرض الدراهم التى تسترد.

و قال مجاهد: تقرضهم تتركهم. و قال ابو عبيدة كذلك هو فى كلامهم يقال: قرضت الموضع إذا قطعته و جاوزته. و قال الكسائى و الفراء: هو المجاوزة يقال: قرضنى فلان يقرضنى و جازنى يجوزنى بمعنى واحد، قال ذو الرمة:

الى قرض يقرض أجواز مشرف شمالا و عن ايمانهن الفوارس «۱»

و القرض يستعمل فى أشياء غير هذا، فمنه القطع للثوب و غيره، و منه سمى المقراض، و منه قرض الفار. و قال ابو الدرداء: (إن

قارضتهم قارضوک و إن ترکتهم لم یترکوک) و معناه إن طعنت فیهم و عبتهم فعلوا بک مثله و إن ترکتهم منه لم یترکوک.

و القرض، من یتقارض الناس بینهم الأموال، و قد یکون ذلک فی الثناء تثنی علیه کما یثنی علیک. و القرض بلغة أهل الحجاز المضاربة، و القرض قول الشعر القصید منه خاصة دون الرجز، و قیل للشعر قریض. و من ذلک قول الأغلب العجلی:

---

(۱) دیوانه ۳۱۳ و تفسیر الطبری ۱۵/ ۱۳۰ و تفسیر القرطبی ۱۰/ ۴۶۹ و الصحاح و التاج، و اللسان (قرض) و مجمع البلدان ۴/ ۴۶۳ و مجاز القرآن ۱/ ۴۰۰ و غیرها.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۲۱

أ رجزاً یرید أو قریضاً

و المعنی فی الآیة ان الشمس لا تصیبهم البتة أو فی اکثر الأمر، فتکون صورهم محفوظة. و قیل ان الکهف الذی کانوا فیه کان محاذیاً لبنات النعش إذا جازت خط نصف النهار.

و الفجوة: المتسع من الأرض. و قال قتادة: فی قضاء منه، و تجمع فجوات و فجاء ممدود، و قیل الفجوة متسع داخل الکهف بحیث لا یراه من کان ببابه، و کان الکلب بباب الفجوة.

و قوله «ذٰلِکَ مِنْ آیاتِ اللّٰهِ» أی أدلته و براهینه «مَنْ یَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ» معناه من یسمه اللّٰه هادیاً و یحکم بهدایته «فَهُوَ الْمُهْتَدِ». و یحتمل أن یکون أراد:

من یهده اللّٰه الی الجنة، فهو المهتدی فی الحقیقة. و یحتمل أن یکون: من یلطف اللّٰه له بما یهتدی عنده، فهو المهتدی «و من یضلل» ای یحکم بضلاله أو یسمیه ضالا أو من یضله عن طریق الجنة، و یعاقبه «فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِیًّا مُرْشِداً» ای معیناً و ناصراً یرشده إلی الجنة و الثواب.

ثم قال تعالی «وَ تَحْسَبُهُمْ» یعنی و تحسب یا محمد أهل الکهف إذا رأیتهم «ایقاظاً» أی منتبهین «و هم رقود» أی نیام. و قیل انهم کانوا فی مکان موحش منه، أعینهم مفتوحة یتنفسون و لا یتکلمون. و واحد (رقود) راقد أی نائم.

و قوله «وَ نُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْیَمِینِ وَ ذاتَ الشِّمالِ» اخبار منه تعالی عما یفعل بهم و کیفیة حفظ أجسادهم بأن یقلبهم من جنب الی جنب الی الیمین تارة و الی الشمال أخری.

و قوله «وَ کَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَیْهِ بِالْوَصِیدِ» قال ابن عباس: الوصید الفناء، و به قال مجاهد و قتادة و الضحاک. و فی روایة أخری عن ابن عباس: انه هو الباب إذا التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۲۲

أغلقته، و منه «نارٌ مُؤْصَدَةٌ»)

.و یجمع (وصید) و صائد و وصد، و فی واحده لغتان: وصید، و أصید.

و أوصدت و آصدت. و لیس أحدهما مؤخوذاً من الآخر، بل هما لغتان مثل ورخت الکتاب و أرخته، و وکدت الأمر و أکدته.

و قوله «لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَیْهِمْ لَوَلَّیْتَ مِنْهُمْ فِراراً» نصب علی المصدر، و معناه لو أشرفت علیهم لاعرضت عنهم هرباً استیحاشاً للموضع «وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً» نصب علی الحال. و المعنی لما ألبسهم اللّٰه تعالی من الهیبة لئلا یصل الیهم احد حتی یبلغ الکتاب اجله فیهم، فینتبهون من رقدتهم بإذن اللّٰه عند ذلک من أمرهم. و قیل انه: کانت اضفارهم قد طالت، و کذلک شعورهم، فلذلک یأخذه الرعب منهم. و قال الجبائی: نومهم ثلاثمائة سنة و تسع سنین- لا تتغیر أحوالهم و لا یطعمون و لا یشربون- معجزة لا تکون إلا لنبی. و قیل النبی کان أحدهم، و هو الرئیس الذی اتبعوه و آمنوا به.

قوله تعالی:[سورة الکهف (۱۸): الآیات ۱۹ الی ۲۲] ..... ص : ۲۲

وَ كَذلِكَ بَعَثْناهُمْ لِيَتَسائَلُوا بَيْنَهُمْ قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكى طَعاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لْيَتَلَطَّفْ وَ لا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَ لَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً (٢٠) وَ كَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ أَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلا تُمارِ فِيهِمْ إِلَّا مِراءً ظاهِراً وَ لا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً (٢٢)

---

(١) سورة ٩٠ البلد آية ٢٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٣

قرأ «بورقكم»- بسكون الراء- أبو عمرو وحده و أبو بكر عن عاصم الباقون بكسر الراء. و روى عن أبى عمرو «بورقكم» بإدغام القاف فى الكاف. و فى (ورقكم) اربع لغات- فتح الواو و كسر الراء- و هو الأصل. و فتح الواو و سكون الراء. و كسر الواو و سكون الراء. و الإدغام. فالورق الدراهم، و يقال ايضاً بفتح الراء، و يجمع أوراق. و رحل وراق كثير الدراهم. فأما ما يكتب فيه فهو (الورق) بفتح الراء لا غير. و الورق الغلمان الملاح. و قيل الورق- بفتح الراء- المال كله المواشى و غيرها قال العجاج:

اغفر خطاياى و طوح ورقى

فى قصة أهل الكهف اعتبار و دلالة على أن من قدر على نقض العادة- بتلك المعجزة- قادر لا يعجزه شىء، و إن التدبير يجرى بحسب الاختيار، لا بإيجاب الطبائع، كما يتوهمه بعض الجهال، لأنه على تدبير مختار، كما يدل على تدبير عالم.

و وجه التشبيه فى قوله «وَ كَذلِكَ بَعَثْناهُمْ» أى كما حفظنا أحوالهم تلك المدة «بعثناهم» من تلك الرقدة، لان أحد الامرين كالآخر فى أنه لا يقدر عليه إلا اللَّه تعالى.

بين اللَّه تعالى أنه بعث أهل الكهف بعد نومهم الطويل و رقدتهم البعيدة ليسأل بعضهم بعضاً عن مدة مقامهم، فيتنبهوا بذلك على معرفة صانعهم إن كانوا كفاراً. التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٤

و إن كانوا مؤمنين تثبتوا زيادة على ما معهم، و يزدادوا يقيناً الى يقينهم. و قال البلخى:

اللام فى قوله «ليتساءلوا» لام العاقبة، لأن التساؤل بينهم قد وقع. ثم اخبر تعالى أن قائلا منهم قال: للباقين «كم لبثتم» مستفهماً لهم، فقالوا فى جوابه: «لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» و انما أخبروا بذلك من غير أن يعلموا صحته، لأن الاخبار فى مثل هذا عن غالب الظن و على ذلك وقع السؤال، لان النائم لا يدرى، و لا يتحقق مقدار نومه إلا على غالب الظن. و قيل أنهم لما ناموا كان عند طلوع الشمس فلما انتبهوا كانت الشمس دنت للغروب بقليل. فلذلك قالوا: يوماً أو بعض يوم- ذكره الحسن-.

و قيل ايضاً إن الخبر بأنهم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ليس ينافى انهم لبثوا مدة طويلة، لان المدة الطويلة تأتى على قصيرة و تزيد عليها لا محالة. ثم قالوا «ربكم اعلم بما لبثتم» و معناه ان الذى خلقكم اعرف بمدة لبثكم على التحقيق. و الأعلم هو من كانت علومه اكثر أو صفاته فى كونه عالماً أزيد. و قيل: إن الأعلم هو من كانت معلوماته اكثر، و هذا ليس بصحيح، لأنه يلزم انه عالم من اجل العلوم.

ثم قال بعضهم لبعض «فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكى طَعاماً» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال قتادة: «ازكى» أجل و خير.

و الثانى- ايها أنمى طعاماً بأنه طاهر حلال، لأنهم كانوا يذبحون للأوثان، و هم كفار أرجاس. و قيل معناه ايها اكثر فان الزكاة و النماء الزيادة. «فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لْيَتَلَطَّفْ» فى شرائه و إخفاء أمره «وَ لا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً» أى لا يعلمن بمكانكم أحداً. و قيل: المعنى و

إن ظهر عليه فلا- يوقعن إخوانه فيما وقع فيه لأنهم «إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ» و يعلموا بمكانكم «يرجموكم». قال الحسن: معناه يرجموكم بالحجارة.

و قال ابن جريج: يشتموكم و يؤذوكم بالقول القبيح «أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ» اى التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۵

يردوكم فى عبادة الأصنام. و متى فعلتم ذلك «لن تفلحوا» بعد ذلك «أبداً» و لا تفوزوا بشيء من الخير.

ثم قال: «وَ كَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» و معناه انا كما فعلنا بهم ما مضى ذكره، مثل ذلك أظهرنا عليهم و اطلعنا عليهم، ليعلم الذين يكذبون بالبعث «أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» و يزداد المؤمنون ايماناً، و التقدير، ليستدلوا بما يؤديهم الى العلم بأن الوعد فى قيام الساعة حق كما قبضت أرواح هؤلاء الفتية تلك المدة. ثم بعثوا كأنهم لم يزالوا أحياء على تلك الصفة.

و قوله «إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ» يجوز أن تكون (إذ) نصباً ب «يعلموا» فى وقت منازعتهم. و يجوز أن يكون بقوله «أعثرنا» و التقدير: و كذلك اطلعنا إذ وقعت المنازعة فى أمرهم. و المعنى انهم لما ظهروا عليهم و عرفوا خبرهم أماتهم اللّه فى الكهف، فاختلف الذين ظهروا على أمرهم من اهل مدينتهم من المؤمنين و هم الذين غلبوا على أمرهم. و قيل رؤساؤهم الذين استولوا على أمرهم. فقال بعضهم: ابنوا عليهم مسجداً ليصلى فيه المؤمنون تبركاً بهم «۱». و قيل إن النزاع كان فى ان بعضهم قال: قد ماتوا فى الكهف. و بعضهم قال: لا بل هم نيام كما كانوا، فقال عند ذلك بعضهم: إن الذى خلقهم و أنامهم و بعثهم اعلم بحالهم و كيفية أمرهم، فقال عند ذلك الذين غلبوا على أمرهم من رؤسائهم لنتخذن عليهم مسجداً. و روى انهم لما جاءوا الى فم الغار دخل صاحبهم اليهم و أخبرهم بما كانوا عنه غافلين مدة مقامهم، فسألوا اللّه

---

(۱) و فى المخطوطة زيادة و قال بعضهم: «ابنوا عليهم مسجدا» ليصلوا فيه إذا انتبهوا). (ج ۷ م ۴ من التبيان)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۶

تعالى ان يعيدهم الى حالتهم الاولى فأعادهم اليها، و حال بين من قصدهم و بين الوصول اليهم بأن أضلهم عن الطريق الى الكهف الذى كانوا فيه، فلم يهتدوا اليهم. و قيل انهم لما دخلوا الغار سدوا على نفوسهم بالحجارة فلم يهتد احد اليهم لذلك

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۲۳ الى ۲۴] ..... ص : ۲۶

وَ لا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً (۲۳) إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ وَ قُلْ عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَداً (۲۴)

يقول اللّه لنبيه (ص) انه سيقول قوم من المختلفين فى عدد اصحاب الكهف فى هذا الوقت: انهم ثلاثة رابعهم كلبهم، و طائفة أخرى يقولون: خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب، و تقول طائفة ثالثة: انهم سبعة و ثامنهم كلبهم. و ذهب بعضهم الى انهم سبعة لدخول و او العطف بعده فى قوله «وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» و لم يقل ذلك فى الاول. و هذا ليس بشيء، لأنه انما لم يدخل الواو فى الاول، لأنه جاء على الصفة بالجملة، و الثانى على العطف على الجملة. قال الرمانى: و فرق بينهما، لأن السبعة أصل للمبالغة فى العدة، كما قال (عز و جل): «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۷

يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ»

«۱» و حكى البلخى عن بعض أهل العلم أنه قال: الواجب أن يعد فى الحساب: واحد اثنان ثلاثة اربعة، فإذا بلغت الى السبعة قلت: و ثمانية- بالواو- اتباعاً للآية.

و قوله «رَجْماً بِالْغَيْبِ» قال قتادة: معناه قذفاً بالظن. و قال المؤرج: ظناً بالغيب بلغة هذيل. و قال قوم: ما لم تستيقنه فهو الرجم بالغيب قال الشاعر:

و أجعل منى الحق غيباً مرجماً «۲» و قال زهير:

و ما الحرب إلا ما علمتم و ذقتم و ما هو عنها بالحديث المرجم «۳»

ثم قال تعالى لنبيه (ص): قل لهم يا محمد: ربى اعلم بعدتهم، من الخائضين فى ذلك و القائلين فى عددهم بغير علم. ثم قال تعالى: ليس يعلم عددهم إلا قليل من الناس، و هم النبى و من أعلمه اللّه من نبيه. و قال ابن عباس: أنا من القليل الذين يعلمون ذلك: كانوا سبعة و ثامنهم كلبهم.

ثم قال تعالى، ناهياً لنبيه- و المراد به أمته- «فَلا تُمارِ فِيهِمْ إِلَّا مِراءً ظاهِراً».

قال ابن عباس و قتادة و مجاهد و الضحاك: معناه إلا بما أظهرنا لك من أمرهم، و المعنى انه لا يجوز أن تمارى و تجادل إلا بحجة و دلالة، و اخبار من اللّه، و هو المراء الظاهر.

و قال الضحاك: معناه حسبك ما قصصنا عليك. و قال البلخى: و فى ذلك دلالة على أن المراء قد يحسن إذا كان بالحق و بالصحيح من القول. و إنما المذموم منه ما كان باطلا و الغرض المبالغة لا بيان الحق. و المراء الخصومة و الجدل.

---

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۸

(۲) قد مر هذا البيت كاملا فى ۱/ ۲۰۵ من هذا الكتاب و قد نسبه هناك الى عمير بن طارق. و روايته (الظن) بدل (الحق) [.....]

(۳) ديوانه (دار بيروت) ۸۱ و هو فى تفسير القرطبى ۱۰/ ۳۸۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۸

و قوله «وَ لا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ» يعنى فى أهل الكهف. و فى مقدار عددهم «منهم» يعنى من اهل الكتاب «أحداً» و لا تستفهم من جهتهم. و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة.

و قوله «وَ لا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» نهى من اللّه تعالى لنبيه ان يقول: انى افعل شيئاً فى الغد إلا أن يقيد قوله بمشيئة اللّه، فيقول:

ان شاء اللّه، لأنه لا يأمن اخترامه، فيكون خبره كذباً. و إذا قيده بقوله إن شاء اللّه، ثم لم يفعل، لم يكن كاذباً. و المراد بالخطاب جميع المكلفين، و متى اخبر المخبر عن ظنه و عزمه بأنه يفعل شيئاً فيما بعد ثم لم يفعل لا يكون كاذباً، لأنه اخبر عن ظنه و هو صادق فيه. و قال قوم «إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ». معناه إلا أن يشاء اللّه أن يلجئنى الى تركه. و قال الفراء: قوله «إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» بمعنى المصدر، فكأنه قال إلا مشيئة اللّه و المعنى إلا ما يريده اللّه. و إذا كان اللّه تعالى لا يشاء إلا الطاعات فكأنه قال: لا تقل انى افعل إلا الطاعات و ما يقرب الى اللّه. و هذا وجه حسن. و لا يطعن فى ذلك جواز الاخبار عما يريد فعله من المباحات التى لا يشاؤها اللّه، لأن هذا النهى ليس نهى تحريم، و انما هو نهى تنزيه، لأنه لو لم يقل ذلك لما أثم بلا خلاف و انما هو نهى تحريم فيما يتعلق بالقبيح فانه لا يجوز أن يقول انى افعل ذلك بحال. و الآية تضمنت أن لا يقول الإنسان انى افعل غداً شيئاً إلا أن يشاء اللّه. فأما أن يعزم عليه من ذكر ذلك، فلا يلزم المشيئة فيه إلا ندباً، بغير الآية.

و قوله «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ» قال الحسن: معناه انه إذا نسى أن يقول: إن شاء اللّه، ثم ذكر فليقل ان شاء اللّه. و قال ابن عباس: له ان يستثنى و لو الى سنة. و قال بعضهم: و له أن يستثنى بعد الحنث إلا انه لا تسقط عنه الكفارة فى اليمين، إلا إن يكون الاستثناء موصولا بالإجماع. و قال الحسن له أن يستثنى ما لم يقم من التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۹

مجلسه الذى هو فيه، فان قام بطل استثناؤه. و قال قوم «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ» أمراً ثم تذكرته، فان لم تذكره فقل «عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَداً».

و قال بعضهم: عسى أن يعطينى ربى من ارشد ما هو أولى من قصة اصحاب الكهف.

و الذى نقوله: ان الاستثناء متى لم يكن متصلا بالكلام أو فى حكم المتصل، لم يكن له تعلق بالأول و لا حكم له، و انه يجوز دخول الاستثناء بمشيئة اللّه فى جميع انواع الكلام: من الامر، و النهى، و الخبر، و الأيمان، و غير ذلك. و متى استثنى ثم خالف لم يكن حانثاً فى يمينه و لا- كاذباً فى خبره. و متى هو استثناه بعد مدة بعد انفصال الكلام لم يبطل ذلك حنثه و لزمته الكفارة. و لو لم نقل ذلك أدى الى ان لا يصح يمين و لا خبر و لا عقد، فان الإنسان متى شاء استثنى فى كلامه و يبطل حكم كلامه.

و

قد روى عن النبى (ص) انه قال: (من حلف على أمر يفعله ثم رأى ما هو خير له فليحنث و ليكفر عن يمينه)

و لو كان الاستثناء جائزاً بعد مدة، لكان يقول فليستثنى و لا يحتاج الى الكفارة و لا يلزمه الحنث.

و قد روى فى اخبارنا مثل ما حكيناه عن ابن عباس. و يشبه أن يكون المراد به أنه إذا استثنى و كان قد نسى من غير تعمد فانه يحصل له ثواب المستثنى دون أن يؤثر فى كلامه، و هو الأشبه بابن عباس و أليق بعمله و فعله، فان ما حكى عنه بعيد جداً. و قال المبرد، و جماعة: إن قوله «وَ لا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» ضم الاستثناء إلى الكلام الذى قبله. ثم قال «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ وَ قُلْ عَسى استأنف كلاماً آخر و قصة أخرى. و قال الجبائى هذا استئناف كلام من اللّه، و أمر منه لنبيه (ص) أنه إذا أراد فعلا من الافعال فنسيه فليذكر اللّه و ليقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب مما نسيته رشداً. و قال عكرمة: «اذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ» معناه إذا نسيت امراً فاذكر ربك تتذكره، و هذا يدل على أنه لم يرد اليمين التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۰

فى الاستثناء.

و

قيل سبب نزول ذلك أن قريشاً لما جاءت و سألت النبى (ص) عن قصة اصحاب الكهف و قصة ذى القرنين، فقال لهم: غداً أخبركم، فأبطأ عنه جبرائيل.

و قيل تأخر عنه اياماً ثم أتاه بخبرهم.

و هذا ليس بصحيح، لأنه لو كان كذلك بأن وعدهم بأن يخبرهم غداً ثم لم يخبرهم لكان كذباً، و هو منه محال. و قال ابراهيم: إذا حلف الحالف و الكلام متصل فله استثناؤه إذا قال ان شاء اللّه. و قال الكسائى و الفراء: التقدير: و لا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غداً إلا- أن تقول ان شاء اللّه فأضمر القول. و انما كان الاستثناء مؤثراً إذا كان الكلام متصلا لأنه يدل على انه يؤل كلامه، و إذا لم يكن متصلًا فقد استقرت نيته و ثبتت فلا يؤثر الاستثناء فيها. «۱»

و روى عن ابن عباس انه قال: «رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ» يعنى راعياً يتبعهم، حكاه قطرب. و قال اخبر عن الكلب و أراد صاحبه، كقوله «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ». و انما أراد أهلها. [و هذا لا يصح مع ظاهر قوله «وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ»] و قال الجبائى: لما اجتازوا على الراعى، فقال لهم اين تريدون قالوا: نفر بديننا، فقال الراعى: انا أولى بذلك، فتبعهم و تبعه الكلب. و فى اصحاب الحديث من يقول:

ان الكلب خاطبهم بالتوحيد و الاعتراف بما اعترفوا به، و لذلك تبعهم. و هذا خرق عادة يجوز أن يكون اللّه فعله لطفاً لهم، و معجزة لبعضهم على ما حكى ان بعضهم كان نبياً، و هو رئيسهم، فيكون ذلك معجزة له، غير انه ليس بمقطوع به.

و قوله «عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَداً» معناه قل يا محمد عسى ان يعطينى ربى من الآيات على النبوة ما يكون اقرب و أدل من قصة اصحاب الكهف.

---

(۱) كان فى هذه الفقرات المتقدمة و ما بعدها، اخطاء كثيرة و نقص واضح فى المطبوعة فصحح على المخطوطة و لكثرة الاخطاء نبهنا عليها جملة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۱

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۲۵ الى ۲۷] ..... ص : ۳۱

وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً (۲۵) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَ أَسْمِعْ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً (۲۶) وَ اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَ لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (۲۷)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى «ثلاثمائة سنين» مضافاً. الباقون بالتنوين، قال الفراء:

من العرب من يضع (سنين) فى موضع (سنة) فهى فى موضع خفض على قراءة من أضاف قال عنترة:

فيها اثنتان و أربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم «۱»

فمن نون نصب سنين ب «لبثوا» و تقديره سنين ثلاثمائة، ف (سنين) مفعول (لبثوا) و (ثلاثمائة) بدل، كما تقول خرجت أياماً خمسة و صمت سنين عشرة. و ان شئت نصبت «ثلاثمائة» ب (لبثوا) و جعلت (سنين) بدلا و مفسرة لها. و من أضاف قال ابن خالويه: هى قراءة غير مختارة، لأنهم لا يضيفون مثل هذا العدد إلا الى الافراد فيقولون ثلاثمائة درهم و لا يقولون ثلاثمائة دراهم قال ابو على الفارسى قد جاء مثل ذلك مضافاً الى الجمع، قال الشاعر:

فما زودونى غير سحق عمامة و خمس مىء منها قسى و زائف «۲»

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۷۱ من معلقته الشهيرة

(۲) لسان العرب قسا نسبه الى مزرد

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۲

جمع على فعل. و قد كسر القاف كما كسر فى (حلى) و قرأ ابن عامر، «و لا تشرك» بالتاء على الخطاب. الباقون بالياء على الخبر، فمن قرأ على النهى قال تقديره «لا تشرك» ايها الإنسان. و من قرأ على الخبر، فلتقدم الغيبة. و هو قوله «ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ»، و الهاء للغيبة. و قرأ الحسن «تسع و تسعون» «۱» بفتح التاء- يقال تسع بكسر التاء و فتحها، و هما لغتان. و الكسر اكثر و افصح.

قوله «وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً» الآية معناه إخبار من اللَّه تعالى و بيان عن مقدار مدة لبثهم يعنى أصحاب الكهف الى وقت انتباههم. ثم قال لنبيه، فان حاجك المشركون فيهم من أهل الكتاب، فقل «اللَّهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا» و هو قول مجاهد، و الضحاك، و عبيد بن عمير، كما قال «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً» «۲» و من قرأ بالتاء، قال معناه لا تنسبن احداً الى عالم الغيب. و يحتمل أن يكون المعنى لا يجوز لحاكم أن يحكم إلا بما حكم اللَّه به أو بما دل على حكم اللَّه، و ليس لأخذ أن يحكم من قبل نفسه، فيكون شريكاً للَّه فى أمره و حكمه.

و قيل إن معناه «قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا» الى أن ماتوا. و حكى عن قتادة أن ذلك حكاية عن قول اليهود فإنهم الذين قالوا لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين و ازدادوا تسعاً. و قوى ذلك بقوله «قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا» فذكر تعالى أنه العالم بذلك دون غيره. و قد ضعف جماعة هذا الوجه قالوا: لان الوجه الأول أحسن، لأنه ليس لنا أن نصرف اخبار اللَّه الى أنه حكاية إلا بدليل قاطع، و لأنه معتمد الاعتبار الذى بينه اللَّه (عز و جل) للعباد.

و قوله «لَهُ غَيْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» فالغيب يكون للشىء بحيث لا يقع

---

(۱) سورة ۳۸ (ص) آية ۲۳

(۲) سورة ۷۲- الجن- آية ۲۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۳

عليه الإدراك، و لا يغيب عن اللَّه تعالى شيء، لأنه لا يكون بحيث لا يدركه. و قيل «عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» «۱» معناه ما يغيب عن احساس العباد و ما يشاهدونه. و قيل ما يصح ان يشاهد و ما لا يصح أن يشاهد. و قوله «أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ» «۲» معناه ما أسمعه و ما أبصره بأنه لا يخفى عليه شيء فخرج التعجب على وجه التعظيم له تعالى.

و قوله «ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ» اى ليس للخلق و قيل إنه راجع الى اهل الكهف أى ليس لهم من دون اللَّه ولى و لا ناصر «و لا يشرك» يعنى اللَّه «فى حكمه» بما يخبر به من الغيب «احداً».

ثم قال لنبيه (ص) «اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ» أى اقرأ عليهم ما أوحى اللَّه اليك من اخبار اصحاب الكهف و غيرهم.

و قوله «لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ» أى لا مغير لما أخبر اللَّه تعالى به، لأنه صدق و لا يجوز أن يكون بخلافه «وَ لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً» و معناه ملتجأ تهرب اليه و قال مجاهد: ملجأ، و قال قتادة: موئلا. و قيل: معدلا. و هذه الأقوال متقاربة المعنى و هو من قولهم لحدت الى كذا أى ملت اليه، و منه اللحد، لأنه فى ناحية القبر و ليس بالشق الذى فى وسطه، و منه الإلحاد فى الدين، و هو العدول عن الحق فيه.

(و سنين) فيه لغتان تجمع جمع السلامة و جمع التكسير فالسلامة هذه سنون و رأيت سنين و جمع التكسير بتنوين النون تقول هذه سنون و صمت سنيناً و عجبت من سنين. و قوله «وَ ازْدَادُوا تِسْعاً» يعنى تسع سنين، فاستغنى بالتفسير فى الاول عن إعادته هاهنا.

---

(۱) سورة ۶ الانعام آية ۷۳ و سورة ۱۳- الرعد- آية ۱۰ و غيرهما كثيراً فى القرآن

(۲) سورة ۱۹ مريم آية ۳۸ (ج ۷ م ۵ من التبيان)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۴

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۲۸ الى ۳۰] ..... ص : ۳۴

وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً (۲۸) وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَ ساءَتْ مُرْتَفَقاً (۲۹) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (۳۰)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحده «بالغدوة و العشى» بضم الغين و الواو، و إسكان الدال. الباقون بفتح الغين و الدال، و مع الالف، و لا يجوز عند أهل العربية إدخال الالف و اللام على غدوة، لأنها معرفة، و لو كانت نكرة لجاز فيها الاضافة و لا يجوز غدوة يوم الجمعة كما يجوز غداة يوم الجمعة.

و قال ابو على النحوى من أدخل الالف و اللام، فانه يجوز- و إن كان معرفة- أن تنكر، كما حكى أبو زيد لقيته فينة. و الفينة بعد الفينة، ففينة مثل غدوة فى التعريف، و مثل قولهم: اما النضرة، فلا نضرة، فأجرى مجرى ما يكون سائغاً فى الجنس.

و من قرأ بالغداة، فقوله أبين. و قال ابن خالويه: العرب تدخل الالف و اللام على التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۵

المعرفة إذا جاءوا بما فيه الالف و اللام ليزدوج الكلام، قال الشاعر:

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا شديداً بأعباء الخلافة كاهله «۱»

فادخل الالف و اللام على اليزيد لما جاور الوليد، فلذلك أدخل ابن عامر الالف و اللام فى (الغدوة) لما جاور العشى. و العرب تجعل

(بكرة و غدوة و سحر) معارف إذا أرادوا اليوم بعينه. أمر اللَّه تعالى نبيه (ص) بالصبر على جملة المؤمنين الذين يدعون اللَّه بالغداة و العشى، و الصبر على ثلاثة اقسام: صبر واجب مفروض و هو ما كان على أداء الواجبات التى تشق على النفس و تحتاج الى التكلف. و الثانى- ما هو مندوب فان الصبر عليه مندوب اليه. و الثالث مباح جائز، و هو الصبر على المباحات التى ليست بطاعة للَّه.

و قوله «يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» معناه يريدون تعظيمه و القربة اليه دون الرياء و السمعة، فذكر الوجه بمعنى لأجل التعظيم، كما يقال أكرمته لوجهك أى لتعظيمك لان من عادتهم أن يذكروا وجه الشيء و يريدون به الشيء المعظم. كقولهم هذا وجه الرأى أى هذا الرأى الحق المعظم.

و قوله «وَ لا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ» معناه لا تتجاوز عيناك الى غيرهم و لا تنصرف و قيل انها نزلت فى سلمان و أصحابه الى سواهم من أرباب الدنيا الممرحين فيها «تريد» بذلك «زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا. وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا» نزلت فى عيينة بن حصين. و قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- لا تطع من صادفناه غافلا عن ذكرنا كقولهم احمدت فلانا أى صادفته محموداً فهو من باب صادفناه على صفة.

الثانى- لا تطع من سميناه غافلا، و نسبناه الى الغفلة كقولهم أكفرناه أى

(١) مر تخريجه فى ۴/ ٢٠٨ من هذا الكتاب

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣۶

نسبناه الى الكفر.

و الثالث- لا تطع من أغفلنا قلبه أى جعلناه غافلا بتعرضه للغفلة. و قيل لم يسمه اللَّه بما يسم به قلوب المؤمنين مما ينبئ عن فلاحهم، كما قال «كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ» «١».

«وَ اتَّبَعَ هَواهُ» يعنى الذى أغفلناه عن ذكرنا «اتَّبَعَ هَواهُ، وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً» معناه تجاوزاً للحق و خروجاً عنه، من قولهم أفرط إفراطاً إذا أسرف، فاما فرّط فمعناه قصر عن التقدم الى الحق الذى يلزمه. و قيل معناه و كان أمره سرفا. ثم أمر اللَّه نبيه (ص) أن يقول لهم الذى أتيتكم به هو الحق من ربكم الذى خلقكم «فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ» صورته صورة الأمر و المراد به التهديد و هو آكد فى التهدد من جهة أنه كأنه مأمور بما يوجب اهانته. ثم أخبر أنه أعد للظالمين العصاة ناراً أحاط بهم سرادقها فالسرادق المحيط بما فيه مما ينقل معه و الأصل سرادق الفسطاط قال رؤبة:

يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد إليك ممدود «٢»

و قال ابن عباس سرادقها حائط من نار يطيف بهم، و قيل سرادقها دخانها قبل وصولهم اليها. و قيل السرادق ثوب يدار حول الفسطاط. و قوله «وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا» معناه إن طلبوا الغوث و النجاة، و طلبوا ماء لشدة ما هم فيه من العذاب «يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ» و المهل كل شيء أذيب حتى ماع، كالصفر و الرصاص و الذهب و الحديد، و غير ذلك- فى قول ابن مسعود- و قال مجاهد: هو القيح و الدم. و قال ابن عباس هو دردى الزيت.

(١) سورة ٥٨، المجادلة، آية ٢٢

(٢) تفسير القرطبى ١٠/ ٣٩٣ و مجاز القرآن ١/ ٣٩٩ و اللسان (سردق) و سيبويه ١/ ٢٧٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٧

و قال سعيد بن جبير هو الشيء الذى قد انتهى حره «يَشْوِي الْوُجُوهَ» أى يحرقها من شدة حرّه إذا قربت منه. ثم قال تعالى مخبراً عن ذلك بأنه «بِئْسَ الشَّرابُ» يعنى ذلك المهل «وَ ساءَتْ مُرْتَفَقاً» و قيل معناه المتكأ من المرفق، كما قال أبو ذؤيب:

بات الخلى و بت الليل مرتفقاً كان عينىّ فيها الصاب مذبوح «١»

و قيل هو من الرفق. و قال مجاهد معناه مجتمعاً كأنه ذهب به الى معنى مرافقة.

ثم أخبر تعالى عن المؤمنين الذين يعملون الصالحات من الطاعات و يجتنبون المعاصى بأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا و لا يبطل ثوابه. و قيل فى خبر «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» ثلاثة أقوال:

أحدها- ان خبره قوله «أُولئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ» و يكون قوله «إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا» اعتراضاً بين الاسم و الخبر.

الثانى- ان يكون الخبر إنا لا نضيع أجره، إلا انه وقع المظهر موقع المضمر.

و الثالث- أن يكون على البدل، فلا يحتاج الأول الى خبر، كقول الشاعر:

إن الخليفة ان اللّه سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم

فأخبر عن الثانى و أضرب عن الأول.

قوله تعالى:[سورة الكهف (١٨): الآيات ٣١ الى ٣٤] ..... ص : ٣٧

أُولئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ يَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ نِعْمَ الثَّوابُ وَ حَسُنَتْ مُرْتَفَقاً (٣١) وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَ حَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَ فَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً (٣٣) وَ كانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقالَ لِصاحِبِهِ وَ هُوَ يُحاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وَ أَعَزُّ نَفَراً (٣٤)

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ١٠٤ و تفسير الطبرى ١٥/ ١٤٨ و مجاز القرآن ١/ ٤٠٠ و تفسير القرطبى ١٠/ ٣٩٥ و التاج و اللسان و الصحاح (صوب) و غيرها

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٨

أربع آيات فى الكوفى و البصرى و ثلاث فى المدنى تمام الثانية (زرعاً).

قرأ عاصم و أبو جعفر و روح «و كان له ثمر». «و احيط بثمره» بفتح الثاء و الميم فيهما، وافقهم رويس فى الاولى. و قرأ أبو عمرو- بضم الثاء و سكون الميم- فيهما. الباقون بضمهما فيهما.

قال أبو على: الثمر ما يجتنى من ذى الثمر و جمعه ثمرات مثل رحبة و رحبات، و رقبة و رقبات، و يجوز فى جمع (ثمرة) ضربان: أحدهما- على ثمر، كبقرة و بقر و الاخر- على التكسير، فتقول ثمار كرقبة و رقاب، فيشبه المخلوقات بالمصنوعات و شبه كل واحد منهما بالآخر. و يجوز فى القياس أن يكسر (ثمار) الذى هو جمع ثمرة على ثمر، ككتاب و كتب، و يجوز أن يكون ثمر جمع ثمرة كبدنة و بدن و خشبة و خشب، و يجوز أن يكون ثمر واحداً كعنق و طنب، فعلى جميع هذه الوجوه يجوز التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٩

اسكان العين منه. و مثله فى قوله «وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ». و قال بعض أهل اللغة:

الثمر المال، و الثمر المأكول. و جاء فى التفسير (إن الثمر النخل و الشجر) و لم يرد به الثمر. فالثمر- على ما روى عن جماعة من السلف- الأصول التى تحمل الثمرة لا نفس الثمرة بدلالة قوله «فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها» أى فى الجنة و النفقة انما تكون على ذوات الثمر فى الأكثر، فكأن الآية التى أرسلت عليها اصطلمت الأصول و اجتاحتها، كما قال تعالى فى صفة الجنة الاخرى «فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ» «١» أى كالليل فى سواده لاحتراقها بعد أن كانت كالنهار فى بياضها. و حكى عن أبى عمرو، إن الثمرة و الثمر أنواع المال من الذهب و الفضة و غيرهما يقال: فلان مثمر أى كثير المال، ذهب اليه مجاهد و غيره.

اخبر اللَّه تعالى فى الآية الاولى عما للمؤمنين الذين آمنوا و عملوا الصالحات الذين أخبر عنهم بأنه لا يضيع عملهم الحسن، و ما قد أعدّ لهم، فقال «لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ» و الجنات جمع جنة، و هى البستان الذى فيها الشجر. و معنى (عدن) أى موضع اقامة، و انما سمى بذلك. لأنهم يبقون فيها ببقاء اللَّه دائماً و أبداً، و العدن الاقامة.

و قيل: هو اسم من اسماء الجنة- فى قول الحسن- و يقال عدن بالمكان يعدن عدناً إذا أقام فيه، فسمى الجنة عدناً من اقامة الخلق فيها.

ثم وصف هذه الجنة، فقال «تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ» و قيل فى معنا ذلك قولان:

أحدهما- إن انهار الجنة فى أخاديد من الأرض، فلذلك قال من تحتهم.

الثانى- انهم على غرف فيها فالأنهار تجرى من تحتهم، كما قال تعالى «وَ هُمْ فِى الْغُرُفاتِ آمِنُونَ» «۲».

---

(۱) سورة ۶۸- القلم- آية ۲۰

(۲) سورة ۳۴ سبأ آية ۳۷ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۰

و قوله «يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ» أى يجعل لهم فيها حلياً من زينة من أساور، و هو جمع أسوار على حذف الزيادة، لأن مع الزيادة أساوير، فى قول قطرب.

و قيل هو جمع اسورة، و اسورة جمع سوار، يقال بكسر السين و ضمها- فى قول الزجاج- و السوار زينة تلبس فى الزند من اليد. و قيل هو من زينة الملوك يسور فى اليد و يتوج على الرأس.

«وَ يَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ» فالسندس ما رقّ من الديباج واحده سندسة و هى الرقيقة من الديباج، على أحسن ما يكون و أفخره، فلذلك شوّق اللَّه اليه. و الإستبرق الغليظ من الديباج. و قيل هو الحرير قال المرقش:

تراهن يلبسن المشاعر مرّة و إستبرق الديباج طوراً لباسها «۱»

و قوله تعالى «متكئين» نصب على الحال «فيها» يعنى فى الجنة «عَلَى الْأَرائِكِ» جمع أريكة، و هى السرير قال الشاعر:

خدوداً جفت فى السير حتى كأنما يباشرن بالمعزاء مس الأرائك «۲»

و قال الأعشى:

بين الرواق و جانب من سيرها منها و بين أريكة الانضاد «۳»

أى السرير فى الحجلة. و قال الزجاج: الأرائك الفرش فى الحجال. ثم قال تعالى إن ذلك «نِعْمَ الثَّوابُ» و الجزاء على الطاعات «وَ حَسُنَتْ مُرْتَفَقاً» يعنى

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۰/ ۳۹۷ و تفسير الطبرى ۱۵/ ۱۴۸ و هو فى مجمع البيان ۳/ ۴۶۶

(۲) قائله ذو الرمة ديوانه ۴۴۲ و مجاز القرآن ۱/ ۴۰۱ و تفسير الطبرى ۱۵/ ۱۴۸

(۳) ديوان الاعشيين (طبع بيانة) ۳۴۴ و تفسير الطبرى ۱۵/ ۱۴۸ و مجاز القرآن ۱/ ۴۰۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۱

حسنت الجنة مرتفقاً، فلذلك أنث الفعل، و معنى «مرتفقاً» اى مجلساً. و هو نصب على التمييز. ثم قال «وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ» أى اضرب رجلين لهم مثلا «جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَ حَفَفْناهُما بِنَخْلٍ» أى جعلنا النخل مطيفاً بهما يقال حفه القوم يريد إذا طافوا به «وَ جَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً» اعلام بأن عمارتهما كاملة متصلة لا يفصل بينهما إلا عمارة. و أعلمنا أنهما كاملتان فى تأدية كل حملها من غلتها، فقال «كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها» أى طعمها و ما يؤكل منها «وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً» أى لم تنقص بل أخرجت ثمرها على الكمال و

التمام، قال الشاعر:

يظلمنى مالى كذا و لوى يدى لوى يده اللّه الذى هو غالبه «۱»

أي ينقصنى مالى. و قال الحسن: معناه لم ينقص «وَ فَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً» أي شققنا نهراً بينهما، و فائدتهما أنهما يشربان من نهر واحد. «وَ كانَ لَهُ ثَمَرٌ» و قرئ (ثمر) قال مجاهد هو ذهب، و فضة. و قال ابن عباس و قتادة: هو صنوف الأموال، يقال: ثمار و ثمر مثل حمار و حمر، و يجوز أن يكون جمع ثمر، مثل خشب و خشب، و انما قال «كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ» على لفظ كلتا، لأنه بمنزلة (كل) فى مخرج التوحيد. و لو قال آتتا، على الجنتين كان جائزاً قال الشاعر فى التوحيد:

و كلتاهما قد خط لى فى صحيفتى فلا العيش أهواه و لا الموت أروح «۲»

و يجوز كلاهما فى الحديث قال الشاعر:

كلا عقبيه قد تشعث رأسها من الضرب فى جنبى ثقال مباشر

و الالف و اللام فى كلتا ليست ألف التثنية، و لذلك يجوز أن تقول الاثنتان

---

(۱) مر تخريجه فى ۲/ ۵۰۸

(۲) البيت فى مجمع البيان غير منسوب (ج ۷ م ۶ من التبيان)

قام، و يجوز ان يقال كل الجنة آتت. و لا يجوز كل المرأة قامت، لان بعض الامرأة ليس بامراة و بعض الجنة جنة، فكأنه قال كل جنة من جملة ما آتت.

و قوله «فَقالَ لِصاحِبِهِ وَ هُوَ يُحاوِرُهُ» أي يقول احد الرجلين لصاحبه يعنى صاحبى الجنتين اللتين ضرب بهما المثل، يقول لصاحبه الآخر «وَ هُوَ يُحاوِرُهُ» أي يراجعه الكلام «أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مالًا وَ أَعَزُّ نَفَراً» أي أجمع مالا و أعز عشيرة و اكثر انصاراً، و قد فسرناه فيما مضى و إنما قال «وَ فَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً» و النهر يتفجر من موضع واحد لان النهر يمتد حتى يصير التفجر كأنه فيه كله، فالتخفيف و التثقيل فيه جائزان و منه «حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» «۱» يخفف و يثقل على ما مضى القول فيه.

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۳۵ الى ۳۷] ..... ص : ۴۲

وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً (۳۵) وَ ما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً (۳۶) قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَ هُوَ يُحاوِرُهُ أَ كَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (۳۷)

آيتان فى عدد إسماعيل و شامى و ثلاثة فى ما عداه لأنهم عدوا ابداً ايةً و لم يعدّها إسماعيل و لا الشامى و ثلاثة آيات فى الكوفى و المدنى الاول و اثنتان فى المدنى الأخير.

قرأ اهل الحجاز و ابن عامر «خيراً منهما» بزيادة ميم على التثنية.

---

(۱) سورة ۱۷- الإسراء آية ۹۰

الباقون بلا ميم.

اخبر اللّه تعالى عن أحد الرجلين اللذين ضرب بهما المثل، و هو صاحب الجنتين انه دخل جنته و هى البستان الذى يجنه الشجر و يحفه الزهر، «وَ هُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ» أي باخس لها حقها بارتكاب القبيح و الإخلال بالواجب اللذين يستحق بهما العقاب و يفوته بهما

الثواب، فلما رأى هـذا الجاهل ما راقه و شاهد ما أعجبه، و كبر فى نفسه توهم أنه يدوم، و أن مثله لا يفنى، فقال «ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً» أى تهلك هـذه الجنـة أبداً «وَ ما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً» يعنى يوم القيامة أى تقوم، كما يدعيه الموحدون. ثم قال «وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّى» وجـدت «خَيْراً مِنْها» يعنى من الجنـة، و من قرأ «منهما» أراد الجنتين «منقلباً» أى فى المرجع اليه. و انما قـال هـذا مع كفره باللَّه تعالى، لأن المعنى ان رددت الى ربى، كما يـدعى من رجوعى، فلى خير من هذه، تحكما سولته له نفسه، لا مطمع فيه. و قال ابن زيد: شك، ثم قال على شكه فى الرجوع الى ربه ما أعطانى هـذه الأولى عنـده خير منها «قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَ هُوَ يُحاوِرُهُ» أى يراجعه الكلام «أَ كَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا» و معنى خلقك من تراب أن أصلـك من تراب إذ خلق أباك آدم (ع) من تراب، فهو من تراب و يصير الى التراب، و قيـل لمـا كانت النطفـة يخلقها اللَّه بمجرى العادة من الغـذاء، و الغـذاء نبت من التراب، جاز أن يقال: خلقك من تراب، لان أصـله تراب كما قال من نطفة، و هو فى هذه الحال خلق سوى حى، لكن لما كان أصـله كذلك جاز أن يقال ذلك.

و فى الآية دلالة على ان الشك فى البعث و النشور كفر، و الوجه فى خلق البشـر و غيره من الحيوان و تنقله من تراب الى نطفة، ثم الى علقـة، ثم الى صورة، ثم الى طفوليـة، ثم الى حال الرجوليـة، ما فى ذلك من الاعتبار الـذى هو دال على تـدبير مدبر التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۴

مختـار يصـرف الأشـياء من حـال الى حـال، لان ما يكون فى الطبع يكون دفعـة واحـدة كالكتابـة التى يوجـدها بالطبائع من لا يحسـن الكتابة، فلما انشأ الخلق حالا بعد حال دل على أنه عالم مختار.

و (المحاورة) مراجعة الكلام و (المنقلب) المعاد، و (التسوية) جعل الشىء على مقدار سواه، فقوله «سواك رجلا» أى كملك رجلا.

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۳۸ الى ۴۱] ..... ص : ۴۴

لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّى وَ لا أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَداً (۳۸) وَ لَوْ لا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ما شاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالاً وَ وَلَداً (۳۹) فَعَسى رَبِّى أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَ يُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً (۴۰) أَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً (۴۱)

أربع آيات بلا خلاف.

قرأ نافع- فى رواية المسيبى- و ابن عامر، و ابو جعفر، و رويس، و البرجمى، و العبسى «لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّى» بإثبات الالف فى الوصل، و هى قراءة ورش عن نافع.

و الباقون بغير الف فى الوصل. و لم يختلفوا فى الوقف أنه بألف. و قد جاء الإثبات فى الوصل، قال الأعشى:

فكيف أنا و انتحالى القوافى بعد المشيب كفى ذاك عارا «۱»

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۸۴ و طبع (بيانه) ۴۱ و القرطبى ۱۰/ ۴۰۵ و روايته (فما انا أم ما انتحالى القوافى)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۵

غير ان ذلك من ضروة الشعر، و يجوز فى «لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّى» خمسة أوجه فى العربية.

أحدها- لكن هو اللَّه- بالتشديد- من غير الف فى الوصل و الوقف.

الثانى- بالف فى الوصل و الوقف.

الثالث- لكننا بإظهار النونين و طرح الهمزة.

الرابع- لكن هو اللَّه ربى بالتخفيف.

الخامس- لكن انا على الأصل. و قال الكسائى: العرب تقول: أن قائم بمعنى أنا قائم، فهذا نظير «لٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ» و من قرأ لكنا فى الوصل احتمل أمرين:

أحدهما- أن يجعل الضمير المتصل مثل المنفصل الذى هو نحن، فيدغم النون من «لكن»- لسكونها- فى النون من علامة الضمير، فيكون على هذا بإثبات الالف وصلا و وقفاً، لان أحداً لا يحذف الالف من (انا فعلنا).

و قوله «هو اللَّه» فهو ضمير علامة الحديث و القصة. كقوله «فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ» «١» و قوله «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» و التقدير: الامر: اللَّه احد، لأن هذا الضمير يدخل على المبتدإ و الخبر، فيصير المبتدأ و الخبر فى موضع خبر و عاد على الضمير الذى دخلت عليه (لكن) على المعنى، و لو عاد على اللفظ لقال: لكنا هو اللَّه ربنا.

و دخلت (لكن) مخففة على الضمير، كما دخلت فى قوله «إِنَّا مَعَكُمْ» «٢» و الوجه الاخر- أن يكون على ما حكاه سيبويه أنه سمع من يقول أعطنى بيضة فشدد و ألحق الهاء بالتشديد للوقف، و الهاء مثل الالف فى سبساء، و الياء فى (عيهل) و اجرى الهاء مجراهما فى الإطلاق، كما كانت مثلهما فى نحو قوله:

---

(١) سورة ٢١ الأنبياء آية ٩٧

(٢) سورة ٢ البقرة آية ١۴

صفية قومى و لا تجزعى و بكى النساء على حمزة «١»

و هذا الذى حكاه سيبويه ليس فى شعر، فكذلك الآية يكون الالف فيها كالهاء، و لا تكون الهاء للوقف لأن هاء الوقف لا يبين بها المعرب، و لا ما ضارع المعرب فعلى احد هذين الوجهين يكون قول من اثبت الالف فى الوصل أو عليهما جميعاً، و لو كانت فاصلة، لكان مثل «فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا» «٢» و فى (أنا) فى الوصل ثلاث لغات أجودها (أنا قمت) كقوله «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى بغير ألف فى اللفظ، و يجوز (أنا قمت) بإثبات الالف، و هو ضعيف جداً و حكوا أن قمت بإسكان النون، و هو ضعيف أيضاً و أما «لٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي» بإثبات الالف فهو الجيد، لان الهمزة قد حذفت من انا فصار اثبات الالف عوضاً عن الهمزة، و حكى أن أبياً قرأ «لكن انا هو الله» قال الزجاج و هو الجيد البالغ، و ما قرأه القراء ايضاً جيد.

و قوله «قُلْتَ ما شاءَ اللَّهُ» تحتمل (ما) أن تكون رفعاً، و تقديره قلت الأمر ما شاء اللَّه، و يجوز ان تكون نصباً على معنى الشرط و الجزاء. و الجواب مضمر و تقديره أى شيء شاء اللَّه كان، و تضمر الجواب، كما تضمر جواب (لو) فى قوله «وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ» «٣» و المعنى لكان هذا القرآن. و معنى «لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» لا يقدر أحد إلا باللَّه، لان اللَّه هو الذى يفعل القدرة للفعل.

و قوله «إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ» منصوب بأنه مفعول ثان ل (ترنى) و «أنا» تصلح لشيئين: أحدهما- ان تكون توكيداً للنون و الياء. و الثانى- ان تكون فصلا كما تقول: كنت انت القائم يا هذا، و يجوز رفع (اقل) و به قرأ عيسى بن عمر على

---

(١) البيت فى مجمع البيان ٣/ ۴٧٠

(٢) و سورة ٣٣- الأحزاب آية ۶٧

(٣) سورة ١٣- الرعد- آية ٣٣

ان يكون (أنا) مبتدأ و (اقل) خبره. و الجملة فى موضع المفعول الثانى- ل (ترنى) و قوله «غوراً» قراه البرجمى بضم الغين- هاهنا- و فى الملك، و انما جاز ان يقع المصدر فى موضع الصفة فى ماء غور، للمبالغة، كما تقول فى الحسن وجهه: نور ساطع، و قال الشاعر:

تظل جیاده نوحاً علیه مقلدة أعنتها صفونا «۱»

حکی اللَّه تعالی عن الذی قال لصاحبه «أ کَفَرْتَ بِالَّذِی خَلَقَکَ مِنْ تُرابٍ» أنه قال «لکِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّی» و معناه لکن أنا هو اللَّه ربی إلا أنه حذف الهمزة، و القی حرکتها علی الساکن الذی قبلها، فالتقت النونان، و أدغمت إحداهما فی الاخری، کما قال الشاعر:

و یرمیننی بالطرف أی انت مذنب و یقلیننی لکن إیاک لا أقلی «۲»

أی لکن أنا. و قوله «وَ لا أُشْرِکُ بِرَبِّی أَحَداً» أی لا أشرک بعبادتی أحداً مع اللَّه بل أوجهها إلیه خالصة له وحده. و إنما استحال الشرک فی العبادة، لأنها لا تستحق إلا بأصول النعم التی لا توازیها نعمة منعم، و ذلک لا یقدر علیه أحد إلا اللَّه. ثم قال له «وَ لَوْ لا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَکَ» و المعنی هلا- حین دخلت جنتک «قُلْتَ ما شاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» لاحد من الخلق «إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْکَ مالًا وَ وَلَداً فَعَسی رَبِّی أَنْ یُؤْتِیَنِ» بمعنی ان یعطینی خیراً من جنتک جنة فی الدار الآخرة «وَ یُرْسِلَ عَلَیْها» أی علی جنتک حسباناً من السماء. قال ابن عباس، و قتادة: عذاباً. و قیل ناراً من السماء تحرقها.

و قیل أصل الحسبان السهام التی ترمی لتجری فی طلق واحد، و کان ذلک من رمی الأساورة. و الحسبان المرامی الکثیرة مثل کثرة الحساب واحده حسبانة.

---

(۱) قیل ان البیت لعمر بن کلثوم من معلقته و هو فی أمالی السید المرتضی ۱/ ۱۰۵، ۲۰۱

(۲) تفسیر القرطبی ۱۰/ ۴۰۵، و مجمع البیان ۳/ ۴۷۰ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۴۸

و قوله «فَتُصْبِحَ صَعِیداً زَلَقاً» أی تراباً محترقاً. و الزلق الذی لا نبات فیها.

و قال الزجاج: الصعید الطریق الذی لا نبات فیه أی ملساء ما أنبتت من شیء قد ذهب.

و قال الزجاج: المعنی و یرسل علیها عذاب حساب بما کسبت یداک، لان الحسبان هو الحساب.

و قوله «أَوْ یُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً» أی ذاهباً فی باطن غامض. و المعنی غائراً، فوضع المصدر موضع الصفة و نصب علی الحال و لذلک لا یثنی و لا یجمع.

و قوله «فَلَنْ تَسْتَطِیعَ لَهُ طَلَباً» أی لا تقدر علی طلب الماء إذا غار، و الطلب تقلیب الأمر لوجدان ما یهلک. قال الرمانی هذا أصله، ثم قیل للمرید من غیره فعلا: طالب لذلک الفعل بإرادته او أمره و المفکر فی المعنی (طالب) لادراک ما فیه و کذلک السائل.

قوله تعالی:[سورة الکهف (۱۸): الآیات ۴۲ الی ۴۴] ..... ص : ۴۸

وَ أُحِیطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ یُقَلِّبُ کَفَّیْهِ عَلی ما أَنْفَقَ فِیها وَ هِیَ خاوِیَةٌ عَلی عُرُوشِها وَ یَقُولُ یا لَیْتَنِی لَمْ أُشْرِکْ بِرَبِّی أَحَداً (۴۲) وَ لَمْ تَکُنْ لَهُ فِئَةٌ یَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ ما کانَ مُنْتَصِراً (۴۳) هُنالِکَ الْوَلایَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَیْرٌ ثَواباً وَ خَیْرٌ عُقْباً (۴۴)

ثلاث آیات بلا خلاف.

قرأ ابن کثیر، و ابن عامر، و نافع و عاصم «الولایة» بفتح الواو «للَّه الحق» بکسر القاف، و قرأ حمزة بکسرهما. و قرأ ابو عمرو: بفتح الواو، و ضم القاف. و قرأ الکسائی بکسر الواو و ضم القاف. و قرأ اهل الکوفة إلا عاصماً «و لم یکن» بالیاء التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۴۹

الباقون بالتاء.

من قرأ بالتاء فلتأنیث الفئة، و الفئة الجماعة، و قد یسمی الرجل الواحد فئة، کما ان الطائفة تکون جماعة و واحداً. قال ابن عباس فی قوله «وَ لْیَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ» فالطائفة قد تکون الرجل الواحد.

و من قرأ بالياء فلقوله «ينصرونه» و لأن التأنيث غير حقيقى. و اما (الولاية) بفتح الواو، و كسرها فلغتان مثل الوكالة و الوكالة و الدلالة و الدلالة. و قال قوم:

هما مصدران فالمكسور مصدر الوالى من الامارة و السلطان. و المفتوح مصدر الولىّ ضد العدو، تقول: هذا ولى بين الولاية.

و اما قوله «الحق» فمن خفض قال الحق هو اللّه فخفضه نعتاً للّه، و احتج بقراءة ابن مسعود «هنالك الولاية للّه و هو الحق» و فى قراءة أبى «هنالك الولاية الحق للّه» و من رفع جعله نعتاً للولاية، و أجاز الكوفيون و البصريون النصب بمعنى أحق ذلك حقاً، و الحق اليقين بعد الشك.

قوله «وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ» معناه هلكت ثمرهم عن آخرها، و لم يسلم منها شيء كما يقال أحاط بهم العدو إذا هلكوا عن آخرهم و الاحاطة ادارة الحائط على الشيء.

و منه قوله «وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ»(۱)

أى لا يعلمون معلوماته، و الحد محيط بجميع الحدود.

و قوله «فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها» أى يتحسر على ما أنفق فى عمارتها «وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها» معناه حيطانها قائمة لا سقوف عليها، لأنها انهارت

---

(۱) سورة ۲- البقرة- آية ۲۵۶ (ج ۷ م ۷ من التبيان)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۰

فصارت فى قرارها، و خوت فصارت خاوية من الأساس. و مثله قولهم وقعت:

الدار على سقوفها أى أعلاها على أسفلها. و قيل خاوية على بيوتها، و العروش الابنية أى قد ذهب شجرها و بقيت جدرانها، لا خير فيها. و قيل العروش السقوف، فصارت الحيطان على السقوف.

و قوله «وَ يَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً» اخبار منه تعالى عما يقول صاحب الجنة الهالكة، و انه يندم على ما كان منه من الشرك باللّه. ثم قال تعالى «وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ» اى جماعة «يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» قال العجاج:

كما يجوز الفئة الكمى

و قوله تعالى «وَ ما كانَ مُنْتَصِراً» قال قتادة: معنا ما كان ممتنعاً. و قيل معناه ما كان منتصراً بان يسترد بدل ما كان ذهب منه.

و قوله (هُنالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ) اخبار منه تعالى ان فى ذلك الموضع الولاية بالنصرة و الاعزاز للّه (عز و جل) لا يملكها احد من العباد يعمل بالفساد فيها، كما قد مكن فى الدنيا على طريق الاختبار، فيصح الجزاء فى غيرها.

و قوله (هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وَ خَيْرٌ عُقْباً) انما قال هو خير ثواباً مع أنه لا يثيب أحد إلا اللّه لامرين:

أحدهما- انه على ردّ ادعاء الجهال انه قد يثيب غير اللّه، فتقديره لو كان غيره يثيب، لكان هو خير ثواباً.

و الثانى انه خير جزاء على العمل. و عاقبة ما يدعو اليه خير من عاقبة ما لا يدعو اليه. و الولاية بفتح الواو ضد العداوة، و بكسرها الامارة و السلطان. و قرأ عاصم و حمزة «عقباً» بسكون القاف. الباقون بضمتين و هما لغتان بمعنى العاقبة، و هو نصب على التمييز (و هنالك) اشارة الى يوم القيامة. و المعنى ان يوم القيامة تتبين نصرة اللّه، التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۱

لأوليائه. و (عقباً) أى عاقبة يقال عقبى الدار، و عقب الدار، و عاقبة الدار بمعنى واحد.

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۴۵ الى ۴۶] ..... ص : ۵۱

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ

مُقْتَدِراً (۴۵) الْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَ خَيْرٌ أَمَلًا (۴۶)

آيتان بلا خلاف.

أمر اللَّه تعالى نبيه (ص) أن يضرب المثل للدنيا تزهيداً فيها، و ترغيباً فى الآخرة بأن قال: إن مثلها كمثل ماء أنزله اللَّه من السماء «فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ» أى نبت بذلك الماء المنزل من السماء نبات، فالتفت بعضه ببعض يروق حسناً و غضاضة.

ثم عاد (هشيماً) أى مكسوراً مفتتاً «تَذْرُوهُ الرِّياحُ» فتنقله من موضع الى موضع فانقلاب الدنيا بأهلها كانقلاب هذا النبات. ثم قال «وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ» اراده «مقتدراً» أى قادراً، لا يجوز عليه المنع منه. و التذرية تطيير الريح الأشياء الخفيفة على كل جهة، يقال: ذرته الريح تذروه ذرواً، و ذرته تذريه و أذرته إذراء قال الشاعر:

فقلت له صوب و لا تجهدنه فيذرك من أخرى القطاة فتزلق «۱»

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۰/ ۴۱۳ و هو فى مجمع البيان ۳/ ۴۷۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۲

و أذريت الرجل عن الدابة إذا ألقيته عنها، و الهشيم النبات اليابس المتفتت.

و قال الحسن: معنى «وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً» أى كان قادراً ان يكوّنه قبل أن يكون، و قبل أن يكون. و هو اخبار عن الماضى و دلالة على المستقبل، و هذا المثل للمتكبرين الذين اغتروا بأموالهم، و استنكفوا من مجالسة فقراء المؤمنين، فأخبرهم اللَّه أن ما كان من الدنيا لا يراد به اللَّه، فهو كالنبت الحسن على المطر لا مادة له فهو يروق ما خالطه ذلك الماء، فإذا انقطع عنه عاد هشيماً تذروه الرياح لا ينتفع به.

و قوله «الْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا» اخبار منه تعالى أن كثرة الأموال التى يتمولها الإنسان و يملكها فى الدنيا. و البنين الذين يرزقهم اللَّه زينة الحياة الدنيا، أى جمال الدنيا و فخرها «وَ الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ» يعنى الطاعات للَّه تعالى، لأنه يبقى ثوابها أبداً، فهى خير من نفع منقطع لا عاقبة له، و الباقيات يفرح بها و يدوم خيرها، و هى صالحات بدعاء الحكيم اليها و أمره بها. و قال ابن عباس «الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ» الطاعات للَّه. و

روى فى أخبارنا أن من الباقيات الصالحات، و الأمور الثابتات: القيام بالليل لصلاة الليل.

و الأمل الرجاء، و معنى «خير أملا» أن الرجاء للعمل الصالح و الأمل له خير من الأمل للعمل الطالح.

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۴۷ الى ۴۹] ..... ص : ۵۲

وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً (۴۷) وَ عُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً (۴۸) وَ وُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً (۴۹)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۳

ثلاث آيات قرأ ابن كثير و ابن عامر و أبو عمر و «تسير» لتأنيث الجبال و رفع الجبال، لأنه اسم ما لم يسم فاعله، و لأنه قال «وَ سُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً» «۱»، و لأن ابياً قرأ «و يوم سيرت الجبال»، فإذا كان الماضى (سيرت) كان المضارع تسير. الباقون «نسير» بالنون، اخبار من اللَّه تعالى عن نفسه. و نصب الجبال و هو مفعول به ل (نسير) و حجتهم قوله «وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً» و نصب «وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ» بإضمار فعل، و تقديره و اذكر يا محمد (ص) يوم نسير الجبال. و قوله «وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً» أى ظاهرة فلا يتستر منها شيء، لان الجبال إذا سيرت عنها و صارت دكا ملساء ظهرت و برزت. و قيل «وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً» أى يبرز ما فيها من الكنوز و الأموات،

فهو مثل

قول النبى (ص) (ترمى الأرض بافلاذ كبدها)

و أجاز بعض البصريين ان ينصب «و يوم» بقوله «وَ الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً» فى يوم تسير الجبال ف «الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ» قيل الطاعات. و قيل الصلوات الخمس و قيل سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلا اللّه و الله أكبر.

و

روى عن أبى جعفر (ع) أنه قال (القيام بالليل لصلاة الليل).

و سمع بعضهم عزّى صديقاً له، فقال: ابنك كان زينة الدنيا، و لو بقى كان سيداً مثلك، و إذ استأثر الله به، فجعله من الباقيات الصالحات، و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً و خير أملا، فتسلى بذلك.

يقول الله تعالى لنبيه (ص) اذكر يوم نسير الجبال، و التسيير تطويل السير

(۱) سورة ۷۸- النبأ- آية ۲۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۴

و قد يكون بمعنى ان يجعله يسير، و هذا هو معنى تسيير الجبال، و انما يسيرها [الله تعالى، و يخبر به، لما فى ذلك من الاعتبار فى الدنيا. و قيل يسيرها] «۱» بأن يجعلها هباء منبثاً، و معنى «وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً» أى لا شيء يسترها، يحشر الخلائق حتى يكونوا كلهم على صعيد واحد، و يرى بعضهم بعضاً، و كل ذلك من هول يوم القيامة، أخبر الله به للاعتبار به و الاستعداد بما يخلص من أهواله.

و قوله «وَ حَشَرْناهُمْ» أى بعثناهم و أحييناهم بعد أن كانوا أمواتاً «فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً» أى لم نترك واحداً منهم لا نحشره. و المغادرة الترك، و منه الغدر ترك الوفاء، و منه الغدير لترك الماء فيه. و قيل: نغادر نخلف. و قيل: أغدرت و غادرت واحد.

و قولهَ عُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا»

قيل معناه انهم يعرضون صفاً بعد صف كالصفوف فى الصلاة. و قيل المعنى انهم يعرضون على ربهم لا يخفى منهم أحد فكأنهم صف واحد. و قيل: انهم يعرضون، و هم صف، و يقال لهمَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ»

يعنى جئتم الى الموضع الذى لا يملك الأمر فيه أحد إلا الله، كما خلقناكم أول مرة لا تملكون شيئاً. و

روى عن النبى (ص) أنه قال (يحشرون حفاة عراة عزّلا) فقالت عائشة: أ فما يحتشمون يومئذ، فقال النبى (ص) (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)

و يقال لهم أيضاً «بل زعمتم» فى دار الدنيالَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً»

يعنى يوم القيامة، و انكم أنكرتم البعث و النشور.

ثم قال تعالى «وَ وُضِعَ الْكِتابُ» يعنى الكتب التى فيها أعمالهم مثبتة «فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ» اى يخافون من وقوع المكروه بهم و الإشفاق الخوف من وقع المكروه مع تجويز ألا يقع، و أصله الرقة، و منه الشفق: الحمرة الرقيقة التى

(۱) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۵

تكون فى السماء، و شفقة الإنسان على ولده رقته عليه. و قوله «وَ يَقُولُونَ» الواو واو الحال و تقديره قائلين «يا وَيْلَتَنا» و هذه لفظة، من وقع فى شدة دعا بها و «ما لِهذَا الْكِتابِ» اى شيء لهذا الكتاب «لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً» أى لا يترك صغيرة و لا كبيرة من المعاصى «إِلَّا أَحْصاها» بالعدد و حواها. و (لا يغادر) فى موضع نصب على لحال «وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً» اخبار منه تعالى أنهم

يجدون جزاء ما عملوا فى ذلك الموضع، و لا يبخس الله أحداً حقه فى ذلك اليوم و لا ينقصه ثوابه الذى استحقه. و قيل معناه و وجدوا أعمالهم مثبتة كلها و يعاقب كل واحد على قدر معصيته.

قوله تعالى:[سورة الكهف (١٨): الآيات ٥٠ الى ٥٢] ..... ص : ٥٥

وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠) ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً (٥١) وَ يَوْمَ يَقُولُ نادُوا شُرَكائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً (٥٢)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة وحده «و يوم نقول» بالنون، على أن الله تعالى هو المخبر عن نفسه بذلك، لأنه قال قبل ذلك «وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً، وَ يَوْمَ يَقُولُ» حمله على ما تقدم، و الجمع و الافراد بذلك المعنى. الباقون بالياء، بمعنى قل يا محمد التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۶

يوم يقول الله أين شركائى الذين زعمتم، و لو كان بالنون لكان الأشبه بما بعده ان يكون جمعاً، فيقول شركاؤنا، فأما قوله «الَّذِينَ زَعَمْتُمْ» فالراجع الى الموصول محذوف، و المعنى الذين زعمتموهم إياهم أى زعمتموهم شركاء، فحذف الراجع من الصلة، و لا بد من تقديره كقوله «أ هذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» «١» يقول الله تعالى لنبيه و اذكر الوقت الذى قال الله فيه «لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» و انهم «فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» و قد فسرناه فيما تقدم. «٢» و قيل: إنما كرر هذا القول فى القرآن لأجل ما بعده مما يحتاج الى اتصاله به، فهو كالمعنى الذى يفيد أمراً فى مواضع كثيرة، و الاخبار عنه باخبار مختلفة، كقولهم برهان كذا كذا و برهان كذا كذا، للمعنى الذى يحتاج الى أحكامه فى أمور كثيرة.

و قوله «كانَ مِنَ الْجِنِّ» قيل معناه صار من الجن المخالفين لأمر الله.

و قال قوم: ذلك يدل على أنه لم يكن من الملائكة، لأن الجن جنس غير الملائكة، كما ان الانس غير جنس الملائكة و الجن، و من زعم انه كان من الملائكة يقول:

معنى كان من الجن يعنى من الذين يستترون عن الأبصار «٣» لأنه مأخوذ من الجن و هو الستر، و منه الجن لأنه يستر الإنسان. و قال ابن عباس: نسب الى الجنان التى كان فيها، كقولك كوفى و بصرى، و قال قوم: بل كانت قبيلته التى كان فيها يقال لهم الجن، و هم سبط من الملائكة. فنسب اليهم. و قال ابن عباس: لو لم يكن إبليس فى الملائكة ما أمر بالسجود. و قال و هم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم. و روى عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى «كانَ مِنَ الْجِنِّ»

---

(١) سورة ٢٥- الفرقان- آية ۴١

(٢) سورة البقرة آية ٣۴ المجلد الاول صفحة ١۴٧ و قد مر أيضاً فى ۴/ ٣٨٣ فى تفسير آية ١٠ من سورة الاعراف

(٣) فى المخطوطة (الإنسان) بدل (الأبصار)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۷

قال: كان إبليس من الملائكة فلما عصى لعن فصار شيطاناً. و من قال إن إبليس له ذرية و الملائكة لا ذرية لهم و لا يتناكحون و لا يتناسلون عول على خبر غير معلوم.

فأما الاكل و الشرب ففى الملائكة و لو علم انه مفقود، فانا لا نعلم أن إبليس كان يأكل و يشرب، فأما من قال إن الملائكة رسل اللَّه، و لا يجوز عليهم أن يرتدوا. فلا نسلم لهم أن جميع الملائكة رسل اللَّه، و كيف نسلم ذلك، و قد قال اللَّه تعالى «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ

الْمَلائِكَةِ رُسُلًا» «۱» فأدخل (من) للتبعيض، فدل على أن جميعهم لم يكونوا رسلا أنبياء، كما انه تعالى قال «وَ مِنَ النَّاسِ» «۲» فدل على أن جميع الناس لم يكونوا أنبياء. و قوله «فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» معناه خرج عن أمر ربه الى معصيته بترك السجود لآدم. و أصل الفسق الخروج الى حال تضر، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها و فسقت الفارة إذا خرجت من حجرها قال رؤبة:

يهوين فى نجد و غوراً غائراً فواسقاً عن قصدها جوائرا «۳»

و قال ابو عبيدة: هذه التسمية لم أسمعها فى شيء من أشعار الجاهلية، و لا أحاديثها، و انما تكلمت بها العرب بعد نزول القرآن، قال المبرد: و الأمر على ما ذكر أبو عبيدة، و هى كلمة فصيحة على ألسنة العرب، و أوكد الأمور ما جاء فى القرآن.

و قال قطرب: معنا «فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» عن رده أمر ربه، كقولهم كسوته عن عرى و أطعمته عن جوع، ثم خاطب تعالى الخلق الذين أشركوا باللَّه غيره، فقال «أَ فَتَتَّخِذُونَهُ يعنى إبليس وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ» أى أنصاراً توالونهم من دون اللَّه «و هم»

(۱، ۲) سورة ۲۲- الحج- آية ۷۵

(۳) ملحق ديوانه ۱۹۰ و مجاز القرآن ۱/ ۴۰۶ و تفسير الطبرى ۵۱/ ۱۵۸ و الكشاف ۳/ ۱۱۰ و اللسان و التاج (فسق) و غيرها.

(ج ۷ م ۸ من التبيان)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۸

يعنى إبليس «و ذريته عدو لكم» يريدون بكم الهلاك و الدمار «بئس» البدل «لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا» و نصب (بدلا) على التمييز.

ثم قال «ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ» و قيل معناه ما أشهدتهم ذلك مستعيناً بهم، و قيل معناه ما أشهدت بعضهم خلق بعض. و وجه اتصال ذلك بما قبله اتصال الحجة التى تكشف حيرة الشبهة، لأنه بمنزلة ما قيل إنكم قد أقبلتم على اتباع إبليس و ذريته حتى كأن عندهم ما تحتاجون اليه، فلو أشهدتهم خلق السموات و الأرض و خلق أنفسهم، فلم يخف عليهم باطن الأمور و ظاهرها لم تزيدوا على ما أنتم عليه فى أمركم.

ثم قال تعالى «وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً» يعنى اعواناً، و هو قول قتادة و هو من اعتضد به إذا استعان به. و فى عضد خمس لغات، و هى عَضَد و عُضُد و عَضِد و عُضْد و عَضْد.

ثم اخبر تعالى عن حالهم يوم القيامة فقال و اذكر يوم يقول اللَّه تعالى للمشركين نادوا شركائى الذين زعمتم- على وجه التقريع و التوبيخ- و استغيثوا بهم، فدعوهم يعنى المشركين يدعون أولئك الشركاء الذين عبدوهم مع اللَّه، فلا يستجيبون لهم ثم قال تعالى «وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً» قال ابن عباس أى مهلكاً، و به قال قتادة و الضحاك و ابن زيد، و هو من أوبقته ذنوبه أى أهلكته. و قال الحسن معنا «موبقاً» أى عداوة، كأنه قال عداوة مهلكة. و قال أنس بن مالك: هو واد فى جهنم من قيح و دم. و حكى الكسائى وبق يبق و بوقاً، فهو وابق إذا هلك، و حكى الزجاج: و بق الرجل يوبق وبقاً. و الوبق مصدر وبق.

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۵۳ الى ۵۵] ..... ص : ۵۸

وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها وَ لَمْ يَجِدُوا عَنْها مَصْرِفاً (۵۳) وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ كانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً (۵۴) وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى وَ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ قُبُلاً (۵۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۹

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة «قبلا» بضم القاف و الباء. الباقون بكسر القاف و فتح الباء.

فمن قرأ بضم القاف و الباء أراد جمع قبيل نحو قميص و قمص. و قال قوم: القبيلة بنو أب. و القبيل يعبر بها عن الجماعة و إن اختلفت أنسابهم و احتجوا بقول النابغة:

جوانح قد أيقنّ ان قبيله إذا ما التقى الجمعان أول غالب «۱»

و جمع القبيلة قبائل. و القبائل أيضاً قبائل الرأس، و هى عروق مجرى الدمع من الرأس، و سمى أيضاً شئوناً، واحدها شأن. و من قرأ بكسر القاف و فتح الباء أراد مقابلة، أي معاينة. و يحتمل أيضاً الضم، ذلك، ذكره الفراء و الزجاج، و هما لغتان.

اخبر اللَّه تعالى عن المجرمين و العصاة أنهم إذا شاهدوا نار جهنم و رأوها «فظنوا» اى علموا «أَنَّهُمْ مُواقِعُوها» و لم يجدوا عن دخولها معدلا و لا مصرفاً، لأن معارفهم ضرورية، فالظن هاهنا بمعنى العلم. و قد يكون الظن غير العلم، و هو ما قوى عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون على خلافه.

و الاجرام قطع العمل الى الفساد. و أصله القطع، يقال: هذا زمن الجرام أى زمن الصرام يعنى زمان قطع الثمرة عن النخل. و المواقعة ملابسة الشيء بشدة، و منه وقائع الحروب و أوقع به ايقاعاً. و تواقعوا تواقعاً. و التوقع الترقب لوقوع الشيء، و المصرف

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۶۰

المعدول. و هو الموضع الذى يعدل اليه، صرفه عن كذا يصرفه صرفاً. و الموضع مصرف قال ابو كثير:

أ زهير هل عن شيبة من مصرف أم لا خلود لباذل متكلف «۱»

و قوله «وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» اخبار من اللَّه تعالى انه نقل المعانى فى الجهات المختلفة فى هذا القرآن، فتصريف المثل فيه تنقيله فى وجوه البيان على تمكين الأفهام. و المعنى بيّنا للناس من كل مثل يحتاجون اليه. ثم اخبر تعالى عن حال الإنسان فقال «وَ كانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا» أى خصومة.

و الجدل شدة الفتل عن المذهب بطريق الحجاج. و أصله الشدة، و منه الأجدل الصقر لشدته، و سير مجدول شديد الفتل.

و قوله «وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى وَ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ» معناه ما منعهم من الايمان بعد مجيء الدلالة و ان يستغفروا ربهم على ما سبق من معاصيهم إلا طلب ان يأتيهم سنة الأولين، من مجيء العذاب من حيث لا يشعرون، او مقابلة من حيث يرون. و إنما هم بامتناعهم من الايمان بمنزلة من يطلب هذا حتى يؤمن كرهاً، لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم، كما يقول القائل لغيره ما منعك ان تقبل قولى إلا ان تضرب، إلا انك لم تضرب، لأن مشركى العرب طلبوا مثل ذلك، فقالوا «اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ» «۲».

---

(۱) ديوان الهذليين ۲/ ۱۰۴ و تفسير الطبرى ۱۵/ ۱۶۰ و اللسان (صرف) و شواهد الكشاف ۱۹۲ و مجاز القرآن ۱/ ۴۰۷

(۲) سورة ۸ الانفال آية ۳۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۶۱

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۵۶ الى ۵۸] ..... ص : ۶۱

وَ ما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ يُجادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَ اتَّخَذُوا آياتِي وَ ما أُنْذِرُوا هُزُواً (۵۶) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها وَ نَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً (۵۷) وَ رَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ

دُونِهِ مَوْئِلًا (۵۸)

ثلاث آيات بلا خلاف أخبر اللَّه تعالى أنه لم يرسل رسله الى الخلق، إلا مبشرين لهم بالجنة إذا أطاعوا، و مخوفين لهم من النار إذا عصوا، فالبشارة الاخبار بما يظهر سروره فى بشرة الوجه يقال بشره تبشيراً و بشارة، و أبشره إبشاراً إذا استبشر بالأمر.

و منه البشر لظهور بشرته. ثم قال «وَ يُجادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ» أى يناظر الكفار دفعاً عن مذاهبهم بالباطل. و ذلك انهم ألزموه أن يأتيهم أو يريهم العذاب على ما توعدهم ما هو لاحق بهم إن أقاموا على كفرهم. و الباطل المعنى الذى معتقده على خلاف ما هو به، كالمعنى فى انه ينبغى أن تكون آيات الأنبياء على ما تقتضى الأهواء، كالمعنى فى أنه: يجب عبادة الأوثان على ما كان عليه الكبراء «لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ» و الإدحاض الاذهاب بالشيء الى الهلاك: و دحض هو دحضاً. و مكان دحض أى مزلق مزل، لا يثبت فيه خف و لا حافر، و لا قدم، قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۶۲

وردت و نحن اليشكرى حذاره و حاد كما حاد البعير عن الدحض «۱»

ثم اخبر تعالى عنهم أنهم «اتخذوا آيات الله» و دلالته و ما خوفوا به من معاصيه «هزواً» أى سخرية يسخرون منه. ثم قال تعالى «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ» اى من أظلم لنفسه ممن نبه على أدلته و عرفه الرسل إياها «فَأَعْرَضَ عَنْها» جانباً، و لم ينظر فيها «وَ نَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ» أى نسى ما فعله من المعاصى التى يستحق بها العقاب. و قال البلخى: معناه تذكر و اشتغل عنه استخفافاً به، و قلة معرفة بعاقبته، لا انه نسيه.

ثم قال تعالى «إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً» و هى جمع كنان كراهية أن يفقهوه، و قيل لئلا يفقهوه «وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً» أى ثقلا. و قد بينا معنى ذلك فيما مضى و جملته أنه على التشبيه فى جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه كقوله «وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً» «۲» و المعنى كأن قلوبهم فى أكنة عن أن تفقه، و فى آذانهم وقراً أن تسمع، و كأنه مستحيل أن يجيبوا الداعى الى الهدى. و يقوى ذلك قوله «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها» فدل انه كان يسمعها حتى صح إعراضه عنها. و قال البلخى: يجوز ان يكون المراد انا إذا فعلنا ذلك ليفقهوا فلن يفقهوا، لأنه شبههم بذلك و يجوز ان يكون المراد بذلك الحكاية عنهم انهم قالوا ذلك، كما حكى تعالى «وَ قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَ فِي آذانِنا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ حِجابٌ» «۳» ثم قال إن كان الأمر على ذلك فلن يهتدوا إذاً أبداً.

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۵/ ۶۱

(۲) سورة ۳۱- لقمان آية ۷ [.....]

(۳) سورة ۴۱، حم السجدة (فصلت) آية ۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۶۳

و قوله «وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدى مع ما جعلنا فيهم «فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً» و لا يرجعون اليها، بسوء اختيارهم، و سوء توفيقهم، من اللَّه جزاء على معاصيهم، و ذلك يختص بمن علم اللَّه أنه لا يؤمن منهم، و يجوز أن يكون الجعل فى الآية بمعنى الحكم و التسمية، ثم قال «و ربك» يا محمد «الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ» يعنى الساتر على عباده إذا تابوا، ذو الرحمة بهم «لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِما كَسَبُوا» عاجلا «لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ» لكن لا يؤاخذهم، لأن لهم موعداً و عدهم اللَّه ان يعاقبهم فيه و هو يوم القيامة «لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا» اى ملجأ- فى قول ابن عباس و قتادة و ابن زيد- و قال مجاهد:

يعنى محرزاً. و قال ابو عبيدة: يعنى منجاً ينجيهم، و يقال: لا و ألت نفسه بمعنى لا نجت قال الأعشى:

و قد اخالس رب البيت غفلته و قد يحاذر منى ثم ما يئل «۱»

و قال الآخر:

لا وألت نفسك خليتها للعامريين و لم تكلم «۲»

أى لا نجت نفسك:

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۵۹ الى ۶۱] ..... ص : ۶۳

وَ تِلْكَ الْقُرى أَهْلَكْناهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً (۵۹) وَ إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً (۶۰) فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً (۶۱)

---

(۱) ديوانه ۱۴۷ و تفسير الطبرى ۱۵/ ۱۶۳ و تفسير القرطبى ۱۱/ ۸ و مجاز القرآن ۱/ ۴۰۸

(۲) تفسير الطبرى ۱۵/ ۱۶۲ و تفسير القرطبى ۱۱/ ۸ و مجمع البيان ۳/ ۴۷۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۶۴

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ عاصم «لمهلكهم» بفتح الميم و اللام، فى روايهٔ أبى بكر عنه. و فى روايهٔ حفص- بفتح الميم و كسر اللام- الباقون بضم الميم و فتح اللام، من فتح الميم و اللام جعله مصدراً، لهلك يهلك مهلكا، مثل طلع مطلعاً، و من كسر اللام جعله وقت هلاكهم أو موضع هلاكهم مثل مغرب الشمس. و حكى سيبويه عن العرب: أتت الناقة على مضربها و منتجها- بالكسر- أى وقت ضرابها و نتاجها. و إنّ فى الف (لمضربا) بفتح الراء أى ضرباً جعلها مصدراً و من ضم الميم و فتح اللام- و هو الاختيار- فلان المصدر من (أفعل) و المكان يجيء على (مفعل) كقوله «أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ» «۱» كذلك: أهلكه اللَّه مهلكاً، و كل فعل كان على (فعل يفعل) مثل ضرب يضرب فالمصدر مضرب بالفتح، و الزمان و المكان (مفعل) بكسر العين، و كل فعل كان مضارعه (يفعل) بالفتح نحو يشرب و يذهب، فهو مفتوح أيضاً نحو المشرب و المذهب.

و كل فعل كان على (فعل يفعل) بضم العين فى المضارع نحو يدخل و يخرج، فالمصدر و المكان منه بالفتح نحو المدخل و المخرج إلا ما شذ منه نحو المسجد، فانه من سجد يسجد، و ربما جاء فى (فعل يفعل) المصدر بالكسر كقوله «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ» «۲» أى رجوعكم، و نحو قوله «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ» «۳» و نحو قوله «وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً» «۴» فهذا مصدر و ربما جاء على المعيش مثل المحيض كما قال الشاعر:

---

(۱) و سورهٔ ۱۷- الإسراء- آيهٔ ۸۰

(۲) سورهٔ- ۵- المائدة آيهٔ ۵۱، ۱۰۸

(۳) سورهٔ ۲- البقرة آيهٔ ۲۲۲

(۴) سورهٔ ۷۸ (عم)- النبأ- آيهٔ ۱۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۶۵

اليك

أشكوا شدهٔ المعيش و مرّ ايام نتفن ريشى

اخبر اللَّه تعالى أن تلك القرى أهلكناهم يعنى أهل القريهٔ، و لذلك قال:

(هم): و لم يقل (ها) لأن القريهٔ هى المسكن مثل المدينهٔ و البلدهٔ. و البلدهٔ لا تستحق الهلاك، و انما يستحق العذاب أهلها، و لذلك قال «لما ظلموا» يعنى أهل القريهٔ الذين أهلكناهم. و الإهلاك اذهاب الشيء بحيث لا يوجد، فقيل هؤلاء أهلكوا بالعذاب. و الإهلاك

و الإتلاف واحد، و قولهم الضائع هالك من ذلك لأنه بحيث لا يوجد. و قوله «وَ جَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ» أى لوقت إهلاكهم- فى من ضم الميم- أو لوقت هلاكهم- فى من فتحها- «موعداً» أى ميقاتاً و أجلًا فلما بلغوه جاءهم العذاب. و الموعد الوقت الذى وعدوا فيه بالإهلاك.

و قوله «وَ إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ» معناه و اذكر إذ قال موسى لفتاه لما فى قصته من العبرة بأنه قصد السفر فوفق اللَّه (عز و جل) فى رجوعه أكثر مما قصد له ممن أحب موسى أن يتعلم منه و يستفيد من حكمته التى وهبها اللَّه له. و قيل إن فتى موسى (ع) كان يوشع بن نون. و قيل ابن يوشع، و سمى فتاه لملازمته إياه «لا أبرح» أى لا أزال كما قال الشاعر:

و أبرح ما أدام اللَّه قومى بحمد اللَّه منتطقاً مجيداً «۱»

أى لا أزال، و لا يجوز أن يكون بمعنى لا أزول، لان التقدير، لا أزال أمشى حتى أبلغ. و معنى (لا يزال يفعل كذا) أى هو دائب فيه. و قيل انه كان وعد بلقاء الخضر عند مجمع البحرين.

و قوله «أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً» معناه لا أبرح حتى ابلغ مجمع البحرين الى أن

---

(۱) قائله خداش بن زهير. تفسير القرطبى ۱۱/ ۹ و مجمع البيان ۳/ ۴۷۹ و اللسان (نطق). (ج ۷ م ۹ من التبيان)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۶۶

امضى حقباً. قال ابن عباس: و الحقب الدهر. و قيل هو سنة بلغة قيس. و قيل سبعون سنة- ذكره مجاهد- و قال عبد اللَّه بن عمر: هو ثمانون سنة. و قال قتادة:

الحقب الزمان. و قال قتادة: مجمع البحرين: بحر فارس و الروم.

و قوله «فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما» يعنى بين البحرين «نَسِيا حُوتَهُما» و انما نسيه يوشع بن نون و أضافه اليهما، كما يقال نسى القوم زادهم، و انما نسيه بعضهم. و قيل نسى يوشع أن يحمل الحوت، و نسى موسى أن يأمره فيه بشىء.

و قوله «فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ» يعنى الحوت «فِي الْبَحْرِ سَرَباً» قال ابن عباس و ابن زيد و مجاهد: أحيا اللَّه الحوت، فاتخذ طريقه فى البحر مسلكاً. و قيل ان الحوت كانت سمكة مملحة فطفرت من موضعها الى البحر ذاهبة. و قال الفراء: كان مالحاً، فلما حيى بالماء الذى أصابه من العين، وقع فى البحر. و وجد مذهبه، فكان كالسرب.

و روى عن أبى بن كعب أن مجمع بينهما إفريقية، و أراد اللَّه أن يعلم موسى أنه و إن آتاه التوراة، فانه قد آتى غيره من العلم ما ليس عنده، فوعده بلقاء الخضر. و قوله «مَجْمَعَ بَيْنِهِما» يعنى موسى و فتاه بلغا مجمع البحرين. و قال قتادة قيل لموسى آية لقياك إياه أن تنسى بعض متاعك، و كان موسى و فتاه تزودا حوتاً مملوحاً حتى إذا كانا حيث شاء اللَّه، رد اللَّه الى الحوت روحه فسرب فى البحر، فذلك قوله «فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً» أى مذهباً يقال سرب يسرب سرباً إذا مضى لوجهه فى سفر غير بعيد و لا شاق و هى السربة فإذا كانت شاقة، فهى (السبأ) ة بالهمزة. و

روى ان اللَّه تعالى بعث ماء من عين الجنة، فأصاب ذلك الماء تلك السمكة فحييت و طفرت الى البحر و مضت.

و روى عن ابن عباس أنه قال: لما وفد موسى الى طور سيناء، قال رب أى عبادك أعلم؟ قال الذى يبغى علم الناس الى علمه، لعله يجد كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى. قال رب من هو؟ قال الخضر تلقاه عند الصخرة التى التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۶۷

عندها العين التى تنبع من الجنة. و قال الحسن: كان موسى سأل ربه هل أحد أعلم منى من الآدميين فأوحى اللَّه اليه: نعم عبدى الخضر (ع)، فقال موسى (ع): كيف لى بلقائه؟ فأوحى اللَّه اليه أن يحمل حوتاً فى متاعه و يمضى على وجهه حتى يبلغ مجمع البحرين، بحر فارس و الروم، و هما المحيطان بهذا الخلق. و جعل العلم على لقائه أن يفقد حوته، فإذا فقدت الحوت فاطلب حاجتك عند ذلك

فإنك تلقى الخضر عند ذلك.

و قال الحسن كان الحوت طرياً. و قال ابن عباس: كان مملوحاً. قال الحسن:

فمضى على وجهه هو و فتاه حتى «بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً» يعنى الحوت. ثم «قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا» ففتش متاعه ففقد الحوت، قال «أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ» و كانت الصخرة عند مجمع البحرين «فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَ ما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ» يعنى الحوت و انقطع الكلام. فقال موسى (ع) عند ذلك «عجباً» كيف كان ذلك. و قال لفتاه «ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً» و قال الزجاج: يحتمل أن يكون ذلك من قول صاحبه فانه أخبر بأن اتخاذ الحوت طريقاً فى البحر كان عجباً.

قوله تعالى:[سورة الكهف (١٨): الآيات ۶۲ الى ۶۴] ..... ص : ۶۷

فَلَمَّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً (۶۲) قالَ أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَ ما أَنْسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً (۶۳) قالَ ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً (۶۴)

ثلاث آيات التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٧، ص: ۶۸

اخبر اللَّه تعالى ان موسى و فتاه لما جاوزا أى خرجا من ذلك الموضع.

و المجاوزة الخروج عن حدّ الشيء، يقال: تجاوز اللَّه عن فلان أى تجاوز عن عقابه بمعنى أزل اللَّه العقاب عنه.

و الفتى الرجل الشاب و جمعه فتية و فتيان مثل صبية و صبيان. و انما أضيف الى موسى، لأنه كان يلزمه ليتعلم منه العلم و صحبه فى سفره. و قيل انه كان يخدمه، و العرب تسمى الخادم للرجل فتى، و إن كان شيخاً، و الأمة فتاة و إن كانت عجوزاً، و يسمى التلميذ فتى، و إن كان شيخاً، و الفتى عند العرب السخى على الطعام و على المال و الشجاع. و (الغداء) طعام الغداة و (العشاء) طعام العشى. و التغدى أكل طعام الغداة و التعشى أكل طعام العشى، و (النصب) التعب و الوهن الذى يكون عند الكد، و مثله الوصب. فقال له فتاه فى الجواب «أ رأيت» الوقت الذى «أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ» أى أقمنا عندها «فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ» ثم قال «وَ ما أَنْسانِيهُ» يعنى الحوت «إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ» أى وسوسنى و شغلنى بغيره حتى نسيت، فلذلك اضافهٔ الى الشيطان، لما كان عند فعله. و معنى «وَ ما أَنْسانِيهُ» أى الحوت، يعنى نسيت أن اذكر كيف اتخذ سبيله فى البحر. و جاز نسيان مثل ذلك مع كمال العقل لأنه كان معجزاً. و ضم الهاء من (أنسانيه) حفص عن عاصم، لان الأصل فى حركة الهاء الضم. و من كسرها فلأن ما قبلها (ياء) فحركها بما هو من جنسها.

و قوله «وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً» يعنى أن موسى (ع) لما رأى الحوت قد حيى و هو يسلك الطريق الى البحر، عجب منه و من عظم شأنه، و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابن زيد.

و قوله «ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ» حكاية عما قال موسى عند ذلك من أن ذلك الذى كنا نطلب من العلامة، يعنى نسيانك الحوت، لأنه قيل له: صاحبك الذى تطلبه التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٧، ص: ۶۹

- و هو الخضر- حيث ينسى الحوت. ذكره مجاهد. فارتدا يقصان أى يتبعان آثارهما حتى انتهيا الى مدخل الحوت. ذكره ابن عباس.

و قيل نسى ذكر الحوت لموسى (ع) فرجعا الى الموضع الذى حييت فيه السمكة و هو الذى كان يطلب منه العلامة فيه.

و قيل الصخرة موضع الوعد.

قوله تعالى:[سورة الكهف (١٨): آية ۶۵] ..... ص : ۶۹

فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً (۶۵)

آية.

قوله «فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا» أى صادفاه و ادركاه، و هو الوجود، و منه وجدان الضالة أى مصادفتها و إدراكها. و العبد المملوك من الناس، فكل انسان عبد للّه، لأنه مالك له، و قادر عليه و على أن يصرّفه أتم التصريف، و هو يملك الإنسان و ما يملك و قوله «آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا» أى أعطيناه رحمة أى نعمة من عندنا «وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً» و التعلم تعريض الحى لأن يعلم، إما بخلق فى قلبه، و إما بالبيان الذى يرد عليه كما أن من أرى الإنسان شيئاً فقد عرضه، لان يراه، إما بوضع الرؤية فى بصره عند من قال الإدراك معنى، أو بالكشف له عن المرئى.

قوله تعالى:[سورة الكهف (١٨): الآيات ٦٦ الى ٦٧] ..... ص : ٦٩

قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُکَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً (٦٦) قالَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٦٧)

آيتان.

قال ابو على يحتمل أنّ (رشداً) منصوباً على انه مفعول له و يكون متعلقاً التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٧٠

ب (اتبع) كأنه قال اتبعك للرشد، أو طلب الرشد على أن تعلمنى، فيكون على هذا حالا من قوله (اتبعک) و يجوز أن يكون مفعولا به، و تقديره اتبعك على أن تعلمنى رشداً مما علمته، و يكون العلم الذى يتعدى الى مفعول واحد يتعدى بالتضعيف الى مفعولين. و المعنى على ان تعلمنى امراً ذا رشد أو علماً ذا رشد.

«قال له» يعنى لذلك العبد الذى علمه اللّه العلم «هَلْ أَتَّبِعُکَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً». و الاتباع و الانقياد واحد، اتبعه فى مسيره، و اتبعه فى مذهبه، و اتبعه فى أمره و نهيه، و اتبعه فيما دعاه اليه، و الرشد- بفتح الراء و الشين- قراءة أبى عمرو. الباقون- بضم الراء و سكون الشين- إلا ابن عامر- فى رواية ابن ذكوان- فانه ضمهما، و هما لغتان، مثل أسد و أسد، و وثن و وثن. و اختلفوا فى الذى كان يتعلم موسى منه، هل كان نبياً؟ أم لا؟ فقال الجبائى: كان نبياً، لأنه لا يجوز ان يتبع النبى من ليس بنبى، ليتعلم منه العلم، لما فى ذلك من الغضاضة على النبى. و قال ابن الأخشاد: و يجوز أن لا يكون نبياً على أن لا يكون فيه وضع من موسى. و قال قوم: كان ملكا. و قال الرمانى: لا يجوز أن يكون إلا نبياً، لان تعظيم العالم المعلم فوق تعظيم المتعلم منه. و قيل إنه سمى (خضراً) لأنه كان إذا صار فى مكان لا نبات فيه اخضر ما حوله، و كان اللّه تعالى قد اطلعه من علم بواطن الأمور على ما لم يطلع عليه غيره.

فان قيل: كيف يجوز أن يكون نبى اعلم من نبى؟ فى وقته.

قيل عن ذلك ثلاثة اجوبة:

أحدها- انه يجوز أن يكون نبى اعلم من نبى فى وقته عند من قال: ان الخضر كان نبياً.

و الثانى- أن يكون موسى اعلم من الخضر بجميع ما يؤدى عن اللّه على عباده، التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٧١

و فى كل ما هو حجة فيه، و انما خص الخضر بعلم ما لا يتعلق بالأداء.

الثالث- إن موسى استعلم من جهة ذلك العلم فقط، و إن كان عنده علم ما سوى ذلك.

فقال الخضر لموسى (ع) «إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً» و معناه يثقل عليك الصبر و لا يخف عليك، و لم يرد أنه لا يقدر عليه، لأن موسى (ع) كان قادراً متصرفاً، و انما قال له ذلك لأن موسى كان يأخذ الأمور على ظواهرها، و الخضر كان يحكم بما أعلمه اللّه من بواطن الأمور، فلا يسهل على موسى مشاهدة ذلك، و لو أراد نفى الاستطاعة التى هى القدرة لما قال: «وَ کَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً» لأنه دل على انه لهذا لا يصبر و لو كان على نفى القدرة، سواء علم أو لم يعلم لم يستطع.

قوله تعالى:[سورة الكهف (١٨): الآيات ٦٨ الى ٧٠] ..... ص : ٧١

وَ کَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً (٦٨) قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً وَ لا أَعْصِي لَکَ أَمْراً (٦٩) قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ

شَيْءٍ حَتَّى أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً (۷۰)

ثلاث آيات بلا خلاف.

هـذا حكاية ما قال الخضـر لموسـى (ع) حين قال «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً» اى كيف تصبر على ما لم تعلم من بواطن الأمور، و لا تخبرها، فقال له موسى (ع) عند ذلك «ستجدنى» اى ستصادفنى إن شاء اللَّه صابراً، و لم يقل ذلك على وجه التكذيب، لكن لما اخبر به على ظاهر الحال فقيده بالمشيئة للَّه، لأنه جوز التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۷۲

أن لا يصبر فيما بعد بأن يعجز عنه ليخرج بذلك من كونه كاذباً «وَ لا أَعْصِي لَكَ أَمْراً» اى لا أخالف او أمرك، و لا اتركها. فقال الخضـر: «فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي» و اقتفيت اثرى «فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً» معناه لا تسألنى عن باطن امر حتى أكون انا المبتدئ لك بذلك.

و الصبـر تجرع مرارة تمنع النفس عما تنازع اليه. و أصله حبس النفس عن امر من الأمور. و (الذكر) العلم، و الذكر ادراك النفس للمعنى بحضوره كحضور نقيضه، و يمكن ان يجامعه علم يصحبه او جهل او شك. و «خبراً» نصب على المصدر. و التقدير لم تخبره خبراً. و قرأ نافع «تسألن» بتشديد النون. الباقون بتخفيفها و إثبات الياء إلا ابن عامر، فانه حذف الياء. قال أبو على قول ابن كثير و من اتبعه: انهم عدوا (تسأل) الى المفعول الذى هو المتكلم مثل (لا تضـربنى) و (لا تظلمنى) و نافع إنما فتح اللام، لأنه لما ألحق الفعل النون الثقيلة بنى الفعل معها على الفتح و حذف الياء، و كسرت النون ليدل على الياء المحذوفة.

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۷۱ الى ۷۴] ..... ص : ۷۲

فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها قالَ أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً (۷۱) قالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (۷۲) قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَ لا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً (۷۳) فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً (۷۴)

أربع آيات التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۷۳

قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «ليغرق أهلها» بالياء، و رفع أهلها. الباقون بالتاء و نصب الأهل. فمن قرأ بالتاء و نصب الأهل، فلقوله «أ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ» بذلك «أهلها» أى فعلت ذلك و غرضك إهلاك أهلها على وجه الإنكار. و من قرأ بالياء أسند الغرق الى الأهل، فكأنه قال: فعلت ذلك ليغرقوهم. و قرأ اهل الكوفة و ابن عامر «زكية» بلا الف. و قرأ الباقون زاكية بألف. و قرأ ابن عامر و نافع- فى رواية الاصمعى عنه و ابو بكر عن عاصم- «نكراً» بضم النون و الكاف.

الباقون بتخفيف الكاف.

قال الكسائى (زاكية، و زكية) لغتان مثل قاسية و قسية. قال أبو عمرو: الزاكية التى لم تذنب قط، و الزكية التى إذا أذنبت تابت، و (النكر) بالتثقيل و التخفيف لغتان مثل الرعب و الرعب.

اخبر اللَّه تعالى عن موسى (ع) و صاحبه الذى تبعه ليتعلم منه أنهما ذهبا حتى إذا بلغا البحر، فركبا فى السفينة فخرق صاحب السفينة أى شق فيها شقاً، لما أعلمه اللَّه من المصلحة فى ذلك، فقال له موسى منكراً لذلك على ظاهر الحال: «أ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها» أى غرضك بذلك أن تغرق أهلها الذين ركبوها. و يحتمل أن يكون قال ذلك مستفهما أى فعلت ذلك لتغرق أهلها أم لغير ذلك. و الاول أقوى لقوله بعد ذلك «لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً» فالأمر المنكر- فى قول مجاهد و قتادة- و قال ابو عبيدة: داهية عظيمة و انشد:

لقد لقى الأقران منه نكراً داهية دهياء إداً إمراً «۱»

(۱) تفسير القرطبى ۱۱/ ۱۹ و مجاز القرآن ۱/ ۴۰۹ و تفسير الطبرى ۱۵/ ۱۶۹ و اللسان و الصحاح و التاج (أمر) و شواهد الكشاف ۳۰

(ج ۷ م ۱۰ من التبيان)

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۷۴

و من سكن (النكر) فعلى لغة من سكن (رسل). و (الإمر) مأخوذ من الأمر، لأنه الفاسد الذى يحتاج أن يؤمر بتركه الى الصلاح، و منه رجل إمر إذا كان ضعيف الرأى، لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوى رأيه. و منه آمر القوم إذا كثروا حتى احتاجوا الى من يأمرهم و ينهاهم، و منه الأمر من الأمور أى الشيء الذى من شأنه ان يؤمر فيه، و لهذا لم يكن كل شيء أمراً.

فقال له الخضر «أَ لَمْ أَقُلْ» لك فيما قبل «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً» أى لا يخفّ عليك ما تشاهده من أفعالى و يثقل عليك، لأنك لا تعرف المصلحة فيه، و لم يرد بالاستطاعة المقدرة، لأن موسى كان قادراً فى حال ما خاطبه بذلك، و لم يكن عاجزاً، و هذا كما يقول الواحد منا لغيره أنا لا أستطيع النظر اليك، و انما يريد أنه يثقل علىّ، دون نفى القدرة فى ذلك. فقال له موسى فى الجواب عن ذلك «لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ» و روى أنه قال ذلك لما رأى الماء لا يدخل السفينة مع خرقها، فعلم أن ذلك لمصلحة يريدها اللَّه، فقال «لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ» و قيل فى معنى نسيت ثلاثة أقوال:

أحدها- ما حكى عن أبى بن كعب، أنه قال: معناه بما غفلت من النسيان الذى هو ضد الذكر.

و الثانى- ما روى عن ابن عباس أنه قال معناه: بما تركت من عهدك.

الثالث- لا تؤاخذنى بما كأنى نسيته، و لم ينسه فى الحقيقة- فى رواية أخرى- عن أبى بن كعب الانصارى.

و قوله «وَ لا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً» قيل معناه لا تغشنى، من قولهم رهقه الفارس إذا غشيه و أدركه، و غلام مراهق إذا قارب أن يغشاه حال البلوغ.

و الارهاق ادراك الشيء بما يغشاه. و قيل معنى أرهقه الأمر إذا ألحقه إياه. التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۷۵

ثم أخبر تعالى انهما مضيا «حَتَّى إِذا لَقِيا غُلاماً» أى رأيا غلاماً «فَقَتَلَهُ» قال له موسى «أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً» و معناه طاهرة من الذنوب. و من قرأ «زكية» فمعناه بريئة من الذنوب. و ذلك انها كانت صغيرة لم تبلغ حد التكليف على ما روى فى الاخبار. و قوله «بِغَيْرِ نَفْسٍ» أى بغير قود، ثم قال له «لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً» أى منكراً. و قيل معناه جئت بما ينبغى أن ينكر، و قال قتادة النكر أشد من الامر، و انما قيل لما لا يجوز فعله منكراً، لأنه مما تنكر صحته العقول و لا تعرفه.

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۷۵ الى ۷۷] ..... ص : ۷۵

قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (۷۵) قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً (۷۶) فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ قالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً (۷۷)

ثلاث آيات بلا خلاف.

معنى قوله «أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً» تحقيق ما قال له أولا مع نهيه عن العود لمثل سؤاله، لأنه لا يجوز أن يكون توبيخاً، لأنه جار مجرى الذم فى أنه لا يجوز على الأنبياء (ع) فقال له موسى فى الجواب عن ذلك «إِنْ سَأَلْتُكَ» أى ان استخبرتك عن شيء تعمله بعد هذا «فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً» و معناه إقرار من موسى بأن صاحبه قد قدم اليه ما يوجب العذر عنده، فلا يلزمه ما أنكره. و

روى عن النبى (ص) أنه تلا هذه الآية، فقال: (استحيى نبى اللَّه التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۷۶

موسى).

و العذر وجود ما يسقط اللوم من غير جهة التكفير بتوبة و اجتناب كبير لوقوع سهو لم يتعرض له.

و فى (لدن) خمس قراءات، فقرأ ابن كثير و أبو عمرو و ابن عامر و حمزة و الكسائى بالتثقيل.

الثانى- بضم الدال و تخفيف النون قرأ به نافع.

الثالث- قرأ ابو بكر بضم اللام و سكون الدال و اشمام من غير إشباع.

الرابع- قرأ الكسائى عن أبى بكر بضم اللام و سكون الدال.

الخامس- فى رواية عن أبى بكر بفتح اللام و سكون الدال: و هذه كلها لغات معروفة.

ثم أخبر اللَّه تعالى عنهما ايضاً أنهما مضيا حتى «أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها» أى طلبا منهم ما ياكلانه فامتنعوا من تضييفهما «فَوَجَدا فِيها» يعنى القرية «جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ. فَأَقامَهُ» و معناه وجدا حائطاً قارب أن ينقض فشبهه بحال من يريد أن يفعل فى التبانى، كما قال الشاعر:

يريد الرمح صدر أبى براء و يرغب عن دماء بنى عقيل «۱»

و مثله ترانى آثارهما، و دار فلان ينظر الى دار فلان. و قال سعيد بن جبير:

معنى قوله «فأقامه» انه رفع الجدار بيده فاستقام. و الانقضاض السقوط بسرعة، يقال انقضت الدار إذا سقطت و تهدمت قال ذو الرمة:

فانقض كالكوكب الدرى منصلتا

فقال له موسى «لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً» و قد قرأ ابن كثير و أبو عمرو

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۵/ ۱۷۱ و القرطبى ۱۱/ ۲۶ و مجاز القرآن ۱/ ۴۱۰ و الكشاف ۱/ ۵۷۷ و اللسان (رود) و غيرها و قد مر فى ۶/ ۱۲۱ من هذا الكتاب

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۷۷

«لتخذت» الباقون «لاتخذت» يقال: تخذ يتخذ بالتخفيف قال الشاعر:

و قد تخذت رجلى لدى جنب غرزها نسيفاً كافحوص القطاة المطرق «۱»

المطرق التى تريد أن تبيض، و قد تعسر عليها، و الأفحوص و المفحص عش الطائر، و ابن كثير يظهر الذال، و ابو عمرو يدغم. و الباقون على وزن (افتعلت) مثل اتقى يتقى. و قد حكى تقى يتقى خفيفاً، قال الشاعر:

جلاها الصيقلون فاخلصوها خفافاً كلها يتقى بأثر

و من ادغم فلقرب مخرجيهما و من اظهر فلتغاير مخرجيهما و قال الفراء فى قوله «لَوْ شِئْتَ» قال موسى لو شئت لم تقمه حتى يقرونا، فهو الأجر و انشدوا فى «يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ» قول الشاعر:

إن دهراً يلف شملى بجمل لزمان يهم بالإحسان «۲»

أى كأنه يهم، و انما هو سبب الإحسان المؤدى اليه و قال آخر:

يشكو الى جملى طول السرى صبراً جميلا فكلانا مبتلى «۳»

و الجمل لم يشكِ شيئاً. و قال عنترة:

و شكا الى بعبرة و تحتحم «۴»

و كل ذلك يراد به ما ظهر من الامارة الدالة على المعانى.

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۷۸ الى ۸۲] ..... ص : ۷۷

قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (۷۸) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً (۷۹) وَ أَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَ كُفْراً (۸۰) فَأَرَدْنا

أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَ أَقْرَبَ رُحْماً (۸۱) وَ أَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (۸۲)

---

(۱) مجاز القرآن ۱/ ۴۱۱ و تفسير الطبرى ۱۵/ ۱۷۲ و الاصمعيات ۴۷ و اللسان و التاج (فحص، طرق، نسف).

(۲) تفسير الطبرى: ۱/ ۱۷۱ و القرطبى ۱۱/ ۲۶ و مجمع البيان ۳/ ۴۸۷

(۳) مر هذا البيت فى ۶/ ۱۱۲ من هذا الكتاب

(۴) ديوانه ۳۰ من معلقته، و تفسير الطبرى ۱۵/ ۱۷۲ [.....]

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۷، ص: ۷۸

خمس آيات بلا خلاف قرأ اهل المدينة و ابو عمرو «أَنْ يُبْدِلَهُما»- بفتح الياء و تشديد الدال- هنا- و فى التحريم «أن يبدله» و فى نون «أن يبدلنا» بالتشديد فيهن. الباقون بالتخفيف. فاما التى فى سورة النور «وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ» فخففها ابن كثير و ابو بكر و يعقوب. و شدده الباقون. و قرأ ابن عامر و ابو جعفر و يعقوب «رحماً» بضم الحاء. الباقون بإسكانها.

و روى العبسى (ما لم تسطع) بتشديد الطاء. الباقون بتخفيفها.

قال ابو على (بدل، و أبدل) متقاربان مثل (نزل، و انزل) إلا ان (بدل) ينبغى ان يكون أرجح، لقوله تعالى تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ»

«۱» و لم يجى‌ء.

الابدال كما جاء التبديل، و لم يجى‌ء الابدال فى موضع من القرآن، و قد جاء

---

(۱) سورة ۱۰- يونس- آية ۶۴

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۷، ص: ۷۹

«وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ» «۱» فهذا قد يكون بمعنى الابدال كما ان قوله الشاعر:

فلم يستحبه عنك ذاك مجيب «۲»

بمعنى فلم يجبه. و قال قوم. أبدلت الشي‌ء من الشي‌ء إذا أزلت الأول و جعلت الثانى مكانه. كقول أبى النجم:

عزل الأمير للأمير المبدل «۳»

و بدلت الشي‌ء من الشي‌ء إذا غيرت حاله و عينه. و الأصل باق، كقولهم بدلت قميصى جبة، و استدلوا بقوله «كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها» «۴» فالجلد الثانى هو الاول، و لو كان غيره لم يجز عقابه. و اما (رحم و رحم) فلغتان مثل العمر و العمر، و الرعب و الرعب. و حكى لغة ثالثة- بفتح الراء و اسكان الحاء- كما يقال:

أطال اللَّه عمرك و عمرك. و المعنى و اقرب رحمة و عطفاً، و قربى و قرابة قال الشاعر:

و لم تعوج رحم من تعوجاً «۵»

و قال آخر:

يا منزل الرحم على إدريس «۶»

حكى اللَّه تعالى عن صاحب موسى انه قال له «هذا فِراقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ» و معناه هذا وقت فراق اتصال ما بينى و بينك، فكرر (بين) تأكيداً، كما يقال: أخزى اللَّه

---

(۱) سورة ۴- النساء- آية ۱۹

(۲) مر هذا البيت كاملا فى ۱/ ۳۶، ۸۶ و ۲/ ۱۳۱ و ۳/ ۸۸ و ۴/ ۱۸۲ و/ ۱۱۹ و ۶/ ۲۳۳

(۳) تفسير الطبرى ۱۸/ ۱۱۰

(۴) سورة ۴- النساء- آية ۵۵

(۵) تفسير الطبرى ۱۶/ ۴

(۶) مجمع البيان ۳/ ۴۸۵ و بعده (و منزل اللعن على إبليس). و هو فى القرطبى/ ۳۷ إديسا، ابليسا

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۸۰

الكاذب منى و منك أى أخزى اللّه الكاذب منا. و قيل فى «هذا» انها اشارة الى احد شيئين:

أحدهما- هذا الذى قلته فراق بينى و بينك.

و الثانى- هذا الوقت فراق بينى و بينك. ثم قال له «سأنبئك» أى سأخبرك «بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً» و لم يخفّ عليك رؤيته، ثم بين واحداً واحداً، فقال «اما» السبب فى خرقى «السفينة» انها «فَكانَتْ لِمَساكِينَ» أى للفقراء الذين لا شيء لهم يكفيهم، قد أسلمتهم قلة ذات أيديهم «يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ» أى يعملون بها فى البحر و يتعيشون بها «فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها» و السبب فى ذلك انه «كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً» فقيل إن الملك كان يأخذ السفينة الصحيحة، و لا يأخذها إذا كانت معيبة. و قد قرئ فى الشواذ «يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا» روى ذلك عن أبى، و ابن مسعود.

و الوراء و الخلف واحد، و هو نقيض جهة القدام على مقابلتها و قال قتادة:

وراءهم- هاهنا- بمعنى أمامهم. و منه قوله «مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ» «۱» و «مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ» «۲» و ذلك جائز على الاتساع، لأنها جهة مقابلة لجهة، فكأن كل واحد من الجهتين وراء الآخر قال لبيد:

أليس ورائى ان تراخت منيتى لزوم العصا تحنو عليها الأصابع «۳»

و قال آخر:

ا يرجوا بنو مروان سمعى و طاعتى و قومى تميم و الفلاة ورائيا «۴»

و قال الفراء: يجوز ذلك فى الزمان دون الأجسام، تقول: البرد و الحر وراءنا

---

(۱) سورة ۴۵ الجاثية آية ۹

(۲) سورة ۲۳ المؤمنون آية ۱۰۱

(۳) البيت فى مجمع البيان ۳/ ۴۶۷

(۴) قائله سوار بن المضرب تفسير الطبرى ۱۶ ۲ و تفسير القرطبى/ ۳۵، و اكثر كتب النحو

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۸۱

و لا تقول: زيد وراءك. و قال الرمانى و غيره: يجوز فى الأجسام التى لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر. و قرأ ابن عباس «و كان أمامهم ملك» و قال الزجاج (وراءهم) خلفهم، لأنه كان رجوعهم عليه. و لم يعلموا به.

ثم قال «وَ أَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَ كُفْراً» و قيل: إن قوله «فَخَشِينا» من قول الخضر. و قيل: انه من قول اللّه تعالى، و معناه علمنا. و قيل: معنى خشينا كرهنا، فبين أن الوجه فى قتله ما لأبويه من المصلحة فى ثبات الدين، لأنه لو بقى حياً لأرهقهما طغياناً و كفراً أى أوقعهما فيه، فيكون ذلك مفسدة، فأمر اللّه بقتله لذلك، كما لو أماته. و فى قراءة أبى «و اما الغلام فكان كافراً و كان أبواه مؤمنين». ثم قال «فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما» يعنى أن يبدل اللّه لأبويه خيراً من هذا الغلام (زكاة) يعنى صلاحاً و طهارة (و أقرب رحماً) أى أبرّ بوالديه من المقتول- فى قول قتادة- يقال: رحمه رحمة و رحماً. و قيل: الرحم و الرحم القرابة قال الشاعر:

و لم يعوج رحم من تعوجا «۱»

و قال آخر:

و كيف بظلم جارية و منها اللين و الرحم «۲»

و قيل معناه و أقرب أن يرحما به. ثم أخبر الخضر عن حال الجدار الذى اقامه و أعلم انه (فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما) فقال ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد: كانت صحف من علم. و قال الحسن: كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه الحكم. و قال قتادة و عكرمة: كان كنز مال. و الكنز فى اللغة هو

---

(۱) تفسير الطبرى ۶/ ۴

(۲) تفسير القرطبى ۱۱/ ۳۷ (ج ۷ م ۱۱ من التبيان)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۸۲

كل مال مذخور من ذهب و فضة و غير ذلك.

و قوله «وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً» يعنى أبا اليتيمين فأراد اللَّه «أن يبلغا أشدهما» يعنى كمالهما من الاحتلام و قوة العقل «وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» أى نعمة من ربك. ثم قال صاحب موسى: و ما فعلت ذلك من قبل نفسى و أمرى بل بأمر اللَّه فعلت. ثم قال «ذلك» الذى قلته لك «تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً» و ثقل عليك مشاهدته و استبشعته.

و فى الآية دلالة على وجوب اللطف، لان مفهومه أنه تدبير من اللَّه فى عباده لم يكن يجوز خلافه، و قد عظم اللَّه شأنه بما يفهم منه هذا المعنى.

و قال الجبائى: لا يجوز أن يكون صاحب موسى الخضر، لأن خضراً كان من الأنبياء الذين بعثهم اللَّه من بنى إسرائيل بعد موسى. قال: و لا يجوز ايضاً أن يبقى الخضر الى وقتنا هذا، كما يقوله من لا يدرى، لأنه لا نبى بعد نبينا، و لأنه لو كان لعرفه الناس، و لم يخف مكانه.

و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لأنا لا نعلم أولا أن خضراً كان نبياً، و لو ثبت ذلك لم يمتنع أن يبقى الى وقتنا هذا، لأن تبقيته فى مقدور اللَّه تعالى، و لا يؤدى الى انه نبى بعد نبينا، لأن نبوته كانت ثابتة قبل نبينا. و شرعه- إن كان شرعاً خاصاً- انه منسوخ بشرع نبينا. و إن كان يدعو الى شرع موسى أو من تقدم من الأنبياء، فان جميعه منسوخ بشرع نبينا (ص) فلا يؤدى ذلك الى ما قال. و قوله: لو كان باقياً لرئى و لعرف غير صحيح، لأنه لا يمتنع أن يكون بحيث لا يتعرف الى احد، فهم و إن شاهدوه لا يعرفونه.

و فى الناس من قال: إن موسى الذى صحب الخضر ليس هو موسى بن عمران التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۸۳

و انما هو موسى بن ميشا، رجل من بنى إسرائيل. و اللَّه اعلم بذلك.

و

روى عن جعفر بن محمد (ع) فى قوله تعالى «وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما» قال:

سطران و نصف و لم يتم الثالث، و هى (عجباً للموقن بالرزق كيف يتعب و عجباً للموقن بالحساب كيف يغفل و عجباً للموقن بالموت كيف يفرح) و فى بعض الروايات زيادة على ذلك (أشهد أن لا إله إلا اللَّه و أن محمداً رسول اللَّه)

و ذكر أنهما حفظا، لصلاح أبيهما، و لم يذكر منهما صلاح. و كان بينهما و بين الأب الذى حفظا به سبعة أباء، و كان سياحاً. و استشهد على أن الخشية بمعنى العلم بقوله تعالى «إِلَّا أَنْ يَخافا أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» «۱» و قوله «وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً» «۲» أى علمت. و استشهد على أنه بمعنى الكراهية بقول الشاعر:

يا فقعسى لم أكلته لمه لو خافك اللَّه عليه حرمه «۳»

قال قطرب یرید لو کره أن تأکله لحرمه علیک.

قوله تعالى:[سورة الكهف (١٨): الآيات ٨٣ الى ٨٧] ..... ص : ٨٣

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً (٨۴) فَأَتْبَعَ سَبَباً (٨۵) حَتَّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَ وَجَدَ عِنْدَها قَوْماً قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً (٨۶) قالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذاباً نُكْراً (٨٧)

---

(۱) سورة ۲ البقرة آیة ۲۲۹ [.....]

(۲) سورة ۴ النساء آیة ۱۲۴

(۳) مر هذا الرجز فی ۲/ ۲۴۵ من هذا الکتاب.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۸۴

خمس آیات کوفی و حجازی و ست بصری و شامی. عدّ إسماعیل و الکوفیون و البصری و الشامی «من کل شیءٍ سبباً آیة و عدّ المدنی الأخر و المکی و البصری و الشامی، عندها قوماً، آیة جعلوا (فاتبع سبباً) بعض الآیة الأولی و لم یعد أهل الکوفة «قوماً» آخر آیة بان جعلوا آخر الآیة حسناً».

قرأ ابن عامر و أهل الکوفة «فأتبع» بقطع الهمزة، و فتحها، و تخفیف التاء و سکونها، فیهن الباقون «فاتبع» جعلوها ألف وصل و شددوا التاء، و فتحوها. و قرأ ابن عامر و أهل الکوفة إلا حفصاً و ابو جعفر «حامیة» بالف و تخفیف الهمزة. الباقون «حمئة» بلا الف، مهموز. قال أبو علی النحوی (تبع) فعل یتعدی الی مفعول واحد، فإذا نقلته بالهمزة یتعدی الی مفعولین. قال اللَّه تعالی «وَ أَتْبَعْناهُمْ فِی هذِهِ الدُّنْیا لَعْنَةً» «۱» و قال «وَ أُتْبِعُوا فِی هذِهِ الدُّنْیا لَعْنَةً» «۲» لما بنی الفعل للمفعولین قام أحد المفعولین مقام الفاعل و اما (اتبعوا) فافتعلوا، فتعدی الی مفعول واحد، کما تعدی افعلوا الیه، مثل شویته و اشتویته، و حفرته و احتفرته. و قوله «فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِینَ» «۳» تقدیره فاتبعوهم جنودهم فحذف أحد المفعولین، کما حذف من قوله «لِیُنْذِرَ بَأْساً شَدِیداً مِنْ لَدُنْهُ» «۴» و من قوله

---

(۱) سورة ۲۸ (القصص) آیة ۴۲

(۲) سورة ۱۱ (هود) آیة ۶۰

(۳) سورة ۲۶ (الشعراء) آیة ۶۱

(۴) سورة ۸ (الکهف) آیة ۲

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۸۵

«لا یَکادُونَ یَفْقَهُونَ قَوْلًا» «۱» و المعنی لا یکادون یفقهون أحداً، و لینذر الناس بأساً شدیداً، فمن قطع الهمزة فتقدیره فاتبع أمره سبباً او اتبع ما هو علیه سبباً [و السبب هاهنا الطریق مثل السبیل. و السبب الحبل. و السبب القرابة]. «۲»

و قال ابو عبیدة «فی عین حمئة» بالألف ذات حمأة. و قال ابو علی من قرأ حمئه بغیر الف فهی فعله. و من قرأ [حامیه «۳» فهی فاعلة من حمیت فهی حامیة، قال الحسن: یعنی حارة. و یجوز فیمن قرأ (حامیة) أن تکون فاعلة من الحمأة، فخفف الهمزة و قلبها یاء علی قیاس قول أبی الحسن. و إن خفف الهمزة علی قول الخلیل کانت بین بین. و قرأ ابن عباس «فی عین حمئة» و قال هی ماء و طین.

و تقول العرب: حمأت البئر إذا أخرجت منها الحمأة، و احمأتها إذا طرحت فیها الحمأة.

و حمئت تحمأ و معنی حمئة صار فیها الحمأة. فاما قولهم هذا حم لفلان، ففیه أربع لغات حمو و حمو و حماء و حم. و ذکر اللحیانی

لغـة خامسـة و سادسـة: الحمو مثـل العفو، و الحمـأ مثل الخطأ. و كل قرابـة من قبل الزوج، فهم الاحماء و كل قرابـة من قبل النساء فهم الأختان و الصـهر يجمعهما، و أم الرجل ختنه و أبوه ختنه و ام الزوج حماة و أبوها حمو. و قال ابو الأسود الدؤلی شاهد لابی عمرو فی عين حمئة:

تجیء بملئها طوراً و طوراً تجیء بحمأة و قليل ماء

يقول اللّه تعالی لنبيه محمـد (ص) يسألونـک يا محمـد عن ذی القرنين و اخباره و سيرته، و کان السائل عن ذلک قوماً من اليهود. و قيل کانوا قوماً من مشرکی العرب، فقل لهم يا محمد «سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ» يعنی سأقرأ عليکم من خبره ذکراً.

---

(۱) سورة ۱۸ (الكهف) آية ۹۴

(۲) هذه الجملة التی بين القوسين كانت متأخرة فی المطبوعة عن هذا الموضع اسطر

(۳) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۸۶

ثم قال تعالی مخبراً له «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ» أی بسـطنا يده فيها و قويناه «وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً» و معناه علماً يتسـبب به الی ما يريده- فی قول ابن عباس و قتادة و ابن زيد و الضـحاک و ابن جريج- «و قيل آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً» يعنی ما يتوصل به الی مراده. و يقال للطريق الی الشـیء سـبب و للحبل سـبب و للباب سبب «فَأَتْبَعَ سَبَباً» أی سبباً من الأسباب التی أوتی. و من قرأ بقطع الهمزة أراد فلحق سبباً، يقال ما زلت أتبعه حتی اتبعته أی لحقته.

و قوله «فاتبع سـبباً» قال مجاهـد و قتادة و الضـحاک و ابن زيد: معناه طرقاً من المشـرق و المغرب. و قيل معنی «وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً» ليستعين به علی الملوک و فتح الفتوح، و قتل الاعداء فی الحروب «فاتبع سبباً» أی طريقاً الی ما أريد منه.

و قيـل سـمی (ذی القرنين) لأنـه كـان فی رأسه شبه القرنين. و قيـل سـمی بـذلک لأنه ضـرب علی جانبی رأسه. و قيل: لأنه كانت له ضفيرتان. و قيل لأنه بلغ قرنی الشمس مطلعها و مغربها. و قيل: لأنه بلغ قطری الأرض من المشرق و المغرب.

و قوله «حَتَّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ» أی فی عين مـاء ذات حمأة- فی قول ابن عباس و مجاهـد و قتادة و سعيد بن جبير- و من قرأ «حامية» أراد حارة، فی قول الحسن. و قرئ به فی احدی الروايتين عن ابن عباس كقول أبی الأسود الدؤلی.

تجیء بملئها طوراً و طوراً تجیء بحمأة و قليل ماء

و قال ابو علی الجبائی، و البلخی: المعنی وجـدها كأنها تغرب فی عين حمئـة، و إن كانت تغيب وراءها. قال البلخی لان الشـمس اكبر من الأرض بكثير، و أنكر ذلک ابن الأخشاد. و قال: بل هی فی الحقيقة تغيب فی عين حمئة علی ظاهر القرآن.

و قوله «وَ وَجَدَ عِنْدَها قَوْماً قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۸۷

فِيهِمْ حُسْناً»

معناه إما أن تعذبهم بالقتل لاقامتهم علی الشـرک باللّه «وَ إِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً» بان تأسرهـم فتعلمهـم الهدی و تستنقذهـم من العمی، فقـال ذو القرنين- لمـا خيره اللّه فی ذلـک «أَمَّا مَنْ ظَلَمَ» نفسه بأن عصـی اللّه و أشـرک به «فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ» يعنی بالقتل و يرد فيما بعد «إِلى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ» يوم القيامـة «عَذاباً نُكْراً» أی عظيمـاً منكراً تنكره النفس من جهـة الطبع، و هو عـذاب النار، و هو أشـد من القتل فی الدنيا.

قوله تعالی:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۸۸ الی ۹۱] ..... ص : ۸۷

وَ أَمَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنى وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنا يُسْراً (۸۸) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (۸۹) حَتَّى إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَها

تَطْلُعُ عَلى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً (۹۰) كَذلِكَ وَ قَدْ أَحَطْنا بِما لَدَيْهِ خُبْراً (۹۱)

خمس آيات فى الكوفى و البصرى و أربع فى المدنيين عدا «ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً» آية.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنى بالنصب و التنوين و الباقون بالرفع، و الاضافة. فمن أضاف احتمل أن يكون أراد فله جزاء الطاعة، و هى الحسنى.

و يحتمل أن يكون أراد فله الجنة و أضافه الى الحسنى و هى الجنة، كما قال «وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ» «۱» و من نون أراد فله الحسنى أى الجنة، لأن الحسنى هى الجنة لا محاله.

و نصبه يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يكون نصباً على المصدر فى موضع الحال أى فلهم الجنة يجزون

---

(۱) سورة ۶۹ الحاقة، آية ۵۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۸۸

بها جزاء.

و الثاني- قال قوم: هو نصب على التمييز و هو ضعيف، لان التمييز يقبح تقديمه كقولك تفقأ زيد شحماً، و تصبب عرقاً. و له دن خلًا، و لا يجوز له خلًا دن، و أما عرقاً فما أحد اجازه إلا المازنى. و شاهد الاضافة قوله «لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ» «۱» و الحسنى هاهنا الجزاء. لما حكى اللَّه تعالى ما قال ذو القرنين إن من ظلم نعذبه، و إن له عند اللَّه عذاباً نكراً، أخبر ان من صدق باللَّه و وّحده و عمل الصالحات التى أمر اللَّه بها «فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنى وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنا يُسْراً» اى قولا- جميلا ثم قال «ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً حَتَّى إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ» أى الموضع الذى تطلع منه مما ليس وراءه أحد من الناس فوجد الشمس «تَطْلُعُ عَلى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً» اى انه لم يكن بتلك الأرض جبل و لا- شجر، و لا بناء، لأن أرضهم لم يكن يبنى عليها بناء، فكانوا إذا طلعت الشمس عليهم يغورون فى المياه و الاسراب، و إذا غربت تصرفوا فى أمورهم- فى قول الحسن و قتادة و ابن جريج- و قال قتادة هى الزنج.

و قوله «كذلك» معناه كذلك هم. ثم قال «وَ قَدْ أَحَطْنا بِما لَدَيْهِ خُبْراً» أى كذلك علمناهم و علمناه. و يحتمل أن يكون المراد كذلك. اتبع سبباً الى مطلع الشمس، كما اتبعه الى مغربها.

و قوله «ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً» يعنى طريقاً و مسلكا لجهاد الكفار. و قال الحسن ان ذا القرنين كان نبياً ملك مشارق الأرض و مغاربها. و قال عبد اللَّه بن عمر كان ذو القرنين و الخضر نبيين و كذلك لقمان كان نبياً.

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۹۲ الى ۹۵] ..... ص : ۸۸

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (۹۲) حَتَّى إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (۹۳) قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَ بَيْنَهُمْ سَدًّا (۹۴) قالَ ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْماً (۹۵)

---

(۱) سورة ۳۴ (سبأ) آية ۲۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۸۹

أربع آيات.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو و عاصم فى رواية حفص «السدين»- بالفتح- الباقون بالضم. و قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً وحده «يفقهون»

بضم الياء و كسر القاف.

الباقون بفتح الياء و القاف. و قرأ عاصم وحده «يأجوج و مأجوج» بالهمز. الباقون بلا همز. و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «خراجاً» بالف. الباقون «خرجاً» بغير الف.

اخبر اللَّه تعالى عن حال ذى القرنين أنه اتبع طريقاً الى جهاد الكفار الى ان بلغ بين السدين و وصل الى ما بينهما، و هما الجبلان اللذان جعل الردم بينهما- فى قول ابن عباس و قتادة و الضحاك. و السد وضع ما ينتفى به الخرق، يقال: سده يسده سداً فهو ساد، و الشيء مسدود، و انسد انسداداً، و منه سدد السهم، لأنه سد عليه طرق الاضطراب. و منه السداد الصواب، و السد الحاجز بينك و بين الشيء. قال الكسائى:

الضم و الفتح فى السد بمعنى واحد. و قال أبو عبيدة و عكرمة: (السد)- بالضم- من فعل اللَّه، و بالفتح من فعل الآدميين.

و قوله «وَجَدَ مِنْ دُونِهِما» يعنى دون السدين «قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا» اى لا يفهمونه. و من ضم الياء أراد لا يفهمون غيرهم، لاختلاف (ج ۷ م ۱۲ من التبيان) التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۷، ص: ۹۰

لغتهم عن سائر اللغات، و انما قال «لا يكادون» لأنهم فقهوا بعض الشيء عنهم، و إن كان بعد شدة، و لذلك حكى عنهم أنهم قالوا «إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» و الفقه فهم متضمن المعنى، و الفهم للقول هو الذى يعلم به متضمن معناه يقال: فقه يفقه و فقه يفقه.

و قوله «قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» حكاية عما قال القوم الذين وجدهم ذو القرنين من دون السدين، فقالوا إن هؤلاء مفسدون فى الأرض أى فى تخريب الديار، و قطع الطرق، و غير ذلك.

«فهل نجعل لك خراجا» فمن قرأ بالألف، فانه أراد الغلة. و من قرأ بلا ألف أراد الأجر «عَلى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَ بَيْنَهُمْ» يعنى بيننا و بين يأجوج و مأجوج «سداً» قال لهم ذو القرنين «ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ» من الأجر الذى تعرضون علىّ «فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْماً» فالردم أشد الحجاب- فى قول ابن عباس-، يقال: ردم فلان موضع كذا يردمه ردماً، و ردم ثوبه ترديماً إذا اكثر الرقاع فيه، و منه قول عنترة:

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم «۱»

اى هل تركوا من قول يؤلف تأليف الثوب المرقع. و قيل الردم السد المتراكب و قرأ ابن كثير «مكننى» بنونين. الباقون بنون واحدة مشددة. من شدد أدغم كراهية المثلين. و من لم يدغم قال: لأنها من كلمتين، لان النون الثانية للفاعل، و الياء للمتكلم، و هو مفعول به.

و قوله «فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ» أى برجال يبنون، و (الخرج) المصدر لما يخرج من

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۱۵ و هو مطلع معلقته، و تفسير الطبرى ۱۶/ ۱۷ و القرطبى ۱۱/ ۵۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۷، ص: ۹۱

المال، و الخراج الاسم لما يخرج عن الأرض و نحوها. و ترك الهمزة فى (يأجوج و مأجوج) هو الاختيار، لان الأسماء الاعجمية لا تهمز مثل (طالوت، و جالوت، و هاروت، و ماروت). و من همز قال: لأنه مأخوذ من أجج الثار و من الملح الأجاج، فيكون (مفعولا) منه فى قول من جعله عربياً، و ترك صرفه للتعريف و التأنيث، لأنه اسم قبيلة و لو قال: لو كان عربياً لكان هذا اشتقاقه و لكنه أعجمى فلا يشتق لكان أصوب قال رؤبه:

لو ان يأجوج و مأجوج معاً و عاد عاد و استجاشوا تبعا «۱»

فترك الصرف فى الشعر، كما هو فى التنزيل، و جمع يأجوج يآجيج، مثل يعقوب و يعاقيب لذكر الحجل، و ولد القبج السلك و الأنثى سلكة و من جعل (يأجوج و مأجوج) فاعولا جمعه يواجيج بالواو، مثل طاغوت و طواغيت. و هاروت و هواريت. و اما مأجوج

فى قول من همز، ف (مفعول) من أج، كما أن يأجوج (يفعول) منه. فالكلمتان على هـذا من أصل واحـد فى الاشـتقاق، و من لم يهمز يأجوج، كان عنـده (فاعول) من (يـج) كما ان مأجوج (فاعول) من (مـج) فالكلمتان على هذا من أصـلين، و ليسا فى أصل واحد، كما كانا كذلك فيمن همزهما، و إن كانا من العجمى فهذه التقديرات لا تصح فيهما. و انما مثل بها على وجه التقدير على ما مضى. و قال الجبائى و البلخى و غيرهما: إن يأجوج و مأجوج قبيلان من ولد آدم.

و قال الجبائى: قيل: انهما من ولد يافث بن نوح، و من نسـلهم الأتراك. و قال سعيد ابن جبير: قوله «مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» معناه يأكلون الناس. و قال قوم: معناه انهم سيفسدون، ذهب اليه قتادة.

---

(۱) ديوانه ۹۲ و مجاز القرآن ۱/ ۴۱۴ تفسير الطبرى ۱۶/ ۱۲ و القرطبى ۱۱/ ۵۵ و اللسان و التاج (أجج)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۹۲

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۹۶ الى ۹۸] ..... ص : ۹۲

آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيـدِ حَتَّى إِذا ساوى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذا جَعَلَهُ ناراً قالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً (۹۶) فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً (۹۷) قالَ هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَ كانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (۹۸)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ «الصدفين»- بضم الصاد و الدال- ابن كثير، و ابو عمرو، و ابن عامر، الباقون- بفتح الصاد و الدال- إلا أبا بكر عن عاصم، فانه ضـم الصاد و سـكن الـدال. و قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً «قال آتونى» قصـراً. الباقون ممدوداً. و قرأ حمزة وحده «فما اسّـطاعوا» مشددة الطاء بالإدغام، و هو ضعيف- عند جميع النحويين- لان فيه جمعاً بين ساكنين.

حكى اللَّه تعـالى عن ذى القرنين أنه قال للقوم الـذين شـكوا اليه افساد يأجوج و مأجوج فى الأرض و بـذلوا له المال، فلم يقبله، و قال لهم اعينونى برجال و اعطونى و جيئوا بزبر الحديد، لا عمل منه- فى وجوه يأجوج و مأجوج- الردم.

و الزبرة الجملـة المجتمعـة من الحديد و الصـفر و نحوهما، و أصـله الاجتماع، و منه (الزبور) و زبرت الكتاب إذا كتبته، لأنك جمعت حروفه. و الحديد معروف حددته تحديداً إذا أرهفته، و منه حد الشـىء، نهايته. و قال ابن عباس و مجاهد: زبر الحديد قطع الحديد. و قال قتادة: فلق الحديد. بيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۹۳

و قوله «حَتَّى إِذا ساوى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ» تقديره انهم جاءوا بزبر الحديد و طرحوه حتى إذا ساوى بين الصدفين مما جعل بينهما أى وازى رءوسـهما. و الصـدفان جبلان- فى قول ابن عباس، و مجاهـد، و الضـحاك، و ابراهيم- و قيل: هما جبلان كل واحـد منهما منعزل عن الآخر كأنه قد صدف عنه، و فيه ثلاث لغات- ضم الصاد و الدال و فتحهما و تسكين الدال و ضم الصاد- قال الراجز:

قد أخذت ما بين عرض الصدفين ناحيتيها و أعالى الركنين «۱»

و قال ابو عبيدة: الصدفان جانبا الجبل. و قوله «قالَ انْفُخُوا» يعنى قال ذو القرنين انفخوا النار على الحديد، و الزبر فنفخوا «حَتَّى إِذا جَعَلَهُ نـاراً» أى مائعـاً مثـل النـار، قـال لهم «آتونى» اى اعطونى. و قرئ بقطع الهمزة و وصـلها، فمن قطع، فعلى ما قلناه، و من وصل خفض و قصـر، و قيـل معنـاه جيئونى «أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً» نصب (قطراً) ب (أفرغ) و لو نصبه ب (آتونى) لقـال أفرغه. و القطر النحاس فى قول ابن عباس و مجاهد و الضحاك و قتادة- و أراد بذلك أن يلزمه. و قال ابو عبيدة:

القطر الحديد المذاب و انشد:

حساماً كلون الملح صاف حديده جرازاً من أقطار الحديد المنعت «۲»

و قال قوم: هو الرصاص النقر، و أصله القطر، و كل ذلك إذا أذيب قطر كما يقطر الماء.

و قوله فما اسطاعوا أن یظهروه أی لم یقدروا أن یعلوه «وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً» من أسفله- فی قول قتادة.

و فی (استطاع) ثلاث لغات، استطاع یستطیع، و اسطاع یسطیع، بحذف

(۱) تفسیر الطبری ۱۶/ ۸ [.....]

(۲) مجاز القرآن ۱/ ۴۱۵ و تفسیر الطبری ۱۶/ ۱۹

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۹۴

التاء، و استاع یستیع بحذف الطاء، استثقلوا اجتماعهما من مخرج واحد. فأما اسطاع یسطیع، فهی من أطاع یطیع، جعلوا السین عوضاً من ذهاب حرکة العین.

ثم «قال» ذو القرنین «هذا» الذی یسهل فعله من الردم بین الجبلین نعمة «من ربی» علیکم «فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّی» لإهلاکه عند أشراط الساعة «جَعَلَهُ دَکَّاءَ» أی مدکوکاً مستویاً بالأرض، من قولهم: ناقة دکا، لاسنام لها، بل هی مستویة السنام. و من قرأ «دکاً» منوناً أراد دکه دکاً، و هو مصدر. و من قرأ بالمد أراد جعل الجبل أرضاً دکاء منبسطة و جمعها دکاءات. و قال ابن مسعود: فی حدیث مرفوع إن ذلک یکون بعد قتل عیسی الدجال. و قیل إن هذا السد وراء بحر الروم بین جبلین هناک یلی مؤخرهما البحر المحیط. و قیل: إنه وراء دربند، و بحر خزران من ناحیة (أرمینیة و آذربیجان) یمضی الیه. و قیل: ان مقدار ارتفاع السد مئتی ذرع و إنه من حدید یشبه الصمت و عرض الحائط نحو من خمسین ذراعاً.

و قوله «وَ کانَ وَعْدُ رَبِّی حَقًّا» معناه ما وعد اللَّه بأنه یفعله، لا بد من کونه، فانه حق لا یجوز ان یخلف وعده و

روی ان رجلا- جاء الی رسول اللَّه (ص) فقال: انی رأیت سد یأجوج و مأجوج، فقال (ص) فکیف رأیته قال رأیته کأنه رداء محبر، فقال له رسول اللَّه (ص) قد رأیته.

قوله تعالی:[سورة الکهف (۱۸): الآیات ۹۹ الی ۱۰۱] ..... ص : ۹۴

وَ تَرَکْنا بَعْضَهُمْ یَوْمَئِذٍ یَمُوجُ فِی بَعْضٍ وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً (۹۹) وَ عَرَضْنا جَهَنَّمَ یَوْمَئِذٍ لِلْکافِرِینَ عَرْضاً (۱۰۰) الَّذِینَ کانَتْ أَعْیُنُهُمْ فِی غِطاءٍ عَنْ ذِکْرِی وَ کانُوا لا یَسْتَطِیعُونَ سَمْعاً (۱۰۱)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۹۵

ثلاث آیات بلا خلاف.

یقول اللَّه تعالی مخبراً عن حال تلک الأمم انهم ترکوا أی بقوا و لم یخترموا، بل أدیموا علی الصفات التی یبقون بها «یومئذ یموج» بعضهم «فی بعض» فلو اقتطعوا عنها لکان قد أخذوا عن تلک الأحوال، و بعض الشیء ما قطع منه، یقال:

بعضته أی فرقته بأن قطعته ابعاضاً، و البعض جزء من کل، فان شئت قلت البعض مقدار من الکل و إن شئت قلت: هو مقدار ینقص بأخذه من الجمیع، و (الموج) اضطراب الماء بتراکب بعضه علی بعض، و المعنی انهم یموجون فی بناء السد، و یخوضون فیه متعجبین من السد. و معنی «یومئذ» یوم انقضاء السد، فکانت حال هؤلاء کحال الماء الذی یتموج باضطراب أمواجه.

و الترک فی الحقیقة لا یجوز علی اللَّه إلا أنه یتوسع فیه فیعبر به عن الإخلال بالشیء بالترک.

و قوله «وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ» فالنفخ إخراج الریح من الجوف باعتماد، یقال نفخ ینفخ نفخا و منه انتفخ إذا امتلأ ریحاً و منه النفاخة التی ترتفع فوق الماء بالریح. و الصور قال عبد اللَّه بن عمر فی حدیث یرفعه: انه قرن ینفخ فیه، و مثله روی عن ابن عباس و أبی سعید الخدری. و قیل انه ینفخ فیه ثلاث نفخات: الاولی- نفخة الفزع التی یفزع من فی السماوات و الأرض. و الثانیة- نفخة الصعق. و الثالثة- نفخة القیام لرب العالمین، و قال الحسن: الصور جمع صورة فیحیون بأن ینفخ فی الصور الأرواح، و هو قول أبی عبیدة.

و قوله «فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً» يعنى يوم القيامة يحشرهم اللَّه أجمع «وَ عَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً» أى أبرزناها و أظهرناها حتى يروها فإذا استبانت و ظهرت التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۹۶

قيل أعرضت، و منه قول عمرو:

و أعرضت اليمامة و اشمخرت كأسياف بايدى مصلتينا «۱»

و قوله «الَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي» شبه اللَّه أعين الكفار الذين لم ينظروا فى أدلة اللَّه و توحيده و لم يعرفوا اللَّه، بأنها كانت فى غطاء. و معناه كأنها فى غطاء، «وَ كانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً» معناه إنه كان يثقل عليهم الاستماع. و قال البلخى: يجوز أن يكون المراد إنهم لا يسمعون، كما قال تعالى «هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً» «۲» و انما أراد بذلك هل يفعل أم لا؟ لأنهم كانوا مقرين بأن اللَّه قادر، لأنهم كانوا مقرين بعيسى (ع)

قوله تعالى:[سورة الكهف (۱۸): الآيات ۱۰۲ الى ۱۰۴] ..... ص : ۹۶

أَ فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبادِي مِنْ دُونِي أَوْلِياءَ إِنَّا أَعْتَدْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ نُزُلاً (۱۰۲) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً (۱۰۳) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (۱۰۴)

و آيتان فى المدنيين.

قرأ الأعشى و يحيى بن يعمر إلا النقار

«أ فحسب» بتسكين السين و ضم الباء، و هى قراءة على (ع)

الباقون بكسر السين و فتح الباء.

يقول اللَّه تعالى لنبيه (ص) «أَ فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بتوحيد اللَّه و جحدوا

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۶/ ۲۲

(۲) سورة ۵ (المائدة) آية ۱۱۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۹۷

ربوبيته «أَنْ يَتَّخِذُوا عِبادِي مِنْ دُونِي أَوْلِياءَ» أى انصاراً يمنعونهم من عقابى لهم على كفرهم، و قد أعددت «جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ نُزُلًا» أى مأوى و منزلا- فى قول الزجاج و غيره- و قال قوم: النزل الطعام جعل اللَّه لهم طعاماً و النزل الربع. و من ضم الباء من «أحسب» معناه حسبهم على اتخاذهم عباد اللَّه من دونه أولياء أن جعل لهم جهنم نزلا و مأوى. و قيل بل هم لهم اعداء يعنى، الذين عبدوا المسيح و الملائكة ثم أمر نبيه (ع) أن يقول «لهم هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ» أى نخبركم بالأخسرين «أعمالا» و هم «الذين يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً» و إن أفعالهم طاعة و قربة و قيل انهم اليهود و النصارى، و قيل الرهبان منهم.

و

روى عن أمير المؤمنين (ع) انه قال: هم أهل حروراء من الخوارج و سأله ابن الكوّا عن ذلك، فقال (ع): انت و أصحابك منهم و هم «الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» أى جاز عنهم و هلك

، و هم مع ذلك «يحسبون» أى يظنون أنهم يفعلون الافعال الجميلة و الحسبان هو الظن و هو ضد العلم.

و فى الآية دلالة على أن المعارف ليست ضرورية، لأنهم لو عرفوا اللَّه تعالى ضرورة لما حسبوا غير ذلك، لأن الضروريات لا يشك فيها.

و قوله «بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا» نصب على التمييز. و من قرأ «أ فحسب» بضم الباء و سكون السين كان عنده «أن يتخذوا» فى موضع رفع، و

من جعلها فعلا ماضياً جعل (أن) فى موضع نصب بوقوع حسب عليه.

قوله تعالى:[سورة الكهف (١٨): الآيات ١٠٥ الى ١٠٧] ..... ص : ٩٧

أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَ لِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً (١٠٥) ذلِكَ جَزاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِما كَفَرُوا وَ اتَّخَذُوا آياتِي وَ رُسُلِي هُزُواً (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧)

(ج ۷ م ۱۳ من التبيان) التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۹۸

ثلاث آيات بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى عن الكفار الذين تقدم وصفهم بأنهم الذين جحدوا أدلة ربهم و أنكروا «لقاءه» أى لقاء ثوابه و عقابه فى الآخرة من حيث أنكروا البعث و النشور بأنهم «قد حبطت أعمالهم» لأنهم أوقعوها على غير الوجه الذى أمرهم اللَّه به «فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً» وصفهم اللَّه بأنهم لا وزن لهم، كما يقال فى التحقير للشيء: هذا لا شيء من حيث أنه لا يعتد به و يقال للجاهل لا وزن له لخفته و سرعة طيشه و قلة تثبته فيما ينبغى أن يتثبت فيه. و قال قوم: معناه لا نقيم لهم وزناً لطاعتهم، لأنهم أحبطوها. و قال البلخى: معناه إن أعمالهم لا يستقيم وزنها لفسادها. ثم قال: و انما كان «ذلك» كذلك، لان جهنم «جزاؤهم بما كفروا» أى جحدوا اللَّه و اتخذوا آياته و رسله هزواً أى سخرية، يقال هزئ يهزأ هزواً، فهو هازئ.

ثم أخبر عن حال الذين صدقوا النبى و آمنوا باللَّه و عملوا الصالحات إن «لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا» أى مأوى. و الفردوس البستان الذى يجمع الزهر و الثمر و سائر ما يمتع و يلذ، و قال كعب: هو البستان الذى فيه الأعناب. و قال مجاهد: الفردوس البستان بالرومية. و قال قتادة: هو أطيب موضع فى الجنة.

و

روى انه أعلى الجنة و أحسنها فى خبر مرفوع.

و قال الزجاج: الفردوس البستان الذى يجمع محاسن كل بستان. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۹۹

و قوله «نزلا» أى مأوى و قيل نزلا أى ذات نزول. و حكى الزجاج أن الفردوس الأودية التى تنبت ضروباً من النبت. و النزل- بضم النون و الزاى- من النزول و النزل بفتحهما الربع.

قوله تعالى:[سورة الكهف (١٨): الآيات ١٠٨ الى ١١٠] ..... ص : ٩٩

خالِدِينَ فِيها لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً (١٠٨) قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً (١٠٩) قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (١١٠)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «قبل أن ينفد» بالياء. الباقون بالتاء. فمن قرأ بالتاء، فلتأنيث الكلمات، و من قرأ بالياء، فلان التأنيث ليس بحقيقى. و قد مضى نظائر ذلك.

اخبر اللَّه تعالى عن أحوال المؤمنين الذين وصفهم بالأعمال الصالحة و أن لهم جنات الفردوس جزاء على أعمالهم بأنهم خالدون فى تلك الجنات. و نصب «خالدين» على الحال.

و قوله «لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلًا» أى لا يطلبون عنها التحول و الانتقال الى مكان غيرها. و قال مجاهد: الحول التحول أى لا يبغون متحولا. و قد يكون معناه التحول من حال الى حال، و يقال حال عن مكانه حولا مثل صغر صغرا او كبر كبراً.

ثم أمر نبيه (ص) أن يقول لجميع المكلفين: قل لو كان ماء البحر مداداً فى التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۰۰
الكثرة لكتابة كلمات اللّه لنفد ماء البحر و لم تنفد كلمات اللّه بالحكم، و البحر مستقر الماء الكثير الواسع الذى لا يرى جانباه من وسطه و جمعه أبحر و بحار و بحور، و المداد هو الجائى شيئاً بعد شيء على اتصال. و المداد الذى يكتب به. و المداد المصدر، و هو مجيء شيء بعد شيء. و قال مجاهد: هو مداد العلم.
و الكلمة الواحدة من الكلام، و لذلك يقال للقصيدة: كلمة، لأنها قطعة واحدة من الكلام، و الصفة المفردة: كلمة. و (مدداً) نصب على التمييز، و هذا مبالغة لوصف ما يقدر اللّه تعالى عليه من الكلام و الحكم. ثم قال قل لهم «إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» لست بملك آكل و اشرب «يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ» أى يوحى الى أن معبودكم الذى يحق له العبادة واحد «فَمَنْ كانَ» منكم «يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ» لقاء ثوابه أو عقابه و يرجو معناه يأمل. و قيل معناه يخالف «فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً» أى طاعة يتقرب بها اليه «وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ» اللّه أحداً غيره: من ملك و لا بشر و لا حجر، و لا مدر و لا شجر، فتعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً. و قال سعيد بن جبير معنى «لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً» أى لا يرائى بعبادة اللّه غيره. و قال الحسن: لا يعبد معه غيره. و قيل إن هذه الآية آخر ما نزل من القرآن. و قال ابن جريج قال حى بن اخطب: تزعم يا محمد إنا لم نؤت من العلم إلا قليلا، و تقول و من يؤتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً، فكيف يجتمعان، فنزل قوله تعالى «قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي» و نزل «وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ ...» «۱» الآية.

---

(۱) سورة ۳۱ (لقمان) آية ۲۷
التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۰۱

۱۹-سورة مريم ..... ص : ۱۰۱

اشارة

هى مكية فى قول قتادة و مجاهد و هى ثمان و تسعون آية فى المدنى الأول و الكوفى و البصرى و الشامى. و تسع و تسعون فى المكى و المدنى الأخير و فى عدد إسماعيل.

[سورة مريم (۱۹): الآيات ۱ الى ۳] ..... ص : ۱۰۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
كهيعص (۱) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (۲) إِذْ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا (۳)
ثلاث آيات فى الكوفى خاصة عدوا «كهيعص» آية. و آيتان فى الباقى.
قرأ ابو عمرو «كهيعص» بامالة الهاء و فتح الياء، و قرأ ابن عامر إلا الداجونى عن هشام و حمزة إلا العبسى و خلف فى اختياره بفتح الهاء، و امالة الياء. و قرأ الكسائى و يحيى و العليمى و العبسى بامالة الهاء و الياء. الباقون بفتحهما، و هم أهل الحجاز و الداجونى عن هشام و عاصم إلا يحيى و العليمى و يعقوب و ابو جعفر بقطع الحروف على أصله و يظهر الدال من هجاء (صاد) عند ذلك. و كذلك أهل الحجاز و عاصم التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۰۲
و يعقوب. قال أبو على امالة هذه الحروف سائغه، لأنها ليست بحروف معنى و انما هى اسماء لهذه الأصوات. و قال سيبويه: قالوا (با، يا) لأنها اسماء ما يتهجأ به، فلما كانت اسماء غير حروف جازت فيها الامالة كما جازت فى الأسماء، و يدلك على انها اسماء انك إذا أخبرت عنها أعربتها [و إن كنت لا تعربها اسماء قبل ذلك «۱» فكما أن اسماء العدد قبل أن تعربها اسماء كذلك هذه الحروف. و إذا

كانت اسماء ساغت فيها الامالة. فاما من لم يمل فعلى مذهب أهل الحجاز، و كلهم أخفى (نون، عين) إلا حفصاً عن عاصم فانه بينها. و قال ابو عثمان بيان النون مع حروف الفم لحن إلا أن هذه الحروف تجرى على الوقف عليها، و القطع لها مما بعدها، فحكمها البيان، و إن لا- تخفى، فقول عاصم هو القياس فيها، و كذلك اسماء العدد حكمها على الوقف، و على انها منفصلة عما بعدها. و قال ابو الحسن تبيين النون أجود فى العربية، لأن حروف العدد و الهجاء منفصل بعضها عن بعض. و روى عن أبى عمرو و اليزيدى- فى رواية أبى عمرو- عنه كسر الهاء و الياء. و قال قلت له لم كسرت الهاء؟ قال: لئلا تلتبس بهاء التنبيه، فقلت لم كسرت اليا؟. قال: لئلا تلتبس ب (يا) التى للنداء إذا قلت: ها زيد و يا رجل. و من أدغم الدال فى الذال، فلقرب مخرجهما، و من اظهر، فلأنهما ليسا من جنس واحد، و ليسا أختين.

و قرأ الحسن بضم الهاء، حكى سيبويه أن فى العرب من يقول فى الصلاة بما ينحو نحو الصلوة الضم، و حكى (هايا) بإشمام الضم. قال الزجاج من حكى ضم الياء، فهو شاذ لأنه اجتمعت الرواة على ان الحسن ضم الهاء لا غير و قد بينا فى أول سورة البقرة أخلاف العلماء فى أوائل أمثال هذه السور و شرحنا أقوالهم، و بينا أن أقوى ما قيل فيه انها اسماء السور، و هو قول الحسن و جماعة، و قيل ان كل حرف منها حرف من اسم من

---

(۱) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

اسماء اللَّه تعالى، فالكاف من كبير، و الهاء من هاد، و العين من عالم، و الصاد من صادق، و الياء من حكيم. و روى ذلك عن على (ع)

و ابن عباس و غيرهما. و

روى عن على (ع) انه دعا فقال اللهم سألتك يا كهيعص.

و قوله «ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا» رفع (ذكر) على أنه خبر للابتداء و تقديره هذا او فيما يتلى عليكم «ذكر رحمة» أى نعمة ربك «عبده» منصوب ب (رحمة). و قال الفراء الذكر مرفوع ب (كهيعص) و المعنى ذكر ربك عبده برحمته، فهو تقديم و تأخير، و نصب «زكريا» لأنه بدل من (عبده).

«إِذْ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا» أى حين دعا ربه دعاء خفياً أى سراً غير جهر، لا يريد به رياء، ذكره ابن جريج. و اصل النداء مقصور من ندى الصوت بندى الحلق

قوله تعالى:[سورة مريم (۱۹): الآيات ۴ الى ۶] ..... ص : ۱۰۳

قالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (۴) وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرائِي وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (۵) يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (۶)

ثلاث آيات بلا خلاف قرأ ابو عمرو و الكسائى «يرثنى» جزماً على أنه جواب الأمر. الباقون بالرفع على أنه صفة ل (ولياً). فمن رفع قال «ولياً» نكرة فجعل «يرثنى» صلة له، كما تقول أعرنى دابة اركبها، و لو كان الاسم معرفة، لكان الاختيار الجزم، كقوله «فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ» «۱» و النكرة كقوله

---

(۱) سورة ۷ (الاعراف) آية ۷۲ و سورة ۱ (هود) آية ۶۴

«خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ» «۱» و قال مجاهد: من جزم جاز أن يقف على «ولياً». و من رفع لم يجز لأنه صلة، و لان المفسرين قالوا: تقديره «هب لى» الذى «يرثنى» أى وارثاً فكل ذلك يقوىّ الرفع.

حكى اللَّه تعالى ما نادى به زكريا و دعى ربه به، و هو أن قال «رب» أى يا رب و أصله ربى، و انما حذف الياء تخفيفاً و بقيت الكسرة تدل عليها «إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي» أى ضعف، و الوهن الضعف، و هو نقصان القوة، و يقال: و هن الرجل يهن وهناً إذا ضعف، و منه قوله (لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ) «۲» و إنما أضاف الوهن الى العظم، لأن العظم مع صلابته إذا كبر ضعف، و تناقص، فكيف باللحم و العصب. و قيل شكا البطش و هو قلة العطس و هو لا يكون إلا بالعظم. و قوله (وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً) معناه انتشر الشيب فى الرأس، كما ينتشر شعاع النار، و هو من أحسن الاستعارات. و الاشتعال انتشار شعاع النار، و الشيب مخالطة الشعر الأبيض للأسود فى الرأس و غيره من البدن، و هو مثل الشائب الذى يخالط الشيء من غيره (وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) تمام حكاية ما دعا به زكريا، و انه قال لم أكن يا رب بدعائى إياك شقياً أى كنت أدعوك وحدك و اعترف بتوحيدك. و قيل معناه انى إذا دعوتك اجبتنى، و الدعاء طلب الفعل من المدعو، و فى مقابلته الاجابة، كما أن فى مقابلة الأمر الطاعة. و يحتمل نصب «شيباً» أمرين:

أحدهما- ان يكون نصباً على الصدر كأنه قال شاب شيباً.

و الثانى- التمييز كقولهم تصببت عرقاً و امتلأت ماء و قوله «وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرائِي» قال مجاهد و أبو صالح، و السدى: الموالى هاهنا العصبة. و قيل خفت الموالى بنى عمى على الدين، لأنهم كانوا شرار بنى إسرائيل، و انما قيل لبنى العم

---

(۱) سورة ۹ (التوبة) آية ۱۰۴

(۲) سورة ۳ (آل عمران) آية ۳۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۰۵

موالى لأنهم الذين يلونه فى النسب بعد الصلب. و قيل معنى الموالى الأولياء ان يرثوا علمى دون من كان من نسلى و انشدوا فى أن الموالى بنو العم قول الشاعر:

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا «۱»

و المولى المِعتق، و المَعتق، و المولى الناصر، و المولى الولى و المولى الاولى.

و روى عن عثمان أنه قرأ «وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ» بفتح الخاء و تشديد الفاء.

و قوله «وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً» يعنى لا تلد، و يقال للمرأة التى لا تلد: عاقر و الرجل الذى لا يولد له: عاقر قال الشاعر:

لبئس الفتى إن كنت اسود عاقراً جباناً فما عذرى لدى كل محضر «۲»

و العقر فى البدن الجرح و منه أخذ العاقر، لأنه نقص أصل الخلقة إما بالجراحة، و إما بامتناع الولادة، و منه العقار، لان فساده نقص لأصل المال. و قوله «يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» و الميراث تركة الميت ما كان يملكه لمن بعده من مستحقيه بحكم اللَّه فيه، يقال: ورث يرث ارثاً و ميراثاً و توارثوا توارثاً و ورثه توريثاً، و أورثه علماً و مالا. و (الآل) خاصة الرجل الذين يؤل أمرهم اليه.

و قد يرجع اليه أمرهم بالقرابة تارة و بالصحبة أخرى، و بالدين و الموافقة، و منه قيل (آل النبى) (ص).

و قوله «يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» قال أبو صالح: معناه يرثنى مالى، و يرث من آل يعقوب النبوة. و قال الحسن يرثنى العلم و النبوة، و قال مجاهد يرث علمه. و قال

---

(۱) قد مر تخريجه انظر ۳/ ۱۸۷ من هذا الكتاب. و البيت فى تفسير الشوكانى ۳/ ۳۱۱

(۲) قائله عامر بن الطفيل ديوانه ۶۴ و تفسير الشوكانى ۳/ ۳۱۱ و القرطبى ۱۱/ ۷۸ و تفسير الطبرى ۱۶/ ۳۲ و غيرها.

(ج ۷ م ۱۴ من التبيان)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۰۶

السدى: يرث نبوته و نبوة آل يعقوب، و كان آل يعقوب أخواله، و هو يعقوب ابن ماتان، و كان قيم الملك منهم، و كان زكريا من ولد هارون بن عمران أخى موسى ابن عمران. قال مقاتل: يعقوب بن ماثان أخو عمران أبى مريم، و هما ابنا ماثان.

و قوله «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» و الجعل على اربعة اقسام:

أحدها- بمعنى الأحداث كقولهم جعل البناء أى أحدثه.

و الثاني- احداث ما يتغير به كقولهم: جعل الطين خزفاً أى أحدث ما به يتغير الثالث- ان يحدث فيه حكما كقولهم: جعل فلان فلاناً فاسقاً أى بما أحدث فيه من حكمه و تسميته.

الرابع- أن يحدث ما يدعوه الى ان يفعل كقولهم: جعله يقتل زيداً اى بما أمره به و دعاه الى قتله.

و معنى «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» أى اجعل ذلك الولى الذى يرثنى مرضياً عندك ممتثلا لأمرك عاملا بطاعتك.

و فى الآية دلالة على ان الأنبياء يورثون المال بخلاف ما يقول من خالفنا انهم لا يورثون، لأن زكريا صرح بدعائه و طلب من يرثه و يحجب بنى عمه و عصبته من الولد.

و حقيقة الميراث انتقال ملك المورث الى ورثته بعد موته بحكم اللَّه. و حمل ذلك على العلم و النبوة على خلاف الظاهر، لان النبوة و العلم لا يورثان، لأن النبوة تابعة للمصلحة لا مدخل للنسب فيها، و العلم موقوف على من يتعرض له و يتعلمه، على أن زكريا إنما سأل ولياً من ولده يحجب مواليه من بنى عمه و عصبته من الميراث و ذلك لا يليق إلا بالمال، لان النبوة و العلم لا يحجب الولد عنهما بحال، على أن اشتراطه ان يجعله (رضيا) لا يليق بالنبوة، لان النبى لا يكون إلا رضياً معصوما، فلا معنى لمسألته ذلك، و ليس كذلك المال، لأنه يرثه الرضى و غير الرضى. و استدل المخالف بهذه التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۰۷

الآية على أن البنت لا تحوز المال دون بنى العم و العصبة، لان زكريا طلب ولياً يمنع مواليه، و لم يطلب ولية. و هذا ليس بشيء، لان زكريا إنما طلب ولياً، لان من طباع البشر الرغبة فى الذكور دون الإناث من الأولاد، فلذلك طلب الذكر، على أنه قيل ان لفظ الولى يقع على الذكر و الأنثى، فلا نسلم أنه طلب الذكر بل يقتضى الظاهر أنه طلب ولداً سواء كان ذكراً او أنثى.

و الوراء الخلف و الوراء القدام ممدود و كذلك الوراء ولد الولد ممدود.

و الورى مقصوراً: داء فى الجوف. و الورى ايضاً الخلق مقصور، و كلهم قرأ «ورائى» ممدوداً ساكن الياء إلا ما رواه ابن مجاهد عن قنبل بفتح الياء مع المدّ. و روى عن شبل عن ابن كثير (وراى) مقصوراً مثل هداى بغير همز، و فتح الياء.

قال أبو على لا أعلم أحداً من اهل اللغة حكى القصر فى هذه اللفظة، و لعلها لغة جاءت، و قد جاء فى الشعر قصر الممدود، و قياسه رد الشيء الى أصله، و اللام فى هذه الكلمة همزة، و ليس من باب الورى. و قال ابو عبيدة و غيره «مِنْ وَرائِي» يعنى من قدامى، و مثله «وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ» «۱» أى بين أيديهم. و حكى عن الثورى وراء الرجل خلفه و قدامه. و قوله «وَ مِنْ وَرائِهِ عَذابٌ» «۲» اى قدامه.

و قوله «وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ» فان الخوف لا يكون من الأعيان و إنما يكون من معان فيها، فقولهم خفت اللَّه اى خفت عقابه، و خفت الموالى خفت تضييعهم مالى و إنفاقه فى معصية اللَّه.

قوله تعالى:[سورة مريم (۱۹): الآيات ۷ الى ۱۰] ..... ص : ۱۰۷

يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (۷) قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (۸) قالَ كَذلِكَ قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً (۹) قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ

النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا (۱۰)

---

(۱) سورة ۱۸ (الكهف) آية ۸۰

(۲) سورة ۱۴ (ابراهيم) آية ۱۷

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۰۸

أربع آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة «نبشرک» و فی آخرها «۱» (لتبشر به) بالتخفيف فيهما الباقون بالتثقيل. و قرأ حمزة و الكسائی (عتيا، و صليا، و بكيا، و جثيا) بكسر أوائلهن وافقهما حفص إلا فی بكيا الباقون بضم اوائلهن. من كسر أوائل هذه الحروف فلمجاورة الياء. و الأصل الضم، لأنه جمع فاعل مثل جالس و جلوس، و كذلک صال و صلی، و الأصل صلوی و يكون علی وزن فعول، فانقلبت الواو ياء و أدغمت الياء فی الياء. و الأصل فی «عتيا» عتواً، لأنه من عتا يعتو «و بكيا» من بكی يبكی، كما قال تعالی «وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً» «۲» و انما قيل «عتيا» هاهنا بالياء، لأنه جمع عات، و أصله عاتو فانقلبت الواو ياء، لانكسار ما قبلها فبنوا الجمع علی الواحد فی قلب الواو (ياء) لان الجمع أثقل من الواحد. و قوله «وَ عَتَوْا عُتُوًّا» مصدر، و المصدر يجری مجری الواحد حكماً: و إن كان فی اللفظ مشاركاً للجمع، لأنک تقول: قعد يقعد قعوداً، و قوم قعود. و فی حرف أبی «و قد بلغت من الكبر عسيا» يقال للشيخ إذا كبر عسی يعسو، و عتا يعتو إذا يبس.

و قرأ حمزة و الكسائی «و قد خلقناک» علی الجمع. الباقون- بالتاء- علی التوحيد

---

(۱) آخر هذه السورة آية ۹۸

(۲) سورة ۲۵ (الفرقان) آية ۲۱ [.....]

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۰۹

فمن قرأ بالنون فلقوله «وَ حَناناً مِنْ لَدُنَّا» و من قرأ بالتاء فلقوله «هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ» و لم يقل علينا، و هما سواء فی المعنی.

هذا حكاية ما قال اللَّه تعالی لزكريا حين دعاه، فقال له «يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ» و البشارة الاخبار بما يظهر سروره فی بشرة الوجه، يقال: بشره بشارة، و تبشيراً و أبشر بالأمر ابشاراً إذا استبشر به.

و قوله «بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى فالغلام اسم للذكر أول ما يبلغ، و قيل: إنه منه اشتق اغتلم الرجل إذا اشتدت شهوته للجماع. و قيل انما سمی يحيی، لان اللَّه تعالی أحياه بالايمان- فی قول قتادة- و قوله (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) قال ابن عباس: معناه لم تلد مثله العواقر ولداً. و قال مجاهد: لم نجعل له من قبل مثلا. و قال ابن جريج و قتادة و عبد الرحمن بن زيد بن اسلم، و السدی: معناه لم يسم أحداً باسمه. و قيل انه لم يسم احداً من الأنبياء باسمه قبله، فقال زكريا عند ذلک (أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ) أی كيف يكون لی غلام (وَ امْرَأَتِي عاقِرٌ) لا يلد مثلها «وَ قَدْ بَلَغْتُ» أنا ايضاً «من» السن و «الْكِبَرِ عِتِيًّا» فالعتی و العسی واحد، يقال عتا عتوا و عتياً، و عسی يعسو عسياً و عسواً فهو عات و عاس بمعنی واحد، و العاسی هو الذی غيره طول الزمان الی حال اليبس و الجفاف. و قال قتادة: كان له بضع و سبعون سنة، فقال اللَّه تعالی له «كذلک» هو ان الامر علی ما أخبرتک «قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ» أی ليس يشق علی خلق الولد من بين شيخ و عاقر لانی قادر علی كل شیء و كيف يعسر علی ذلک «وَ قَدْ خَلَقْتُكَ» يا زكريا «من قبل» ذلک «وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً» ای لم تكن موجوداً و من نفی ان يكون المعدوم شيئاً استدل بذلک، فقال لو كان المعدوم شيئاً لما نفی ان يكون شيئاً قبل ذلک و حمل قوله «إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ» «۱» علی المجاز، و المعنی انها إذا وجدت كانت

---

(۱) سورة ۲۲ (الحج) آية ۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۱۰

شيئاً عظيما، و من قال: المعدوم شيء قال: أراد و لم يكن شيئاً موجوداً. و لم يكن قول زكريا «أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ» على وجه الإنكار بل كان ذلك على وجه التعجب من عظم قدرة اللّه. و قيل: انه قال ذلك مستخبراً، و تقديره أ بتلك الحال أو بقلبه الى حال الشباب، ذكره الحسن، فقال زكريا عند ذلك يا «رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً» أى دلالة و علامة استدل بها على وقت كونه، فقال اللّه تعالى له «آيَتُكَ» أى علامتك على ذلك «أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا» فقال ابن عباس اعتقل لسانه من غير مرض ثلاثة ايام. و قال قتادة و السدى و ابن زيد اعتقل لسانه من غير خرس. و فى زكريا ثلاث لغات (زكرياء) ممدود (و زكريا) مقصور و (زكرى) مشدد. [و قرئ بالمقصور و المدور دون اللغة الثالثة] «۱».

قوله تعالى:[سورة مريم (۱۹): الآيات ۱۱ الى ۱۵] ..... ص : ۱۱۰

فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا (۱۱) يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (۱۲) وَ حَناناً مِنْ لَدُنَّا وَ زَكاةً وَ كانَ تَقِيًّا (۱۳) وَ بَرًّا بِوالِدَيْهِ وَ لَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيًّا (۱۴) وَ سَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (۱۵)

خمس آيات بلا خلاف.

حكى اللّه تعالى ان زكريا «فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ» و هو الموضع الذى يتوجه اليه للصلاة. و قال ابن زيد محرابه مصلاه. و الأصل فيه مجلس الاشراف الذى

---

(۱) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۱۱

يحارب دونه ذباً عن أهله «فَأَوْحى إِلَيْهِمْ» قيل: معناه أشار اليهم و أومأ بيده يقال:

أوحى يوحى ايحاء و وحى يحى وحيا مثل أومى يومى إيماء، و ومى يمى ومياً. و الإيحاء إلقاء المعنى الى النفس فى خفى بسرعة من الأمر. و أصله السرعة من قولهم: الوحى الوحا أى الإسراع. و قيل: كتب لهم على الأرض، و الوحى الكتابة.

و قوله «أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا» أى اوحى اليهم بأن سبحوا، و معناه صلوا بكرة و عشيا- فى قول الحسن و قتادة- و قيل للصلاة تسبيح، لما فيها من الدعاء و التسبيح، و يقال: فرغت من سبحتى أى صلاتى.

و قوله «يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ» يعنى التوراة التى أنزلتها على موسى «بِقُوَّةٍ» أى بجدّ «وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» معناه أعطيناه الفهم لكتاب اللّه حتى حصل له عظيم الفائدة. و روى عن معمر: أن الصبيان، قالوا ليحيى أذهب بنا نلعب، فقال ما للعب خلقت، فانزل اللّه «وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا».

و قوله «وَ حَناناً مِنْ لَدُنَّا» معناه و آتيناه رحمة من عندنا- فى قول ابن عباس و قتادة و الحسن- و قال الفراء: فعلنا ذلك رحمة لأبويه «وَ زَكاةً» أى و صلاحاً.

و قال الضحاك رحمة منا لا يملك إعطاءها احد غيرنا. و قال مجاهد: معناه تعطفاً.

و قال عكرمة: معناه محبة. و اصل الحنان الرحمة، يقال: حنانك و حنانيك قال امرؤ القيس:

و يمنعها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان «۱»

و قال الآخر:

فقالت حنان ما أتى بك هاهنا أ ذو نسب ام انت بالحى عارف «۲»

أى أمرنا حنان، و تحنن علينا تحنناً أى تعطف قال الشاعر:

(۱) دیوانه ۲۱۶

(۲) تفسیر القرطبی ۱۱/ ۸۷ و الطبری ۱۶/ ۳۲

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۱۲

تحنن علیّ هداک الملیک فان لکل مقام مقالا «۱»

و حننت علیه أحن حنینا، و حناناً، و حنت علی الرجل امرأته. و قال ابو عبیدة معمر ابن المثنی أکثر ما یستعمل بلفظة التثنیة، قال طرفة:

أبا منذر أفنیت فاستبق بعضنا حنانیک بعض الشر أهون من بعض «۲»

و قوله «و زکاة» أی و عملا- صالحاً زکیاً- فی قول قتادة و الضحاک و ابن جریج- و قال الحسن معناه: و زکاة لمن قبل عنه حتی یکونوا أزکیاء. و قال الجبائی:

معناه آتیناه تحننا علی العباد و رقة قلب علیهم لیحرص علی دعائهم الی طاعة ربهم «و زکاة» ای إنا زکیناه بحسن الثناء علیه، کما یزکی الشهود الإنسان (وَ کانَ تَقِیًّا) أی یتقی معاصی اللَّه و ترک طاعته (وَ بَرًّا بِوالِدَیْهِ)

ای کان باراً محسناً الی والدیه، (وَ لَمْ یَکُنْ جَبَّاراً)

متکبراً (عصیاً) فعیل بمعنی فاعل، ثم قال تعالی «وَ سَلامٌ عَلَیْهِ یَوْمَ وُلِدَ وَ یَوْمَ یَمُوتُ وَ یَوْمَ یُبْعَثُ حَیًّا)

فی یوم القیامة، و معناه ان رحمة اللَّه و سلامه اللذین هما تفضل من اللَّه، هما علی یحیی یوم ولد، و إن رحمة اللَّه و سلامه اللذین هما جزاء لأعماله الصالحة، هما علیه یوم یموت و یوم یبعث حیا، فی الآخرة. قال قوم معناه: أمان اللَّه له و سلامه یوم ولد من عبث الشیطان له و اغوائه إیاه، و یوم یموت من عذاب القبر و هول المطلع، و یوم یبعث حیا من عذاب النار و اهوال المحشر

قوله تعالی:[سورة مریم (۱۹): الآیات ۱۶ الی ۲۰] ..... ص : ۱۱۲

وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ مَرْیَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَکاناً شَرْقِیًّا (۱۶) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَیْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِیًّا (۱۷) قالَتْ إِنِّی أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْکَ إِنْ کُنْتَ تَقِیًّا (۱۸) قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّکِ لِأَهَبَ لَکِ غُلاماً زَکِیًّا (۱۹) قالَتْ أَنَّی یَکُونُ لِی غُلامٌ وَ لَمْ یَمْسَسْنِی بَشَرٌ وَ لَمْ أَکُ بَغِیًّا (۲۰)

(۱) قائله الحطیئة تفسیر الشوکانی ۳/ ۳۱۱ و تفسیر الطبری ۱۶/ ۳۸ و القرطبی ۱۱/ ۸۷

(۲) دیوانه (دار بیروت) ۶۶ و تفسیر الطبری ۱۶/ ۳۸ و القرطبی ۱۱/ ۸۷.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۱۳

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو و نافع فی روایة ورش و قالون عنه (لیهب لک) بالیاء (ربک غلاماً) الباقون (لأهب) بالهمزة علی الحکایة، و تقدیره قال ربک لأهب لک.

و قال الحسن: معناه لأهب لک بإذن اللَّه (غُلاماً زَکِیًّا)

ای صار بالبشارة کأنه وهب لها. و ضعف ابو عبیدة قراءة أبی عمرو، لأنها خلاف المصحف. قال ابن خالویه:

حجة أبی عمرو أن حروف المد و اللین و ذوات الهمز یحول بعضها الی بعض، کما قرئ (لیلا) بالیاء- و الأصل الهمزة: (لئلا) قال ابو علیّ النحوی: من قرأ- بالیاء- یجوز أن یکون أراد الهمزة، و انما قلبها یاء علی مذهب أبی الحسن أو جعلها بین بین فی قول الخلیل. و فی قراءة أبی و ابن مسعود (لیهب) بالیاء، و هو الأجود، و معنی «زَکِیًّا»

نامياً على الخير و البركة يقول اللَّه تعالى لنبيه محمد (ص) «اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرْيَمَ»

و الذكر إدراك النفس المعنى بحضوره فى القلب، و الاذكار إحضار النفس للمعنى، و قد يكون الذكر قولا يحضر المعنى للنفس، و المراد بالكتاب- هاهنا- القرآن و إنما سمى كتاباً، لأنه مما يكتب.

(ج ۷ م ۱۵ من التبيان) التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۱۴

و قوله «إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها»

فالانتباذ اتخاذ الشيء بإلقاء غيره عنه، و الأصل الإلقاء من قولهم: نبذه وراء ظهره أى ألقاه، و فى هذا الطعام نبذ من شعير اى مقدار كف منه، و النبذ الطرح. و قال قتادة: معنى انتبذت انفردت. و قيل: معناه اتخذت مكاناً تنفرد فيه بالعبادة. و قيل معناه تباعدت. و قوله «مَكاناً شَرْقِيًّا»

يعنى الموضع الذى فى جهة الشرق، قال جرير:

هبت جنوباً فذكرى ما ذكرت لكم عند الصفاة التى شرقىّ حورانا «۱»

و قال السدى: معنى «فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً»

أى حجاباً من الجدران.

قال ابن عباس: انما جعلت النصارى قبلتهم الى المشرق، لان مريم اتخذت من جهة المشرق موضع صلاتها. و قال ابن عباس: معنى «مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً»

أى من الشمس جعله اللَّه لها ساتراً.

و قوله «فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا»

قال الحسن و قتادة و الضحاك و السدى، و ابن جريج، و وهب بن منبة: يعنى جبرائيل (ع) و سماه اللَّه (روحاً) لأنه روحانى لا يشبه شيئاً من غير الروح. و خص بهذه الصفة تشريفاً له. و قيل لأنه تحيا به الأرواح بما يؤديه اليهم من أمر الأديان و الشرائع.

و قوله «فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا»

أى تمثل لها جبرائيل فى صورة البشر «سوياً» أى معتدلا، فلما رأته مريم «قالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا» تخاف عقوبة اللَّه.

فان قيل كيف تعوذت منه إن كان تقياً؟ و التقى لا يحتاج أن تتعوذ منه، و انما يتعوذ من غير التقى!! قيل المعنى فى ذلك إن التقى للرحمن إذا تعوذ بالرحمن منه ارتدع عما يسخط

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۴۹۳ و روايته (ذكرتكم) بدل (ذكرت لكم)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۱۵

اللَّه، ففى ذلك تخويف و ترهيب، كما يقول القائل: إن كنت مؤمناً، فلا تظلمنى، و تكون هى غير عالمة بأنه تقى أم لا، فلما سمع جبرائيل منها هذا القول، قال لها:

«إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ»

ارسلنى اللَّه لا بشرك بأنه يهب «لَكِ غُلاماً»

ذكراً «زَكِيًّا»

طاهراً من الذنوب. و قيل: نامياً فى أفعال الخير. فقالت مريم عند ذلك متعجبة من هذا القول: «أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ» أى كيف يكون ذلك «وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ» بالجماع على وجه الزوجية «وَ لَمْ أَكُ بَغِيًّا» أى لم أكن زانية- فى قول السدى و غيره-، و (البغى) التى

تطلب الزنا، لأن معنى تبغيه تطلبه، و «لم أك» أصلها لم أكن لأنه من (كان، يكون) و إنما حذفت النون، لاستخفافها على ألسنتهم، و لكثرة استعمالهم لها، كما حذفوا الالف فى (لم أبل) و أصله (لم أبالى) لأنه من المبالاة و كقولهم: (لا أدر) و قولهم: (أيش) و أصله أي شيء، و مثله: لا أب لشانئك و أصله لا أبا لشانئك، و مثله كثير.

قوله تعالى:[سورة مريم (١٩): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص : ١١٥

قالَ كَذلِكِ قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَ رَحْمَةً مِنَّا وَ كانَ أَمْراً مَقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيًّا (٢٢) فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ قالَتْ يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا (٢٣) فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢۴) وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا (٢۵)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و حفص عن عاصم «نسياً» بفتح النون. الباقون بكسرها، و هما التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ١١۶

لغتان. و قرأ نافع و حمزة و الكسائى و حفص «من تحتها» على أن (من) حرف جر.

الباقون «من تحتها» يعنى الذى تحتها قال ابو عليّ النحوى: ليس المراد بقوله «من تحتها» الجهة السفلى، و انما المراد من دونها، بدلالة قوله «قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا» و لم يكن النهر محاذياً لهذه الجهة. و إنما المعنى جعل دونك.

و قرأ «تساقط»- بالتاء و ضمها، و كسر القاف مخففة السين- حفص عن عاصم.

و قرأ حمزة «تساقط» بفتح التاء و تخفيف السين. الباقون، و هم ابن كثير و نافع و ابو عمرو، و ابن عامر و الكسائى و ابو بكر عن عاصم، بفتح التاء و تشديد السين و فتح القاف. و قرأ يعقوب و العليمى و نصير- بياء مفتوحة، و تشديد السين و فتح القاف- و كلهم جزم الطاء.

حكى اللَّه تعالى ما قال لها جبرائيل حين سمع تعجبها من هذه البشارة «قالَ كَذلِكِ» يعنى اللَّه تعالى قال ذلك «قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ» أى سهل متأت لا يشق على ذلك «وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ» أى نجعل خلقه من غير ذكر آية باهرة، و علامة ظاهرة للناس «وَ رَحْمَةً مِنَّا» أى و نجعله نعمة من عندنا «وَ كانَ أَمْراً مَقْضِيًّا» أى و كان خلق عيسى من غير ذكر أمراً قضاه اللَّه و قدره و حتم كونه أى هو المحكوم بأنه يكون، و ما قضاه اللَّه بأنه كائن، فلا بد من كونه.

و قوله (فحملته) يعنى حملت عيسى فى بطنها، و الحمل رفع الشيء من مكانه، و قد يكون رفع الإنسان فى مجلسه، فيخرج عن حد الحمل. و يقال له (حمل) بكسر الحاء لما يكون على الظهر، و بالفتح لما يكون فى البطن (فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيًّا) أى انفردت به مكاناً بعيداً، و معناه قاصياً، و هو خلاف الدانى. قال الراجز:

لتقعدن مقعد القصى منى كذى القاذورة المقلى «١»

---

(١) تفسير الطبرى ١۶/ ۴٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ١١٧

يقال قصا المكان يقصوه قصواً إذا تباعد، و اقصيت الشيء إذا أبعدته، و أخرته إقصاء. و قوله «فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ» أى جاء بها المخاض و هو مما يعدى تارة بالباء و أخرى بالألف. مثل ذهبت به و أذهبته و آتيتك بعمرو و آتيتك عمراً. و خرجت به و أخرجته قال زهير:

و جار سار معتمداً إليكم أجاءته المخافة و الرجاء «١»

أى جاءت به. قال الكسائى تميم تقول: ما أجاءك الى هذا و ما أشاء بك اليه.

أى صيرك تشاء. و من أمثالهم (شر أجاءك الى مخة عرقوب) و تميم تقول: شر أشاءك الى مخة عرقوب. و قال ابن عباس و مجاهد

و قتادة و السدى: معنى «فَأَجاءَهَا» الجأها. و قال السدى: إنها قالت فى حال الطلق «يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هـذا» استحياء من الناس «وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا» فالنسى الشيء المتروك حتى ينسى- بالفتح و الكسر- مثل الوتر و الوتر. و قيل النسى- بالفتح- المصدر، يقال: نسيت الشيء نسياً و نسياناً- و بالكسر- الاسم إذا كان لقى لا يؤبه به، و قيل النسى خرقة الحيض التى تلقيها المرأة، قال الشاعر:

كأن لها فى الأرض نسياً تقصه إذا ما غدت و إن تكالمك تبلت «۲»

أى نسياً تركته، و معنى (تبلت) أى تقطع كلامها رويداً رويداً و تقف و تصدق.

و قوله «فَناداها مِنْ تَحْتِها» قال ابن عباس و السدى و الضحاك و قتادة: المنادى كان جبرائيل (ع). و قال مجاهد و الحسن و وهب بن منبة، و سعيد بن جبير و ابن زيد و الجبائى: كان المنادى لها عيسى (ع).

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۱۳ و تفسير الشوكانى ۳/ ۳۱۷ و الطبرى ۱۶/ ۴۲ و القرطبى ۱۱/ ۷۲

(۲) الطبرى ۱۶/ ۴۴ و مجمع البيان ۳/ ۵۰۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۱۸

و قوله «أَلَّا تَحْزَنِي» أى لا تغتمى «قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا» قال ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبير: السرى هو النهر الصغير. و قال قوم: هو النهر بالسريانية. و قال آخرون: هو بالنبطية. و قال ابراهيم و الضحاك و قتادة: هو النهر الصغير بالعربية، مثل قول ابن عباس، و قال البراء بن عازب: هو الجدول. و قال الحسن و ابن زيد: السرى عيسى (ع). و قيل للنهر (سرى) لأنه يسرى بجريانه كما قيل جدول لشدة جريه. قال لبيد:

فتوسطا عرض السرىّ فصدعا مسجورة متجاوز أقدامها «۱»

و قال آخر:

سلم ترى الدالى منه ازورا إذا يعج فى السرىّ هرهرا «۲»

و قوله «وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ» معناه هزى النخلة اليك، و دخلت الباء تأكيداً، كما قال تعالى «تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ» «۳». قال الشاعر:

نضرب بالبيض و نرجو بالفرج «۴»

أى نرجو الفرج، و قال آخر:

بواديمان ينبت السدر صدره و أسفله بالمرخ و الشبهان «۵»

و فى رواية ينبت الشث حوله. و قوله (تساقط عليك) من شدد، أراد تتساقط فأدغم احد التاءين فى السين، و من خفف حذف احد التاءين. و من قرأ- بالياء-

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۶/ ۴۷ و القرطبى ۱۱/ ۹۴

(۲) تفسير القرطبى ۱۱/ ۹۴ و روايته (يعب) بدل (يعج)

(۳) سورة ۲۳ المؤمنون آية ۲۰

(۴) قائله النابغة الجعدى تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ۱۹۳ [.....]

(۵) تفسير الطبرى ۱۶/ ۴۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۱۹

أسند الفعل الى الجذع. و من قرأ- بالتاء- أسنده الى النخلة. و من قرأ تساقط أراد من المساقطة. و قرأ ابو حيويه (تسقط عليك). و روى عنه (يسقط) و هو شاذ و المعانى متقاربة. و قال ابو على: من قرأ (تساقط) عدى (فاعل) كما عدى (يتفاعل) و هو مطاوع (فاعل)

قال الشاعر:

تطالعنا خيالات لسلمى كما يتطالع الدين الغريم «۱»

و انشد ابو عبيدة:

تخاطأت النبل أحشاءه و أخر يومى فلم أعجل «۲»

قال فى موضع (اخطأت) كقوله (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً) «۳» و معنى الآية يتواقع عليك رطباً جنياً. و الجنى المجنى (فعيل) بمعنى (مفعول) و هو المأخوذ من الثمرة الطرية، اجتناه اجتناء، إذا اقتطعه، قال ابن اخت جذيمة:

هذا جناى و خياره فيه إذ كل جان يده الى فيه «۴»

و فى نصب (رطباً) قولان:

أحدهما- قال المبرد: هو مفعول به، و تقديره هزى بجذع النخلة رطباً تساقط عليك.

و قال غيره: هو نصب على التمييز و العامل فيه تساقط.

و قال ابو على: يجوز أن يكون نصباً على الحال، و تقديره تساقط عليك ثمر النخلة رطبا، فحذف المضاف الذى هو الثمرة، و نصب رطباً على الحال.

و قيل: لم يكن للنخلة رأس و كان فى الشتاء، فجعله اللَّه تعالى آية، و انما تمنت الموت قبل تلك الحال التى قد علمت انها من قضاء اللَّه لكراهتها أن يعصى اللَّه بسببها

---

(۱) البيت فى مجمع البيان ۳/ ۵۰۷

(۲) مر تخريجه فى ۶/ ۴۷۲ من هذا الكتاب

(۳) سورة ۴ النساء آية ۳

(۴) تفسير الطبرى ۱۶/ ۴۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۲۰

إذا كان الناس يتسرعون الى القول فيها بما يسخط اللَّه. و قال قوم: انها قالت ذلك بطبع البشرية خوف الفضيحة. و قال قوم: المعنى فى ذلك انى لو خيرت قبل ذلك بين الفضيحة بالحمل و الموت لاخترت الموت.

و اختلفوا فى مدة حمل عيسى، فقال قوم: كان حمله ساعة و وضعت فى الحال.

و قال آخرون: حملت به ثمانية أشهر و لم يعش مولود لثمانية أشهر غيره (ع)، فكان ذلك آية له. و فى بعض الروايات أنه ولد لستة أشهر. و قوله «فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ» يدل على طول مكث الحمل، فاما مقداره فلا دليل يقطع به.

قوله تعالى:[سورة مريم (۱۹): الآيات ۲۶ الى ۳۰] ..... ص : ۱۲۰

فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (۲۶) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا (۲۷) يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (۲۸) فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (۲۹) قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا (۳۰)

خمس آيات بلا خلاف.

لما قال جبرائيل لمريم «هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا» قال لها بعد ذلك «فَكُلِي» من ذلك الرطب «وَ اشْرَبِي» من السرى «وَ قَرِّي التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۲۱

عَيْناً»

و نصبه على التمييز كقوله «فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً» «۱» و قيل فى معنا «قَرِّی عَيْناً» قولان: أحدهما- لتبرد عينك برد سرور بما ترى.

الثاني- لتسكن سكون سرور برؤيتها ما تحب، يقال قررت به عيناً أقر قروراً و هى لغة قريش. و أهل نجد يقولون: قررت به عيناً- بفتح العين- أقر قراراً، كما يقولون قررت بالمكان- بالفتح.

و قوله (فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً) قال الجبائى: كان اللَّه تعالى أمرها بأن تنذر للّه تعالى الصمت، فإذا كلمها احد تومى بأنها نذرت صوماً صمتاً، لأنه لا يجوز ان يأمرها بان تخبر بأنها نذرت و لم تنذر، لأن ذلك كذب. و قال انس بن مالك و ابن عباس و الضحاك: تريد بالصوم الصمت.

و قال قتادة: يعنى صمتاً عن الطعام و الشراب و الكلام أى إمساكاً. و انما أمرها بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما يبرئ ساحتها- فى قول ابن مسعود و ابن زيد و وهب ابن منبة و قيل: من كان صام فى ذلك الوقت لا يكلم الناس، فاذن لها فى هذا المقدار من الكلام، فى قول السدى.

فان قيل كيف تكون نذرت الصمت و ألا تكلم أحداً مع قولها و اخبارها عن نفسها بأنها نذرت و هل ذلك إلا تناقض؟

قيل من قال: انه أذن لها فى هذا القدر فحسب، يقول: انها نذرت لا تكلم بما زاد عليه. و من قال: انها نذرت نذراً عاماً، قال: أو مت بذلک و لم تتلفظ به. و قيل:

أمرها اللَّه أن تشير اليهم بهذا المعنى، و انها ولدته بناحية بيت المقدس، و فى موضع يعرف ب (بيت لحم).

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۳ (ج ۷ م ۱۶ من التبيان)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۲۲

ثم اخبر اللَّه تعالى عن حال مريم أنها أتت بعيسى الى قومها تحمله، فلما رأوها قالوا لها «لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا» أى عملا عجيباً قال الراجز:

قد اطعمتنى دقلا حوليا مسوساً مدوداً حجريا

قد كنت تفرين به الفريا «۱»

قال قتادة و مجاهد و السدى: معنى الفرى العظيم من الأمر. و قيل الفرى القبيح من الافتراء، فقال لها قومها «يا أُخْتَ هارُونَ» و قيل فى هارون الذى نسبت اليه بالاخوة أربعة أقوال:

فقال قتادة: و كعب و ابن زيد و المغيرة بن شعبة يرفعه الى النبى (ص): انه كان رجلا صالحاً فى بنى إسرائيل ينسب اليه من عرف بالصلاح.

و قال السدى: نسبت الى هارون أخي موسى (ع) لأنها كانت من ولده كما يقال يا أخا بنى فلان.

و قال قوم: كان رجلا فاسقاً معلناً بالفسق، فنسبت اليه.

و قال الضحاك: كان أخاها لأبيها و أمها، و كان بنو إسرائيل يسمون أولادهم بأسماء الأنبياء كثيراً. و قوله «ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا» اى لم يكن أبواك إلا صالحين، و لم يكونا فاجرين، فكيف خالفتيهما «فَأَشارَتْ إِلَيْهِ» اى أومأت عند ذلك مريم الى عيسى (ع) أن كلموه، و استشهدوه على براءة ساحتى «فقالوا» فى جوابها «كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا» قال قوم: دخلت (كان) هاهنا زائدة و نصب (صبياً) على الحال. و انشد أبو عبيدة فى زيادة (كان):

الى كناس كان مستعدة

و قال آخر:

(۱) تفسير الطبرى ۱۶/ ۵۱ و القرطبى ۱۱/ ۱۰۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۲۳

فكيف إذا رأيت ديار قومى و جيران لنا كانوا كرام «۱»

و المعنى و ديار جيران كرام و (كانوا) فضلة، فلذلك لم تعمل. و قيل معنى (كان) صار و انشد لزهير:

أجزت اليه حرة أرجية و قد كان كون الليل مثل الارندج

اى قد صار. و قال المبرد: معنى (كان) حدث. و قال الزجاج: معناه على الشرط، و تقديره من كان فى المهد صبياً كيف نكلمه على التقديم و التأخير. و قال قتادة: المهد حجر أمه، و أصله ما وطئ للصبى. و قيل: انهم غضبوا عند اشارتها الى ذلك، و قالوا: لسخريتها بنا أشد علينا من زناها، فلما تكلم عيسى، قالوا: إن هذا الامر عظيم- ذكره السدى- فقال عيسى (ع) عند ذلك «إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتانِیَ الْكِتابَ» قال عكرمة: معناه فيما مضى «وَ جَعَلَنِی نَبِيًّا» لان اللَّه أكمل عقله و أرسله الى عباده و لذلك كانت له تلك المعجزة- فى قول الحسن و أبى على الجبائى- و قال قوم:

معناه «إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ» سيؤتينى الكتاب و يجعلنى نبياً فيما بعد، و كان ذلك معجزة لمريم على براءة ساحتها على قول من أجاز اظهار المعجزات على يد غير الأنبياء من الصالحين. و قال ابن الاخشاذ: كان ذلك إنذاراً لنبوته. و قال الجبائى معنى «وَ جَعَلَنِی نَبِيًّا» أى و جعلنى رفيعاً لان النبى هو الرفيع.

قوله تعالى:[سورة مريم (۱۹): الآيات ۳۱ الى ۳۵] ..... ص : ۱۲۳

وَ جَعَلَنِی مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِی بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا (۳۱) وَ بَرًّا بِوالِدَتِی وَ لَمْ يَجْعَلْنِی جَبَّاراً شَقِيًّا (۳۲) وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (۳۳) ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِی فِيهِ يَمْتَرُونَ (۳۴) ما كانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحانَهُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (۳۵)

(۱) قائله الفرزدق. ديوانه (دار بيروت) ۲/ ۲۹۰ و قد مر فى ۳/ ۱۵۵ من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۲۴

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ الكسائى «آتانى، و اوصانى» بالامالة. الباقون بالتفخيم، فمن أمال، فلان هذه الألف تنقلب ياء فى (أوصيت) فأمال لمكان الياء. و من لم يمل، فلمكان الألف.

و الامالة فى (آتانى) احسن من الامالة فى (أوصانى) لأن فى (أوصانى) حرفاً مستعلياً يمنع من الامالة، و مع ذلك، فهو جائز كصفى و طغى. و قرأ عاصم و ابن عامر و يعقوب «قول الحق» بالنصب على المصدر. الباقون بالرفع على أنه خبر الابتداء. و تقديره ذلك الذى تلوناه من صفته «قول الحق» و قيل هو تابع ل (عيسى) كأنه قيل كلمة الحق و روى عن عبد اللَّه انه قرأ «قول الحاقّ» بمعنى قول الحق و معناه يحق نحو العاب و العيب و الذام و الذيم.

لما حكى اللَّه تعالى عن عيسى أنه قال لقومه «إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتانِیَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِی نَبِيًّا» أخبر أنه قال «وَ جَعَلَنِی مُبارَكاً» قال مجاهد: معناه معلماً للخير أينما كنت.

و قيل نفاعاً، و البركة نماء الخير، و المبارك الذى ينمى الخير به. و التبرك طلب البركة بالشىء و أصله التبرك من البرك و هو

ثبوت الطير على الماء.

و قوله «وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ» معناه أمرنى بهما. و الوصية التقدم فى الأمر الذى يكون بعد ما وقت له، كتقدم الإنسان فى التدبير بعد خروجه، و كتقدمه فى أموره بعد موته. و الصلاة فى أصل اللغة: الدعاء، و فى الشرع عبارة عن هذه العبادة التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۲۵

التى فيها الركوع و السجود. و قيل عبارة عن عبادة افتتاحها التكبير و خاتمتها التسليم.

و قيل فى معنى الزكاة- هاهنا- قولان: أحدهما- زكاة المال. و الثاني- التطهير من الذنوب.

«ما دُمْتُ حَيًّا» أى أوصانى بذلك مدة حياتى «وَ بَرًّا بِوالِدَتِي» أى و أوصانى بأن أكون باراً بوالدتى أى محسناً إليها «وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً» أى متجبراً، لم يحكم على بالتجبر، و الشقاء، و لم يسمنى بذلك «وَ السَّلامُ عَلَيَّ» أى و الرحمة من اللَّه بالسلامة و النعمة بها على «يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا».

و قوله «ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ» أى الذى تلوناه من صفة عيسى «قَوْلَ الْحَقِّ» أى كلمة الحق «الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ» اى يشكون فيه «ما كانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ» اخبار منه تعالى بأنه لم يكن للَّه أن يتخذ من ولد على ما يقوله النصارى.

ثم قال منزها لنفسه عن ذلك «سُبْحانَهُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» اى يفعله لا يشق عليه بمنزلة ما يقال كن فيكون، و قد بينا فيما مضى و حكينا ما قال بعضهم إنّ قول (كن) عند خلق ما يريد خلقه ليعلم الملائكة أنه لا يتعذر عليه شيء يريد فعله.

و السلام مصدر سلمت سلاماً، و معناه عموم العافية و السلامة. و السلام جمع سلامة.

و السلام اسم من اسماء اللَّه و سلام يبتدأ به فى النكرة، لأنه يكثر استعماله، تقول: سلام عليكم و السلام عليكم، و أسماء الأجناس يحسن الابتداء بها، لأن فائدتها واحدة، و لما جرى ذكر (سلام) أعيد- هاهنا- بالألف و اللام ليرد على الاول.

قوله تعالى:[سورة مريم (۱۹): الآيات ۳۶ الى ۴۰] ..... ص : ۱۲۵

وَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ (۳۶) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۳۷) أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنا لكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۳۸) وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُمْ لا يُؤْمِنُونَ (۳۹) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْها وَ إِلَيْنا يُرْجَعُونَ (۴۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۲۶

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو و نافع و يعقوب إلا روحاً «و أن اللَّه» بفتح الهمزة الباقون بكسرها. من نصب الهمزة احتمل أربعة أوجه:

أحدها- إن المعنى و قضى اللَّه «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ» فى قول ابى عمرو بن العلاء و الثانى- أنه معطوف على كلام عيسى، أى و أوصانى «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ» و الثالث- قال الفراء: إنه معطوف على «ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» و ذلك «أن الله». و يكون موضعه الرفع بأنه خبر المبتدأ.

الرابع- و لان اللَّه ربى و ربكم فاعبدوه. و العامل فيه (فاعبدوه).

و من كسر (إن) استأنف الكلام. و يقوى الكسر انه روى ان أبياً قرأ «ان اللَّه» بلا واو و يجوز ان يكون عطفاً على قوله «قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ» و قوله «هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ» معناه عبادتكم للَّه وحده لا شريك له هو الصراط المستقيم الذى لا اعوجاج فيه.

و قوله «فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ» فالاختلاف فى المذهب هو ان يعتقد كل قوم خلاف ما يعتقده الآخرون. و الأحزاب جمع حزب. و الحزب الجمع المنقطع فى رأيه عن غيره، يقال تحزب القوم إذا صاروا أحزاباً. و حزب عليهم التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۲۷

الأحزاب أی جمع. و المعنی فی الآیۀ اختلف الأحزاب من أهل الکتاب فی عیسی (ع)، فقال قتادة و مجاهد قال قوم: هو اللَّه و هم الیعقوبیۀ. و قال آخرون:

هو ابن اللَّه و هم النسطوریۀ. و قال قوم: و هو ثالث ثلاثۀ و هم الاسرائیلیۀ. و قال قوم:

هو عبد اللَّه و هم المسلمون.

ثم قال تعالی «فَوَیْلٌ لِلَّذِینَ کَفَرُوا» بآیات اللَّه، و جحدوا وحدانیته من حضور یوم عظیم یعنی یوم القیامۀ.

و قوله «أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ یَوْمَ یَأْتُونَنا» معناه ما أسمعهم و ابصرهم علی وجه التعجب، و المعنی انهم حلوا فی ذلک محل من یتعجب منه، و فیه تهدد و وعید أن سیسمعون ما یصدع قلوبهم و یردون ما یهیلهم. و قال الحسن و قتادة: المعنی لأن کانوا فی الدنیا صماً عمیاً عن الحق، فما أسمعهم به، و ما أبصرهم به یوم القیامۀ «یَوْمَ یَأْتُونَنا» أی یوم یأتون المقام الذی لا یملک أحد فیه الامر و النهی غیر اللَّه. ثم قال تعالی «لکِنِ الظَّالِمُونَ» أنفسهم بارتکاب معاصیه و جحد آیاته و الکفر بأنبیائه «الیوم» یعنی فی دار الدنیا «فِی ضَلالٍ» عن الحق و عدول عنه «بعید» من الصواب. ثم قال لنبیه (ص) «وَ أَنْذِرْهُمْ» یا محمد أی خوفهم هول «یَوْمَ الْحَسْرَةِ» ای الیوم الذی یتحسر فیه الناس علی ما فرطوا فیه من طاعۀ اللَّه، و علی ما ارتکبوا من معاصیه فی الوقت الذی «قُضِیَ الْأَمْرُ» و حکم بین الخلائق بالعدل «وَ هُمْ فِی غَفْلَۀٍ» الیوم عما یفعل بهم من العقاب علی معاصیهم، و هم لا یصدقون بما یقال لهم و یخبرون به. ثم اخبر تعالی عن نفسه، فقال «إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَیْها» ای یعود إلینا التصرف فی الأرض و فیمن علیها من العقلاء، و غیرهم، لا یبقی لاحد ملک «وَ إِلَیْنا یُرْجَعُونَ» أی یردون یوم القیامۀ الی الموضع الذی لا یملک الامر و النهی غیرنا.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۲۸

قوله تعالی:[سورة مریم (۱۹): الآیات ۴۱ الی ۴۵] ..... ص : ۱۲۸

وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ إِبْراهِیمَ إِنَّهُ کانَ صِدِّیقاً نَبِیًّا (۴۱) إِذْ قالَ لِأَبِیهِ یا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا یَسْمَعُ وَ لا یُبْصِرُ وَ لا یُغْنِی عَنْکَ شَیْئاً (۴۲) یا أَبَتِ إِنِّی قَدْ جاءَنِی مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ یَأْتِکَ فَاتَّبِعْنِی أَهْدِکَ صِراطاً سَوِیًّا (۴۳) یا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّیْطانَ إِنَّ الشَّیْطانَ کانَ لِلرَّحْمنِ عَصِیًّا (۴۴) یا أَبَتِ إِنِّی أَخافُ أَنْ یَمَسَّکَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَکُونَ لِلشَّیْطانِ وَلِیًّا (۴۵)

خمس آیات فی الکوفی و البصری، و ست آیات فی المدنیین عدّوا «فِی الْکِتابِ إِبْراهِیمَ» آیۀ.

امر اللَّه تعالی نبیه (ص) أن یذکر ابراهیم فی الکتاب الذی هو القرآن، و سماه کتاباً، لأنه مما یکتب. و المعنی اقصص علیهم أو اتل علیهم. و کذلک فیما بعد. ثم قال «انه» یعنی ابراهیم «کانَ صِدِّیقاً نَبِیًّا» و الصدیق هو الکثیر التصدیق بالحق حتی صار علماً فیه. و کل نبی صدیق لکثرة الحق الذی یصدق فیه مما هو علم فیه و امام یقتدی به، من توحید اللَّه و عدله، حین «قالَ لِأَبِیهِ یا أَبَتِ»

و الأصل یا ابتی، فحذف یاء الاضافۀ و بقیت کسرة التاء تدل علیها. و قیل ان التاء دخلت للمبالغۀ فی تحقیق الاضافۀ، کما دخلت فی (علامۀ، و نسابۀ) للمبالغۀ فی الصفۀ. و مثله یا أمت. و الوقف بالتاء لهذه العلۀ. و أجاز الزجاج الوقف بالهاء. و قیل ان التاء عوض من یاء الاضافۀ.

و قوله «لِمَ تَعْبُدُ ما لا یَسْمَعُ وَ لا یُبْصِرُ وَ لا یُغْنِی عَنْکَ شَیْئاً»

من امور الدنیا التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۲۹

و إنما هو حجر منقور، او صنم معمول «یا أَبَتِ إِنِّی قَدْ جاءَنِی مِنَ الْعِلْمِ» بمعرفۀ اللَّه و توحیده و وجوب اخلاص العبادة له، و قبح الاشراک «ما لَمْ یَأْتِکَ فَاتَّبِعْنِی» علی ذلک و اقتد بی «أَهْدِکَ صِراطاً سَوِیًّا» معتدلا غیر جائر بک عن الحق الی الضلال «یا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّیْطانَ إِنَّ الشَّیْطانَ کانَ لِلرَّحْمنِ عَصِیًّا» ای عاصیاً (فعل) بمعنی فاعل.

«یا أَبَتِ إِنِّی أَخافُ أَنْ یَمَسَّکَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ» قال الفراء: أخاف بمعنی أعلم- هاهنا- و مثله «فَخَشِینا أَنْ یُرْهِقَهُما» «۱» أی علمنا

«أَنْ يَمَسَّكَ» أي يلحقك عذاب من اللَّه على إشراكك معه فى العبادة غيره. و متى فعلت ذلك كنت ولياً للشيطان و ناصراً و مساعداً، و نصب «فتكون» عطفاً على (ان يمسك). و قيل: إن معناه أنه يلزمك ولاية الشيطان لعبادتك له ذمّاً لك و تقريعاً، إذا ظهر عقاب اللَّه لك، و سخطه عليك. و قيل: فتكون موكولا الى الشيطان، و هو لا يغنى عنك شيئاً. و قال قوم: هذه المخاطبة من ابراهيم كان لأبيه الذى هو والده. و الذى يقوله أصحابنا انه كان جده لأمه، لأن آباء النبى (ص) كلهم كانوا مسلمين الى آدم، و لم يكن فيهم من يعبد غير اللَّه تعالى،

لقوله (ص) (لم يزل الله ينقلنى من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات)

و الكافر لا يوصف بالطهارة، لقوله تعالى «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ» «۲» قالوا و أبوه الذى ولده كان اسمه تارخ، و هذا الخطاب منه كان لآزر

قوله تعالى:[سورة مريم (۱۹): الآيات ۴۶ الى ۵۰] ..... ص : ۱۲۹

قالَ أ راغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إِبْراهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا (۴۶) قالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كانَ بِي حَفِيًّا (۴۷) وَ أَعْتَزِلُكُمْ وَ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ أَدْعُوا رَبِّي عَسى أَلَّا أَكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي شَقِيًّا (۴۸) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَ ما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ كُلًّا جَعَلْنا نَبِيًّا (۴۹) وَ وَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا وَ جَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (۵۰)

---

(۱) سورة ۱۸ الكهف آية ۸۱

(۲) سورة ۹ التوبة آية ۲۹ (ج ۷ م ۱۷ من التبيان)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۳۰

خمس آيات بلا خلاف.

لما حكى اللَّه تعالى ما قال ابراهيم لأبيه، و توبيخه له على عبادة الأصنام، و تقريعه إياه على ذلك، حكى فى هذه الآيات ما أجاب به أبوه، فانه قال له يا ابراهيم «أ راغب أنت عن آلهتى» و معناه أ زاهد فى عبادة آلهتى، و الرغبة اجتلاب الشىء لما فيه من المنفعة و الرغبة فيه نقيض الرغبة عنه. و الترغيب الدعاء الى الرغبة فى الشىء. ثم قال له مهدداً «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ» أى لم تمتنع من ذلك، يقال نهاه فانتهى. و أصله النهاية، فالنهى زجر عن الخروج عن النهاية المذكورة. و التناهى بلوغ نهاية الحد. و قوله «لأرجمنك» قال الحسن: معناه لأرمينّك بالحجارة حتى تباعد عنى. و قال السدى و ابن جريج و الضحاك: معناه لأرمينك بالذم و العيب. و قوله «وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا» قيل فى معناه قولان:

قال الحسن و مجاهد «ملياً» دهراً [قال الفراء: و يقال: كنت عنده ملوة و ملوة و ملوة- بتثليث الميم- و ملاوة بالفتح و ملاوة بالضم أى «۱» دهراً ملاوة، و كله من طول المقام

---

(۱) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۳۱

و به قال سعيد بن جبير و السدى، و هو بمعنى الملاوة من الزمان و هو الطويل منه.

و الثانى- قال ابن عباس و قتادة و عطية و الضحاك: معنى «مليا» سوياً سليماً من عقوبتى، و هو من قولهم: فلان ملىّ بهذا الأمر إذا كان كامل الأمر فيه مضطلعاً به، فقال له ابراهيم «سَلامٌ عَلَيْكَ» أى سلامة عليك، أى إكرام و بر بحق الأبوة و شكر التربية. و قال ذلك على وضع التواضع له و لين الجانب لموضعه «سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي» قال قوم: انما وعده بالاستغفار على مقتضى العقل، و لم يكن قد استقر

بعد قبح الاستغفار للمشرکین. و قال قوم: معناه سأستغفر لک إذا ترکت عبادة الأوثان و أخلصت العبادة للَّه تعالی. و معنی قوله «إِنَّهُ کانَ بِی حَفِیًّا» إن اللَّه کان عالماً بی لطیفاً، و الخفی اللطیف بعموم النعمة، یقال: تحفنی فلان إذا اکرمنی و ألطفنی، و حفی فلان بفلان حفاوة إذا ابره و ألطفه. و الحفی أذی یلحق باطن القدم للطفه عن المشی بغیر نعل ثم قال «وَ أَعْتَزِلُکُمْ» أی أتنحی عنکم جانباً، و اعتزل عبادة «ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. وَ أَدْعُوا رَبِّی» وحده (عَسی أَلَّا أَکُونَ بِدُعاءِ رَبِّی شَقِیًّا).

و قوله (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَ ما یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) قیل انه اعتزلهم بأن خرج الی ناحیة الشام (وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ کُلًّا جَعَلْنا نَبِیًّا) أی لما اعتزلهم آنسنا وحشته بأولاد کرام علی اللَّه رسل للَّه، و جعلناهم کلهم أنبیاء معظمین (وَ وَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا) أی من نعمتنا (وَ جَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِیًّا) قال ابن عباس و الحسن:

معناه الثناء الجمیل الحسن من جمیع أهل الملل، لان أهل الملل علی اختلافهم یحسنون الثناء علیهم، و تقول العرب: جاءنی لسان من فلان تعنی مدحه أو ذمه قال عامر ابن الحارث:

انی اتتنی لسان لا أسر بها من علو لا عجب منها و لا سخر

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۳۲

جاءت مرجّمة قد کنت احذرها لو کان ینفعنی الإشفاق و الحذر «۱»

و قیل: معناه انا جعلناهم رسل الله یصدقون علیه أعالی الصفات.

قوله تعالی:[سورة مریم (۱۹): الآیات ۵۱ الی ۵۵] ..... ص : ۱۳۲

وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ مُوسی إِنَّهُ کانَ مُخْلَصاً وَ کانَ رَسُولاً نَبِیًّا (۵۱) وَ نادَیْناهُ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَیْمَنِ وَ قَرَّبْناهُ نَجِیًّا (۵۲) وَ وَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبِیًّا (۵۳) وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ إِسْماعِیلَ إِنَّهُ کانَ صادِقَ الْوَعْدِ وَ کانَ رَسُولاً نَبِیًّا (۵۴) وَ کانَ یَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَ الزَّکاةِ وَ کانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِیًّا (۵۵)

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ اهل الکوفة إلا أبا بکر (مخلصاً)- بفتح اللام- بمعنی أخلصه اللَّه للنبوة.

الباقون- بالکسر- بمعنی أخلص هو العبادة للَّه.

یقول اللَّه تعالی لنبیه محمد (ص) (و اذکر) موسی (فی الکتاب) الذی هو القرآن. و سماه کتاباً لما ذکرناه: أنه یکتب. و اخبر أن موسی کان مخلصاً بطاعاته وجه اللَّه تعالی دون ریاء الناس، و انه لم یشرک فی عبادته سواه. و من فتح اللام أراد ان اللَّه أخلصه لطاعته بمعنی أنه لطف له ما اختار عنده اخلاص الطاعة. و انه لم یشب ذلک بمعصیته له، و أنه مع ذلک کان رسولا للَّه تعالی الی خلقه، قد حمله رسالة یؤدیها الیهم (وَ کانَ رَسُولًا نَبِیًّا) و هو العلی برسالة اللَّه الی خلقه، و بما نصب له من المعجزة الدالة

---

(۱) تفسیر الطبری ۱۶/ ۶۲ و هو فی مجمع البیان ۳/ ۵۱۶

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۳۳

علی تعظیمه و تبجیله، و عظم منزلته. و هو مأخوذ من النبأ، و هو الخبر بالأمر العظیم.

ثم اخبر اللَّه تعالی انه ناداه (مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَیْمَنِ) فانه قال له (إِنِّی أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ) و الطور جبل بالشام ناداه من ناحیته الیمنی، و هو یمین موسی (ع).

و قوله (وَ قَرَّبْناهُ نَجِیًّا) معناه قربناه من الموضع الذی شرفناه و عظمناه بالحصول فیه لیسمع کلامه تعالی. و قال ابن عباس و مجاهد.

قرب من اهل الحجب حتی سمع صریف القلم. و قیل معناه إن محله منا محل من قربه مولاه من مجلس کرامته. و قیل قربه حتی سمع

صرير القلم الـذى كتب به التوراة. و قوله (نجيا) معنـاه انه اختصه بكلامـه بحيث لم يسـمع غيره، يقال: ناجاه يناجيه مناجاة إذا اختصـه بإلقـاء كلامه اليه. و اصل النجوة الارتفاع عن الهلكـة، و منه النجاة ايضاً، و النجاء السرعة، لأنه ارتفاع فى السـير، و منه المناجاة. و قال الحسن: لم يبلغ موسـى (ع) من الكلامـ الـذى ناجاه شـيئاً قط. ثم اخبر تعالى انه وهب له من رحمته و نعمته عليه أخاه هارون نبياً، شـد أزره كما سأله.

ثم قال لنبيه محمد (ص) (وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ) الذى هو القرآن أيضاً (إسـماعيل) ابن ابراهيم و أخبر (إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ) بمعنى إذا وعد بشيء و فى به، و لم يخلف (و كان) مع ذلك (رسولا) من قبل اللَّه الى خلقه (نبياً) معظماً بالاعلام المعجزة. و أنه «كانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَ الزَّكـاةِ» قـال الحسن: أراد بـأهله أمته، و المفهوم من الأهـل فى الظـاهر اقرب أقـاربه. و «كان» مع هـذه الأوصاف «عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا» قد رضى اعماله لأنها كلها طاعات لم يكن فيها قبائح.

و انمـا أراد بـذلك أفعاله الواجبات و المنـدوبات دون المباحات، لان المباحات لا يرضاها الله و لا يسـخطها. و اصل (مرضـى) مرضـو فقلبت الضمة كسرة و الواو ياء و أدغمت فى الياء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ١٣٤

قوله تعالى:[سورة مريم (١٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ..... ص : ١٣٤

وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا (٥٦) وَ رَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيًّا (٥٧) أُولئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْراهِيمَ وَ إِسْرائِيلَ وَ مِمَّنْ هَدَيْنا وَ اجْتَبَيْنا إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَ بُكِيًّا (٥٨) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لا يُظْلَمُونَ شَيْئاً (٦٠)

خمس آيات.

يقول اللَّه تعـالى لنبيه محمـد (ص) «اذْكُرْ فِي الْكِتـابِ» الـذى هو القرآن «إدريس» و اخبر انه كـان كثير التصـديق بـالحق، و كان «نبياً» معظماً مبجلا مؤيداً بالمعجزات الباهرة. ثم أخبر تعالى أنه رفعه مكاناً علياً. قال انس بن مالك:

رفعه اللَّه الى السماء الرابعة. و روى ذلك عن النبى (ص)

و به قال كعب و مجاهد، و ابو سعيد الخدرى. و قال ابن عباس و الضحاك: رفعه اللَّه الى السماء السادسة.

و اصـل الرفع جعل الشـىء فى جهـة العلو، و هى نفيض السـفل، يقال: رفعه يرفعه رفعاً، فهو رافع و ذاك مرفوع. و العلى العظيم العلوّ و العالى العظيم فيما يقدر به على الأمور، فلذلك وصف تعالى بأنه على. و الفرق بين العلىّ و الرفيع أن العلى قد يكون بمعنى الاقتدار و علو المكان. و (الرفيع) من رفع المكان لا غير. و لذلك التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ١٣٥

لاـ يوصف تعالى بأنه رفيع. و قوله «رَفِيعُ الـدَّرَجاتِ» «١» انما وصف الـدرجات بأنها رفيعـة. و انما أخذ من علو معنى الصـفة بالاقتدار، لأنها بمنزلة العالى المكان.

ثم اخبر تعالى عن الأنبياء الـذين تقـدم وصـفهم فقال «أُولئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ» فان حملنا (من) على التبعيض لم تدل على أن من عـداهم لم ينعم عليهم، بل لا يمتنع أن يكون انما افردهم بأنه أنعم عليهم نعمـة مخصوصـة عظيمة رفيعة، و إن كان غيرهم ايضاً قـد أنعم عليهم بنعمة دونها. و إن حملنا (من) على انها لتبيين الصـفة لم يكن فيه شـبهة، لأن معنى الآية يكون أولئك الذين أنعم اللَّه عليهم من جملة النبيين.

و قوله «مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ» [لان اللَّه تعالى بعث رسـلا ليسوا من ذريـة آدم بل هم من الملائكة كما قال «يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ» «٢» و قوله «وَ مِمَّنْ حَمَلْنا» فى السـفينة «مَعَ نُوحٍ» أى أبوهم نوح و هو من ذرية آدم كما قال «٣» «وَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْراهِيمَ وَ إِسْرائِيلَ»

يعنى يعقوب «وَ مِمَّنْ هَدَيْنا» هم الى الطاعات فاهتدوا اليها و اجتبيناهم اى اخترناهم و اصطفيناهم «إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ» اى أعلامه و أدلته «خَرُّوا سُجَّداً وَ بُكِيًّا» أى سجدوا له تعالى و بكوا، و بكى جمع باك و نصبهما على الحال، و تقديره: خروا ساجدين باكين. و بكى (فعول) و يجوز ان يكون جمع باك على (فعول). و يجوز ان يكون مصدراً بمعنى البكاء. قال الزجاج: لا يجوز النصب على المصدر، لأنه عطف على قوله «سجداً». و إنما فرق ذكر نسبهم، و كلهم لآدم، ليبين مراتبهم فى شرف النسب، فكان لإدريس شرف القرب من آدم، لأنه جدّ نوح.

و كان ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح، لأنه من ولد سام بن نوح. و كان إسماعيل

---

(١) سورة ٤٠ المؤمن آية ١٥

(٢) سورة ٢٢ الحج آية ٧٥ [.....]

(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ١٣٦

و إسحاق و يعقوب من ذرية ابراهيم، لما تباعدوا من آدم حصل لهم شرف ابراهيم، و كان موسى و هارون و زكريا و يحيى و عيسى من ذرية إسرائيل، لأن مريم من ذريته و قيل انما وصف اللَّه صفة هؤلاء الأنبياء ليقتد بهم و يتبع اثارهم فى اعمال الخير ثم اخبر تعالى انه خلف من بعد المذكورين خلف، و الخلف- بفتح اللام- يستعمل فى الصالحين، و بتسكين اللام فى الطالح قال لبيد:

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم و بقيت فى خلف كجلد الأجرب «١»

و قال الفراء و الزجاج: يستعمل كل واحد منهما فى الآخر.

و فى الآية دلالة على أن المراد بالخلف من لم يكن صالحاً، لأنه قال «أَضاعُوا الصَّلاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَواتِ» و قال القرطى تركوها. و قال ابن مسعود و عمر بن عبد العزيز: أخروها عن مواقيتها. و هو الذى رواه أصحابنا. و قال قوم خلف- بفتح اللام- إذا خلف من كان من أهله- و بسكون اللام- إذا كان من غير أهله.

ثم قال تعالى «فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا» و الغى الشر و الخيبة- فى قول ابن عباس و ابن زيد- قال الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغى لائما «٢»

اى من يخب. و قال عبد اللَّه بن مسعود: الغى واد فى جهنم. و قيل معناه يلقون مجازاة غيهم. ثم استثنى من جملتهم من يتوب فيما بعد و يرجع الى اللَّه و يؤمن به و يصدق أنبياءه، و يعمل الاعمال الصالحة من الواجبات و المندوبات، و يترك القبائح فان «فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» من ضم الياء أراد أن الله يدخلهم الجنة بأن يأمرهم بدخولها، فضم لقوله «وَ لا يُظْلَمُونَ» ليتطابق اللفظان. و من فتح الياء أراد أنهم

---

(١) مر تخريجه فى ٥/ ٢٥ من هذا الكتاب

(٢) مر هذا البيت فى ٢/ ٣١٢، ٤/ ٣٩١، ٥/ ٥٤٨ /٦ ٣٣٦

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ١٣٧

يدخلون بأمر الله. و المعنيان واحد. و قوله «وَ لا يُظْلَمُونَ شَيْئاً» معناه لا يبخسون شيئاً من ثوابهم بل يوفر عليهم على التمام و الوفاء.

قوله تعالى:[سورة مريم (١٩): الآيات ٦١ الى ٦٥] ..... ص : ١٣٧

جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمنُ عِبادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلاَّ سَلاماً وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَ عَشِيًّا

(۶۲) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا (۶۳) وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَ ما خَلْفَنا وَ ما بَيْنَ ذلِكَ وَ ما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (۶۴) رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما فَاعْبُدْهُ وَ اصْطَبِرْ لِعِبادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (۶۵)

خمس آيات بلا خلاف.

«جنات» فى موضع نصب بدلا من قوله «الجنة» فى قوله «يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» و كان يجوز الرفع بتقدير هى جنات. و الجنة البستان الذى يجنه الشجر، فإذا لم يكن فى البستان شجر، و يكون من خضرة، فهو روضة، و لا يسمى جنة. و انما قيل «جنات» على لفظ الجمع، لان كل واحد من المؤمنين له جنة تجمعها الجنة العظمى.

و العدن الاقامة يقال: عدن بالمكان يعدن عدناً إذا أقام به. و الاقامة كون بالمكان على مرور الازمان. و الوعد الاخبار بما يتضمن فعل الخير، و نقيضه الوعيد، و هو الاخبار عن فعل الشر. و قد يقال: وعدته بالشر، و وعدته بالخير، و أوعدته بالشر. و أوعدته (ج ۷ م ۱۸ من التبيان) التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۳۸

لا- يكون إلا- فى الشر، و المراد بالوعد- هاهنا- الموعود. و معنى مأتيا مفعولا. و يجوز فى مثل هذا (آتياً) و (مأتياً) لأن ما أتيته، فقد أتاك و ما أتاك فقد أتيته، كما يقال أتيت على خمسين سنة و أتت علىّ خمسون سنة. و قيل معناه إنه كقولك أتيت خير فلان و أتانى خير فلان.

و قوله «بِالْغَيْبِ» معناه أن الجنة التى وعدهم بها ليست حاضرة عندهم بل هى غائبة. و قوله «لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً» معناه لا يسمعون فى تلك الجنة القول الذى لا معنى له يستفاد، و هو اللغو. و قد يكون اللغو الهذر من الكلام. و اللغو، و اللغا بمعنى واحد قال الشاعر:

عن اللغا و رفث التكلم «۱»

و قوله «إِلَّا سَلاماً» يعنى لكن سلاماً و تحية من بعضهم لبعض، قال ابو عبيدة:

تقديره لا يسمعون فيها لغواً إلا انهم يسمعون سلاماً. و قال الزجاج: المعنى لا يسمعون كلاماً يؤثمهم إلا كلاماً يسلمهم، فيكون استثناء منقطعاً.

و قوله «وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَ عَشِيًّا» قيل معناه فى مقدار اليوم من أيام الدنيا، فذكر (الغداة و العشى) ليدل على المقدار، لأنه ليس فى الجنة ليل، و لا نهار.

و قيل: انما ذكر ذلك، لأن اسلم الأكلات اكلة الغداة و العشى، فهو اسلم من الأكل دائماً أىّ وقت وجده، أو تكون أكلته واحدة.

و قوله «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا» معناه انما نملك تلك الجنة من كان تقياً فى دار الدنيا بترك المعاصى، و فعل الطاعات. و انما قال «نورث» مع انه ليس بتمليك نقل من غيرهم اليهم، لأنه مشبه بالميراث من جهة أنه تمليك بحال استؤنفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا. كما ينقضى حال الميت من أمر الدنيا.

---

(۱) مر تخريجه فى ۲/ ۱۳۲، ۱۶۴، ۲۳۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۳۹

و قيل: انه أورثهم من الجنة المساكن التى كانت لأهل النار لو أطاعوا.

و قوله «وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ» قيل فى معناه

أن النبى (ص) استبطأ جبرائيل (ع) فقال (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا) فأتاه بهذا الجواب وحياً من اللَّه بأنا لا نتنزل إلا بأمر اللَّه،

و هو قول ابن عباس و الربيع و قتادة و الضحاك و مجاهد و ابراهيم.

و قوله «لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَ ما خَلْفَنا وَ ما بَيْنَ ذلِكَ» قال ابن عباس و الربيع و قتادة و الضحاك و أبو العالية: له ما بين أيدينا: الدنيا، و ما

خلفنا: الآخرة، و ما بين ذلك: ما بين النفختين.

و قوله «وَ ما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا» أى ليس اللَّه تعالى ممن ينسى و يخرج عن كونه عالماً، لأنه عالم لنفسه، و تقديره- هاهنا- و ما نسيك و إن أخر الوحى عنك.

و قوله «رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» معناه إن الله تعالى هو المالك المتصرف فى السموات و الأرض، ليس لأحد منعه منه «وَ ما بَيْنَهُما» يعنى و له ما بين السموات و الأرض.

ثم قال لنبيه (ص) «فَاعْبُدْهُ» وحده لا شريك له «وَ اصْطَبِرْ لِعِبادَتِهِ» أى اصبر على تحمل مشقة عبادته، و قال لنبيه (ص) «هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا» أى مثلا و شبهاً. و هو قول ابن عباس و مجاهد و ابن جريج. و قيل المعنى انه لا يستحق احد ان يسمى إلهاً إلا هو. و من أدغم اللام فى التاء، فلان مخرج اللام قريب من مخرج التاء. و قال ابو على: ادغام اللام فى الطاء و الدال و التاء و الصاد و الزاى و السين جائز لقرب مخرج بعضها من بعض.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۴۰

قوله تعالى:[سورة مريم (۱۹): الآيات ۶۶ الى ۷۰] ..... ص : ۱۴۰

وَ يَقُولُ الْإِنْسانُ أَ إِذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (۶۶) أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً (۶۷) فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّياطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (۶۸) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمنِ عِتِيًّا (۶۹) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلى بِها صِلِيًّا (۷۰)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ نافع و ابن عامر و عاصم «أولا يذكر» خفيفاً. الباقون بالتشديد. من شدد:

أراد أولا يتذكر، فأدغم التاء فى الذال لقرب مخرجيهما. و من خفف، فلقوله «فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ» «۱» و الخفيفة دون ذلك فى الكثرة فى هذا المعنى. هذا حكاية من اللَّه تعالى عن قول من ينكر البعث و النشور من الكفار، و هم المعنيون بقوله «أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ» بأنهم يقولون على وجه الإنكار و الاستبعاد: أ إذا متنا يخرجنا اللَّه احياء و يعيدنا كما كنا؟! فقال اللَّه تعالى منبها على دليل ذلك «أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ».

من شدد أراد أ و لا يتفكر، و من خفف أراد او لا يعلم «أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ» هذا «وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً» موجوداً، فمن قدر على أن يخلق و يوجد ما ليس بشيء، فيجعله شيئاً موجوداً، فهو على إعادته بعد عدمه الى الحالة الاولى أقدر.

ثم اقسم تعالى فقال «فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ» أى لنبعثنهم من قبورهم مقرنين

---

(۱) سورة ۷۴ المدثر آية ۵۵ و سورة ۸۰ عبس آية ۱۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۴۱

بأوليائهم من الشياطين. و يحتمل (الشياطين) أن يكون نصباً من وجهين:

أحدهما- ان يكون مفعولا به بمعنى و نحشر الشياطين.

الثانى- ان يكون مفعولا معه بمعنى لنحشرنهم مع الشياطين «ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا» جمع جاثى و هو الذى برك على ركبتيه.

و قوله «ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمنِ عِتِيًّا» يعنى تمرداً أى نبدأ بالأكبر جرماً فالأكبر، فى قول أبى الأحوص، و مجاهد. و الشيعة هم الجماعة المتعاونون على أمر واحد من الأمور، و منه تشايع القوم إذا تعاونوا، و يقال للشجاع: شيع أى معان، و فى رفع (أيهم) ثلاثة أقوال:

أولها الحكاية على تقدير، فيقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا؟ فليخرج.

الثانى- انه مبنى على الضم، و معناه الذى هو أشد على الرحمن عتيا، إلا أنه مبنى لما حذف منه (هو). و اطرد الحذف به فصار كبعض الاسم. فالأول قول الخليل.

و الثانى مذهب سيبويه.

و الثالث- أن يكون (لننزعن) معلقة كتعليق علمت أيهم فى الدار، و هو قول يونس. و أجاز سيبويه النصب على أن يكون (أى) بمعنى الذى. و ذكر انها قراءة هارون الأعرج.

و قوله «وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً» أى لم يكن شيئاً موجوداً كائناً. ثم أخبر تعالى أنه اعلم بالذين عملوا المعاصى و ارتكبوا الكفر و الكبائر، و الذين هم اولى بالنار صلياً، لا يخفى عليه خافية.

قوله تعالى:[سورة مريم (۱۹): الآيات ۷۱ الى ۷۵] ..... ص : ۱۴۱

وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا (۷۱) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا (۷۲) وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا (۷۳) وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثاً وَ رِءْياً (۷۴) قُلْ مَنْ كانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا حَتَّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذابَ وَ إِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضْعَفُ جُنْداً (۷۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۴۲

خمس آيات.

قرأ نافع و ابن عامر «و ريا» بغير همز. الباقون بهمز، من همز فمعناه المنظر الحسن (فعيل) من الرؤية، و من لم يهمز احتمل أن يكون خفف الهمزة كما قالوا فى البريئة برية و يحتمل أن يكون مأخوذاً من الرى، و هو امتلاء الشباب و النظارة، أى ترى الرى فى وجوههم.

و قرأ سعيد بن جبير «و ريا» جعله من الرى و قرئ بالزاى، و معناه ما يتزيا به.

و قرأ ابن كثير «مقاماً»- بضم الميم- الباقون بفتحها. فالمقام- بضم الميم- مصدر الاقامة. و بفتحها المكان، كقوله «مَقامُ إِبْراهِيمَ» «۱» و قرأ يعقوب الحضرمى و عاصم و الجحدرى و ابن أبى ليلى و ابن عباس «ثم ننجى» بفتح الثاء بمعنى هناك ننجى المتقين. و الباقون (ثم) بضم التاء حرف عطف.

يقول اللَّه تعالى للمكلفين انه ليس منكم أحد إلا و هو يرد جهنم، فان الكناية فى قوله «إِلَّا وارِدُها» راجعة الى جهنم بلا خلاف، إلا قول مجاهد، فانه قال: هى كناية عن الحمى و الأمراض. و روى فى ذلك خبراً عن النبى (ص) عن أبى هريرة. و قال قوم: هو كناية عن القيامة. و أقوى الأقوال الأول، لقوله تعالى «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا» يعنى فى جهنم.

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۹۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۴۳

و اختلفوا فى كيفية ورودهم اليها، فقال قوم- و هو الصحيح-: إن ورودهم هو وصولهم اليها و اشرافهم عليها من غير دخول منهم فيها، لأن الورود فى اللغة هو الوصول الى المكان. و أصله ورود الماء، و هو خلاف الصدور عنه. و يقال: ورد الخبر بكذا، تشبيها بذلك. و يدل على أن الورود هو الوصول الى الشىء من غير دخول فيه قوله تعالى «وَ لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ» و أراد وصل اليه. و قال زهير:

فلما وردن الماء زرقاً جمامه وضعن عصيّ الحاضر المتخيم «۱»

و قال قتادة و عبد اللَّه بن مسعود: ورودهم اليها، هو ممرهم عليها. و قال عكرمة يردها الكافر دون المؤمن، فخص الآية بالكافرين. و

قال قوم شذاذ: ورودهم إليها: دخولهم فيها و لو تحلة القسم. روى ذلك عن ابن عباس و كان من دعائه: اللهم أزحنى من النار سالماً و ادخلنى الجنة غانماً. و هذا الوجه بعيد، لان اللّه قال «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ» «۲» فبين تعالى أن من سبقت له الحسنى من اللّه يكون بعيداً من النار، فكيف يكون مبعداً منها مع أنه يدخلها. و ذلك متناقض، فإذاً المعنى بورودهم أشرافهم عليها، و وصولهم اليها.

و قوله «كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا» معناه إن ورودهم الى جهنم على ما فسرناه حتم من اللّه و قضاء قضاه لا بد من كونه. و الحتم القطع بالأمر، و ذلك حتم من الله قاطع. و الحتم و الجزم و القطع بالأمر معناه واحد. و المقضى الذى قضى بأنه يكون.

ثم قال تعالى «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا» معاصى الله و فعلوا طاعاته من دخول النار «وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ» أى ندعهم فيها و نقرهم على حالهم «جثياً» باركين على ركبهم «فى جهنم». ثم قال «وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ» اى إذا قرئت على المشركين

---

(۱) هو زهير ابن أبى سلمى. ديوانه (دار بيروت): ۷۸

(۲) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۱۰۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۴۴

أدلة الله الظاهرة و حججه الواضحة «قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بوحدانيته و جحدوا أنبياءه للذين صدقوا بذلك مستفهمين لهم و غرضهم الإنكار عليهم «أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً» أى منزل اقامة فى الجنة او فى النار «وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا» اى مجلساً و قيل معناه أوسع مجلسا و احسن نديا، فالندى المجلس الذى قد اجتمع فيه أهله، يقال: ندوت القوم اندوهم ندواً إذا جمعتهم فى مجلس. و فلان فى ندى قومه و ناديهم بمعنى واحد و أصله مجلس الندى و هو الكرم، و قال حاتم:

و دعوت فى اولى الندىّ و لم ينظر إلىّ بأعين خزر «۱»

و المراد بالفريقين فريق المشركين و فريق المؤمنين، فيفتخرون على المؤمنين بكثرة نعمهم و حسن أحوالهم و حال مجلسهم، فقال الله تعالى «وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثاً وَ رِءْياً» و الأثاث المتاع و الرئى المنظر، و هو قول ابن عباس.

و قال ابن الأحمر: واحد الأثاث اثاثة كحمام و حمامة. و قال الفراء: لا واحد له، و يجمع آثة و أثث. و يجوز فى «رئيا» ثلاثة أوجه فى العربية: رئيا بالهمز قبل الياء، و ريئا بياء قبل الهمزة و هو على قولهم راءنى على وزن راعنى، و ريا بترك الهمزة- فى قول الزجاج- و يجوز أن يكون من الزاى انشد لابن دريد:

اهاجتك الضغائن يوم بانوا بذى الزى الجميل من الأثاث «۲»

ثم قال تعالى لنبيه (ص) «قُلْ» يا محمد «مَنْ كانَ فِي الضَّلالَةِ» عن الحق و العدول عن اتباعه «فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا» أى يمدهم و يحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة، كما قال «وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ» «۳» و انما ذكر بلفظ الامر ليكون

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۶/ ۷۷ و اللسان (خزر)

(۲) القرطبى ۱۱/ ۱۴۳ و الشوكانى ۳/ ۳۳۶ و قد نسبوه الى (محمد بن نمير الثقفى) و روايته (اشاقتك) و يمكن أن يكون هذا غير ذاك

. (۳) سورة ۲ البقرة آية ۱۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۴۵

آكد كأنه ألزم نفسه إلزاماً كما يقول القائل: آمر نفسى، و يقول من زارنى فلأكرمه، فيكون الزم من قوله أكرمه. و يجوز أن يكون أراد «فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا» فى عذابهم فى النار، كما قال «وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدًّا» «۱» و قوله «حَتَّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ» أى

شاهدوا ما وعدهم اللَّه به «إما العذاب» و العقوبة على المعاصـى «و إما» القيامة و المجازاة لكل أحد على ما يستحقه «فسيعلمون» حينئذ و يتحققـون «مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضْعَفُ جُنْداً» آلكفار أم المؤمنين. و في ذلك غاية التهديد فى كونهم على ما هم عليه. و قيل العذاب- هاهنا- المراد به ما وعد المؤمنون به من نصرهم على الكفار فيعذبونهم قتلا و اسراً، فسيعلمون بالنصر و القتل انهم أضعف جنداً من جند النبي و المسلمين، و يعلمون بمكانهم من جهنم و مكان المؤمنين من الجنة، من هو شر مكاناً.

قوله تعالى:[سورة مريم (١٩): الآيات ٧٦ الى ٨٠] ..... ص : ١٤٥

وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً وَ الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَ خَيْرٌ مَرَدًّا (٧٦) أَ فَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآياتِنا وَ قالَ لَأُوتَيَنَّ مالاً وَ وَلَداً (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً (٧٨) كَلَّا سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدًّا (٧٩) وَ نَرِثُهُ ما يَقُولُ وَ يَأْتِينا فَرْداً (٨٠)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى انه «يزيد الذين اهتدوا» الى طاعة اللَّه و اجتناب معاصيه

(١) سورة ١٩ مريم آية ٨٠ (ج ٧ م ١٩ من التبيان)

«هدى» و وجه الزيادة لهم فيه ان يفعل بهم الألطاف التي يستكثرون عندها الطاعات بما يبينه لهم من وجه الدلالات و الأمور التي تدعو الى أفعال الخيرات.

و قيل: زيادة الهدى هو بايمانهم بالناسخ و المنسوخ. و اخبر تعالى أن «الباقيات الصالحات» و هي فعل جميع الطاعات و اجتناب جميع المعاصي. و قيل: هو قول: سبحان اللَّه و الحمد للَّه و لا إله إلا اللَّه و اللَّه اكبر و للَّه الحمد، و

روى عن أبي عبد اللَّه (ع) أن الباقيات الصالحات القيام آخر الليل لصلاة الليل و الدعاء في الاسحار.

و سميت باقيات بمعنى أن منافعها تبقى و تنفع أهلها في الدنيا و الآخرة، بخلاف ما نفعه مقصور على الدنيا فقط. و قوله «خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً» أي أكثر ثواباً من غيرها. و قيل معناه خير ثواباً من مقامات الكفار التي لها عندهم الافتخار. و قيل: خير من اعمال الكفار على تقدير: إن كان فيها خير. و قوله «وَ خَيْرٌ مَرَدًّا» أي خير نعيماً ترده الباقيات الصالحات على صاحبه، كأنه ذاهب عنه لفقده له، فترده عليه حتى يجده في نفسه.

و قوله «أَ فَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآياتِنا، وَ قالَ لَأُوتَيَنَّ مالًا وَ وَلَداً» قيل: نزلت في العاص بن وائل السهمي- في قول ابن عباس، و خباب ابن الأرت، و مجاهد- و قال الحسن: نزلت في الوليد بن المغيرة، فانه قال- استهزاء- لأوتين مالا و ولداً في الجنة، ذكره الكلبي. و قيل أراد في الدنيا، يعني إن أقمت على دين آبائي و عبادة آلهتي «لَأُوتَيَنَّ مالًا وَ وَلَداً».

و قرأ حمزة و الكسائي «و ولداً» بضم الواو. الباقون بفتحها. و قيل في ذلك قولان:

أحدهما- انهما لغتان كالعدم و العدم، و الحزن و الحزن، قال الشاعر:

فليت فلاناً كان في بطن أمّه و ليت فلاناً كان ولد حمار «١»

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٨١ و القرطبي ١١/ ١٤٦، ١٥٥ و تفسير الشوكاني ٣/ ٣٣٧

و قال الحارث بن حلزة:

و لقد رأيت معاشراً قد ثمروا مالا و ولدا «۱»

و قال رؤبة:

الحمد للّه العزيز فردا لم يتخذ من ولد شيء ولدا «۲»

و الثاني- إن (قيساً) تجعل (الولد) بالضم جمعاً، و بالفتح واحداً، كقولهم: اسد و اسد، و وثن و وثن.

فقال اللّه تعالى «أَطَّلَعَ الْغَيْبَ» أي اشرف على علم الغيب و عرفه حتى قال ما قال؟! و هذه الف الاستفهام دخلت على الف الوصل المكسورة فسقطت المكسورة مثل «أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ» «۳» و قوله «أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً» قال قتادة: معناه آتخذ عهداً للرحمن بعد صالح قدمه؟. و قال غيره: معناه «أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً» أي قولا قدمه اليه بما ذكره.

ثم قال تعالى «كلا» أي حقاً و هو قسم «سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ» أي نثبته ليواقف عليه يوم القيامة «وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدًّا» أي نؤخر عنه عذابه، و لا نعاجله.

و يجوز أن يكون المراد إنا نطيل عذابه.

و قوله «وَ نَرِثُهُ ما يَقُولُ» قال ابن عباس و قتادة و ابن زيد: نرثه نحن المال و الولد بعد إهلاكنا إياه و إبطالنا ما ملكناه «وَ يَأْتِينا فَرْداً» أي يجيئنا يوم القيامة فرداً لا أحد معه، و لا شيء يصحبه.

قوله تعالى:[سورة مريم (۱۹): الآيات ۸۱ الى ۸۵] ..... ص : ۱۴۷

وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (۸۱) كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (۸۲) أَ لَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (۸۳) فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّما نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (۸۴) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً (۸۵)

---

(۱) نفس المصادر المتقدمة فى الصفحة قبلها [.....]

(۲) تفسير الطبرى ۱۶/ ۸۱ .

(۳) سورة ۳۷ (الصافات) آية ۱۵۳

التبيان في تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۴۸

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن نهيك «كلا سيكفرون»- بضم الكاف- بمعنى جميعاً سيكفرون. الباقون بفتح الكاف.

اخبر اللّه تعالى أن هؤلاء الكفار الذين ذكرهم و وصفهم بأنهم «اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً» عبدوها و وجهوا عبادتهم نحوها «لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا» و الاتخاذ أعداد الشيء ليأتيه في العاقبة، فهؤلاء اتخذوا الآلهة ليصيروا الى العز فصاروا بذلك الى الذل، فسخط اللّه عليهم و أذلهم. و العز الامتناع من الضيم عزّ يعزّ عزاً، فهو عزيز أي منيع من أن ينال بسوء. فقال اللّه تعالى «كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ» أي حقاً ليس الأمر على ما قالوه بل سيكفرون بعبادتهم. و قيل في معناه قولان:

أحدهما- إن معناه سيجحدون أن يكونوا عبدوها، لما يرون من سوء عاقبتها.

و هذا جواب من أجاز وقوع القبائح و الكذب من أهل الآخرة.

الثاني- سيكفرون ما اتخذوه آلهة بعبادة المشركين لها، كما قال اللّه تعالى «تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ ما كانُوا إِيَّانا يَعْبُدُونَ» «۱» أي بأمرنا و إرادتنا «وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا» و قيل في معناه قولان:

أحدهما- قال مجاهد: يكونون عوناً في خصومتهم و تكذيبهم.

---

(۱) سورة ۲۸ القصص آية ۶۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۴۹

الثانى- قال قتادة يكونون قرناءهم فى النار يلعنونهم و يتبرءون منهم.

ثم قال تعالى لنبيه (ص) (ألم تر) يا محمد (أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ) أى لما سلط الكفار الشياطين على نفوسهم و قبلوا منهم و اتبعوهم خلينا بينهم و بينهم حتى أغووهم، و لم نحل بينهم بالإلجاء، و لا بالمنع، و عبر عن ذلك بالإرسال على ضرب من المجاز. و مثله قوله (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرى إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى) «۱» و يحتمل ان يكون أراد به يرسل الشياطين عليهم فى النار بعد موتهم يعذبوهم و يلعنونهم، كما قال (فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّياطِينَ) «۲» و يقال أرسلت الباز و الكلب على الصيد إذا خليت بينه و بينه. و قوله «تَؤُزُّهُمْ أَزًّا» أى تزعجهم ازعاجاً. و الاز الإزعاج الى الامر، أزه أزاً و أزيزاً إذا هزه بالازعاج الى أمر من الأمور.

ثم قال تعالى «فَلا تَعْجَلْ» على هؤلاء الكفار «إِنَّما نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا» الأيام و السنين. و قيل الأنفاس.

و قوله (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً) أى اذكر يوم نحشر الذين اتقوا معاصى اللَّه و فعلوا طاعاته الى الرحمن وفداً اى ركباناً فى قدومهم، و وحد لأنه مصدر وفد، و يجمع وفوداً، تقول: وفدت أفد وفداً فأنا وافد. و قيل: انهم يؤتون بنوق لم ير مثلها، عليها رحال الذهب و أزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يصيروا الى أبواب الجنة- فى قول ابن عباس- و قيل: معناه يحشرهم اللَّه جماعة جماعة.

قوله تعالى:[سورة مريم (۱۹): الآيات ۸۶ الى ۹۲] ..... ص : ۱۴۹

وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً (۸۶) لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً (۸۷) وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً (۸۸) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا (۸۹) تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا (۹۰)

أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً (۹۱) وَ ما يَنْبَغِي لِلرَّحْمنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً (۹۲)

---

(۱) سورة ۳۹ الزمر آية ۴۲

(۲) سورة ۱۹ مريم آية ۶۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۵۰

سبع آيات بلا خلاف.

قرأ الكسائى و نافع (يكاد) بالياء. الباقون بالتاء. و قرأ ابن كثير و نافع و الكسائى و حفص (يتفطرن) بياء و تاء من: تفطر يتفطر تفطراً. الباقون (ينفطرن) من انفطر كقوله (إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ). و تفطر مطاوع فطر. و التشديد يفيد التكثير اخبر اللَّه تعالى أنه يسوق المجرمين الى جهنم ورداً يوم القيامة. و السوق الحث على السير، ساقه يسوقه سوقاً، فهو سائق و منه الساق، لاستمرار السير بها، و منه السوق لأنه يساق به البيع و الشراء شيئاً بعد شيء. و قال الفراء: يسوقهم مشاة. و قال الأخفش: عطاشاً. و قيل افراداً. و معنى (ورداً) أى عطاشاً، كالإبل التى ترد عطاشاً الماء، إلا أن هؤلاء يمنعون منه، لأنه لا يشرب من الحوض الا مؤمن. و هو قول ابن عباس و الحسن و قتادة.

و قوله (لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ) أى لا يقدرون عليها، و الملك القدرة على ماله التصرف فيه أن يصرفه أتم التصريف فى الحقيقة أو الحكم.

و قوله (إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً) أى عملا صالحاً- فى قول ابن جريج- فموضع (من) نصب على أنه استثناء منقطع، لأن المؤمن ليس من المجرمين. و قد قيل: انه نصب على حذف اللام بمعنى لا يملك المتقون الشفاعة إلا لمن اتخذ عند الرحمن التبيان فى تفسير

القرآن، ج۷، ص: ۱۵۱

عهداً. و العهد المراد به الايمان. و الإقرار بوحدانيته و تصديق أنبيائه، فان الكفار لا يشفع لهم. و قال الزجاج (من) فی موضع رفع بدلا من الواو و النون فی قوله (لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ). و المعنى لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً و هو الايمان.

ثم اخبر تعالى عن الكفار بأنهم (قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً) كما قال النصارى:

إن المسيح ابن اللَّه، و اليهود قالت عزير ابن اللَّه. فقال اللَّه لهم على وجه القسم (لَقَدْ جِئْتُمْ) بهذا القول (شَيْئاً إِدًّا) أی منكراً عظيماً- فی قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابن زيد، قال الراجز:

لقد لقی الاعداء منی نكراً داهية دهياء إدّاً إمراً «۱»

و قال الآخر:

فی لهب منه و حبل إد «۲»

ثم قال تعالى تعظيما لهذا القول «تَكادُ السَّماواتُ» و قرئ بالتاء و الياء. فمن قرأ بالتاء فلتأنيث السموات و من ذكر، فلأن التأنيث غير حقيقی. و قال ابو الحسن:

معنى تكاد السموات تريد كقوله «كِدْنا لِيُوسُفَ» أی أردنا، و انشد:

كادت و كدت و تلك خير إرادة لو عاد من لهو الصبابة ما مضى «۳»

و مثله قوله تعالى (أَكادُ أُخْفِيها) أی أريد و معنى (تكاد) فی الآية تقرب لان السموات لا يجوز ان يتفطرن و لا يردن لذلك، و لكن هممن بذلك، و قربن منه اعظاماً لقول المشركين. و قال قوم: معناه على وجه المثل، لان العرب تقول إذا أرادت امراً عظيماً منكراً: كادت السماء تنشق و الأرض تنخسف، و أن يقع السقف.

---

(۱) مر تخريجه فی ۷/ ۷۳ من هذا الكتاب

(۲) تفسير الطبری ۱۶/ ۸۶

(۳) تفسير القرطبی ۱۱/ ۱۸۴ و هو فی مجمع البيان ۳/ ۵۳۰

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۵۲

فلما افتروا على اللَّه الكذب، ضرب اللَّه المثل لكذبهم بأهول الأشياء، و قريب من هذا قول الشاعر:

أ لم تر صدعاً فی السماء مبيناً على ابن لبينى الحارث بن هشام «۱»

و قريب منه ايضاً قول الشاعر:

و أصبح بطن مكة مقشعراً كان الأرض ليس بها هشام «۲»

و قال آخر:

بكا حارث الجولان من فقد ربه و حوران منه خاشع متضائل «۳»

و قال آخر:

لما اتی خبر الزبير تواضعت سور المدينة و الجبال الخشع «۴»

و قال قوم: المعنى لو كان شیء يتفطر استعظاماً لما يجری من الباطل لتفطرت السموات و الأرض استعظاماً، و استنكاراً لما يضيفونه الى اللَّه تعالى من اتخاذ الولد، و مثله قوله «وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ» «۵» و معنى يتفطرن يتشققن و الانفطار الانشقاق فی قول ابن جريج، يقال: فطر ناب البعير إذا انشق، و قرئ ينفطرن بمعنى يتشققن منه، يعنی من قولهم اتخذ الرحمن ولداً، و المراد بذلك تعظيماً و استنكاراً لهذا القول، و انه لو كانت السموات يتفطرن تعظيماً لقول باطل لانشقت لهذا القول، و لو كانت الجبال تخر لأمر،

لخرّت لهذا القول. و (الهدّ) تهدم بشدة صوت.

و قوله «أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً» أى لأن دعوا، أو من ان دعوا، او المعنى ان السموات تكاد ينفطرن و الجبال تنهد و الأرض تنشق لدعواهم للّه ولداً، أى

---

(۱) مر هذا البيت فى ۶/ ۳۰۷

(۲) مجمع البيان ۳/ ۵۳۰

(۳) مر تخريجه فى ۶/ ۳۰۷

(۴) مر تخريجه فى ۱/ ۲۰۴، ۳۱۲

(۵) سورة ۱۳ الرعد آية ۳۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۵۳

لتسميتهم له ولداً، فهؤلاء سموا للّه ولداً كما جعلوا المسيح ابن اللّه. و المشركون جعلوا الملائكة بنات اللّه. و قيل: معناه ان جعلوا للرحمن ولداً، لان الولد يستحيل عليه تعالى.

ثم اخبر تعالى انه لا ينبغى له ان يتخذ ولداً، و لا يصلح له، كما قال ابن احمر:

فى رأس حلقاء من عنقاء مشرفة ما ينبغى دونها سهل و لا جبل «۱»

و قال الآخر فى الدعاء بمعنى التسمية:

ألا ربّ من تدعو نصيحاً و إن تغب تجده بغيب غير منتصح الصدر «۲»

و قال ابن احمر ايضاً:

هوى لها مشقصاً حشراً فشبرقها و كنت أدعو قذاها الإثمد الفرد «۳»

قوله تعالى:[سورة مريم (۱۹): الآيات ۹۳ الى ۹۸] ..... ص : ۱۵۳

إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً (۹۳) لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا (۹۴) وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَرْداً (۹۵) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا (۹۶) فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ تُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا (۹۷) وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً (۹۸)

ست آيات بلا خلاف.

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۶/ ۵۶، ۸۷ [.....]

(۲) تفسير الطبرى ۱۶/ ۸۷

(۳) تفسير الطبرى ۱۶/ ۸۷ (ج ۷ م ۲۰ من التبيان)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۵۴

يقول اللّه تعالى ليس كل من فى السموات و الأرض من العقلاء إلا و هو يأتى الرحمن عبداً مملوكاً لا يمكنهم جحده، و لا الامتناع منه، لأنه يملك التصرف فيهم كيف شاء. ثم قال تعالى إنه «لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا» أى علم تفاصيلهم و أعدادهم فكأنه عدهم، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم. ثم قال: و جميعهم يأتى اللّه يوم القيامة فرداً مفرداً، لا أحد معه و لا ناصر له و لا أعوان، لان كل احد مشغول بنفسه لا يهمه هم غيره. ثم قال تعالى «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» أى آمنوا باللّه و وحدانيته و صدقوا أنبياءه، و عملوا

بالطاعات سیجعل اللَّه لهم ودّاً أی سیجعل بعضهم یحب بعضاً، و فی ذلک أعظم السرور و أتم النعمهٔ، لأنها کمحبهٔ الوالد لولده البار به. و قال ابن عباس و مجاهد: «سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا» فی الدنیا. و قال الربیع بن أنس إذا أحب اللَّه عبداً طرح محبته فی قلوب أهل السماء، و فی قلوب أهل الأرض. ثم قال لنبیه (ص) «فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ» یعنی القرآن «لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ» لمعاصی اللَّه بالجنهٔ «وَ تُنْذِرَ بِهِ» أی تخوف به (قَوْماً لُدًّا) أی قوماً ذوی جدل مخاصمین- فی قول قتادهٔ- و هو من اللدد، و هو شدهٔ الخصومهٔ، و منه قوله تعالی «وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ» «۱» أی أشد الخصام خصومهٔ و هو جمع ألد، ک (أصم، و صم) قال الشاعر:

إن تحت الأحجار حزماً و عزماً و خصیماً ألدّ ذا معلاق «۲»

ثم اخبر اللَّه تعالی فقال «وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ» أی هل تدرک احداً منهم «أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً» قال ابن عباس و قتادهٔ و الضحاک: الرکز الصوت. و قال ابن زید: هو الحسّ، و المراد- هاهنا- الصوت، و منه الرکاز، لأنه یحسّ به حال من تقدم بالکشف عنه، قال الشاعر:

---

(۱) سورهٔ ۲ البقرهٔ آیهٔ ۲۰۴

(۲) قائله المهلهل. اللسان (علق) و رایته (وجوداً) بدل (و عزماً)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۵۵

فتوجست رکز الأنیس فراعها عن ظهر غیب و الأنیس سقامها «۱»

و المعنی: إنا قد أهلکنا امماً کثیرهٔ أعظم منهم کثرهٔ، و اکثر أموالا- و أشد خصاماً فلم یغنهم ذلک لما أردنا إهلاکهم، فکیف ینفع هؤلاء ذلک، و هم أضعف منهم فی جمیع الوجوه، و بین ان حکم هؤلاء حکم أولئک فی ان لا یبقی لهم عین و لا أثر

---

(۱) تفسیر الطبری ۱۶/ ۸۹

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۵۷

۲۰-سورهٔ طه ..... ص : ۱۵۷

اشارهٔ

و هی مکیهٔ فی قول قتادهٔ و مجاهد. و هی مائهٔ و خمس و ثلاثون آیهٔ فی الکوفی و اربع فی المدنیین و اثنان فی البصری.

[سورهٔ طه (۲۰): الآيات ۱ الی ۵] ..... ص : ۱۵۷

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

طه (۱) ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى (۲) إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشى (۳) تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّماواتِ الْعُلى (۴)

الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى (۵)

خمس آیات فی الکوفی، لأنهم عدوا (طه) آیهٔ و أربع فی الباقین.

قرأ ابو عمرو (طه) بفتح الطاء و امالهٔ الهاء. و قرأ حمزهٔ و الکسائی و خلف و ابو بکر إلا الأعشی و البرجمی بامالتهما. الباقون بفتحهما.

و قرأ عیسی بن عمر ضد قراءهٔ أبی عمرو- بکسر الطاء و فتح الهاء- و قرأ الحسن بإسکان الهاء، و فسره یا رجل.

و قرأ ابو جعفر بتقطیع الحروف، و رواه الأصمعی عن نافع، و روی عن نافع بین التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۵۸

الكسر و الفتح فى الحرفين، و روى الفتح فيهما، و هو الأظهر.

فمن فخم فلأنها لغة النبى (ص) و هى لغة اهل الحجاز، و من أمال، فهو حسن. قال ابو عمرو: أملت الهاء لئلّا تلتبس بهاء الكناية. و قد بينا فى أول سورة البقرة معنى أوائل السور و اختلاف الناس فيه، و أن أقوى ما قيل فيه: إنها اسماء للسور و مفتاح لها. و قال قوم: هو اختصار من كلام خص بعلمه النبى صلى اللَّه عليه و آله.

و قال ابن عباس و سعيد بن جبير و الحسن و مجاهد: معنى (طه) بالسريانية يا رجل.

و منهم من قال هو بالنبطية. و قال الحسن: هو جواب المشركين لما قالوا: انه شقى فقال اللَّه تعالى يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، و قيل: إن طه بمعنى يا رجل فى لغة عكّ و انشد لمتمم بن نويرة:

هتفت بطه فى القتال فلم يجب فخفت عليه ان يكون موائلا «۱»

و قال آخر:

إن السفاهة طه من خلائقكم لا بارك اللَّه فى القوم الملاعين «۲»

و من قرأ (طه) بتسكين الهاء تحتمل قراءته أمرين:

أحدهما- ان تكون الهاء بدلا من همزة طاء، كقولهم فى أرقب هرقب، و الآخر ان يكون على ترك الهمز (ط) يا رجل، و تدخل الهاء الوقف. و الشقاء استمرار ما يشق على النفس، يقال: شقى يشقى شقاً، و هو شقى و نقيض الشقاء السعادة.

و قيل فى قوله «ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى قولان:

أحدهما- قال مجاهد و قتادة: إنه نزل بسبب ما كان يلقى من التعب و السهر فى قيام الليل.

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۶/ ۹۰ و القرطبى ۱۱/ ۱۶۵ و الشوكانى ۳/ ۳۴۳

(۲) تفسير الطبرى ۱۶/ ۹۰ و القرطبى ۱۱/ ۱۶۶ و الكشاف ۳/ ۳۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۵۹

و الثانى- قال الحسن: انه جواب للمشركين لما قالوا: انه شقى.

و قوله «إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشى معناه لكن أنزلناه تذكرة أى ليتذكر به من يخشى اللَّه و يخاف عقابه، يقال: ذكره تذكيراً و تذكرة، و مثله «وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزى إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلى «۱» اى لكن ابتغاء وجه ربه، و ما فعله إلا- ابتغاء وجه ربه، و مثله قول القائل: ما جئت لأسوءك إلا إكراماً لزيد، يريد ما جئت إلا اكراماً لزيد، و كذلك المصادر التى تكون عللا لوقوع الشيء نحو جئتك ابتغاء الخير اى لابتغاء الخير. و قوله «تَنْزِيلًا مِمَّنْ» معناه نزل تنزيلا- و قيل تقديره «إِلَّا تَذْكِرَةً ... تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّماواتِ الْعُلى أى أبدعهن و أحدثهن و «العلى» جمع عليا، مثل ظلمة و ظلم، و ركبة و ركب، و مثل الدنيا و الدنى.

و القصوى و القصى.

و قوله «الرحمن» رفع بأنه خبر مبتدأ، لأنه لما قال «تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ» بينه فكأنه قال: هو الرحمن، كقوله «بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ النَّارُ» «۲» و قال ابو عبيدة: تقديره «ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ... إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشى لا لتشقى. [و يحتمل أن يكون المراد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى «۳» و ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى.

«الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه استولى عليه، و قد ذكرنا فيما مضى شواهد ذلك.

الثانى- قال الحسن «استوى» لطفه و تدبيره، و قد ذكرنا ذلك أيضاً فيما مضى، و أوردنا شواهده فى سورة البقرة «۴» فأما الاستواء بمعنى الجلوس على الشيء

(۱) سورة ۹۲ الليل آية ۱۹- ۲۰

(۲) سورة ۲۲ الحج آية ۷۲

(۳) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

(۴) فى تفسير آية ۲۹ من سورة البقرة، المجلد الاول صفحة ۱۲۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۶۰

فلا يجوز عليه تعالى، لأنه من صفة الأجسام، و الأجسام كلها محدثة. و يقال: استوى فلان على مال فلان و على جميع ملكه أى احتوى عليه. و قال الفراء: يقال: كان الأمر فى بنى فلان ثم استوى فى بنى فلان أى قصد اليهم و ينشد:

أقول و قد قطعن بنا شرورى ثوانى و استوين من النجوع «۱»

أى خرجن و اقبلن

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۶ الى ۱۰] ..... ص : ۱۶۰

لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ ما تَحْتَ الثَّرى (۶) وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى (۷) اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى (۸) وَ هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى (۹) إِذْ رَأى ناراً فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً (۱۰)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى إن «لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ ما تَحْتَ الثَّرى المعنى انه مالك لجميع الأشياء و اجتزى بذكر بعض الأشياء عن ذكر البعض لدلالته عليه، كما قال «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ» «۲» و لم يقل و على ظهورهم، لان المفهوم انهم يذكرون اللَّه على كل حال. و مثله قوله «وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ» «۳»

(۱) لم أجده فى مظانه، و هذه رواية المخطوطة أما المطبوعة فإنها اشارت الى خلاف فى روايته كما يلى: (ظعن) بدل (قطعن) و (سروراً) بدل (شرورى) و (سوامد) بدل (ثوانى) و (الضجوع) بدل (النجوع)

(۲) سورة ۳ آل عمران آية ۱۹۱

(۳) سورة ۹ التوبة آية ۶۳ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۶۱

لما كان رضا أحدهما رضا الآخر، و مثله قوله «وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ» «۱» و لم يقل ينفقونهما لدلالته على ذلك و «الثَّرى التراب الندى، فله تعالى «ما تَحْتَ الثَّرى الى حيث انتهى، لأنه مالكه و خالقه و مدبره، و كل شيء ملكه يصح، و اللَّه تعالى مالكه بمعنى أن له التصرف فيه كيف شاء.

و قوله «وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى معناه و إن تجهر بالقول لحاجتك لسمعه أى تجهر به، فانه تعالى يعلم السر و أخفى من السر. و لم يقل و أخفى منه، لأنه دال عليه، كما يقول القائل: فلان كالفيل أو أعظم، و هذا كالحبة أو أصغر.

و الجهر رفع الصوت يقال: جهر يجهر جهراً، فهو جاهر و الصوت مجهور، و ضده الهمس. و (السر) ما حدث به الإنسان غيره فى خفية، و أخفى منه ما أضمره فى نفسه و لم يحدث به غيره- هذا قول ابن عباس- و قال قتادة و ابن زيد و سعيد بن جبير: السر ما أضمره العبد فى نفسه. و أخفى منه ما لم يكن و لا أضمره أحد. و قال قوم: معناه يعلم السر و الخفى. و ضعف هذا لأنه ترك الظاهر و

عدول بلفظة (أفعل) الی غیر معناها من غیر ضرورة، و لان حمله علی معنی أخفی أبلغ إذا کان بمعنی أخفی من السر، فاما قول الشاعر:

تمنی رجال ان أموت و إن امت فتلک سبیل لست فیها بأوحد «۲»

انما حمل علی ان المراد (بأوحد) احد، لان الوحدة لا یقع فیها تعاظم، فأخرجه الشاعر مخرج ما فیه تعاظم ورد المعنی الی الواحد. ثم اخبر تعالی بانه «اللَّه» الذی تحق له العبادة «لا إله» یحق له العبادة «إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنی و انما ذکر الحسنی بلفظ التوحید و لم یقل الاحاسن، لان الأسماء مؤنثة یقع علیها (هذه) کما

---

(۱) سورة ۹ التوبة آیة ۳۵

(۲) تفسیر الطبری ۱۶/ ۹۳ (ج ۷ من ۲۱ من التبیان)

یقع علی الجماعة (هذه) کأنه اسم واحد للجمیع قال الشاعر:

و سوف یعتبنیه إن ظفرت به رب کریم و بیض ذات اطهار «۱»

و فی التنزیل «حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ» «۲» «و مَآرِبُ أُخْری «۳» فقد جاز صفة جمع المؤنث بصفة الواحد.

و قوله و هل «أَتاکَ حَدِیثُ مُوسی خطاب للنبی (ص) و تسلیة له مما ناله من أذی قومه. و التثبیت له بالصبر علی امر ربه، کما صبر اخوه موسی (ع) حتی نال الفوز فی الدنیا و الآخرة.

و قوله «إِذْ رَأی ناراً» ای حدیث موسی حین رأی ناراً «فَقالَ لِأَهْلِهِ امْکُثُوا» ای البثوا مکانکم «إِنِّی آنَسْتُ ناراً» ای رأیت ناراً. و الإیناس وجدان الشیء الذی یؤنس به، لأنه من الانس و یقال: آنس البازی إذا رأی صیداً قال العجاج:

آنس خربان فضاء فانکدر

و کان فی شتاء، و قد امتنع علیه القدح و ضل عن الطریق، فلذلک قال «أَوْ أَجِدُ عَلَی النَّارِ هُدیً» و قوله «لَعَلِّی آتِیکُمْ مِنْها بِقَبَسٍ» فالقبس الشعلة، و هو نار فی طرف عود أو قصبة، یقول القائل لصاحبه: اقبسنی ناراً فیعطیه إیاها فی طرف عود او قصبة أی لعلی آتیکم بنار تصطلون به أو أجد من یدلنی علی الطریق الذی أضللناه او ما استدل به علیه و یقال اقبسته ناراً إذا أعطیته قبساً منها، و قبسته للعلم، فرق بین النوعین، و الأصل واحد و کلاهما یستضاء به.

---

(۱) تفسیر الطبری ۱۶/ ۹۳ و مجمع البیان ۴/ ۳

(۲) سورة ۲۷ النمل آیة ۶۰

(۳) سورة ۲۰ طه آیة ۱۸

قوله تعالی:[سورة طه (۲۰): الآیات ۱۱ الی ۱۵] ..... ص : ۱۶۳

فَلَمَّا أَتاها نُودِیَ یا مُوسی (۱۱) إِنِّی أَنَا رَبُّکَ فَاخْلَعْ نَعْلَیْکَ إِنَّکَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُویً (۱۲) وَ أَنَا اخْتَرْتُکَ فَاسْتَمِعْ لِما یُوحی (۱۳) إِنَّنِی أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِی وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِکْرِی (۱۴) إِنَّ السَّاعَةَ آتِیَةٌ أَکادُ أُخْفِیها لِتُجْزی کُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعی (۱۵)

خمس آیات.

قرأ ابن کثیر و ابو عمرو «انی أنا ربک» بفتح الهمزة و الیاء. الباقون بکسرها و سکون الیاء إلا نافعاً فانه فتح الیاء. و قرأ ابن کثیر و ابو

عمرو و نافع و عاصم و حمزة و الكسائى «طوى» بضم الطاء مصروفاً. و روى بكسر الطاء غير مصروف ابو زيد عن أبى عمرو. و قال: هى أرض. و قرأ «و انا اخترناك» بالتشديد بالف حمزة، و أصله و اننا اخترناك و النون و الالف نصب ب (إن) و (ان) مع ما بعدها فى موضع نصب بتقدير، نودى «إنا اخترناك». و قرأ الباقون «و أنا اخترتك» على التوحيد ف (أنا) رفع بأنه ابتداء و «اخْتَرْتُكَ» خبره. و فى قراءة أبى «و إننى اخترتك» فهذه تقوى قراءة حمزة و الكسائى.

من لم يصرف «طوى» يجوز أن يكون اعتقد انه معدول عن (طاو) و هو معرفة، و يجوز أن يكون نكرة، لأنه اسم البقعة.

يقول اللَّه تعالى لنبيه (ص) إن موسى (ع) لما أتى النار التى آنسها نودى، فقيل له يا موسى. و النداء الدعاء على طريقة يا فلان، و هو مد الصوت بنداء على هذه الطريقة التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ١۶۴

يقال: صوت نداء، و ذلك أنه بندائه يمتد «إنى انا ربك» فيمن فتح الهمزة.

فالمعنى نودى بأنى أنا، و لما حذف الباء فتح. و من كسرها فعلى الاستئناف أو على تقدير قيل له إنى أنا ربك الذى خلقك و دبرك «فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ» و انما علم موسى (ع) أن هذا النداء من قبل اللَّه تعالى بمعجزة أظهرها اللَّه، كما قال فى موضع آخر «نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ وَ أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ» حتى قيل له «يا مُوسى أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ» «١» و قيل السبب الذى لأجله أمر بخلع النعلين فيه قولان:

أحدهما-

ليباشر بقدميه بركة الوادى المقدس فى قول على (ع)

و الحسن و ابن جريج.

و قال كعب و عكرمة: لأنها كانت من جلد حمار ميت. و حكى البلخى أنه امر بذلك على وجه الخضوع و التواضع، لان التحفى فى مثل ذلك أعظم تواضعاً و خضوعاً.

و الخلع نزع الملبوس يقال: خلع ثوبه عن بدنه و خلع نعله عن رجله. و قد ينزع المسمار، فلا يكون خلعاً، لأنه غير ملبوس و يقال: خلع عليه رداءه كأنه نزعه عن نفسه و ألبسه إياه. و الوادى سفح الجبل. و يقال للمجرى العظيم من مجارى الماء واد و أصله عظم الامر. و وديته إذا أعطيته ديته، لأنها عطية عن الأمر العظيم من القتل.

و المقدس المبارك- فى قول ابن عباس و مجاهد- و قيل هو المطهر، قال امرؤ القيس:

كما شبرق الولدان ثوب المقدس «٢»

يريد بالمقدس: العابد من النصارى، كالقسيس و نحوه و (شبرق) أى شق.

---

(١) سورة ٢٨ القصص آية ٣٠- ٣١

(٢) شرح ديوانه: ١٢٠ و صدره:

فأدركنه يأخذن بالساق و النسا

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ١۶۵

و قيل فى معنى (طوى) قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و مجاهد و ابن زيد: هو اسم الوادى.

و قال الحسن: لأنه طوى بالبركة مرتين، فعلى هذا يكون مصدر طويته طوى، و قال عدى بن زيد:

أعاذل ان اللوم فى غير كنهه علىّ طوى من غيك المتردد «١»

و قوله «وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ» اى اصطفيتك «فَاسْتَمِعْ لِما يُوحى اليك من كلامى و اصغ اليه و تثبت «إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا» أى لا إله

یستحق العبادة غیری «فاعبدنی» خالصاً، و لا تشرک فی عبادتی احداً «وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِکْرِی» أی لتذکرنی فیها بالتسبیح و التعظیم- فی قول الحسن و مجاهد- و قیل: معناه لأن أذکرک بالمدح و الثناء. و قیل المعنی متی ذکرت ان علیک صلاة کنت فی وقتها أو فات وقتها، فأقمها. و قرئ- بفتح الراء- قال أبو علی: یحتمل أن یکون قلب الکسرة فتحة مع یاء الاضافة.

ثم اخبر اللَّه تعالی بأن الساعة یعنی القیامة «آتِیَةٌ» أی جائیة «أَکادُ أُخْفِیها» معناه أکاد لا أظهرها لاحد- فی قول ابن عباس و الحسن و قتادة- أی لا أذکرها بأنها آتیة، کما قال تعالی «لا تَأْتِیکُمْ إِلَّا بَغْتَةً» «۲» و قیل «أخفیها» بضم الألف بمعنی أظهرها، و انشد بیتاً لأمرىء القیس بن عابس الکندی:

فان تدفنوا الداء لا نخفه و إن تبعثوا الحرب لا نقعد «۳»

فضم النون من نخفه- ذکره ابو عبیدة- قال أنشدنیه ابو الخطاب هکذا، و أنشده

---

(۱) تفسیر الطبری ۱۶/ ۹۶ و مجمع البیان ۴/ ۴

(۲) سورة ۷ الاعراف آیة ۱۸۶

(۳) شرح دیوان امرئ القیس: ۷۷ و الطبری ۱۶/ ۱۰۰ و القرطبی ۱۱/ ۱۸۲ و الشوکانی ۳/ ۳۴۷ و غیرها

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۶۶

الفراء بفتح النون. و قال أبی بن کعب: المعنی «أَکادُ أُخْفِیها» من نفسی. قال ابن الانباری تأویله من نفسی «أَکادُ أُخْفِیها» أی من قبلی، کما قال «تَعْلَمُ ما فِی نَفْسِی وَ لا أَعْلَمُ ما فِی نَفْسِکَ» «۱». و قوله «لِتُجْزی کُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعی ای تجازی کل نفس بحسب عملها، فمن عمل الطاعات أثیب علیها، و من عمل المعاصی عوقب بحسبها

قوله تعالی:[سورة طه (۲۰): الآیات ۱۶ الی ۲۰] ..... ص : ۱۶۶

فَلا یَصُدَّنَّکَ عَنْها مَنْ لا یُؤْمِنُ بِها وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَتَرْدی (۱۶) وَ ما تِلْکَ بِیَمِینِکَ یا مُوسی (۱۷) قالَ هِیَ عَصایَ أَتَوَکَّؤُا عَلَیْها وَ أَهُشُّ بِها عَلی غَنَمِی وَ لِیَ فِیها مَآرِبُ أُخْری (۱۸) قالَ أَلْقِها یا مُوسی (۱۹) فَأَلْقاها فَإِذا هِیَ حَیَّةٌ تَسْعی (۲۰)

خمس آیات بلا خلاف.

قوله «فَلا یَصُدَّنَّکَ عَنْها» نهی متوجه الی موسی من اللَّه تعالی و المراد به جمیع المکلفین، نهاهم اللَّه ان یصدهم عن ذکر الساعة، و المجازاة فیها من لا یصدق بها من الکفار. و (الصدّ) الصرف عن الخیر یقال: صده عن الایمان و صده عن الحق، و لا یقال: صده عن الشر، و لکن یقال: صرفه عن الشر، و منعه منه.

و قوله «وَ اتَّبَعَ هَواهُ» یعنی من لا یؤمن بالقیامة و (الهوی) میل النفس الی الشیء بأریحیة تلحق فیه. و هواء الجو ممدود، و هوی النفس مقصور.

و قوله «فتردی» معناه فتهلک، یقال: ردی یردی ردی، فهو رد. إذا هلک، أی ان صددت عن الساعة بترک التأهب لها هلکت، و تردّی هلک بالسقوط.

و قوله «وَ ما تِلْکَ بِیَمِینِکَ یا مُوسی قال الفراء: (تلک) تجری مجری (هذه) و هی بمعنی الذی و (بیمینک) صلته و تقدیره، و ما الذی بیمینک یا موسی و أنشد:

---

(۱) سورة ۵ المائدة آیة ۱۱۹

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۶۷

عدس ما لعباد علیک امارة أمنت و هذا تحملین طلیق «۱»

یعنی الـذی تحملین. و هو فی صورة السؤال لموسـی عما فی یـده الیمنی. و الغرض بـذلک تنبیهه له علیها لیقع المعجز بها بعـد التثبت فیها، و التأمل لها.

و قوله «قـالَ هِیَ عَصایَ» جواب من موسـی ان الـذی فی یـدی «عَصایَ أَتَوَکَّؤُا عَلَیْها» فی مشـیی «وَ أَهُشُّ بِها عَلی غَنَمِی» ای اخبط بها ورق الشجر الیابس لترعاه غنمی یقال: هش یهش هشاً: قال الراجز:

أهش بالعصا علی اغنامی من ناعم الأراک و البشام «۲»

(وَ لِیَ فِیها مَآرِبُ أُخْری ای حوائج أخر من قولهم: لا أرب لی فی هذا أی لا حاجة. و للعرب فی واحدها ثلاث لغات: مأربة بضم الراء و فتحها و کسرها.

و قوله «قالَ أَلْقِها یا مُوسی فَأَلْقاها فَإِذا هِیَ حَیَّةٌ تَسْعی حکایة عما امر اللَّه تعالی موسی بأن یلقی العصا من یده و أن موسی ألقاها، فلما ألقاها صارت فی الحال حیة تسعی، خرق اللَّه العادة فیها و جعلها معجزة ظاهرة باهرة.

قوله تعالی:[سورة طه (۲۰): الآیات ۲۱ الی ۲۵] ..... ص : ۱۶۷

قالَ خُذْها وَ لا تَخَفْ سَنُعِیدُها سِیرَتَهَا الْأُولی (۲۱) وَ اضْمُمْ یَدَکَ إِلی جَناحِکَ تَخْرُجْ بَیْضاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ آیَةً أُخْری (۲۲) لِنُرِیَکَ مِنْ آیاتِنَا الْکُبْری (۲۳) اذْهَبْ إِلی فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغی (۲۴) قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی (۲۵)

خمس آیات بلا خلاف.

---

(۱) تفسیر الطبری ۱۶/ ۱۰۲ و اکثر کتب النحو یأتون به شاهداً علی أن (هذا) أسم موصول بمعنی الذی.

(۲) تفسیر الشوکانی ۳/ ۳۴۹ و القرطبی ۱۱/ ۱۸۷ و الطبری ۱۶/ ۱۰۲

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۶۸

اخبر اللَّه تعالی أن العصا حین صارت حیة تسعی خاف موسی منها فقال اللَّه له «خذها» یا موسی فانا «سنعیدها» الی ما کانت أول شیء فی یـدک عصـی. و معنی «خـذها» تناولها بیدک. و (الخوف) انزعاج النفس یتوقع الضـرر، خافه خوفاً، فهو خائف و ذاک مخوف. و ضد الخوف الأمن و مثل الخوف الفزع و الذعر، و الاعادة ردّ الشیء ثانیة الی ما کان علیه أول مرة. و مثل الاعادة التکریر و التردید. و المعنی سـنعیدها خلقتها الاولی، و قـد یقال: الی سـیرتها. و السـیرة مرور الشـیء فی جهـة، من سار یسـیر سـیرة حسـنة أو قبیحة. و کان مستمر علی حال العصا فأعیدت الی تلک الحال. و نظیر السیرة الطریقة. و قیل المعنی: سنعیدها الی سیرتها، فانتصب بإسقاط الخافض.

و قوله «وَ اضْمُمْ یَدَکَ إِلی جَناحِکَ تَخْرُجْ بَیْضاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ» قیل فی معناه قولان: أحدهما- الی جنبک، قال الراجز:

اضمه للصدر و الجناح «۱»

الثانی- الی عضدک و اصل الجنوح المیل، و منه جناح الطائر، لأنه یمیل به فی طیرانه حیث شاء. و الجنب فیه جنوح الأضلاع. و اصل العضد من جهته تمیل الید حیث شاء صاحبها. و قال ابو عبیدة: الجناحان الناحیتان.

و قوله «تَخْرُجْ بَیْضاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ» ای من غیر برص- فی قول ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتادة و السدی و الضحاک- و قوله «آیَةً أُخْری قیل فی نصبها قولان: أحـدهما- علی الحال. و الاخر علی المفعولیـة، ای نعطیک آیة أخری، فحذف لدلالة الکلام علیه، فالآیة الاولی قلب العصا حیة و الاخری الید البیضاء من غیر سوء. و قیل انه أمره ان یدخل یده فی فمها فیقبض علیها، فادخل یده فی فمها

---

(۱) تفسیر القرطبی ۱۱/ ۱۹۱ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۶۹

فصارت یده بین الشعبتین اللتین کانتا فی العصا، و صارت الحیة فی یده عصاً کما کانت.

و قوله (لِنُرِیَکَ مِنْ آیاتِنَا الْکُبْری معناه قلب العصاحیة لنریک من آیاتنا و حججنا الکبری منها، و لو قال الکبر علی الجمع کان وصفاً لجمیع الآیات، و کان جائزاً.

ثم قال تعالی له (اذْهَبْ إِلی فِرْعَوْنَ) ای امض الیه و ادعه الی اللَّه، و خوفه من عقابه، فانه طغی، أی تجاوز قدره فی عصیان اللَّه، و تجاوز به قدر معاصی الناس، یقال: طغی یطغی طغیاناً، فهو طاغ، و نظیره البغی علی الناس، و هم الطغاة و البغاة.

فقال عند ذلک موسی یا (رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی) ای وسع لی صدری، و منه شرح المعنی ای بسط القول فیه.

قوله تعالی:[سورة طه (۲۰): الآیات ۲۶ الی ۳۰] ..... ص : ۱۶۹

وَ یَسِّرْ لِی أَمْرِی (۲۶) وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِی (۲۷) یَفْقَهُوا قَوْلِی (۲۸) وَ اجْعَلْ لِی وَزِیراً مِنْ أَهْلِی (۲۹) هارُونَ أَخِی (۳۰)

خمس آیات.

و هذا ایضاً اخبار عما سأل اللَّه تعالی موسی، فانه سأله ان ییسر له أمره، أی یسهله علیه و یرفع المشقة عنه و یضع المحنة، یقال: یسره تیسیراً، فهو میسر و نقیضه التعسیر، و منه الیسر و الیسیر. و الحل نفی العقد بالفرق، حله یحله حلا، فهو حال و الشیء محلول. و ضد الحل العقد، و نظیره الفصل و القطع. و العقدة جملة مجتمعة یصعب حلها متفلکة، عقد یعقد عقداً و عقدة، فهو عاقد و الشیء معقود، (ج ۷ م ۲۲ من التبیان) التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۷۰

و یقال: انه کان فی لسان موسی (ع) رثة و هی التی لا یفصح معها بالحروف شبه التمتمة و غیرها. و قیل: إن سبب العقدة فی لسانه أنه طرح جمرة فی فیه لما أراد فرعون قتله، لأنه أخذ لحیته و هو طفل فنتفها، فقالت له آسیة: لا تفعل، فانه صبی لا یعقل، و علامته انه أخذ جمرة من طست فجعلها فی فیه. ذکره سعید بن جبیر و مجاهد و السدی.

و قوله «یَفْقَهُوا قَوْلِی» أی یفقهوه إذا حللت العقدة من لسانی أفصحت بما أرید. و سأله ایضاً أن یجعل له وزیراً یؤازره علی المضی الی فرعون و یعاضده علیه، و الوزیر حامل الثقل عن الرئیس، مشتق من الوزر الذی هو الثقل، و اشتقاقه ایضاً من الوزر، و هو الذی یلجأ الیه من الجبال و المواضع المنیعة. و قوله «هارُونَ أَخِی» قیل فی نصب (هارون) وجهان:

أحدهما- علی انه مفعول (اجعل) الاول و (وزیراً) المفعول الثانی علی جهة الخبر.

و الوجه الثانی- ان یکون بدلا من (وزیراً) و بیاناً عنه. فقیل: انّ اللَّه حل اکثر ما کان بلسانه إلا بقیة منه بدلالة قوله «وَ لا یَکادُ یُبِینُ» «۱» فی قول أبی علی.

و قال الحسن: ان اللَّه استجاب دعاءه، فحل العقدة من لسانه. و هو الصحیح، لقوله تعالی «قَدْ أُوتِیتَ سُؤْلَکَ یا مُوسی و یکون قول فرعون «وَ لا یَکادُ یُبِینُ» «۲» انه لا یأتی ببیان یفهم کذباً علیه لیغوی بذلک الناس و یصرف به وجوههم عنه.

قوله تعالی:[سورة طه (۲۰): الآیات ۳۱ الی ۳۶] ..... ص : ۱۷۰

اشْدُدْ بِهِ أَزْرِی (۳۱) وَ أَشْرِکْهُ فِی أَمْرِی (۳۲) کَیْ نُسَبِّحَکَ کَثِیراً (۳۳) وَ نَذْکُرَکَ کَثِیراً (۳۴) إِنَّکَ کُنْتَ بِنا بَصِیراً (۳۵) قالَ قَدْ أُوتِیتَ سُؤْلَکَ یا مُوسی (۳۶)

(۱، ۲) سورة ۴۳ الزخرف آیة ۵۲

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۱۷۱

ست آيات.

قرأ ابن عامر وحده «اشدد به ازرى» بقطع الهمزة «و اشركه» بضم الألف. الباقون بوصل الهمزة الأولى، و فتح الثانية. فوجه قراءة ابن عامر: أنه جعله جزاء. الباقون جعلوه: دعاء. و ضم الف (اشركه) فى قراءة ابن عامر ضعيف، لأنه ليس اليه اشركه فى النبوة بل ذلك الى اللَّه تعالى. و الوجه فتح الهمزة على الدعاء إلا ان يحمل على أنه أراد اشراكه فى أمره فى غير النبوة و ذلك بعيد، لأنه جاء بعده ما يعلم به مراد موسى، لأنه قال «وَ أَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي» «۱» فقال اللَّه تعالى «سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ» «۲».

قوله «اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي» فالشد جمع يستمسك به المجموع يقال: شده يشده شداً، فهو شاد و ذاك مشدود، و مثله الربط و العقد. و الأزر الظهر يقال: آزرنى فلان على أمرى أى كان لى ظهراً، و منه المئزر، لأنه يشد على الظهر، و الإزار لأنه يشد على الظهر، و التأزير لأنه تقوية من جهة الظهر. و يجوز ان يكون أزر لغة فى وزر، مثل أرخت و ورخت، و أكدت و وكدت. و قوله «وَ أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي» فالاشراك الجمع بين الشيئين فى معنى على انه لهما، يجعل جاعل. و قد أشرك اللَّه بين موسى و هارون فى النبوة. و قوّى اللَّه به أزره، كما دعاه.

و قوله «كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً» فالتسبيح التنزيه للَّه عما لا يجوز عليه من وصفه بما لا يليق به، فكل شيء عظم به اللَّه بنفى ما لا يجوز عليه، فهو تسبيح، مثل:

سبحان اللَّه و الحمد للَّه و لا إله إلا اللَّه و اللَّه اكبر. و قوله «وَ نَذْكُرَكَ كَثِيراً» معناه

(۱، ۲) سورة ۲۸ القصص آية ۳۵- ۳۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۷۲

نذكرك بحمدك و الثناء عليك بما أوليتنا من نعمك، و مننت به علينا من تحميل رسالتك «إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً» أى عالماً بأحوالنا و أمورنا. فقال اللَّه تعالى إجابة له «قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى أى أعطيت مناك فيما سألته. و السؤال المنى فيما يسأله الإنسان، مشتق من السؤال. و يجوز بالهمز و ترك الهمز.

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۳۷ الى ۴۴] ..... ص : ۱۷۲

وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرى (۳۷) إِذْ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّكَ ما يُوحى (۳۸) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَ عَدُوٌّ لَهُ وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَ لِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي (۳۹) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْناكَ إِلى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ وَ قَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْناكَ مِنَ الْغَمِّ وَ فَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلى قَدَرٍ يا مُوسى (۴۰) وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (۴۱)

اذْهَبْ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بِآياتِي وَ لا تَنِيا فِي ذِكْرِي (۴۲) اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى (۴۳) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى (۴۴)

ثمان آيات بلا خلاف. إلا أن فى تفصيلها خلافاً لا نطول بذكره.

لما أخبر اللَّه تعالى موسى بأنه قد آتاه ما طلبه و أعطاه سؤله، عدد ما تقدم التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۷۳

ذلك من نعمه عليه و مننه لديه. فقال «وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرى و المنّ نعمة يقطع صاحبها بها عن غيره باختصاصها به. يقال: منّ عليه يمن مناً إذا أنعم عليه نعمة يقطعه إياها. و أصله القطع، و منه قوله «لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» «۱» اى غير مقطوع.

و حبل منين: أى منقطع. و المرة الكرة الواحدة من المر، و ذلك ان نعمة اللَّه (عز و جل) عليه مستمرة، فذكره الاجابة مرة و قبلها مرة أخرى. و قوله (إِذْ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّكَ ما يُوحى أى كانت هذه النعمة عليك حين أوحينا الى أمك ما يوحى، قال قوم: أراد انه ألهمها

ذلك. و قال الجبائى: رأت فى المنام أن اقذفيه فى التابوت، ثم اقذفيه فى اليم، و القذف هو الطرح، و اليم البحر قال الراجز:

كنازح اليم سقاه اليم «۲»

و قيل: المراد به هاهنا النيل. و قوله «فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ» جزاء و خبر أخرج مخرج الامر و مثله «اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ» و التقدير فاطرحيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل. و قوله «يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَ عَدُوٌّ لَهُ» يعنى فرعون. و كان عدوّاً للّه بكفره وحدانيته و ادعائه الربوبية، و كان عدو موسى، لتصوره أن ملكه ينقرض على يده.

و قوله «وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي» معناه إنى جعلت من رآك أحبك حتى أحبك فرعون، فسلمت من شره، و احبتك امرأته آسية بنت مزاحم فتبنتك.

و قوله (و لتصنع على عينى) قال قتادة: معناه لتغذى على محبتى و ارادتى، و تقديره و أنا أراك، يجرى أمرك على ما أريد بك من الرفاهة فى غذائك، كما يقول القائل لغيره: أنت منى بمرءاً و مستمع أى انا مراع لاحوالك. و قوله «إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى مَنْ يَكْفُلُهُ» قيل ان موسى امتنع أن يقبل ثدى مرضعة

---

(۱) سورة ۴۱ حم السجدة (فصلت) آية ۸ و سورة ۸۴ الانشقاق آية ۲۵ و سورة ۹۵ التين آية ۶

(۲) مر تخريجه فى ۴/ ۵۵۷ من هذا الكتاب

الا ثدى امه لما دلتهم عليها أخته، فلذلك قال (فَرَجَعْناكَ إِلى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ).

و قوله «وَ قَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْناكَ مِنَ الْغَمِّ» و

روى عن النبى (ص) أن قتله النفس كان خطأ.

و قال جماعة من المعتزلة: انه كان صغيرة. و قال أصحابنا: انه كان ترك مندوب اليه، لان اللّه تعالى قد كان حكم بقتله لكن ندبه الى تأخير قتله الى مدة غير ذلك، و انما نجاه من الفكر فى قتله، كيف لم يؤخره الى الوقت الذى ندبه اليه.

و قال قوم: أراد نجيناك من القتل لأنهم طلبوه ليقتلوه بالقبطى.

و قوله (وَ فَتَنَّاكَ فُتُوناً) أى اختبرناك اختباراً. و المعنى انا عاملناك معاملة المختبر حتى خلصت للاصطفاء بالرسالة، فكل هذا من اكبر نعمه. و قيل: الفتون وقوعه فى محنة بعد محنة حتى خلصه اللّه منها: أولها- أن امه حملته فى السنة التى كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم القاؤه فى اليم، ثم منعه من الرضاع إلا من ثدى أمه، ثم جره لحية فرعون حتى هم بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الدرة، فدرأ اللّه بذلك. عنه قتل فرعون، ثم مجيء رجل من شيعته يسعى ليخبره بما عزموا عليه من قتلة. و ذلك عن ابن عباس فالمعنى على هذا و خلصناك من المحن تخليصاً. و قيل معناه اخلصناك إخلاصاً. ذكره مجاهد.

و قوله «فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ» يعنى أقمت سنين عند شعيب، يعنى أحوالا اجيراً له ترعى غنمه، فمننا عليك و جعلناك نبياً حتى «جِئْتَ عَلى قَدَرٍ» أى فى الوقت الذى قدر لإرسالك، قال الشاعر:

نال الخلافة إذ كانت له قدراً كما اتى ربه موسى على قدر «۱»

و قال الجبائى معنى «وَ فَتَنَّاكَ فُتُوناً» أى شددنا عليك التعب فى أمر المعاش

---

(۱) مر تخريجه فى ۱/ ۳۰۷ من هذا الكتاب

حتى رعيت لشعيب عشر سنين، و يؤكده قوله «فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ» و هى مدينة شعيب «ثُمَّ جِئْتَ عَلى قَدَرٍ يا مُوسى و قوله «وَ

اصْطَنَعْتُكَ» أي اصطفيتك أخلصتك بالالطاف التى فعلتها بك، اخترت عندها الإخلاص لعبادتى. و قوله «لنفسى» ى لتنصرف على ارادتى و محبتى يقال: اصطنعه يصطنعه اصطناعاً، و هو (افتعال) من لصنع، و الصنع اتخاذ الخير لصاحبه. و وجه قوله «لنفسى» يعنى محبتى، لان المحبة لما كانت أخص شيء بالنفس حسن أن يجعل ما اختص بها مختصاً بالنفس على هذا الوجه.

و قوله «اذْهَبْ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بِآياتِي» أي بعلاماتى و حججى «وَ لا تَنِيا» أي لا تفترا، يقال: ونى فى الامر ينى ونياً إذا فتر فيه، فهو و ان و متوان. و قيل:

معناه لا تضعفا قال العجاج:

فما ونى محمد مذ أن غفر له الإله ما مضى و ما غبر «۱»

و قوله «فِي ذِكْرِي. اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى أي عتا و خرج عن الحد فى المعاصى «فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى معناه ادعواه الى اللّه و الى الايمان به و بما جئتما به، على الرجاء و الطمع، لا على اليأس من فلاحه. فوقع التعبد لهما على هذا الوجه، لأنه أبلغ فى دعائه الى الحق، بالحرص الذى يكون من الراجى للأمر. و قال السدى: معنى قوله «فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً» أي كنياه. و قيل: انه كانت كنية فرعون أبا الوليد. و قيل: أبا مرة. و قيل: معناه وّقراه و قارباه. و قوله «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ» معناه ليتذكر «أو يخشى» معناه أو يخاف. و المعنى انه يكون أحدهما إما ذكر أو الخشية. و قيل المعنى على رجائكما او طمعكما. لأنهما لا يعلمان هل يتذكر لا. و (لعل) للترجى إلا انه يكون لترجى المخاطب تارة و لترجى المخاطب أخرى

---

(۱) مر تخريجه فى ۶/ ۳۴۴ من هذا الكتاب

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۴۵ الى ۵۰] ..... ص : ۱۷۶

قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغى (۴۵) قالَ لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَ أَرى (۴۶) فَأْتِياهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ وَ لا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَ السَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى (۴۷) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا أَنَّ الْعَذابَ عَلى مَنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (۴۸) قالَ فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى (۴۹)

قالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى (۵۰)

ست آيات بلا خلاف.

لما امر اللّه موسى و هارون (ع) أن يمضيا الى فرعون و يدعواه الى اللّه «قالا اننا نخاف أن يفرط علينا» و معناه ان يتقدم فينا بعذاب، و يعجل علينا، و منه الفارط المتقدم امام القوم الى الماء، قال الشاعر:

قد فرط العجل علينا و عجل «۱»

و منه الافراط الإسراف، لأنه تقدم بين يدى الحق. و التفريط التقصير فى الأمر، لأنه تأخير عما يجب فيه التقدم. فالأصل فيه التقدم «أَوْ أَنْ يَطْغى أو يعتو علينا و يتجبر، فقال اللّه تعالى لهما «لا تَخافا» و لا تخشيا «إِنَّنِي مَعَكُما» أي عالم بأحوالكما، لا يخفى على شيء من ذلك، و إنى ناصر لكما، و حافظ لكما «اسمع» ما

---

(۱) تفسير الشوكانى ۳/ ۳۵۵ و القرطبى ۱۱/ ۱۹۸

يقول لكما «وارى» ما يفعل بكما. و قال ابن جريج «إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ» ما يحاوركما به «و أرى» ما تجيئان به. فالسامع هو المدرك

للصوت. و الرائى المدرك للمرئيات. ثم أمرهما بأن ياتياه، و يقولا له «إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ» بعثنا اللَّه اليك و الى قومك لندعوكم الى توحيد اللَّه و اخلاص عبادته، و يأمرك أن ترسل «مَعَنا بَنِی إِسْرائِیلَ» ای تخليهم و تفرج عنهم، و تطلقهم من اعتقالك «وَ لا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ» ای بمعجزة ظاهرة، و دلالة واضحة من عند ربك «و السلام» يعنى السلامة و الرحمة «عَلى مَنِ اتَّبَعَ» طريق الحق و (الهدى)، و (على) بمعنى اللام و تقديره السلامة لمن اتبع. و المعنى ان من اتبع طريق الهدى سلم من عذاب اللَّه.

و قوله (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا) معناه قولا- (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا أَنَّ الْعَذابَ عَلى مَنْ كَذَّبَ) بآيات اللَّه و اعرض عن اتباعها. و فى الكلام محذوف، و تقديره فأتياه فقولا له ذلك. قال «فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى و قيل: انه: قال فمن ربكما؟ على تغليب الخطاب، و المعنى فمن ربك و ربه يا موسى، فقال موسى مجيباً له «رَبُّنَا الَّذِی أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى و معناه أعطى كل شيء حى صورته التى قدر له ثم هداه الى مطعمه و مشربه و مسكنه و منكحه، الى غير ذلك من ضروب هدايته- فى قول مجاهد- و قيل: معناه أعطى كل شيء مثل خلقه من زوجة، ثم هداه لمنكحه من غير أن رأى ذكراً اتى أنثى قبل ذلك. و حذف المضاف و اقام المضاف اليه مقامه و غير ذلك من هدايته. و قرأ نصير عن الكسائى «خلقه» بفتح اللام و الخاء، على انه فعل ماض. الباقون بسكونها على انه مفعول به. و المعنى إنه خلق كل شيء على الهيئة التى بها ينتفع و التى هى أصلح الخلق له، ثم هداه لمعيشته و منافعه لدينه و دنياه.

(ج ۷ م ۲۳ من التبيان)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۷۸

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۵۱ الى ۵۵] ..... ص : ۱۷۸

قالَ فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى (۵۱) قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّی فِی كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّی وَ لا يَنْسى (۵۲) الَّذِی جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ سَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلًا وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتَّى (۵۳) كُلُوا وَ ارْعَوْا أَنْعامَكُمْ إِنَّ فِی ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِی النُّهى (۵۴) مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى (۵۵)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة (مهداً) على التوحيد. الباقون «مهاداً» على الجمع، و هو مثل فرش و فراش. و من قرأ «مهداً» قال ليوافق رؤس الآى. و المعنى «لا يَضِلُّ رَبِّی وَ لا يَنْسى الَّذِی جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ» مستقراً يمكنكم من التصرف عليها. و قال الزجاج: القرن اهل كل عصر فيهم نبى أو إمام او عالم يقتدى به، و إن لم يكن واحد منهم لم يسم قرناً.

حكى اللَّه تعالى ما قال فرعون لموسى «فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى و هى الأمم الماضية، و كان هذا السؤال منه معاياة لموسى، فأجابه موسى بأن قال «عِلْمُها عِنْدَ رَبِّی» لأنه لا يخفى عليه شيء من المعلومات. و قوله «فى كتاب» اى اثبت ذلك فى الكتاب المحفوظ لتعرفه الملائكة. و (الأولى) تأنيث (الأوّل) و هو الكائن على صفة قبل غيره. فإذا لم يكن قبله شيء، فهو قبل كل شيء، و أراد ذاك على ما فى معلوم اللَّه من أمرها. و قيل انه أراد من يؤدبهم و يجازيهم. و قيل: ان معنى «لا يَضِلُّ رَبِّی وَ لا يَنْسى اى لا يذهب التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۷۹

عليه شيء، و العرب تقول لكل ما ذهب على الإنسان مما ليس بحيوان: ضله، كقولهم:

ضل منزله إذا اخطأه يضله بغير الف، فإذا ضل منه حيوان فيقولون: أضل- بألف بعيره أو ناقته أو شاته بالألف. و الأصل فى الاول ضل عنه. و قرأ الحسن «يضل» بضم الياء و كسر الضاد.

و قوله «الَّذِی جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً» موضع (الذى) رفع بدل عن قوله «رَبِّی. وَ لا يَنْسى الَّذِی جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً» أى جعله لكم مستقراً تستقرون عليه «وَ سَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلًا» معناه انه جعل لكم فى الأرض سبلا تسلكوا فيها فى حوائجكم من موضع الى موضع، و انهج لكم الطرق «وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتَّى» كل ذلك من صفات قوله «لا يَضِلُّ رَبِّی وَ لا يَنْسى الَّذِی

جَعَلَ» جميع ما ذكر صفاته. و قوله «كُلُوا وَ ارْعَوْا أَنْعامَكَمْ» لفظه لفظ الامر و المراد الاباحة.

و قوله (إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى أى أن فى جميع ما عددناه دلالات لأولى العقول، و النهى جمع نهية نحو كسية و كسى، و هو شحم فى جوف الضب، و انما خص أولى النهى، لأنهم أهل الفكر و الاعتبار و أهل التدبير و الاتعاظ. و قيل لهم: اهل النهى، لأنهم ينهون النفوس عن القبائح و قيل لأنه ينتهى الى رأيهم.

و قوله (مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ) يعنى من الأرض خلقناكم و فى الأرض نعيدكم إذا امتناكم (وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى دفعة اخرى إذا حشرناكم.

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۵۶ الى ۶۰] ..... ص : ۱۷۹

وَ لَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها فَكَذَّبَ وَ أَبى (۵۶) قالَ أَ جِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِكَ يا مُوسى (۵۷) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنا وَ بَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لا أَنْتَ مَكاناً سُوىً (۵۸) قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (۵۹) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتى (۶۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۸۰

خمس آيات بلا خلاف.

قوله (وَ لَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها) تقديره أريناه آياتنا التى أعطيناها موسى و أظهرناها عليه (كلها) لما يقتضيه حال موسى (ع) معه، و لم يرد جميع آيات اللَّه التى يقدر عليها، و لا كل آية خلقها اللَّه، لان المعلوم أنه لم يرد به جميعها. و قوله (فَكَذَّبَ وَ أَبى معناه نسب الخبر الذى أتاه الى الكذب (وَ أَبى امتنع مما دعى اليه من توحيد اللَّه و اخلاص عبادته و الطاعة لما أمر به. و قال فرعون لموسى (أَ جِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِكَ يا مُوسى و السحر حيلة يخفى سببها و يظن بها المعجزة، و لذلك يكفر المصدق بالسحر، لأنه لا يمكنه العلم بصحة النبوة مع تصديقه بأن الساحر يأتى بسحره بتغيير الثابت. ثم قال فرعون لموسى (فلنأتينك) يا موسى (بسحر) مثل سحرك (فَاجْعَلْ بَيْنَنا وَ بَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لا أَنْتَ مَكاناً سُوىً) اى عدنا مكاناً نجتمع فيه و وقتا نأتى فيه (مَكاناً سُوىً) أى مكاناً عدلا بيننا و بينك- فى قول قتادة و السدى- و قيل معناه مستوياً يتبين الناس ما بيننا فيه- ذكره ابن زيد- و قيل:

معناه يستوى حالنا فى الرضا به. و فيه إذا قصر لغتان- كسر السين، و ضمها- و إذا فتحت السين مددته نحو قوله (إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ) «۱» و مثله عدى و عدى. و طوى و طوى، و ثنى و ثنى. و قال أبو عبيدة: (سوى) النصف و الوسط قال الشاعر:

و إن أبانا كان حل ببلدة سوى بين قيس قيس غيلان و الفزر «۲»

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۶۴

(۲) تفسير القرطبى ۱۱/ ۱۹۸ و الطبرى ۱۶/ ۱۱۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۸۱

قيس و فزر قبيلتان هنا. و الفزر القطيع من الشاء. و القيس القردة. و القيس مصدر قاس خطاه قيساً إذا سوى بينها و يقال جارية تميس ميساً و تقيس قيساً، فمعنى تميس تتبختر. و سأل رجل اعرابياً: ما اسمك قال محمد، قال: و الكنية، قال: ابو قيس. قال قبحك اللَّه أ تجمع بين اسم النبى و القرد.

و قرأ ابن عامر و عاصم و حمزة (سوى) بضم السين، الباقون بالكسر.

فقال له موسى «مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ» و هو يوم عيد كان لهم- فى قول قتادة و ابن جريج و السدى و ابن زيد و ابن إسحاق- و قال الفراء «يَوْمُ الزِّينَةِ» يوم شرف كانوا يتزينون بها. و قوله «وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى» يحتمل أن يكون فى موضع رفع، و تقديره موعدكم

حشر الناس. و يحتمل ان يكون فى موضع جر و تقديره يوم يحشر الناس.

و قوله «فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ» أى اعرض عن موسى على هذا الوعد «فَجَمَعَ كَيْدَهُ» من السحر و «اتى» يوم الموعد. و قرأ هبيرة عن حفص عن عاصم «يوم» بفتح الميم على الظرف. الباقون بضمها على أنه خبر (موعدكم) فجعلوا الموعد هو اليوم بعينه.

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۶۱ الى ۶۶] ..... ص : ۱۸۱

قالَ لَهُمْ مُوسى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى (۶۱) فَتَنازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَ أَسَرُّوا النَّجْوى (۶۲) قالُوا إِنْ هذانِ لَساحِرانِ يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَ يَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى (۶۳) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَ قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلى (۶۴) قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى (۶۵)

قالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذا حِبالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى (۶۶)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۸۲

ست آيات بلا خلاف.

قرأ «فيسحتكم»- بضم الياء و كسر الحاء- أهل الكوفة إلا أبا بكر. الباقون بفتح الياء و الحاء. و هما لغتان. يقال: سحت و أسحت إذا استأصل. و قرأ ابو عمرو «إن هذين» بتشديد (إن) و نصب (هذين). و قرأ نافع و حمزة و الكسائى و ابو بكر عن عاصم- بتشديد (ان) و الالف فى (هذان). و قرأ نافع و حمزة و الكسائى و أبو بكر عن عاصم- بتشديد (ان) و الالف فى (هذان). و قرأ ابن كثير (ان) مخففة (هذان) مشددة النون. و قرأ ابن عامر بتخفيف نون (إن) و تخفيف نون (هذان). و قرأ ابو عمرو وحده «فاجمعوا» بهمزة الوصل. الباقون بقطع الهمزة من أجمعت الأمر إذا عزمت عليه، قال الشاعر:

يا ليت شعرى و المنى لا تنفع هل اغدون يوما و أمرى مجمع «۱»

و قيل: إن جمعت و أجمعت لغتان فى العزم على الأمر يقال: جمعت الأمر، و أجمعت عليه، بمعنى أزمعت عليه و فى الكلام حذف، لان تقديره انهم حضروا و اجتمعوا يوم الزينة، فقال لهم حينئذ موسى يعنى للسحرة الذين جاءوا بسحرهم «لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ» اى لا تكذبوا عليه كذباً بتكذيبى، و تقولوا إن ما جئت به السحر. و الافتراء اقتطاع الخبر الباطل بإدخاله فى جملة الحق و أصله القطع من فراه يفريه فرياً. و افترى افتراء، و الافتراء و الافتعال و الاختلاق واحد و قوله «فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ» قال قتادة و ابن زيد و السدى معناه فيستأصلكم بعذاب. و السحت استقصاء الشعر فى الحلق: سحته سحتاً و اسحته

---

(۱) مر تخريجه فى ۵/ ۴۶۸ من هذا الكتاب

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۸۳

اسحاتاً لغتان، قال الفرزدق:

و عض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلف «۱»

و ينشد (مسحت) بالرفع على معنى لم يدع أى لم يبق. و من نصب قال أو مجلف، كذلك روى مسحتاً و مجلف. و سئل الفرزدق على ما رفعت إلا مسحتاً أو مجلف. فقال للسائل على ما يسوؤك و ينوؤك. و يقال: سحت شعره إذا استقصى حلقه. و المعنى إن العذاب إذا أتى من قبل اللَّه أخذهم و اهلكهم عن آخرهم.

و قوله «وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى أى انقطع رجاء من افترى الكذب. و الخيبة الامتناع على الطالب ما أمّل، و الخيبة انقطاع الرجاء يقال: رجع بخيبة، و هو إذا رجع بغير قضاء حاجته. و أشد ما يكون إذا أمل خيراً من جهة، فانقلب شراً منها.

و قوله «فَتَنازَعُوا أَمْرَهُمْ» معناه اختلفوا فيما بينهم. و التنازع محاولة كل واحد من المختلفين نزع المعنى عن صاحبه، تنازعا فى الامر

تنازعاً، و نازعه منازعة.

و قوله «وَ أَسَرُّوا النَّجْوى أی اخفوها فيما بينهم. قال قتادة: انهم قالوا:

إن كـان هـذا سـاحراً فسـنغلبه، و إن كـان من السـماء، فله أمره. و قـال: وهب بن منيـة: لمـا قـال لهم «وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى قالوا: ما هذا بقول ساحر. و قيل: أسـرارهم كان أنهم قالوا: ان غلبنا موسـی اتبعناه. و قيل أسروا النجوی دون موسی و هارون بقوله «إِنْ هذانِ لَساحِرانِ ...» الآية. و هو قول السدی. و قوله «إِنْ هذانِ لَساحِرانِ» قيل فيه أوجه:

أولها- إنه ضعف عمل (إن) لأنها تعمل و ليست فعلا لشبهها بالفعل، و ليست

---

(۱) مر تخريجه فی ۳/ ۵۲۳ و فی ديوان الفرزدق طبع (دار صادر، دار بيروت) ۲/ ۲۶ (مجرف) بدل (مجلف) و هو خطأ

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۸۴

بأصل فی العمل، كما انها لما خففت لم تعمل أصلا.

و الثانی- «إن هـذان» أشـبه (الذين) فی البناء، لأن أصـله الذی فزادوا نوناً للجمع، و تركوه علی حالة واحدة فی النصب و الجر و الرفع. فكذلك كان أصله (هذا) فيه ألف مجهولة فزادوا نوناً للتثنية و تركوها علی حالة واحدة فی الأحوال الثلاثة.

و الثالث- إن (ان) بمعنی (إنه) إلا انها حذفت الهاء.

و الرابع- انه لمـا حـذفت الألـف من (هـذا) صـارت ألف التثنيـة عوضـاً منها، فلم تزل علی حالها. و هی لغة بنی الحارث بن كعب، و خثعم، و زبيد، و جماعة من قبائل اليمن. و قال بعض بنی الحارث بن كعب:

و اطرق اطراق الشجاع و لو يری مساغاً لناباه الشجاع لصمما «۱»

و قال آخر:

إن أباها و أبا أباها قد بلغا فی المجد غايتاها «۲»

و قال آخر:

تزود منا بين أذناه ضربة دعته الی هابی التراب عقيم «۳»

الخامس- و قال المبرد و إسـماعيل بن إسـحاق القاضـی: أحسن ما قيل فی ذلك ان (ان) تكون بمعنی نعم و يكون تقـديره نعم هذان لساحران، فيكون ابتداء و خبراً قال الشاعر:

ظل العواذل بالضحی يلحينني و ألومهنه

---

(۱) تفسير القرطبی ۱۱/ ۲۱۵ و تفسير الطبری ۱۶/ ۱۱۹

(۲) تفسير القرطبی ۱۱/ ۲۱۷ و الشوكانی ۳/ ۳۶۱

(۳) تفسير القرطبی ۱۱/ ۲۱۷ و مجمع البيان ۴/ ۱۶ [.....]

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۸۵

و يقلن شيب قد علاك و قد كبرت فقلت انه «۱»

و وجه قراءة حفص انه جعل (إن) بمعنی (ما) و تقديره: ما هذان ساحران.

و روی ان ابن مسعود قرأ (ان هذان ساحران) بغير لام. و قرأ أبی (إن هذان إلا ساحران). و من جعل (ان) بمعنی (نعم) جعل حجته فی دخول اللام فی الخبر قول الشاعر:

خالی لانت و من جرير خاله ينل العلا و تكرم الأخوال «۲»

و قال آخر:

ام الحليس لعجوز شهربة ترضى من اللحم بعظم الرقبة «۳»

هذه الآية حكاية عن قول فرعون أنه قال لهم «إن هذين» يعنى موسى و هارون «لَساحِرانِ يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَ يَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى قال مجاهد: معناه يذهبا بطريقة اولى العقل و الاشراف و الأنساب. و قال ابو صالح:

و يذهبا بسراة الناس. و قال قتادة: و يذهبا ببنى إسرائيل، و كانوا عدداً يسيراً. و قال ابن زيد: معناه و يذهبا بالطريقة التى أنتم عليها فى السيرة [و قيل: المعنى يذهبان بأهل طريقتكم المثلى. و الأمثل الأشبه بالحق الثابت، و الصواب الظاهر. و هو الاولى به «۴»].

و قال لهم فرعون ايضاً «فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ» فمن قطع الهمزة أراد فاعزموا على أمركم و كيدكم و سحركم. و قيل: جمع و أجمع لغتان فى العزم على الشيء يقال: جمعت

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۱/ ۲۱۸ و مجمع البيان ۴/ ۱۵

(۲) تفسير الشوكانى ۳/ ۴۳۳ و تفسير القرطبى ۱۱/ ۲۱۹

(۳) تفسير القرطبى ۱۱/ ۲۱۹

(۴) ما بين القوسين كان فى المطبوعة متأخراً عن موضعه مع اخطاء كثيرة فيه (ج ۷ م ۲۴ من التبيان)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۸۶

الأمر و أجمعت عليه.

«ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا» و معناه مصطفين. و قال الزجاج: هو كقولهم: أتيت الصف أى الجماعة. و لم يجمع (صفاً) لأنه مصدر. و قال قوم: إن هذا من قول فرعون للسحرة. و قال آخرون: بل هو من قول بعض السحرة لبعض.

و قوله «وَ قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلى معناه قد فاز اليوم من علا على صاحبه بالغلبة. و «قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى حكاية عما قالت السحرة لموسى فإنهم خيرّوه فى الإلقاء بين أن يلقوا أولا ما معهم أو يلقى موسى عصاه، ثم يلقون ما معهم، فقال لهم موسى «بل القوا» أنتم ما معكم «فَإِذا حِبالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ» أى القوا ما معهم، فإذا حبالهم و عصيّهم. و حبال جمع حبل، و عصى جمع عصا، و يجع الحبل حبلًا و العصى أعصيا و يثنى عصوان. و انما أمرهم بالإلقاء، و هو كفر منهم، لأنه ليس بأمر، و انما هو تهديد. و معناه الخبر، بان من كان إلقاؤه منكم حجة عنده ابتدأ بالإلقاء، ذكره الجبائى. و قال قوم: يجوز أن يكون ذلك أمراً على الحقيقة أمرهم بالإلقاء على وجه الاعتبار، لا على وجه الكفر.

و قيل كان عدّة السحرة سبعين ألفاً- فى قول القاسم بن أبى برّة و قال ابن جريج:

كانوا تسعمائة.

و قوله «فَإِذا حِبالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى و انما قال يخيل، لأنها لم تكن تسعى حقيقة، و انما تحركت، لأنه قيل إنه كان جعل داخلها زئبق، فلما حميت بالشمس طلب الزئبق الصعود، فتحركت العصى و الحبال، فظن موسى أنها تسعى. و قوله «يُخَيَّلُ إِلَيْهِ» قيل الى فرعون. و قيل الى موسى. و هو الأظهر.

لقوله «فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى و انما خاف دخول الشبهة على قومه. و قيل خاف بطبع البشرية.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۸۷

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۶۷ الى ۷۰] ..... ص : ۱۸۷

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى (۶۷) قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى (۶۸) وَ أَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَ

لا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتى (۶۹) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسى (۷۰)

اربع آيات.

قرأ ابن عامر «تلقف» بتشديد القاف و رفع الفاء. و قرأ حفص عن عاصم ساكنة الفاء مجزومة خفيفة القاف. الباقون مشددة القاف مجزومة الفاء. و قرأ حمزة و الكسائى «كيد سحر» على (فعل) الباقون «ساحر» على (فاعل) قال ابو على: حجة من قال (ساحر) أن الكيد للساحر، لا للسحر إلا أن يريد كيد ذى سحر، فيكون المعنيان واحداً، و لا يمتنع ان يضاف الكيد الى السحر مجازاً. قوله «فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى قيل فى وجه خيفته قولان:

أحدهما- قال الجبائى و البلخى خاف أن يلتبس على الناس أمرهم، فيتوهموا أنه كان بمنزلة ما كان من أمر عصاه.

الثانى- انه خاف بطبع البشرية لما رأى من كثرة ما تخيل من الحيات العظام، فقال اللّه تعالى له «لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى أى انك انت الغالب لهم و القاهر لامرهم، ثم أمره تعالى فقال له «أَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ» يعنى العصا «تَلْقَفْ ما صَنَعُوا» أى تأخذها بفيها ابتلاعاً و (ما) هاهنا بمعنى الذى، و تقديره تلقف الذى صنعوا فيه، لان فعلهم لا يمكن ابتلاعه، لأنها اعراض. و يقال: لقف يلقف و تلقف يتلقف.

و من قرأ (تلقف) مضمومة الفاء مشددة القاف، أراد تتلقف فاسقط احد التائين، و كذلك التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۸۸

روى ابن فليح عن البزى عن ابن كثير بتشديد التاء، لأنه ادغم إحداهما فى الاخرى.

و من سكن الفاء جعلها جواب الأمر. و من رفع، فعلى تقدير، فهى تلقف. و قيل: إنها ابتلعت حمل ثلاث مائة بعير من الحبال و العصى. ثم أخذها موسى فرجعت الى حالها عصاً، كما كانت. ثم اخبر تعالى، بأن الذى صنعوه كيد سحر، او كيد ساحر، على اختلاف القراءتين. و انما رفع «كيد ساحر» لأنه خبر (ان). و المعنى إن الذى صنعوه كيد ساحر، و يجوز فيه النصب على أن تكون (ما) كافة لعمل (إن) كقولك إنما ضربت زيداً، و مثله «إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً» «۱» ثم اخبر تعالى أن الساحر لا يفلح أى لا يفوز بفلاح أى بنجاة «حَيْثُ أَتى أى حيث وجد. و قال بعضهم، لأنه يجب قتله على كل حال، فلما رأت السحرة ما فعله اللّه من قلب العصا ثعباناً و إبطال سحرهم علموا انه من قبل اللّه، و انه ليس بسحر، فالقوا نفوسهم ساجدين للّه، مقرين بنبوة موسى (ع) مصدقين له. و «قالُوا آمَنَّا» أى صدقنا «بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسى و قيل معناه صدقنا بالرب الذى يدعو اليه هارون و موسى، لأنه رب الخلائق أجمعين.

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۷۱ الى ۷۵] ..... ص : ۱۸۸

قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقى (۷۱) قالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلى ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الَّذِي فَطَرَنا فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ إِنَّما تَقْضِي هذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا (۷۲) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا وَ ما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَ اللَّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقى (۷۳) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى (۷۴) وَ مَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ فَأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلى (۷۵)

---

(۱) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۱۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۸۹

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و حفص و ورش «آمنتم» على لفظ الخبر. و قرأ اهل الكوفة إلا حفصاً بهمزتين. الباقون بهمزة واحدة بعدها مدة. قال ابو على: من قرأ على الخبر، فوجهه أنه قرّعهم على تقدمهم بين يديه، و على استبدادهم بما كان منهم من الايمان بغير اذنه و أمره، و الاستفهام يؤل الى هذا المعنى. و وجه قراءة أبى عمرو انه أتى بهمزة الاستفهام و همزة الوصل، و قلب الثانية مدة، كراهية اجتماع

الهمزتين.

و قد مضى شرح ذلك فيما مضى.

حكى اللَّه تعالى ما قال فرعون للسحرة حين آمنوا بموسى و هارون «آمَنْتُمْ لَهُ» أى صدقتموه و اتبعتموه «قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ» و قال فى موضع آخر «آمَنْتُمْ بِهِ» «۱» و قيل فى الفرق بينهما «ان آمَنْتُمْ لَهُ» يفيد الاتباع، و ليس كذلك «آمَنْتُمْ بِهِ» لأنه قد يوقن بالخير من غير اتباع له فيما دعا اليه إلا أنه إذا قبل قول الداعى الى أمر أخذ به. و من قرأ «آمنتم على الخبر» كأن فرعون أخبر بذلك. و من قرأ على لفظ الاستفهام كأنه استفهم عن ايمانهم على وجه التقريع لهم.

و الفرق بين الاذن و الأمر، أن فى الامر دلالة على إرادة الفعل المأمور به، و ليس

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۱۲۲

فى الاذن دلالة على إرادة المأذون فيه، كقوله «وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا» «۱» فهذا إذن. ثم قال فرعون «انه» يعنى موسى «لَكَبِيرُكُمُ» اى رئيسكم و متقدمكم «الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ» ثم هددهم فقال «فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ» يعنى قطع اليد اليمنى و الرجل اليسرى او اليد اليسرى و الرجل اليمنى. و قيل أول من فعل ذلك فرعون، و أول من صلب فى جذوع النخل هو، و (فى) بمعنى (على) قال الشاعر:

و هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا «۲»

و قوله «وَ لَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقى قال ابن إسحاق و محمد بن كعب القرطى معناه: أبقى عقاباً ان عصى و ثواباً ان أطيع، و رفع «أينا» لأنه وقع موقع الاستفهام، و لم يعمل فيه ما قبله من العلم. و قيل انما نسبهم الى اتباع رئيسهم فى السحر ليصرف بذلك الناس عن اتباع موسى (ع) فأجابته السحرة فقالوا «لَنْ نُؤْثِرَكَ» أى لا نختارك يا فرعون «عَلى ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ» يعنى الادلة الدالة على صدق موسى و صحة نبوته. و قوله «وَ الَّذِى فَطَرَنا» يعنى و على الذى خلقنا فيكون عطفاً على «ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ» فيكون جراً، و يحتمل أن يكون جراً بأنه قسم. و قوله «فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ» معناه فاصنع ما انت صانع على تمام من قولهم: قضى فلان حاجتى إذا صنع ما أريد على إتمام، قال ابو ذؤيب:

و عليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع «۳»

و قوله «إِنَّما تَقْضِي هذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا» يعنى انما تصنع بسلطانك و عذابك فى هذه الحياة الدنيا دون الاخرة. و قيل: معناه ان الذى يفنى و ينقضى هذه الحياة

---

(۱) سورة، ۵، المائدة آية ۳

(۲) تفسير الشوكانى ۳/ ۳۶۳ و القرطبى ۱۱/ ۲۲۴ و الطبرى ۱۶/ ۱۲۶

(۳) مر هذا البيت فى ۱/ ۴۲۹ و ۴/ ۸۸ و ۱۶۵ و ۵/ ۳۹۸

الدنيا دون حياة الآخرة. و قوله «إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا» اى صدقنا به، نطلب بذلك أن يغفر لنا خطايانا و يغفر لنا ما أكرهتنا عليه من السحر. قال ابن زيد و ابن عباس:

إن فرعون رفع غلماناً الى السحرة يعلمونهم السحر بالغرائم قالوا «وَ اللَّهُ خَيْرٌ» لنا منكم «وَ أَبْقى لنا ثواباً من ثوابك. ثم حكى قول السحرة انهم قالوا «إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً» و قيل انه خبر من اللَّه تعالى بذلك دون الحكاية عن السحرة «فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ» جزاء على

جرمه و عصيانه «لا- يَمُوتُ فِيها» يعنى جهنم «وَ لا- يَحْيى اى لا- يموت فيها فيستريح من العذاب، و لا يحيى حياة فيها راحة، بل هو معاقب بأنواع العقاب.

ثم اخبر تعالى فقال «وَ مَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً» أى مصدقا بتوحيده و صدق أنبيائه و «قَدْ عَمِلَ» الطاعات التى أمره بها (فَأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلى أى العاليه و العلى جمع عليا مثل ظلمة و ظلم و الكبرى و الكبر.

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۷۶ الى ۸۰] ..... ص : ۱۹۱

جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ ذلِكَ جَزاءُ مَنْ تَزَكَّى (۷۶) وَ لَقَدْ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخافُ دَرَكاً وَ لا تَخْشى (۷۷) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ (۷۸) وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ ما هَدى (۷۹) يا بَنِي إِسْرائِيلَ قَدْ أَنْجَيْناكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَ واعَدْناكُمْ جانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَ نَزَّلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى (۸۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۹۲

خمس آيات.

قرأ حمزة وحده (لا- تخف دركاً) على النهى، أو على الجزاء لقوله «فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً» الباقون «لا تخاف» بالرفع «و لا تخشى» بألف بلا- خلاف على الاستئناف. و مثله قوله «يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ» «۱». و قيل انه يحتمل ان يكون «لا- تخش» مجزوماً، و زيد الالف ليوافق رؤس الآى كما، قال الشاعر:

الم يأتيك و الأبناء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد «۲»

و من قرأ «لا- تخاف» بالرفع، و «لا- تخشى» مثله، فهو على الخبر. و قال ابو على: هو فى موضع نصب على الحال، و تقديره طريقاً فى البحر يبساً غير خائف دركاً. و قرأ حمزة و الكسائى «انجيتكم، و وعدتكم» بالتاء فيهما بغير الف. الباقون بالألف و النون. و قرأ ابو عمرو وحده «و وعدناكم» بغير الف. الباقون «و واعدناكم» بالف. و لم يختلفوا فى «نزلنا» انه بالنون. و معنى التاء و النون قريب بعضه من بعض، لكن النون لعظم حال المتكلم.

لما اخبر اللَّه تعالى ان لمن آمن باللَّه الدرجات العلى، قال و لهم «جَنَّاتُ عَدْنٍ» اى بساتين إقامة «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها» و قد فسرناه فى غير موضع.

ثم قال «و ذلك» الذى وصفه «جَزاءُ مَنْ تَزَكَّى» فالتزكى طلب الزكا بارادة الطاعة، و العمل بها. و الزكا النماء فى الخير، و منه الزكاة، لان المال ينمو بها فى العاجل و الأجل، لما لصاحبها عليها من ثواب اللَّه تعالى. و قيل: معنى «تزكى» تطهر من الذنوب بالطاعة بدلا من تدنيسها بالمعصية. و الخلود المكث فى الشيء الى غير غاية.

---

(۱) سورة ۳ آية آل عمران آية ۱۱۱

(۲) مر هذا البيت ۶/ ۱۹۰ و هو فى تفسير القرطبى ۱۱/ ۲۲۴ و تفسير الشوكانى ۳/ ۴۳۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۹۳

ثم أخبر تعالى فقال (وَ لَقَدْ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي) أى سر بهم ليلا لأن الاسراء السير بالليل (فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً) و المعنى: اضرب بعصاك البحر تجعل طريقاً، فكأنه قيل: اجعل طريقاً بالضرب بالعصا، فعداه الى الطريق لما دخله هذا المعنى فكأنه قد ضرب الطريق، كضربه الدينار.

و اليبس اليابس و جمعه ايباس، و جمع اليبس- بسكون الباء- يبوس. و قال ابو عبيدة: اليبس- بفتح الباء- المكان الجاف. و إذا كان اليبس فى نبات الأرض فهو اليبس- بسكون الباء- قال علقمة بن عبده:

تخشخش أبدان الحديد عليهم كما خشخشت يبس الحصاد جنوب

و قوله (لا تَخافُ دَرَكاً وَ لا تَخْشى معناه لا تخف أن يدركك فرعون، و لا تخش الغرق من البحر- فى قول ابن عباس و قتادة- و قيل: معناه لا تخف لحوقاً من عدوك، و لا تخش الغرق من البحر الذى انفرج عنك. و المعنيان متقاربان. و كان سبب ذلك أن اصحاب موسى قالوا له: هذا فرعون قد لحقنا، و هذا البحر قد غشينا يعنون اليم، فقال اللَّه تعالى «لا تَخافُ دَرَكاً وَ لا تَخْشى.

ثم اخبر تعالى فقال (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ) أى دخل خلف موسى و بنى إسرائيل، و فى الكلام حذف لأن تقديره: فدخل موسى و قومه البحر ثم أتبعهم فرعون بجنوده و من اتبعهم. فمن قطع الهمزة جعل الباء زائدة. و من وصلها أراد: تبعهم و سار فى أثرهم، و الباء للتعدية.

و قوله (فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ) يعنى الذى غشيهم. و قيل: معناه تعظيم للأمر لأن (غشيهم) قد دل على (ما غشيهم) و إنما ذكره تعظيماً. و قيل: ذكره تأكيداً. و قال قوم: معناه فغشيهم الذى عرفتموه. كما قال ابو النجم:

(ج ۷ م ۲۵ من التبيان) التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۹۴

أنا ابو النجم و شعرى شعرى «۱»

و قال الزجاج: فغشيهم من اليم ما غرقهم. و قال الفراء: معناه «فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ» لأنه ليس الماء كله غشيهم، و انما غشيهم بعضه. و قال قوم: معناه «فَغَشِيَهُمْ» يعنى أصحاب فرعون «مِنَ الْيَمِّ» ما غشى قوم موسى إلا أن اللَّه غرق هؤلاء، و نجا أولئك. و يجوز أن يكون المراد: فغشيهم من قبل اليم الذى غشيهم من الموت و الهلاك، فكأنه قال: الذى غشيهم من الموت و الهلاك كان من قبل البحر إذ غشيهم، فيكون (غشيهم) الاول للبحر، و (غشيهم) الثانى للهلاك و الموت.

و قوله «وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ ما هَدى معناه أنه دعاهم الى الضلال و أغواهم، فضلوا عنده، فنسب اليه الضلال. و قيل: إن معناه أستمر بهم على الضلالة فلذلك قيل «وَ ما هَدى . ثم عدد اللَّه على بنى إسرائيل نعمه، بأن قال «يا بَنِي إِسْرائِيلَ قَدْ أَنْجَيْناكُمْ» أى خلصناكم «مِنْ عَدُوِّكُمْ» فرعون «وَ واعَدْناكُمْ جانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ» معناه إن اللَّه واعدكم جانب الجبل الذى هو الطور، لتسمعوا كلام اللَّه لموسى بحضرتكم هناك «وَ نَزَّلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى يعنى فى زمان التيه أنزل عليهم المن، و هو الذى يقع على بعض الأشجار، و السلوى طائر أكبر من السمان.

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۸۱ الى ۸۵] ..... ص : ۱۹۴

كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ لا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى (۸۱) وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى (۸۲) وَ ما أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يا مُوسى (۸۳) قالَ هُمْ أُولاءِ عَلى أَثَرِي وَ عَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضى (۸۴) قالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (۸۵)

---

(۱) آمالى السيد المرتضى ۱/ ۳۵۰. و بعد: (لله درى ما يجن صدرى)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۹۵

خمس آيات.

قرأ الكسائى وحده «فيحل عليكم» بضم الحاء، و كذلك «من يحلل» بضم اللام. الباقون- بكسرها- و لم يختلفوا فى الكسر من قوله «أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ» «۱» يقال حل بالمكان يحل إذا نزل به، و حل يحل- بالكسر- بمعنى وجب.

قوله «كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ» صورته صورة الأمر و المراد به الاباحة، لان اللَّه تعالى لا يريد المباحات من الأكل و الشرب فى دار التكليف.

و الطيبات معناه الحلال. و قيل معناه المستلذات.

و قوله «وَ لا تَطْغَوْا فِيهِ» معناه لا تتعدوا فيه فتأكلوه على وجه حرمه اللّه عليكم، فتتعدون فيه بمعصية اللّه، و يمكن ترك الأكل على وجه حرمه اللّه الى وجه أباحه اللّه على الوجه الذى أذن فيه، و على وجه الطاعة أيضاً، للاستعانة به على غيره من طاعة اللّه.

و قوله «فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي» معناه متى طغيتم فيه و اكلتموه على وجه الحرام، نزل عليكم غضبى، على قراءة من ضم الحاء. و من كسره، معناه يجب عليكم غضبى الذى هو عقاب اللّه.

ثم اخبر تعالى أن من حل غضب اللّه عليه «فَقَدْ هَوى يعنى هلك، لأن من هوى من علو الى سفل، فقد هلك. و قيل: هو بمعنى تردى و قيل: معناه هوى الى النار.

---

(۱) سورة ۲۰ طه آية ۸۶

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۹۶

ثم أخبر تعالى عن نفسه أنه «غفار» أى ستار «لمن تاب من المعاصى» فاسقط عقابه و ستر معاصيه إذا أضاف الى إيمانه الأعمال الصالحات «ثُمَّ اهْتَدى قال قتادة: معناه ثم لزم الايمان إلى أن يموت، كأنه قال: ثم استمر على الاستقامة.

و انما قال ذلك، لئلا يتكل الإنسان على انه قد كان أخلص الطاعة. و فى تفسير أهل البيت (ع) ان معناه «ثم اهتدى» الى ولاية أوليائه الذين أوجب اللّه طاعتهم و الانقياد لامرهم. و قال ثابت البنائى: ثم اهتدى الى ولاية أهل بيت النبى (ص).

ثم خاطب موسى (ع)، فقال «وَ ما أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يا مُوسى قال ابن إسحاق: كانت المواعدة أن يوافى هو و قومه، فسبق موسى الى ميقات ربه، فقرره اللّه على ذلك لم فعله؟ و قال موسى فى جوابه «هُمْ أُولاءِ عَلى أَثَرِي وَ عَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضى فقال اللّه تعالى «فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ» أى عاملناهم معاملة المختبر بان شددنا عليهم فى التعبد بأن ألزمناهم عند إخراج العجل أن يستدلوا على أنه لا يجوز أن يكون إلهاً، و لا أن يحل الاله فيه، فحقيقة الفتنة تشديد العبادة.

و قوله «وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ» معناه أنه دعاهم الى عبادة العجل، فضلوا عند ذلك، فنسب اللّه الإضلال اليه لما ضلوا بدعائه.

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۸۶ الى ۹۰] ..... ص : ۱۹۶

فَرَجَعَ مُوسى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قالَ يا قَوْمِ أَ لَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَ فَطالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (۸۶) قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا وَ لكِنَّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْناها فَكَذلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (۸۷) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقالُوا هذا إِلهُكُمْ وَ إِلهُ مُوسى فَنَسِيَ (۸۸) أَ فَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَ لا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً (۸۹) وَ لَقَدْ قالَ لَهُمْ هارُونُ مِنْ قَبْلُ يا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ وَ إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمنُ فَاتَّبِعُونِي وَ أَطِيعُوا أَمْرِي (۹۰)

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۹۷

خمس آيات.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو و ابن عامر «بملكنا» بكسر الميم- و قرأ نافع و عاصم- بفتح الميم- و قرأ حمزة و الكسائى- بضم الميم- من ضم الميم فمعناه بسلطاننا و قيل إن فى ذلك ثلاث لغات: فتح الميم و ضمها و كسرها. و قرأ ابو عمرو، و حمزة و أبو بكر «حملنا»- بفتح الحاء و الميم- مخففاً. الباقون- بضم الحاء و كسر الميم- مشدداً.

اخبر اللّه تعالى أن موسى رجع من ميقات ربه «إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً» و الغضب ضد الرضا، و هو ما يدعو الى فعل العقاب، و الأسف أشد الغضب. و قال ابن عباس: معنى «أسفاً» اى حزيناً. و به قال قتادة و السدى. و الأسف أشد الغضب. و قال بعضهم: قد يكون بمعنى الغضب، و يكون بمعنى الحزن. قال اللّه تعالى «فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ» «۱» أى أغضبونا، فقال موسى لقومه «يا قَوْمِ أَ لَمْ يَعِدْكُمْ

رَبُّكَمْ وَعْداً حَسَناً» لأن اللّه تعالى كان وعد موسى بالنجاة من عدوهم، و مجيئهم الى جانب الطور الأيمن، و وعده بأنه تعالى «غفار لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى

---

(۱) سورة ۴۳ الزخرف آية ۵۵ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۹۸

ثم قال «أ فَطالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ» أى عهدى و لقائى فنسيتموه «أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ» اى يجب عليكم «غضب» اى عقاب «مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي» أى ما وعدتمونى من المقام على الطاعات. و قال الحسن: معنى «أ لَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً» فى الآخرة على التمسك بدينه فى الدنيا. و قيل الذى وعدهم اللّه به التوراة، و فيها النور و الهدى ليعملوا بما فيها، و يستحقوا عليه الثواب. و كانوا وعدوه أن يقيموا على أمرهم، فأخلفوا، و قالوا جواباً لموسى «ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا» أى قال المؤمنون: لم نملك أن نرد عن ذلك السفهاء. قال قتادة و السدى: معنى «بملكنا» بطاقتنا. و قال ابن زيد: معناه لم نملك أنفسنا للبلية التى وقعت بنا.

فمن فتح الميم: أراد المصدر. و من كسرها أراد: ما يتملك. و من ضم أراد:

السلطان و القوة به.

و قوله «وَ لكِنَّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ» معناه إنا حملنا أثقالا- من حلى آل فرعون، و ذلك أن موسى أمرهم ان يستعيروا من حليهم- فى قول ابن عباس و مجاهد و السدى و ابن زيد- و قيل: جعلت حلالا لهم. و من قرأ بالتشديد أراد ان غيرنا حملنا ذلك بأن أمرنا بحمله.

و قوله «فَقَذَفْناها» أى طرحنا تلك الحلى، و مثل ذلك «أَلْقَى السَّامِرِيُّ» ما كان معه من الحلى. و قيل «أَوْزاراً» أى أثقالا من حلى آل فرعون، لما قذفهم البحر أخذوها منهم. ثم اخبر تعالى فقال: إن السامرى أخرج لقوم موسى عجلا جسداً له خوار، فقيل ان ذلك العجل كان فى صورة ثور صاغها من الحلى التى كانت معهم، ثم ألقى عليها من أثر جبرائيل شيئاً، فانقلب حيواناً يخور- ذكره الحسن و قتادة و السدى- و (الخور) الصوت الشديد كصوت البقرة. و قال مجاهد: كان خواره بالريح إذا دخلت فى جوفه. و أجاز قوم الأول، و قالوا: إن ذلك معجزة تجوز التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۱۹۹

فى زمن الأنبياء. و قول مجاهد أقوى، لأن إظهار المعجزات لا يجوز على أيدى المبطلين، و إن كان فى زمن الأنبياء. و قال الجبائى: انما صوره على صورة العجل و جعل فيه خروقاً إذا دخله الريح أوهم انه يخور. و قيل: انه خار دفعة واحدة «فَقالُوا هذا إِلهُكُمْ وَ إِلهُ مُوسى يعنى قال ذلك السامرى و من تابعه ان هذا العجل معبودكم و معبود موسى، «فنسى» أى نسى موسى أنه إلهه، و هو قول السامرى- فى قول ابن عباس و قتادة و مجاهد و السدى و ابن زيد و الضحاك- و قال ابن عباس فى رواية أخرى: معناه، فنسى السامرى ما كان عليه من الايمان، لأنه نافق لما عبر البحر. و معناه ترك ما كان عليه. و قال قوم: معناه «فنسى» موسى أنه أراد هذا العجل، فنسى و ترك الطريق الذى يصل منه اليه، و يكون حكاية قول السامرى.

ثم قال تعالى تنبيهاً لهم على خطئهم «أفلا- يرون» أى أفلا يعلمون أنه «أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا» أى لا يجيبهم إذا خاطبوه، و لا يقدر لهم على ضر و لا نفع.

ثم اخبر ان هارون قال لهم قبل ذلك «يا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ» أى ابتليتم و اختبرتم به «وَ إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمنُ» اى الذى يستحق العبادة عليكم هو الرحمن الذى أنعم عليكم بضروب النعم «فاتبعونى» فيما أقول لكم «وَ أَطِيعُوا أَمْرِي» فيما آمركم به.

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۹۱ الى ۹۵] ..... ص : ۱۹۹

قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسى (۹۱) قالَ يا هارُونُ ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (۹۲) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَ فَعَصَيْتَ أَمْرِي (۹۳)

قالَ يَا بْنَ أَمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَ لا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (۹۴) قالَ فَما خَطْبُكَ يا سامِرِيُّ (۹۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۰۰

خمس آيات.

قرأ «يا ابن أم»- بفتح الميم- ابن كثير و أبو عمرو، و عاصم فى رواية حفص. الباقون- بكسر الميم- من فتح الميم جعل «ابن أم» اسماً واحداً و بناهما على الفتح مثل (خمسة عشر) إلا ان (خمسة عشر) تضمن معنى الواو، و تقديره خمسة و عشرة، و «ابن أم» بمعنى اللام و تقديره: لأمي، و كلاهما على تقدير الاتصال بالحرف على جهة الحذف، و يجوز «يا ابن أم» على الاضافة، و لم يجئ هذا البناء إلا فى يا أبن ام، و يا ابن عم، لأنه كثر حتى صار يقال للأجنبى، فلما عدل بمعناه عدل بلفظه، قال الشاعر:

رجال و نسوان يودون أننى و إياك نخزى يا ابن عم و نفضح

و يحتمل ان يكون (أراد يا بن أماه) فرخم. و يحتمل ان يكون أراد (يا بن اما) [فخفف. و من كسر أراد يا بن أمى «۱» لأن العرب تقول: يا ابن اما بمعنى يا ابن أمى و يا ربا بمعنى يا ربى. فمن كسر أراد: يا ابن أمى، فحذف الياء و أبقى الكسرة تدل عليها.

حكى اللَّه تعالى ما أجاب به قوم موسى لهارون حين نهاهم عن عبادة العجل و أمرهم باتباعه، فإنهم «قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسى أى لن نزال لازمين لهذا العجل الى أن يعود إلينا موسى، فننظر ما يقول قال الشاعر:

فما برحت خيل تثوب و تدعى و يلحق منها لاحق و تقطع «۲»

---

(۱) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

(۲) مر تخريجه فى ۶/ ۱۸۲ و روايته هناك- (فتئت) بدل (برحت)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۰۱

و العكوف لزوم الشيء مع القصد اليه على مرور الوقت، و منه الاعتكاف فى المسجد. ثم اخبر تعالى أن موسى لما رجع الى قومه، قال لهارون «يا هارون ما منعك ألا تتبعنى» قال ابن عباس: معناه بمن أقام على إيمانه. و قال ابن جريج: معناه ألا تتبعنى فى شدة الزجر لهم عن الكفر. و معنى (ألا تتبعنى) ما منعك أن تتبعنى و (لا) زائدة. كما «قالَ ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ» «۱» و قد بينا القول فى ذلك. و إنما جاز ذلك لأنه المفهوم أن المراد ما منعك بدعائه لك الى أن لا تتبعنى فدخلت (لا) لتنبئ عن هذا المعنى، و هو منع الداعى دون منع الحائل.

و قوله «أَ فَعَصَيْتَ أَمْرِي» صورته صورة الاستفهام، و المراد به التقرير، لأن موسى كان يعلم أن هارون لا يعصيه فى أمره، فقال له هارون فى الجواب تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَ لا بِرَأْسِي»

حين أخذ موسى بلحيته و رأسه. و قيل فى وجه ذلك قولان:

أحدهما- ان عادة ذلك الوقت أن الواحد إذا خاطب غيره قبض على لحيته، كما يقبض على يده فى عادتنا، و العادات تختلف و لم يكن ذلك على وجه الاستخفاف.

و الثانى- انه أجراه مجرى نفسه إذا غضب، فى القبض على لحيته، لأنه لم يكن يتهم عليه، كما لا يتهم على نفسه.

و قولهِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائِيلَ»

معناه إنى خفت أنى إن فعلت ذلك على وجه العنف و الإكراه أن يتفرقوا و تختلف كلمتهم و يصيروا أحزاباً، حزباً يلحقون بموسى و حزباً يقيمون مع السامرى على اتباعه، و حزباً يقيمون على الشك فى أمره. ثم لا يؤمن إذا تركتهم كذلك أن يصيروا بالخلاف الى سفك الدماء، و شدة التصميم على أمر السامرى، فاعتذر بما مثله يقبل، لأنه وجه

(١) سورة ٧ الاعراف آية ١١ (ج ٧ م ٢٦ من التبيان)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٠٢

من وجوه الرأى.

قولهَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي»

أى لم تحفظ قولي- فى قول ابن عباس- فعدل عن ذلك موسى الى خطاب السامرى، فقال له «فَما خَطْبُکَ یا سامِرِيُّ» أى ما شأنك و ما دعاك الى ما صنعت؟! و أصل الخطب: الجليل من الأمر، فكأنه قيل: ما هذا العظيم الذى دعاك الى ما صنعت.

قوله تعالى:[سورة طه (٢٠): الآيات ٩٦ الى ١٠٠] ..... ص : ٢٠٢

قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ یَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَ کَذلِکَ سَوَّلَتْ لِی نَفْسِی (٩٦) قالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَکَ فِی الْحَیاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِساسَ وَ إِنَّ لَکَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَ انْظُرْ إِلی إِلهِکَ الَّذِی ظَلْتَ عَلَیْهِ عاکِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِی الْیَمِّ نَسْفاً (٩٧) إِنَّما إِلهُکُمُ اللَّهُ الَّذِی لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ کُلَّ شَیْءٍ عِلْماً (٩٨) کَذلِکَ نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْباءِ ما قَدْ سَبَقَ وَ قَدْ آتَیْناکَ مِنْ لَدُنَّا ذِکْراً (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ یَحْمِلُ یَوْمَ الْقِیامَةِ وِزْراً (١٠٠)

خمس آيات.

قرأ حمزة و الكسائى «ما لم تبصروا» بالتاء. الباقون بالياء المعجمة من أسفل. من قرأ بالتاء حمله على خطابه لجميعهم. و من قرأ بالياء أراد: بصرت بما لم يبصروا بنو إسرائيل. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو «لن تخلفه» بكسر اللام. التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٠٣

الباقون بفتح اللام. و المعنى: لأن اللَّه يكافيك على ما فعلت يوم القيامة، لأنه بذلك وعد. يقال: أخلفت موعد فلان إذا لم تف بما وعدته. و من قرأ- على ما لم يسم فاعله- جعل الخلف من غير المخاطب، و الهاء كناية عن الموعد، و هو المفعول به، و الفاعل لم يذكر.

حكى اللَّه تعالى قول موسى للسامرى و سؤاله إياه بقوله «فَما خَطْبُکَ یا سامِرِيُّ» و حكى ما أجاب به السامرى، فانه قال «بَصُرْتُ بِما لَمْ یَبْصُرُوا بِهِ» و المعنى رأيت ما لم يروه. فمن قرأ بالياء أراد ما لم يبصروا هؤلاء. و من قرأ بالتاء حمله على الخطاب و بصر لا يتعدى، و إن كانت الرؤية متعدية، لأن ما كان على وزن (فعل) بضم العين لا يتعدى، غير انه و ان كان غير متعد، فانه يتعدى بحرف الجر، كما عداه- هاهنا- بالباء. و قيل بصرت- هاهنا- بمعنى علمت من البصيرة. يقال: بصر يبصر إذا علم. و ابصر ابصاراً إذا رأى.

و قوله «فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها» قرأ الحسن بالصاد غير المعجمة.

و القراء على القراءة بالضاد المنقطة، و الفرق بينهما ان (القبضة) بالضاد بملىء الكف، و بالصاد غير المعجمة بأطراف الأصابع. و قيل: انه قبض قبضة من اثر جبرائيل (ع) «فنبذتها» فى الحلى على ما اطمعتنى نفسى من انقلابه حيواناً. و قال ابن زيد:

معنى «سَوَّلَتْ لِی نَفْسِی» حدثتنى. و قيل: معناه زينت لى نفسى.

فان قيل: لم جاز انقلابه حيواناً- مع انه معجز- لغير نبى؟! قلنا: فى ذلك خلاف، فمنهم من قال: انه كان معلوماً معتاداً فى ذلك الوقت انه من قبض من اثر الرسول قبضة فألقاها على جماد صار حيواناً- ذكره ابو بكر ابن الاخشاذ- فعلى هذا لا يكون خرق عادة بل كان معتاداً. و قال الحسن: صار لحماً و دماً. و قال الجبائى: المعنى سوّلت له نفسه ما لا حقيقة له و انما خار بحيلة: جعلت التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٠٤

فيه خروق إذا دخلتها الريح سمع له خوار منه. فقال له موسى عند ذلك «فاذهب» يا سامرى «فَإِنَّ لَکَ فِی الْحَیاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِساسَ» و اختلفوا فى معناه، فقال قوم:

معناه تقول لا أمس و لا أمس، و كان موسى امر بنى إسرائيل ألّا يؤاكلوه و لا يخالطوه و لا يبايعوه، فيما ذكر. و قال الجبائى: معناه انه لاـ مساس لأحد من الناس، لأنه جعل يهيم فى البرية مع الوحش و السباع. و قوله «لا مساس» بالكسر و الفتح، فان كسرت فمثل لا رجال، و إذا فتحت الميم بنيت على الكسر مثل نزال، قال رؤبة:

حتى تقول الأرد لا مساسا «۱»

و قال الشاعر:

تميم كرهط السامرى و قوله ألا لا يريد السامرى مساسا «۲»

و كله بمعنى المماسة و المخالطة. ثم قال «وَ إِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ» من جهتنا فيمن قرأ بالفتح، و من قرأ بالكسر معناه لا تخلفه انت، و هما متقاربان، و يريد بالموعد البعث و النشور و الجزاء، اما جنة و اما ناراً. ثم قال «انْظُرْ إِلى إِلهِكَ» يعنى معبودك عند نفسك أبصره «الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً» قال ابن عباس: معناه أقمت عليه عاكفاً، و أصله ظللت، فحذف اللام المكسورة للتخفيف و كراهية التضعيف، و للعرب فيها مذهبان، فتح الظاء، و كسرها، فمن فتح تركها على حالها، و من كسر نقل حركة اللام اليها للاشعار بأصلها. و مثله مست و مست فى مسست. و همت و همت، فى هممت، و هل احست فى أحسست، قال الشاعر:

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۱/ ۲۴۱/ و الشوكانى ۳/ ۳۷۱

(۲) تفسير القرطبى ۱۱/ ۲۴۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۰۵

خلا ان العتاق من المطايا أحس به فهن اليه شوس «۱»

و قوله «لنحرقنه» يعنى بالنار يقال: انه حرقه ثم ذراه فى البحر- فى قول ابن عباس- يقال حرقته بتشديد الراء إذا حرقته بالنار و حرقته بتخفيف الراء بمعنى بردته بالمبرد، و ذلك لأنه يقطع به كما يقطع المحرق بالنار يقال حرقته و أحرقته حرقاً، كما قال الشاعر:

بذى فرفير يوم بنو حبيب بيوتهم علينا يحرقونا «۲»

و قال زهير:

ابى الضيم و النعمان يحرق نابه عليه فأفضى و السيوف معاقله «۳»

و قرأ ابو جعفر المدنى

«لنحرقنه» بفتح النون و سكون الحاء و ضم الراء بمعنى لنبردنه. و روى ذلك عن على (ع)

، و يقال نسف فلان الطعام بالمنسف إذا ذراه لتطير عنه قشوره. و قال سعيد بن جبير: كان السامرى رجلا من اهل كرمان. و قال قوم: كان من بنى إسرائيل، و اليه تنسب (السامرة) من اليهود.

و حكى قوم: ان قبيلته الى اليوم يقولون فى كلامهم: لا مساس.

ثم اقبل على قومه فقال «إِنَّما إِلهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» اى ليس لكم معبود الا اللَّه الذى «وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً» اى يعلم كل شىء، لا يخفى عليه شىء منها، و هى لفظة عجيبة فى الفصاحة.

ثم قال تعالى لنبيه محمد (ص) مثل ذلك «نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ» يعنى اخبار «ما قَدْ سَبَقَ» و تقدم «وَ قَدْ آتَيْناكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً» اى أعطيناك من عندنا

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۶/ ۱۳۷ و القرطبى ۱۱/ ۲۴۲

(۲) تفسير الطبرى ۱۶/ ۱۳۸

(۳) ديوان (دار بيروت) ۶۹ و هذا البيت برمته ساقط من المطبوعة

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۰۶

علماً بأخبار الماضين. و قال الجبائى: أراد آتيناك من عندنا القرآن لأنه سماه ذكراً.

ثم قال «مَنْ أَعْرَضَ» عن التصديق بما أخبرناك به و عن توحيد اللَّه، و اخلاص عبادته «فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وِزْراً» اى اثماً، و اصل الوزر الثقل، فى قول مجاهد.

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۱۰۱ الى ۱۰۷] ..... ص : ۲۰۶

خالِدِينَ فِيهِ وَ ساءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ حِمْلًا (۱۰۱) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً (۱۰۲) يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً (۱۰۳) نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً (۱۰۴) وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّي نَسْفاً (۱۰۵) فَيَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً (۱۰۶) لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً (۱۰۷)

سبع آيات.

قرأ ابو عمرو وحده «يوم ننفخ» بفتح النون مع قوله «و نحشر». الباقون «ينفخ» بالياء على ما لم يسم فاعله. قوله «خالدين» نصب على الحال، و العامل فيه (العذاب) الذى تقدم ذكره من الوزر، و المعنى فى عذاب الإثم (وَ ساءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ حِمْلًا) نصب (حملا) على التمييز، و فاعل (ساء) مضمر، و تقديره:

ساء الحمل حملا، الا انه استغنى بالمفسر عن اظهار المضمر، كقولهم بئس رجلا صاحبك. و انما أضمر، ثم فسره، لأنه افخم و اهول، و المعنى و ساء ذلك الحمل الوزر لهم يوم القيامة حملا، فيما ينزل بهم.

و قوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) فالنفخ إخراج الريح من الجوف بالدفع من التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۰۷

الفم، فهذا أصله، ثم قد يسمى احداث الريح من الزقّ او البوق نفخاً، لأنه كالنفخ المعروف. و (الصور) قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه جمع صورة، كل حيوان تنفخ فيه الروح، فتجرى فى جسمه، و يقوم حيّا بإذن اللَّه.

و الثانى- انه قرن ينفخ فيه النفخة الثانية ليقوم الناس من قبورهم عند تلك النفخة تصويراً لتلك الحال فى النفوس بما هو معلوم، مما عهدوه من بوق الرحيل و بوق النزول.

و قوله (وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً) قيل: معناه إنه أزرقت عيونهم من شدة العطش. و قيل: معناه عمياً، كما قال (وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً) «۱» كأنها ترى زرقاً و هى عمى. و قيل: المعنى فى (زرقاً) تشويه الخلق:

وجوههم سود و أعينهم زرق.

و قوله (يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ) معناه يتشاورون بينهم- فى قول ابن عباس- و منه قوله (وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها) و معناه لا تعلن صوتك بالقراءة فى الصلاة كل الإعلان و لا تخفها كل الإخفاء (وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا) «۲» و قوله (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً) يعنى ما أقمتم فى قبوركم إلا عشراً. و انما يقولون ذلك القول لأنهم لشدة ما يرونه من هول القيامة ينسون ما لبثوا فى الدنيا، فيقولون هذا القول.

و قيل: معناه و تأويله انه يذهب عنهم طول لبثهم فى قبورهم لما يرون من أحوالهم التى رجعت اليهم، كأنهم كانوا نياماً، فانتبهوا، و قال الحسن: إن لبثتم إلا عشراً يقللون لبثهم فى الدنيا لطول ما هم لابثون فى النار.

ثم قال تعالى (نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً) أى أصلحهم

---

(۱) سورة ۱۷ الإسراء آية ۹۷

(۲) سورة ۱۷ الإسراء آية ۱۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۰۸

طريقة و أوفرهم عقلاـ و قيل: أكثرهم سداداً، يعنى عند نفسه (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً) قال ابو على الجبائى: معناه (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً) بعد انقطاع عذاب القبر عنهم، و ذلك ان اللَّه يعذبهم ثم يعيدهم.

ثم قال لنبيه محمد (ص) (وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّى نَسْفاً) قيل:

انه يجعلها بمنزلة الرمل، ثم يرسل. عليها الرياح فتذريها كتذرية الطعام من القشور و التراب. و قيل: ان الجبال تصير كالهباء (فَيَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً) قال ابن عباس:

الصفصف الموضع المستوى الذى لا نبات فيه، و هو قول مجاهد و ابن زيد. و قيل هو المكان المستوى كأنه على صف واحد فى استوائه، و القاع قيل: هو الأرض الملساء.

و قيل مستنقع الماء و جمعه اقواع قال الشاعر:

كان أيديهن بالقاع القرق أيدى جوار يتعاطين الورق «۱»

و قال الكلبى: الصفصف ما لا تراب فيه. (لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً) يعنى وادياً و لا رابية- فى قول ابن عباس- و قيل (عوجاً) معناه صدعاً (و لا أمتاً) يعنى اكمة.

و قيل: معنى (عوجاً) ميلًا و (أمتاً) اثراً. و قال ابو عبيدة: (صفصفاً) اى مستوياً املساً. و (العوج) مصدر ما اعوج من المجارى، و المسايل و الأودية و الارتفاع يميناً و شمالا و «لا أمتاً» اى لا رباً و لا وهاد، أى لا ارتفاع فيه و لا هبوط، يقال: مد حبله حتى ما ترك فيه امتاً، و ملأ سقاه حتى ما ترك فيه أمتاً أى انثناء، قال الشاعر:

ما فى انحداب سيره من أمت «۲»

---

(۱) أمالى الشريف المرتضى ۱/ ۵۶۱ و اللسان (قرق)

(۲) تفسير الطبرى ۶/ ۱۴۱ و الشوكانى ۳/ ۳۷۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۰۹

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۱۰۸ الى ۱۱۰] ..... ص : ۲۰۹

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً (۱۰۸) يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلاً (۱۰۹) يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً (۱۱۰)

ثلاث آيات.

يقول اللَّه تعالى إن اليوم الذى ينسف اللَّه فيه الجبال نسفاً، و يذرها قاعاً صفصفاً، حتى لا يبقى فيه عوج و لا امت، تتبع الخلائق يومئذ الداعى لهم الى المحشر (لاـ عِوَجَ لَهُ) اى لا يميلون عنه، و لا يعدلون عن ندائه، و لا يعصونه كما يعصون فى دار الدنيا (وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ) اى تخضع له بمعنى انها تسكن، و لا ترتفع- فى قول ابن عباس- و الخشوع الخضوع قال الشاعر:

لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة و الجبال الخشع «۱»

و قوله تعالى «فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً» فالهمس صوت الأقدام- فى قول ابن عباس و ابن زيد- و قال مجاهد: الهمس إخفاء الكلام، قال الراجز فى الهمس:

و هن يمشين بنا هميساً «۲»

يعنى صوت أخفاف الإبل فى سيرها. و قوله (يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا) اخبر اللَّه تعالى أن ذلك

اليوم لا تنفع شفاعة احد فى

---

(۱) قائله جرير ديوانه (دار بيروت) ۲۷۰ و قد مر فى ۱/ ۲۰۴، ۳۱۲ من هذا الكتاب

(۲) تفسير القرطبى ۱۱/ ۲۴۹ و الشوكانى ۳/ ۳۷۲ و الطبرى ۱۶/ ۱۴۱ (ج ۷ م ۲۷ من التبيان) [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۱۰

غيره، إلا شفاعة من أذن اللَّه له أن يشفع، و رضى قوله فيها: من الأنبياء و الأولياء و الصديقين و المؤمنين. ثم قال (يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ) أى يعلم ما بين أيدى الخلائق من أمور القيامة و أحوالهم، و يعلم ما سبقهم فيما تقدمهم (و لا يحيطون) هم (به) باللَّه (علماً). و المعنى انهم لا- يعلمون كل ما هو تعالى عالم به لنفسه، فلا يعلمه أحد علم إحاطة، و هو تعالى يعلم جميع ذلك، و جميع الأشياء علم إحاطة، بمعنى انه يعلمها على كل وجه يصح أن تعلم عليه مفصلا. و قال الجبائى: معناه و لا يحيطون بما خلفهم علماً، و لا بما بين أيديهم.

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۱۱۱ الى ۱۱۵] ..... ص : ۲۱۰

وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَ قَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً (۱۱۱) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخافُ ظُلْماً وَ لا هَضْماً (۱۱۲) وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا وَ صَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً (۱۱۳) فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَ لا- تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً (۱۱۴) وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (۱۱۵)

خمس آيات.

قرأ ابن كثير وحده (فلا يخف ظلماً) على النهى. الباقون على الخبر. قال ابو على النحوى: قوله (و هو مؤمن) جملة فى موضع الحال و العامل فيها (يعمل) و ذو الحال الذكر الذى فى يعمل من (من)، و موضع الفاء، و ما بعدها من قوله التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۱۱

(فلا- يخاف) الجزم، لكونه فى موضع جواب الشرط. و المبتدأ محذوف مراد بعد الفاء، و تقديره: فهو لا يخاف، و الأمر فى ذلك حسن، لأن تقديره من عمل صالحاً فليأمن، و لا يخف. و المراد الخبر بأن المؤمن الصالح لا خوف عليه و قوله (وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ) أى خضعت و ذلت خضوع الأسير فى يد القاهر له، و العانى الأسير، و يقال: عنا وجهى لربه يعنو عنواً اى ذل و خضع و منه: أخذت الشيء عنوة أى غلبة بذل المأخوذ منه، و قد يكون العنوة عن تسليم و طاعة، لأنه على طاعة الذليل للعزيز قال الشاعر:

هل انت مطيعى ايها القلب عنوة و لم تلح نفس لم تلم فى اختيالها «۱»

و قال آخر:

فما أخذوها عنوة عن مودة و لكن بضرب المشرفىّ استقالها «۲»

و (عنت) ذلت- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة. و (القيوم) قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه العالم فيما يستقيم به تدبير جميع الخلق، فعلى هذا لم يزل اللَّه قيوماً و الثانى- انه القائم بتدبير الخلق، و هى مثل صفة حكيم على وجهين. و قال الجبائى: القيوم القائم بأنه دائم لا يبيد و لا يزول. و قال الحسن: هو القائم على كل نفس بما كست حتى يجزيها. و وجه (عنت الوجوه للحى القيوم) انها تدل عليه، لأن الفعل منه تعالى يدل على انه قادر و كونه قادراً يدل على انه عالم. و قيل: معنى (وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ) هو وضع الجبهة و الانف على الأرض فى السجود- فى قول طلق ابن حبيب

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۶/ ۱۴۲

. (۲) تفسير الطبرى ۱۶/ ۱۴۲ و القرطبى ۱۱/ ۲۱۹ و اللسان (عنو)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۱۲

و قوله (وَ قَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً) أى خسر الثواب من جاء يوم القيامة كافراً ظالماً مستحقاً للعقاب. و (من) فى قوله (من الصالحات) زائدة عند قوم و المراد من يعمل الصالحات. و يحتمل ان تكون للتبعيض، لان جميع الصالحات لا يمكن احد فعلها، فأخبر اللَّه تعالى ان من يعمل الاعمال الصالحات، و هو مؤمن عارف باللَّه تعالى مصدق بأنبيائه (فَلا يَخافُ ظُلْماً وَ لا هَضْماً) اى لا يخاف ظلماً بالزيادة فى سيئاته، و لا زيادة فى عقابه الذى يستحقه على معاصيه (وَ لا هَضْماً) أى و لا نقصاناً من حسناته و لا من ثوابه- فى قول ابن عباس و الحسن و قتادة- و قيل (فَلا يَخافُ ظُلْماً) بأن لا يجزى بعلمه (و لا هضماً) بالانتقاص من حقه- فى قول ابن زيد.

فمن قرأ «فلا يخاف» أراد الاخبار بذلك. و من قرأ «فلا يخف» معناه معنى النهى للمؤمن الذى وصفه عن أن يخاف ظلماً او هضماً. و أصل الهضم النقص، يقال:

هضمنى فلان حقى اى نقصنى. و امرأة هضيم الحشا أى ضامرة الكشحين بنقصانه عن حد غيره. و منه هضمت المعدة الطعام اى نقصت مع تغييرها له.

و قوله «وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا» أى كما أخبرناك باخبار القيامة أنزلنا عليك يا محمد القرآن «وَ صَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ» اى ذكرناه على وجوه مختلفة، و بيناه بألفاظ مختلفة، لكى يتقوا معاصيه و يحذروا عقابه «او يحدث» القرآن «لهم ذكراً» و معناه ذكراً يعتبرون به. و قيل «ذكراً» اى شرفاً بايمانهم به.

ثم قال تعالى «فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ» اى ذو الحق، و معناه ارتفع- معنى صفته- فوق كل شيء سواه، لأنه اقدر من كل قادر، و اعلم من كل عالم سواه لأن كل قادر عالم سواه يحتاج اليه، و هو غنى عنه.

و قوله «وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ» اى لا تسأل انزاله قبل ان يأتيك وحيه. و قيل: معناه لا تلقه الى الناس قبل ان يأتيك بيان التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۱۳

تأويله. و قيل: لا تعجل بتلاوته قبل ان يفرغ جبرائيل من ادائه اليك.

و قوله «وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً» اى استزد من اللَّه علماً الى علمك. و

قال الحسن: كان النبى (ص) إذا نزل عليه الوحى عجل بقراءته مخافة نسيانه.

و قوله «وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً» قال ابن عباس و مجاهد: معناه عهد اللَّه اليه، بأن أمره به و وصاه به «فنسى» اى ترك. و قيل إنما أخذ الإنسان من انه عهد اليه فنسى- فى قول ابن عباس- و قوله «وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً» اى عقداً ثابتاً. و قال قتادة: يعنى صبراً. و قال عطية: اى لم نجد له حفظاً.

و العزم الارادة المتقدمة لتوطين النفس على الفعل.

و قرأ يعقوب «من قبل ان نقضى» بالنون و كسر الضاد و فتح الياء بعدها «وحيه» بنصب الياء. الباقون «يقضى» بناه لما لم يسم فاعله و رفع الياء فى قوله «وحيه»

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۱۱۶ الى ۱۲۰] ..... ص : ۲۱۳

وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبى (۱۱۶) فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقى (۱۱۷) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيها وَ لا تَعْرى (۱۱۸) وَ أَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَ لا تَضْحى (۱۱۹) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لا يَبْلى (۱۲۰)

خمس آيات قرأ نافع و أبو بكر عن عاصم «و إنك لا تظمؤ» بكسر الهمزة على الاستئناف التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۱۴

و قطعه عن الأول. الباقون بالنصب عطفاً على اسم (أن).

يقول اللَّه تعالى لنبيه (ص) يا محمد و اذكر حين قال اللَّه تعالى «لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» أى أمرهم بالسجود له، و انهم سجدوا له بأجمعهم إلا إبليس و قد بينا- فيما تقدم- أن أمر اللَّه تعالى للملائكة بالسجود لآدم يدل على تفضيله عليهم، و إن كان السجود لله تعالى لا لآدم. لأن السجود عبادة، لا يجوز أن يفعل إلا للَّه، فأما المخلوقات فلا تستحق شيئاً من العبادة بحال، لأن العبادة تستحق بأصول النعم و بقدر من النعم لا يوازيها نعمة منعم.

و قال قوم: ان سجود الملائكة لآدم كان كما يسجد الى جهة الكعبة- و هو قول الجبائي- و الصحيح الأول، لأن التعظيم الذى هو فى أعلى المراتب حاصل للَّه لا لآدم بإسجاد الملائكة له. و لو لم يكن الأمر على ما قلناه من أن فى ذلك تفضيلا لآدم عليهم، لما كان لامتناع إبليس من السجود له وجه، و لما كان لقوله «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» «۱» وجه. فلما احتج إبليس بأنه أفضل من آدم- و إن أخطا فى الاحتجاج- علمنا أن موضوع الأمر بالسجود لآدم على جهة التفضيل، و إلا كان يقول اللَّه لإبليس: إنى ما فضلته على من أمرته بالسجود لآدم و إنما السجود لى، و هو بمنزلة القبلة، فلا ينبغى أن تانف من ذلك. و قد بينا أن الظاهر- فى روايات أصحابنا- أن إبليس كان من جملة الملائكة،

و هو المشهور- فى قول ابن عباس- و ذكره البلخى- فعلى هذا يكون استثناء إبليس من جملة الملائكة استثناء متصلا. و من قال: إن إبليس لم يكن من جملة الملائكة قال: هو استثناء منقطع، و انما جاز ذلك، لأنه كان مأموراً ايضاً بالسجود له، فاستثنى على المعنى دون اللفظ، كما يقال: خرج أصحاب الأمير إلا الأمير، و كما قال عنتر

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۱۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۱۵

ابن دجاجة:

من كان أشرك فى تفرق مالح فلبونه جربت معاً و اغذت

الا كنا شرة الذى ضيعتم كالغصن فى غلوائه المتثبت

و المعنى لكن هذا كناشرة. و تقول: قام الأشراف للرئيس، إلا العامى الذى لا يلتفت اليه. قال الرمانى: و إذا أمر الملائكة بالسجود اقتضى أن من دونهم داخل معهم، كما أنه إذا أمر الكبراء بالقيام للأمير اقتضى أن الصغار القدر، قد دخلوا معهم.

و قوله «أبى» معناه امتنع «فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ» حكاية عما قال اللَّه لآدم: إن إبليس عدوك و عدو زوجتك يريد إخراجكما من الجنة، و نسب الإخراج الى إبليس إذ كان بدعائه و اغوائه.

و قوله «فتشقى» قيل: معناه تتعب بأن تأكل من كدّ يدك و ما تكتسبه لنفسك. و قيل: فتشقى على خطاب الواحد، و المعنى فتشقى أنت و زوجك، لأن أمرهما فى السبب واحد، فاستوى حكمهما لاستوائهما فى العلة. و قيل: خص بالشقاء لأن الرجل يكد على زوجته.

و قوله «إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيها وَ لا تَعْرى يعنى فى الجنة ما دمت على طاعتك لى و الامتثال لأمرى و انك «لا تَعْرى فيها من الكسوة «وَ أَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها» اى لا تعطش فيها «وَ لا تَضْحى أى لا يصيبك حر الشمس- و هو قول ابن عباس و سعيد بن جبير و قتادة- و قال عمر بن أبى ربيعة:

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيضحى و أما بالعشى فيخضر «۱»

أى يخضر من البرد. و قيل: ليس فى الجنة شمس انما فيها نور و ضياء. و انما

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۱۲۱ و روايته (يخصر) بدل (يخضر) و معناها واحد

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۷، ص: ۲۱۶

الشمس فى سماء الدنيا خاصة. و ضحى الرجل يضحى إذا برز للشمس. قال أبو على:

إنما لم يجز أن يقول انك لا تجوع و إنك لا تظمأ. بغير فصل كراهة اجتماع حرفين متقاربين فى المعنى، فإذا فصل بينهما لم يكره ذلك، كما كرهوا: إن لزيداً قائم، و لم يكرهوا «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ» مع الفصل. و قال الرمانى إنما جاز أن تعمل (انّ) فى (أن) بفصل و لم يجز من غير فصل كراهية التعقيد بمداخلة المعانى المتقاربة، فاما المتباعدة فلا يقع بالاتصال فيها تعقيد، لأنها متباينة مع الاتصال لالفاظها، فلذلك جاز «إن لك ان لا تظمؤا فيها» و لم يجز ان انك لا تظمؤ، لأنه بغير فصل.

ثم اخبر تعالى أن إبليس وسوس لآدم، فقال له «هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ...» أى على شجرة إن تناولت منها بقيت فى الجنة مخلداً لا تخرج منها، و حصل لك ملك و سلطان لا يبلى على الأبد، و لا يهلك. و هى الشجرة التى نهاه اللَّه تعالى عن تناولها. و قد قدمناه اختلاف المفسرين فى ماهية تلك الشجرة فيما مضى فلا وجه لإعادته.

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۱۲۱ الى ۱۲۵] ..... ص : ۲۱۶

فَأَكَلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَ طَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى (۱۲۱) ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى (۱۲۲) قالَ اهْبِطا مِنْها جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَ لا يَشْقى (۱۲۳) وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى (۱۲۴) قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً (۱۲۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۷، ص: ۲۱۷

خمس آيات.

اخبر اللَّه تعالى عن آدم و حواء أنهما أكلا من الشجرة التى نهى اللَّه عن أكلها، و عندنا أن النهى كان على وجه التنزيه. و الأولى أن يكون على وجه الندب دون نهى الحظر و التحريم، لأن الحرام لا يكون إلا قبيحاً، و الأنبياء لا يجوز عليهم شى‌ء من القبائح لا كبيرها و لا صغيرها. و قال الجبائى: لا تقع معاصى الأنبياء إلا سهواً، فأما مع العلم بأنها معاصى فلا تقع. و قال قوم آخرون: إنه وقع من آدم أكل الشجرة خطأ، لأنه كان نهى عن جنس الشجرة فظن انه نهى عن شجرة بعينها، فأخطأ فى ذلك. و هذا خطأ لأنه تنزيه له من وجه المعصية، و نسبة المعصية اليه من وجهين:

أحدهما- أنه فعل القبيح. و الثانى- أنه أخطأ فى الاستدلال. و قال قوم: انها وقعت منه عمداً، و كانت صغيرة. وقعت محبطة. و قد بينا أن ذلك لا يجوز عليهم (ع) عندنا بحال. و قال الرمانى: لما حلف إبليس لهما لم يقبلا منه، و لم يصدقاه، و لكن فعلا ذلك لغلبة شهوتهما، كما يقول الغاوى للإنسان ازن بهذه المرأة، فإنك ان أخذت لم تحد، فلا يصدقه، و يزنى بها لشهوته. و قال الحسن: أكلت حواء أولا و ابت عليه ان يجامعها حتى يأكل منها، فأكل حينئذ.

و قوله «فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما» أى ظهرت لهما عوراتهما، لان ما كان عليهما من اللباس نزع عنهما، و لم يكن ذلك على وجه العقوبة بل لتغيير المصلحة فى نزعهما و إخراجهما من الجنة و اهباطهما الأرض و تكليفهما فيها. و انما جمع سوآتهما، و هو لأثنين، لأن كل شيئين من شيئين، فهو من موضع التثنية جمع، لأن الاضافة تثنية التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۷، ص: ۲۱۸

مع أنه لا إخلال فيه لمناسبة الجمع للتثنية. و قال السدى: كان لباس سوآتهما الظفر.

و قوله «طفقا» يعنى ظلا، و جعلا يفعلان.

و قوله «يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ» فالخصف خيط الشى‌ء بقطعة من غيره، يقال: خصفه يخصفه خصفاً، فهو خاصف و خصاف.

و قيل: انهما كانا يطبقان ورق الجنة بعضه على بعض و يخيطان بعضه الى بعض ليسترا به سوآتهما.

و قوله «وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى» معناه خالف ما أمره اللَّه به فخاب ثوابه.

و المعصیة مخالفة الأمر سواء کان واجباً او ندباً قال الشاعر:

أمرتک امراً جازماً فعصیتنی «۱»

و یقال ایضاً: أشرت علیک بکذا، فعصیتنی، و یقال غوی یغوی غوایة و غیاً و غیاً إذا خاب، قال الشاعر:

فمن یلق خیراً یحمد الناس أمره و من یغو لا یعدم علی الغی لائما «۲»

أی من یخب، و فی الکلام حذف، لان تقدیره ان آدم تاب الی اللَّه و ندم علی ما فعل، فاجتباه اللَّه و اصطفاه «فَتابَ عَلَیْهِ» أی قبل توبته. و هداه الی معرفته و الی الثواب الذی عرضه له.

و قوله «قالَ اهْبِطا مِنْها جَمِیعاً بَعْضُکُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» یعنی آدم و حواء و إبلیس و ذریته. و قد بینا معنی الهبوط فیما تقدم «۳» و اختلاف الناس فیه. و المعنی أنه أخرج هؤلاء من الجنة بأن أمرهم بالخروج منها علی وجه تغییر المصلحة فی أمره، و لإبلیس علی وجه العقوبة. و قد بینا فیما تقدم ان إخراج إبلیس من الجنة، کان قبل ذلک حین أمره اللَّه بالسجود لآدم فامتنع فلعنه و أخرجه، و انما أغوی آدم من

---

(۱) مر هذا البیت کاملا فی ۶/ ۳۵۵

. (۲) مر هذا البیت فی ۲/ ۳۱۲ و ۴/ ۳۹۱ و ۵/ ۵۴۸ و ۶/ ۳۳۶

. (۳) انظر ۱/ ۱۶۲ و ۴/ ۲۹۸

خارج الجنة، لأنه قیل: ان آدم کان یخرج الی باب الجنة. و ذکرنا أقوال المفسرین فی ذلک فیما مضی «۱».

و قوله «فَإِمَّا یَأْتِیَنَّکُمْ مِنِّی هُدیً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدایَ فَلا یَضِلُّ وَ لا یَشْقی معناه ان أتاکم هدی بمنی بأن أکلفکم، و انصب لکم الادلة علی ما آمرکم به من معرفتی و توحیدی و العمل بطاعتی، فمن اتبع أدلتی و عمل بما آمره به، فانه «لا یضل» فی الدنیا «و لا یشقی» فی الآخرة. و قال ابن عباس: ضمن الله تعالی لمن قرأ القرآن و عمل بما فیه ألّا یضل فی الدنیا و لا یشقی فی الآخرة.

و قوله «وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی» [أی من لم ینظر فی ذکری الذی هو القرآن و الادلة المنصوبة علی الحق و صدق عنها] «۲» «فَإِنَّ لَهُ مَعِیشَةً ضَنْکاً وَ نَحْشُرُهُ یَوْمَ الْقِیامَةِ أَعْمی فالضنک الضیق الصعب، منزل ضنک أی ضیق، و عیش ضنک، لا یثنی و لا یجمع و لا یؤنث، لأن أصله المصدر. ثم وصف به، قال عنترة:

إن یلحقوا أکرر و ان یستلحموا أشدد و ان یلفوا بضنک أنزل

و قال ایضاً:

ان المنیة لو تمثل مثلت مثلی إذا نزلوا بضنک المنزل «۳»

و الضنک: الضیق، فی قول مجاهد و قتادة. و قال الحسن و ابن زید: المعیشة الضنک هو الضریع، و الزقوم فی النار. و قیل: الضریع شوک من نار. و قال عکرمة و الضحاک: هو الحرام فی الدنیا الذی یؤدی الی النار. و قال ابن عباس: لأنه غیر موقن بالخلف، فعیشه منغص. و قال ابو سعید الخدری و عبد اللَّه بن مسعود و أبو

---

(۱) انظر ۱/ ۱۶۲ و ۴/ ۲۹۸

(۲) ما بین القوسین ساقط من المطبوعة

(۳) البیت الأول فی دیوان (دار بیروت): ۵۷ و الثانی فی ۵۸

صالح، و السدی، و

رواه ابو هريرة عن النبى (ص) أنه عذاب القبر

، و لقوله تعالى «وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَ أَبْقى يقتضى انه عذاب القبر.

و قوله «وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى قيل معناه نحشره يوم القيامة أعمى البصر. و قيل أعمى الحجة. و قيل أعمى عن جهات الخير لا يهتدى اليها. و الأول هو الظاهر إذا اطلق. فمن قال: أعمى البصر قال: معناه لا يبصر فى حال و يبصر العذاب فى حال. و من قال: بالآخرة قال: هو أعمى عن جهات الخير لا يهتدى لشيء منها.

و قوله «قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً» حكاية عما يقول الذى يحشره أعمى «لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى ذاهب البصر «وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً» أبصر بها. و هذا يقوى أنه أراد عمى البصر دون عمى البصيرة، لان الكافر لم يكن بصيراً فى الدنيا الا على وجه صحة الحاسة. و قيل معناه كنت بصيراً بحجتى عند نفسى.

قوله تعالى :[سورة طه (۲۰): الآيات ۱۲۶ الى ۱۳۰] ..... ص : ۲۲۰

قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى (۱۲۶) وَ كَذلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِآياتِ رَبِّهِ وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَ أَبْقى (۱۲۷) أَ فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى (۱۲۸) وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى (۱۲۹) فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِها وَ مِنْ آناءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَ أَطْرافَ النَّهارِ لَعَلَّكَ تَرْضى (۱۳۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۲۱

خمس آيات.

قرأ الكسائى و ابو عمرو عن عاصم «ترضى» بضم التاء. الباقون بفتحها.

هذا جواب من اللَّه تعالى لمن يقول «لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً» فيقول اللَّه له فى جواب ذلك كما حشرتك أعمى مثل ذلك «أَتَتْكَ آياتُنا» يعنى أدلتنا و حججنا «فَنَسِيتَها» أى تركتها و لم تعتبر بها، و فعلت معها ما يفعله الناسى الذى لم يذكرها أصلا، و مثل ذلك اليوم تترك من ثواب اللَّه و رحمته و تحرم من نعمه، و تصير بمنزلة من قد ترك فى المنسى بعذاب لا يفنى.

ثم قال و مثل ذلك «نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ» على نفسه بارتكاب المعاصى، و ترك الواجبات و لم يصدق بآيات ربه و حججه.

ثم قال «وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ» بالنار «أَشَدُّ وَ أَبْقى لأنه دائم، و عذاب القبر و عذاب الدنيا يزول. و هذا يقوى قول من قال: إن قوله «مَعِيشَةً ضَنْكاً» أراد به عذاب القبر. و لا يجوز أن يكون المراد بقوله «فنسيتها» النسيان الذى ينافى العلم لأن ذلك من فعل اللَّه لا يعاقب العبد عليه، اللهم إلا ان يراد ان الوعيد على التعرض لنسيان آيات اللَّه فأجرى فى الذكر على نسيان الآيات للتحذير من الوقوع فيه.

ثم قال تعالى «أ فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ» قيل: ان قريشاً كانت تتجر الى الشام فتمر بمساكن عاد و ثمود، فترى آثار إهلاك اللَّه إياهم، فنبههم الله بذلك على معرفته و توحيده. و فاعل «يهد» مضمر يفسره «كم أهلكنا» و المعنى او لم يهد لهم إهلاكنا من قبلهم من القرون. و يجوز أن يكون المضمر المصدر يفسره (كم أهلكنا) و موضع (كم) نصب ب (أهلكنا) فى قول الفراء التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۲۲

و الزجاج. و قال بعضهم: انه رفع ب (يهد) و هذا خطأ، لأنه خرج مخرج الاستفهام، كما يقول القائل: قد تبين لى أقام زيد أم عمرو؟.

و قوله «ان فى ذلك» يعنى فى إهلاكنا القرون الماضية «لآيات» و حججاً لأولى العقول. و النهى العقول، على ما بيناه فى غير موضع «۱».

و قوله «وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى» فيه تقديم و تأخير و تقديره: و لو لا كلمة سبقت من ربك و اجل مسمى لكان لزاماً و معناه:

لو لا ما سبق من وعد اللّه بأن الساعة تقوم فى وقت بعينه و ان المكلف له اجل مقدر معين. لكان هلاكهم «لزاماً» أى لازماً ابداً. و قيل: معناه فيصلا يلزم كل انسان طائره، ان خيراً فخيراً و ان شراً. فشراً، فالأول قول الزجاج، و الثانى قول أبى عبيدة. و قال قوم: عذاب اللزام كان يوم بدر، قتل اللّه فيه الكفار، و لو لا- ما قدر اللّه من آجال الباقين و وعدهم من عذاب الآخرة، لكان لازماً لهم ابداً فى سائر الازمان. و قال قتادة: الأجل الاول يعنى فى قيام الساعة و الثانى الذى كتبه اللّه للإنسان انه يبقيه اليه.

ثم قال لنبيه محمد (ص) «فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ» من كفرهم بتوحيد اللّه و جحدهم لنبوتك و أذاهم إياك بكلام يسمعونك يثقل عليك «وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ» يعنى صلاة الفجر «وَ قَبْلَ غُرُوبِها» يعنى صلاة العصر «وَ مِنْ آناءِ اللَّيْلِ» يعنى صلاة المغرب و العشاء «وَ أَطْرافَ النَّهارِ» صلاة الظهر فى قول قتادة- «و آناءِ اللَّيْلِ» ساعات الليل. و أحدها إنى، قال السعدى:

حلو و مر كعصف القدح مرته بكل إنى حذاه الليل ينتعل «۲»

و قيل فى قوله «وَ أَطْرافَ النَّهارِ» لم جمع؟ ثلاثة اقوال:

---

(۱) انظر ۷/ ۱۷۹

. (۲) انظر ۲/ ۵۶۴

أولها- انه أراد أطراف كل نهار فالنهار فى معنى الجمع.

الثانى- انه بمنزلة قوله «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما» «۱» الثالث- انه أراد طرف أول النصف الاول، و آخر النصف الاول، و أول النصف الأخير، و آخر النصف الأخير، و لذلك جمع.

و قوله «لَعَلَّکَ تَرْضى معناه افعل ما أمرتك به لكى ترضى بما يعطيك اللّه من الثواب على ذلك. و من ضم التاء أراد: لكى نفعل معك من الثواب ما ترضى معه. و قيل: لكى ترضى بالشفاعة. و المعانى متقاربة، لأنه إذا أرضى اللّه النبى (ص) فانه يرضى.

قوله تعالى:[سورة طه (۲۰): الآيات ۱۳۱ الى ۱۳۵] ..... ص : ۲۲۳

وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْکَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّکَ خَيْرٌ وَ أَبْقى (۱۳۱) وَ أْمُرْ أَهْلَکَ بِالصَّلاةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْها لا نَسْئَلُکَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُکَ وَ الْعاقِبَةُ لِلتَّقْوى (۱۳۲) وَ قالُوا لَوْ لا- يَأْتِينا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَ وَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ ما فِي الصُّحُفِ الْأُولى (۱۳۳) وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَکْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِکَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزى (۱۳۴) قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَ مَنِ اهْتَدى (۱۳۵)

خمس آيات.

---

(۱) سورة ۶۶ التحريم آية ۴

قرأ «زهرة»- بفتح الهاء- يعقوب. و قرأ الباقون بسكونها، و هما لغتان.

و قرأ نافع و ابو جعفر- من طريق ابن العلاف- و أهل البصرة و حفص «أو لم تأتهم» بالتاء. الباقون بالياء. و قد مضى نظائره.

نهى اللّه تعالى نبيه محمداً (ص) و المراد به جميع المكلفين عن ان يمدوا أعينهم، و ينظروا إلى ما متع اللّه الكفار به، من نعيم الدنيا و لذاتها، و الامتاع الالذاذ بما يدرك، و ذلك بما يرى من المناظر الحسنة و يسمع من الأصوات المطربة، و يشم من الروائح الطيبة، يقال: أمتعه إمتاعاً، و متعة تمتيعاً، إلا ان فى متعه تكثر الامتاع.

و قوله «أَزْواجاً مِنْهُمْ» معناه أشكالا منهم، من المزاوجة بين الأشياء، و هی المشاكلة، و ذلك أنهم اشكال فی الذهاب عن الصواب.

و قوله «زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا» فالزهرة الأنوار التی تروث عند الرؤية، و من ذلك قيل للكوكب يزهر، لنوره الذی يظهر. و المعانی الحسنة زهرة النفوس.

و قوله «لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ» معناه لنعاملهم معاملة المختبر، بشدة التعبد فی العمل بالحق فی هذه الأمور التی خلقناها لهم.

و قوله «وَ رِزْقُ رَبِّكَ» يعنی الذی وعدك به فی الآخرة من الثواب «خَيْرٌ وَ أَبْقى مما متعنا به هؤلاء فی الدنيا.

و

قيل إن هذه الآية نزلت علی سبب، و ذلك أن النبی (ص) استسلف من يهودی طعاماً فأبی أن يسلفه إلا برهن، فحزن رسول اللَّه (ص)، فأنزل اللَّه هذه الآية تسلية له. و روی ذلك أبو رافع مولاه.

و قيل «زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا» زينة الحياة الدنيا- فی قول قتادة-.

ثم قال لنبيه (ص) «وَ أْمُرْ» يا محمد «أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ» و قيل: المراد به أهل بيتك، و اهل دينك، فدخلوا كلهم فی الجملة «وَ اصْطَبِرْ عَلَيْها» بالاستعانة بها علی التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۲۵

الصبر عن محارم اللَّه. ثم قال له «لا نَسْئَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ» الخطاب للنبی (ص) و المراد به جميع الخلق، فان اللَّه تعالی يرزق خلقه، و لا يسترزقهم، فيكون أبلغ فی المنة «وَ الْعاقِبَةُ لِلتَّقْوى يعنی العاقبة المحمودة لمن اتقی معاصی اللَّه و اجتنب محارمه.

و فی الآية دلالة علی وجوب اللطف، لما فی ذلك من الحجة، لمن فی المعلوم انه يصلح به، و لو لم يكن فيه حجة لجری مجری ان تقول: لولا فعلت بنا ما لا يحتاج اليه فی الدين، و لا الدنيا، من جهة أنه لا حجة فيه، كما لا حجة فی هذا.

و قوله «وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ» اخبار منه تعالی أنه لو أهلكهم بعذاب أنزله عليهم جزاء علی كفرهم «لقالوا» يوم القيامة «لَوْ لا أَرْسَلْتَ» ای هلا أرسلت «إِلَيْنا رَسُولًا» يدعونا الی اللَّه و يأمرنا بتوحيده (فنتبع) أدلتك و (آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزى ای قبل أن نهون، يقال: خزی يخزی إذا هان و افتضح.

و قوله (وَ قالُوا لَوْ لا يَأْتِينا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ) حكاية عما قال الكفار للنبی (ص) هلا يأتينا بآية من ربه يريدون الآية التی يقترحونها، لأنه اتی بالآيات. و من قرا- بالتاء- وجه الخطاب اليه. و من قرأ- بالياء- حكی بأنهم قالوا فيما بينهم هلا يأتينا بالمعجز. او دلالة تدل علی صدق قوله، فقال اللَّه لهم (أَ وَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ ما فِي الصُّحُفِ الْأُولى يعنی ألسنا بينا ذلك فی الكتب التی أنزلناها علی موسی و عيسی، فلم لم يؤمنوا بها و لم يصدقوا بها؟ و من قرأ- بالتاء- وجه الخطاب اليه، فقال اللَّه تعالی لنبيه (قل) لهم يا محمد (كل متربص) ای كل واحد منا و منكم متربص، فنحن نتربص بكم وعد الله لنا فيكم و أنتم تتربصون بنا ان تموت، فتستريحوا (فستعلمون) ای سوف تعلمون فيما بعد (مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ) يعنی الصراط المستقيم و (من) الذی (اهتدی) الی طريق الحق. و (من) يحتمل ان تكون نصباً إن كانت بمعنی الذی و ان تكون رفعاً علی طريقة الاستفهام

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۲۷

۲۱-سورة الأنبياء ..... ص : ۲۲۷

اشارة

هی مكية فی قول قتادة و مجاهد و هی مائة و اثنتا عشرة آية فی الكوفی و احدی عشرة فی البصری و المدنيين.

[سورة الأنبياء (۲۱): الآيات ۱ الی ۵] ..... ص : ۲۲۷

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (۱) ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ (۲) لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَ أَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَ فَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (۳) قالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۴)
بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (۵)

خمس آيات.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر و خلفاً «قال ربى» على وجه الخبر. الباقون التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۲۸
«قل ربى» على وجه الامر.

هذا اخبار من اللَّه تعالى بأنه «اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ» يعنى دنا وقت «حسابهم» و معناه دنا وقت اظهار ما للعبد و ما عليه ليجازى به و عليه. و الحساب إخراج مقدار العدد بعقد يحصل. و يقال: هو إخراج الكمية من مبلغ العدة. و قيل انه دنا لأنه بالاضافة الى ما مضى يسير.

و قيل: نزلت الآية فى أهل مكة استبطئوا عذاب اللَّه تكذيباً بالوعيد، فقتلوا يوم بدر. و الاقتراب قصر مدة الشيء بالاضافة الى ما مضى من زمانه. و حقيقة القرب قلة ما بين الشيئين، يقال: قرب ما بينهما تقريباً إذا قلل ما بينهما من مدة او مساقة او اى فاصلة، و القرب قد يكون فى الزمان، و فى المكان، و فى الحال. و قد قيل: كل آت قريب، فلذلك وصف اللَّه تعالى القيامة بالاقتراب، لأنها جائية بلا خلاف.

و قوله «وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ» فالغفلة السهو، و هو ذهاب المعنى عن النفس و نقيضها اليقظة، و نقيض السهو الذكر، و هو حضور المعنى للنفس، و النسيان، هو عزوب المعنى عن النفس بعد حضوره. و قوله «معرضون» يعنى عن الفكر فى ذلك، و العمل بموجبه. و قيل: هم فى غفلة بالاشتغال بالدنيا، معرضون عن الآخرة.

و قيل: هم فى غفلة بالضلال، معرضون عن الهدى. و هو مثل ما قلناه.

و قوله «ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ» معناه اى شيء من القرآن محدث بتنزيله سورة بعد سورة و آية بعد آية «إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ» اى كل ما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل- فى قول الحسن و قتادة- و فى هذه الآية دلالة على ان القرآن محدث، لأنه تعالى اخبر انه ليس يأتيهم ذكر محدث من ربهم إلا استمعوه و هم لاعبون. و الذكر: هو القرآن قال اللَّه تعالى «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۲۹
وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ»

«۱» و قال «وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» «۲» يعنى القرآن، و يقويه فى هذه الآية قوله «إِلَّا اسْتَمَعُوهُ» و الاستماع لا يكون إلا فى الكلام، و قد وصفه بأنه محدث، فيجب القول بحدوثه.

و يجوز فى (محدث) الجر على انه صفة. و يجوز الرفع و النصب. فالنصب على الحال و الرفع على تقدير هو محدث. و لم يقرأ بهما، و قوله «لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ» نصب (لاهية) على الحال. و قال قتادة: معناه غافلة. و قال غيره: معناه طالبة للهو، هازلة. و اللهو الهزل الممتع. و قوله (وَ أَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) فموضع (الَّذِينَ ظَلَمُوا) من الاعراب يحتمل أن يكون رفعاً على البدل من الضمير فى قوله «و أسروا» ما قال تعالى «ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ» «۳» و يجوز ان يكون رفعاً على الاستئناف، و تقديره و هم الذين ظلموا. و يحتمل وجهاً ثالثاً- أن يكون خفضاً بدلا من الناس.

و المعنى ان الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم باللَّه و جحدهم أنبيائه، و أخفوا القول فيما بينهم.

و قالوا «هل هذا» يعنون رسول اللَّه «إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ». و قال قوم: معناه انهم أظهروا هذا القول. لأن لفظة أسروا مشتركة بين الإخفاء و الاظهار، و الأول أصح.

و قوله «أَ فَتَأْتُونَ السِّحْرَ» معناه أ فتقبلون السحر «وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» أى و أنتم تعلمون انه سحر. و قيل: معناه أ فتعدلون الى الباطل و أنتم تعلمون الحق و تنكرون ثبوته.

ثم أمر نبيه (ص) فقال «قل» يا محمد «ربى» الذى خلقتنى و اصطفانى «يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» لا يخفى عليه شىء من ذلك بل يعلمه جميعه «وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» أى هو من يجب أن يسمع المسموعات إذا وجدت عالم بجميع المعلومات

---

(١) سورة ١٥/ الحجر آية ٩ [.....]

. (٢) سورة ١٦ النحل آية ۴۴

(٣) سورة ۵ المائدة آية ٧۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٣٠

و قوله (بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ) فالمعنى فى (بل) الاضراب بها عما حكى انهم قالوه أولا، و الاخبار عما قالوه ثانياً، لأنهم أولا قالوا: هذا الذى أتانا به من القرآن (أَضْغاثُ أَحْلامٍ) اى تخاليط رؤيا، رآها فى المنام- فى قول قتادة- قال الشاعر:

كضغث حلم عزمته حالمة «١»

ثم قالوا: لا- (بَلِ افْتَراهُ) اى تخرصه و افتعله. ثم قالوا: (بَلْ هُوَ شاعِرٌ) و انما قالوا: هو شاعر، قول متحير، قد بهره ما سمع، فمرة يقول ساحر، و مرة يقول شاعر. و لا يجزم على أمر واحد. قال المبرد: فى (أسروا) إضمار هؤلاء اللاهية قلوبهم، و الذين ظلموا بدلا منه. و قال قوم: قدم علامة الجمع، لان الواو علامة الجمع، و ليست بضمير، كقولهم: انطلقوا إخوتك، و انطلقا صاحباك، تشبيها بعلامة التأنيث، نحو: ذهبت جاريتك، و هذا يجوز، لكن لا يختار فى القرآن مثله.

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (٢١): الآيات ۶ الى ١٠] ..... ص : ٢٣٠

ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَ فَهُمْ يُؤْمِنُونَ (۶) وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلَّا رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٧) وَ ما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَ ما كانُوا خالِدِينَ (٨) ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْناهُمْ وَ مَنْ نَشاءُ وَ أَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩) لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ كِتاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (١٠)

---

(١) تفسير القرطبى ١١/ ٢٧٠

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٣١

خمس آيات.

قرأ عاصم «نوحى» بالنون. الباقون- بالياء- على ما لم يسم فاعله. من قرأ بالنون أراد الاخبار من اللَّه تعالى عن نفسه، بدلالة قوله «وَ ما أَرْسَلْنا» لأن النون و الالف اسم اللَّه.

لما حكى اللَّه تعالى ما قال الكفار فى القرآن، الذى أنزله الله على نبيه محمد (ص) من أنهم قالوا تارة: هو أضغاث أحلام، يريدون أقاويله. و تارة قالوا:

بل اختلقه و افتعله. و تارة قالوا: هو شاعر، لتحيرهم فى أمره. ثم قالوا (فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ) غير هذا على ما يقترحونها (كَما أُرْسِلَ) الأنبياء (الأولون) بمثلها، فقال الله تعالى (ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَ فَهُمْ يُؤْمِنُونَ) اى انا أظهرنا الآيات التى اقترحوها على الأمم الماضية، فلم يؤمنوا عندها، فأهلكناهم، فهؤلاء ايضاً لا يؤمنون لو أنزلنا ما أرادوه. و أراد الله بهذا الاحتجاج عليهم ان يبين ان سبب مجىء الآيات ليس لأنه سبب يؤدى الى ايمان هؤلاء، و انما مجيئها لما فيها من اللطف و المصلحة، بدلالة انها لو كانت سبباً لايمان

هؤلاء لكانت سببا لايمان أولئك، فلما بطل ان تكون سبباً لايمان أولئك، بطل ان تكون سبباً لايمان هؤلاء على هذا الوجه. و قيل: ان معناه إنا لما أظهرنا الآيات التى اقترحوها على الأمم الماضية، فلم يؤمنوا أهلكناهم، فلو أظهرنا على هؤلاء مثلها لم يؤمنوا و كانت تقتضى المصلحة ان نهلكهم. و مثله قوله (وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) «۱» و قال الفراء: المعنى ما آمنت قبلهم أمة جاءتهم آية، فكيف يؤمن هؤلاء!.

ثم اخبر تعالى انه لم يرسل قبل نبيه محمد (ص) الى الأمم الماضية

---

(۱) سورة ۱۷ الإسراء آية ۵۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۳۲

(إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ) و وجه الاحتجاج بذلك انه لو كان يجب ان يكون الرسول الى هؤلاء الناس من غير البشر، كما طلبوه، لوجب ان يكون الرسول الى من تقدمهم من غير البشر، فلما صح إرسال رجال الى من تقدم، صح الى من تأخر. و قال الحسن:

ما أرسل الله امرأة: و لا رسولا من الجن، و لا من اهل البادية. و وجه اللطف فى إرسال البشر ان الشكل الى شكله آنس، و عنه افهم و من الأنفة منه ابعد، لأنه يجرى مجرى النفس، و الإنسان لا يأنف من نفسه.

ثم قال لهم «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ» عن صحة ما أخبرتكم به من انه لم يرسل الى من تقدم إلا الرجال من البشر و فى الآية دلالة على بطلان قول ابن حائط: من أن اللَّه تعالى بعث الى البهائم و الحيوانات كلها رسلا.

و اختلفوا فى المعنى بأهل الذكر،

فروى عن أمير المؤمنين (ع) انه قال: (نحن اهل الذكر)

و يشهد لذلك أن اللَّه تعالى سمى نبيه ذكراً بقوله «ذِكْراً رَسُولًا» «۱» و قال الحسن: و قتادة: هم أهل التوراة و الإنجيل. و قال ابن زيد: أراد اهل القرآن، لان اللَّه تعالى سمى القرآن ذكراً فى قوله «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» «۲» و قال قوم: معناه و اسألوا اهل العلم باخبار من مضى من الأمم هل كانت رسل اللَّه رجالا من البشر أم لا؟.

و قيل فى وجه الأمر بسؤال الكفار عن ذلك قولان:

أحدهما- انه يقع العلم الضرورى بخبرهم إذا كانوا متواترين، و أخبروا عن مشاهدة، هذا قول الجبائى.

و الثانى- ان الجماعة الكثيرة إذا أخبرت عن مشاهدة حصل العلم بخبرها إذا

---

(۱) سورة ۶۵ الطلاق آية ۱۰- ۱۱

. (۲) سورة ۱۵ الحجر آية ۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۳۳

كانوا بشروط المتواترين و إن لم يوجب خبرهم العلم الضرورى.

و قال البلخى: المعنى انك لو سألتهم عن ذلك لأخبروك أنا لم نرسل قبلك إلا رجالا. و قال قوم: أراد من آمن منهم. و لم يرد الأمر بسوء ال غير المؤمن.

ثم اخبر تعالى انه لم يبعث رسولا ممن أرسله إلا و كان مثل سائر البشر يأكل اطعام، و انه لم يجعلهم مثل الملائكة لا يأكلون الطعام، و أنهم مع ذلك لم يكونوا خالدين مؤبدين، بل كان يصيبهم الموت و الفناء كسائر الخلق. و انما وحد «جسداً» لأنه مصدر يقع على القليل و الكثير، كما لو قال: و ما جعلناهم خلقاً.

ثم قال تعالى «ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الْوَعْدَ» يعنى الأنبياء الماضين ما وعدناهم به من النصر و النجاة، و الظهور على الاعداء، و ما وعدناهم به

من الثواب. فأنجيناهم من أعدائهم، و معهم من نشاء من عبادنا، و أهلكنا المسرفين على أنفسهم، بتكذيبهم للأنبياء. و قال قتادة: المسرفون هم المشركون. و المسرف الخارج عن الحق الى ما تباعد عنه. يقال: أسرف إسرافاً إذا جاوز حد الحق و تباعد عنه.

ثم اقسم تعالى بقوله «لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ»، لان هذه اللام يتلقى بها القسم، بأنا أنزلنا عليكم «كتاباً» يعنى القرآن (فيه ذكركم) قال الحسن: معناه فيه ما تحتاجون اليه من أمر دينكم. و قيل: فيه شرفكم إن تمسكتم به، و عملتم بما فيه.

و قيل: ذكر، لما فيه من مكارم الأخلاق، و محاسن الافعال (أفلا تعقلون) يعنى أفلا تتدبرون، فتعلموا أن الأمر على ما قلناه.

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (۲۱): الآيات ۱۱ الى ۱۵] ..... ص : ۲۳۳

وَ كَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ كانَتْ ظالِمَةً وَ أَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِينَ (۱۱) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنا إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ (۱۲) لا تَرْكُضُوا وَ ارْجِعُوا إِلى ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَ مَساكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ (۱۳) قالُوا يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ (۱۴) فَما زالَتْ تِلْكَ دَعْواهُمْ حَتَّى جَعَلْناهُمْ حَصِيداً خامِدِينَ (۱۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۷، ص: ۲۳۴

خمس آيات.

يقول اللَّه تعالى مخبراً انه قصم قرى كثيرة، و يريد أهلها. و قوله «كانَتْ ظالِمَةً» لما أضاف الهلاك الى القرية أضاف الظلم اليها. و التقدير قصمنا اهل قرية كانوا ظالمين لنفوسهم، بمعاصى اللَّه، و ارتكاب ما حرمه. و (كم) للكثرة و هى ضد (رب) لان (رب) للتقليل. و (كم) فى موضع نصب ب (قصمنا). و القصم كسر الصلب قهراً. قصمه يقصمه قصماً، فهو قاصم الجبابرة، و انقصم انقصاماً مثل انقصف انقصافاً.

و قوله «وَ أَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِينَ» يعنى أوجدنا بعد هلاك أولئك قوماً آخرين. و الإنشاء إيجاد الشيء من غير سبب يولده، يقال انشأه إنشاء. و النشأة الاولى الدنيا، و النشاة الثانية الآخرة. و مثل الإنشاء الاختراع و الابتداع- هذا فى اللغة- فأما فى عرف المتكلمين، فالاختراع هو ابتداع الفعل فى غير محل القدرة عليه.

و قوله «فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنا» معناه لما أدركوا بحواسهم عذابنا، و الاحساس الإدراك بحاسة من الحواس الخمس: السمع: و البصر، و الانف، و الفم، و البشرة.

يقال: أحسه إحساساً و أحس به. و قال قوم: أراد عذاب الدنيا. و قال آخرون:

أراد عذاب الآخرة.

و قوله «إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ» فالركض العدو بشدة الوطء، ركض فرسه التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۷، ص: ۲۳۵

إذا حثه على المر السريع، فمعنى «يَرْكُضُونَ» يهربون من العذاب سراعاً، كالمنهزم من عدو. فيقول اللَّه تعالى لهم «لا تَرْكُضُوا» أى لا تهربوا من الهلاك «وَ ارْجِعُوا إِلى ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ» أى ارجعوا إلى ما كنتم تنعمون فيه، توبيخاً لهم و تقريعاً على ما فرط منهم. و معنى «ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ» نعمتم، فالمترف المنعم و الترف التنعم، و هى طلب النعمة. «وَ مَساكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ» أى ارجعوا إلى مساكنكم لكى تفيقوا بالمسألة- فى قول مجاهد- و قال قتادة: إنما هو توبيخ لهم فى الحقيقة. و المعنى تسألون من انبيائكم؟ على طريق الهمزء بهم، فقالوا عند ذلك معترفين على نفوسهم بالخطا «يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ» لنفوسنا بترك معرفة اللَّه و تصديق أنبيائه، و ركوب معاصيه. و الويل الوقوع فى الهلكة. و نصب على معنى ألزمنا ويلنا.

ثم اخبر اللَّه تعالى عنهم بأن ما حكاه عنهم من الويل «دعواهم» و نداؤهم أبداً «حَتَّى جَعَلْناهُمْ حَصِيداً خامِدِينَ» بالعذاب- فى قول الحسن- و قال مجاهد:

يعنى بالسيف، و هو قتل (بخت نصر) لهم. و الحصيد قتل الاستئصال، كما يحصد الزرع بالمنجل، و الخمود كخمود النار إذا طفيت.

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (۲۱): الآيات ۱۶ الى ۲۰] ..... ص : ۲۳۵

وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما لاعِبِينَ (۱۶) لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فاعِلِينَ (۱۷) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ وَ لَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (۱۸) وَ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ لا يَسْتَحْسِرُونَ (۱۹) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ (۲۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۳۶

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى مخبراً على وجه التمدح: إنا «ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما» أى ما أنشأناها «لاعبين» و نصبه على الحال. و اللعب الفعل الذى يدعو اليه الجهل بما فيه من النقص، لان العلم يدعو الى أمر، و الجهل يدعو الى خلافه.

و العلم يدعو الى الإحسان. و الجهل يدعو الى الاساءة لتعجيل الانتفاع. و اللعب يستحيل فى صفة القديم تعالى، لأنه عالم لنفسه. بجميع المعلومات غنى عن جميع الأشياء، و لا يمتنع وصفه بالقدرة عليه كما نقول فى سائر القبائح، و إن كان المعلوم أنه لا يفعله، لما قدمناه.

ثم قال تعالى «لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا» قال الحسن و مجاهد: اللهو المرأة. و قال قتادة: اللهو المرأة- بلغة أهل اليمن- و هو من اللهو المعروف، لأنه يطلب بها صرف الهمّ. و هذا إنكار لقولهم: الملائكة بنات اللَّه، و المسيح ابن اللَّه تعالى اللَّه عن ذلك، و روى عن الحسن البصرى أيضاً انه قال:

اللهو الولد.

و وجه اتصال الآية بما قبلها أن هؤلاء الذين وصفوهم أنهم بنات اللَّه، و أبناء الله هم عبيد اللَّه، على أتم وجه العبودية، و ذلك يحيل معنى الولادة لأنها لا تكون إلا مع المجانة. و معنى «لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا» الإنكار على من أضاف ذلك الى الله، و محاجته بأنه لو كان جائزاً فى صفته لم يتخذه بحيث يظهر لكم أو لغيركم من العباد، لما فى ذلك من خلاف صفة الحكيم الذى يقدر أن يستر النقص، فيظهره. و انما استحال اللهو على الله تعالى، لأنه غنى بنفسه عن كل شيء سواه، يستحيل عليه المرح. و اللاعى المارح و الملتذ بالمناظر الحسنة و الأصوات المؤنقة. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۳۷

و قوله «إِنْ كُنَّا فاعِلِينَ» قيل فى معنى (ان) قولان:

أحدهما- انها بمعنى (ما) التى للنفى، و المعنى لم نكن فاعلين.

و الآخر- انها بمعنى التى للشرط، و المعنى إن كنا نفعل ذلك، فعلناه من لدنا، على ما أردناه إلا انا لا نفعل ذلك.

و قوله «من لدنا» قيل: معناه مما فى السماء من الملائكة. و قال الزجاج:

معناه مما نخلقه. ثم قال تعالى «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ» معناه إنا نلقى الحق على الباطل فيهلكه، و المراد به إن حجج الله تعالى الدالة على الحق تبطل شبهات الباطل. و يقال: دمغ الرجل إذا شج شجة تبلغ أم الدماغ، فلا يحيا صاحبها بعدها.

و قوله «فَإِذا هُوَ زاهِقٌ» أى هالك مضمحل، و هو قول قتادة. يقال: زهق زهوقاً إذا هلك. ثم قال لهم، يعنى الكفار «وَ لَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ» يعنى الوقوع فى العقاب، جزاء على ما تصفون الله به من اتخاذ الأولاد.

ثم اخبر الله تعالى بأن «لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ» يعنى الملائكة أى يملكهم بالتصرف فيهم (لا يستكبرون) هؤلاء عن عبادة الله (و لا يستحسرون) قال قتادة: معناه لا يعيون. و قال ابن زيد: لا يملون، من قولهم:

بعير حسير إذا أعيا و نام. و منه قول علقمة بن عبدة:

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض و اما جلدها فصليب «۱»

و قيل: معناه يسهل عليهم التسبيح، كسهولة فتح الطرف و النفس- فى قول كعب- و الاستحسار الانقطاع من الاعياء مأخوذ من قولهم حسر عن ذراعه إذا كشف عنه.

ثم وصف تعالى الذين ذكرهم بأنهم (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ) اى ينزهونه عما أضافه هؤلاء الكفار اليه من اتخاذ الصاحبة و الولد. و غير ذلك من

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۷/ ۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۳۸

القبائح (لا يفترون) أى يملونه فيتركونه بل هم دائمون عليه.

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (۲۱): الآيات ۲۱ الى ۲۵] ..... ص : ۲۳۸

أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (۲۱) لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (۲۲) لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ (۲۳) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَ ذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (۲۴) وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (۲۵)

خمس آيات يقول اللَّه تعالى إن هؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع اللَّه شركاء عبدوهم و جعلوها آلهة «هُمْ يُنْشِرُونَ» أى هم يحبون؟ تقريعاً لهم و تعنيفاً لهم على خطئهم- فى قول مجاهد- يقال: أنشر اللَّه الموتى فنشروا أى أحياهم فحيوا و هو النشر بعد الطى، لان المحيا كأنه كان مطوياً بالقبض عن الإدراك، فأنشر بالحياة. و المعنى فى ذلك أن هؤلاء إذا كانوا لا يقدرون على الأحياء الذى من قدر عليه قدر على أن ينعم بالنعم التى يستحق بها العبادة فكيف يستحقون العبادة؟! و حكى الزجاج: انه قرئ- بفتح الشين- و المعنى هل اتخذوا آلهة لا يموتون أبداً، و يبقون أحياء ابداً؟! أى لا يكون ذلك.

ثم قال تعالى «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ» يعنى فى السماء و الأرض آلهة أى من يحق له العبادة «غير الله لفسدتا» لأنه لو صح إلهان او آلهة لصح بينهما التمانع. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۳۹

فكان يؤدى ذلك الى ان أحدهما إذا أراد فعلا، و أراد الآخر ضده، إما ان يقع مرادهما. فيؤدى الى اجتماع الضدين أولا يقع مرادهما، فينتقض كونهما قادرين، او يقع مراد أحدهما. فيؤدى الى نقض كون الآخر قادراً. و كل ذلك فاسد، فإذاً لا يجوز أن يكون الآله إلا واحداً. و هذا مشروح فى كتب الأصول.

ثم نزه تعالى نفسه عن ان يكون معه إله يحق له العبادة، بأن قال «فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» و انما أضافه الى العرش، لأنه أعظم المخلوقات. و من قدر على أعظم المخلوقات كان قادراً على ما دونه.

ثم قال تعالى «لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ» لأنه لا يفعل إلا ما هو حكمة و صواب، و لا يقال للحكيم لو فعلت الصواب «وَ هُمْ يُسْئَلُونَ» لأنه يجوز عليهم الخطأ.

ثم قال «أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً» معنى (ام) بل. ثم قال: قل لهم يا محمد «هاتُوا بُرْهانَكُمْ» على ذلك و حجحكم على صحة ما فعلتموه. فالبرهان هو الدليل المؤدى الى العلم، لأنهم لا يقدرون على ذلك ابداً.

و فى ذلك دلالة على فساد التقليد، لأنه طالبهم بالحجة على صحة قولهم.

قال الرمانى (إلا) فى قوله «إلا الله» صفة، و ليست باستثناء، لأنك لا تقول لو كان معناء إلا زيد لهلكنا، على الاستثناء. لان ذلك محال، من حيث انك لم تذكر ما تستثنى منه كما لم تذكره فى قولك كان معنا إلا زيد، فهلكنا قال الشاعر:

و كل أخ مفارقه اخوه لعمر أبيك الا الفرقدان «۱»

أراد و کل أخ یفارقه اخوه غیر الفرقدین. ثم قال لنبیه (ص) و قل لهم:

«هذا ذِکْرُ مَنْ مَعِیَ» بما یلزمهم من الحلال و الحرام و الخطأ و الصواب، (و ذکر من قبلی) من الأمم، ممن نجا بالایمان او هلک بالشرک- فی قول قتادة- و قیل:

---

(۱) انظر ۶/ ۶۹

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۲۴۰

معناه ذکر من معی بالحق فی اخلاص الالهیة و التوحید فی القرآن، و علی هذا (ذکر من قبلی) فی التوراة و الإنجیل.

ثم اخبر ان (أَکْثَرُهُمْ لا یَعْلَمُونَ الْحَقَّ) و لا یعرفونه، فهم یعرضون عنه الی الباطل. ثم قال لنبیه (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ) یا محمد (من رسول) ای رسولا و (من) زائدة (إِلَّا نُوحِی إِلَیْهِ) نحن، فیمن قرأ بالنون. و من قرأ- بالیاء- معناه الا یوحی الله الیه، بأنه لا معبود علی الحقیقة سواه (فاعبدون) ای وجهوا العبادة الیه دون غیره.

قوله تعالی:[سورة الأنبیاء (۲۱): الآیات ۲۶ الی ۳۰] ..... ص : ۲۴۰

وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُکْرَمُونَ (۲۶) لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ (۲۷) یَعْلَمُ ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا یَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضی وَ هُمْ مِنْ خَشْیَتِهِ مُشْفِقُونَ (۲۸) وَ مَنْ یَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّی إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِکَ نَجْزِیهِ جَهَنَّمَ کَذلِکَ نَجْزِی الظَّالِمِینَ (۲۹) أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ أَ فَلا یُؤْمِنُونَ (۳۰)

خمس آیات.

حکی اللَّه تعالی عن الکفار الذین تقدم ذکرهم أنهم «قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً» أی تبنا الملائکة بناتاً، فنزه اللَّه تعالی نفسه عن ذلک بأن قال «سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُکْرَمُونَ» أی هؤلاء الذین جعلوهم أولاد اللَّه هم عبید للَّه مکرمون لدیه، و (عباد) التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۲۴۱

رفع بأنه خبر ابتداء و تقدیره هم عباد، و لا یجوز علیه تعالی التبنی، لأن التبنی إقامة المتخذ لولد غیره مقام ولده لو کان له، فإذا استحال أن یکون له تعالی ولد علی الحقیقة استحال أن یقوم ولد غیره مقام ولده، و لذلک لا یجوز أن یشبه بخلقه علی وجه المجاز، لما لم یکن مشبهاً به علی الحقیقة.

و الفرق بین الخلة و النبوة أن الخلة إخلاص المودة بما یوجب الإخلاص و الاختصاص بتخلل الاسرار، فلما جاز أن یطلع اللَّه ابراهیم علی أسرار لا یطلع علیها غیره تشریفاً له اتخذه خلیلا علی هذا الوجه، و البنوة ولادة ابن أو إقامته مقام ابن لو کان للمتخذ له. و هذا المعنی لا یجوز علیه تعالی کما یستحیل أن یتخذ إلهاً تعالی اللَّه عن ذلک.

ثم وصف تعالی الملائکة بأنهم «لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ» و معناه لا یخرجون بقولهم عن حد ما أمرهم به، طاعة لربهم، و ناهیک بهذا إجلالا لهم و تعظیماً لشأنهم «وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ» أی لا یعملون القبائح و إنما یعملون الطاعات التی أمرهم بها.

و قوله «یَعْلَمُ ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ» قال ابن عباس: معناه یعلم ما قدموا و ما أخروا من أعمالهم. و قال الکلبی «ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ» یعنی القیامة و أحوالها «وَ ما خَلْفَهُمْ» من أمر الدنیا «وَ لا یَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضی قال أهل الوعید:

معناه لا یشفع هؤلاء الملائکة الا لمن ارتضی الله جمیع عمله، قالوا: و ذلک یدل علی أن اهل الکبائر لا یشفع فیهم، لان أعمالهم لیست رضاً لله. و قال مجاهد: معناه الا لمن رضی عنه.

و هذا الذی ذکروه لیس فی الظاهر، بل لا یمتنع ان یکون المراد لا یشفعون الا التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۲۴۲

لمن رضی اللَّه ان یشفع فیه، کما قال تعالی «مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ» «۱» و المراد أنهم لا یشفعون الا من بعد اذن اللَّه لهم،

فيمن يشفعون فيه، و لو سلمنا أن المراد الا لمن رضى عمله، لجاز لنا أن نحمل على أنه رضى إيمانه. و كثيراً من طاعاته.

فمن أين أنه أراد: الا لمن رضى جميع اعماله؟! و معنى- رضا اللَّه- عن العبد إرادته لفعله الذى عرض به للثواب.

و قوله «وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ» يخافون من عقاب اللَّه من مواقعة المعاصى.

ثم هدد الملائكة بقوله «وَ مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلهٌ» تحق لى العبادة من دون اللَّه «فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ» معناه إن ادعى منهم مدع ذلك فانا نجزيه بعذاب جهنم، كما نجازى الظالمين بها. و قال ابن جريج، و قتادة: عنى بالآية إبليس، لأنه الذى ادعى الالهية من الملائكة دون غيره، و ذلك يدل على ان الملائكة ليسوا مطبوعين على الطاعات، كما يقول الجهال. و قوله «كَذلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ» معناه مثل ما جازينا هؤلاء نجزى الظالمين أنفسهم بفعل المعاصى.

ثم قال «أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى او لم يعلموا «أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما» و قيل فى معناه اقوال:

قال الحسن و قتادة «كانَتا رَتْقاً» اى ملتصقتين ففصل اللَّه بينهما بهذا الهواء.

و قيل

«كانَتا رَتْقاً» السماء لا تمطروا الأرض لا تنبت، ففتق اللَّه السماء بالمطر و الأرض بالنبات، ذكره ابن زيد و عكرمة. و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع).

و قيل معناه: كانتا منسدتين لا فرج فيهما فصدعهما عما يخرج منهما. و انما قال:

السموات، و المطر و الغيث ينزل من سماء الدنيا، لأن كل قطعة منها سماء، كما يقال:

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٥٦

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٤٣

ثوب أخلاق، و قميص اسمال. و قيل الرتق الظلمة ففتقهما بالضياء. و انما قال «كانتا» و السموات جمع، لأنهما صنفان، كما قال الأسود بن يعفر النهشلى:

إن المنية و الحتوف كلاهما يوقى المحارم يرقبان سوادى «١»

لأنه على النوعين، و قال القطامى:

أ لم يحزنك أن جبال قيس و تغلب قد تباينتا انقطاعا «٢»

فثنى الجمع لما قسمه صنفين صنف لقيس و صنف لتغلب، و (الرتق) السد رتق فلا الفتق رتقاً إذا سده، و منه الرتقاء: المرأة التى فرجها ملتحم. و وحد لأنه مصدر وصف به.

و قوله «وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» و المعنى إن كل شىء صار حياً: فهو مجعول من الماء. و يدخل فيه الشجر و النبات على التبع.

و قال بعضهم: أراد بالماء النطف التى خلق اللَّه منها الحيوان. و الاول أصح.

و قوله «أَ فَلا يُؤْمِنُونَ» معناه أفلا يصدقون بما أخبرتهم. و قيل: معناه أفلا يصدقون بما يشاهدونه، من أفعال اللَّه الدالة على أنه المستحق للعبادة لا غير و المختص بها، و انه لا يجوز عليه اتخاذ الصاحبة و الولد.

و قرأ ابن كثير وحده «ألم ير الذين كفروا» بغير واو. الباقون «أو لم» بالواو. و الألف التى قبل الواو، الف توبيخ و تقرير.

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص : ٢٤٣

وَ جَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَ جَعَلْنا فِيها فِجاجاً سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ (٣٢) وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣) وَ ما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَ فَإِنْ

مِتَّ فَهُمُ الْخالِدُونَ (۳۴) كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ (۳۵)

(۱، ۲) تفسير الطبرى ۱۷/ ۱۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۴۴

خمس آيات.

قال المبرد: معنى «أَنْ تَمِيدَ» أى منع الأرض «أَنْ تَمِيدَ» أى لهذا خلقت الجبال. و مثله قوله «أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما» «۱» و المعنى عدة أن تضل أحداهما، كقول القائل: أعددت الخشبة أن يميل الحائل فأدعمه. و هو لم يعدها ليميل الحائط، و انما جعلها عدة، لأن يميل، فيدعم بها.

يقول اللَّه تعالى انا «جَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ» و هى الجبال، و أحدها راسية يقال: رست ترسو رسوّاً إذا ثبتت بثقلها، و هى راسية، كما ترسو السفينة إذا وقفت متمكنة فى وقوفها «أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» معناه ألا تميد بكم، كما قال «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» «۲» و المعنى ألا تضلوا. و قال الزجاج: معناه كراهة أن تميد بكم. و الميد الاضطراب، بالذهاب فى الجهات، يقال: ماد يميد ميداً، فهو مائد. و قيل: إن الأرض كانت تميد و ترجف، رجوف السفينة بالوطء، فثقلها الله تعالى بالجبال الرواسى- لتمتنع من رجوفها. و الوجه فى تثقيل الله تعالى الأرض بالرواسى مع قدرته على إمساك الأرض أن تميد، ما فيه من المصلحة و الاعتبار، و كان ابن الاخشاذ

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۸۲

. (۲) سورة ۴ النساء آية ۱۷۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۴۵

يقول: لو لم يثقل الله الأرض بالرواسى لأمكن العباد أن يحركوها بما معهم من القدر، فجعلت على صفة ما لا يمكنهم تحريكها. و قال قتادة: تميد بهم معناه تمور، و لا تستقرّ بهم.

و قوله «وَ جَعَلْنا فِيها فِجاجاً» يعنى فى الأرض طرقاً، و الفج الطريق الواسع بين الجبلين.

و قوله «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» أى لكى تهتدوا فيها الى حوائجكم و مواطنكم، و بلوغ أغراضكم. و يحتمل أن يكون المراد لتهتدوا، فتستدلوا بذلك على توحيد الله و حكمته.

و قال ابن زيد: معناه ليظهر شكركم، فيما تحبون، و صبركم فيما تكرهون.

و قوله «وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً» و انما ذكرها، لأنه أراد السقف، و لو أنث كان جائزاً. و قيل: حفظها الله من أن تسقط على الأرض. و قيل: حفظها من أن يطمع احد ان يتعرض لها بنقض، و من ان يلحقها ما يلحق غيرها من الهدم او الشعث، على طول الدهر. و قيل: هى محفوظة من الشياطين بالشهب التى يرجمون بها.

و قوله «وَ هُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ» اى هم عن الاستدلال بحججها و أدلتها، على توحيد الله معرضون.

ثم قال تعالى مخبراً، بأنه «هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» و اخبر ان جميع ذلك «فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» فالفلك هو المجرى الذى تجرى فيه الشمس و القمر، بدورانها عليه- فى قول الضحاك- و قال قوم: هو برج مكفوف تجريان فيه. و قال الحسن: الفلك طاحونة كهيئة فلك المغزل. و الفلك فى اللغة كل شيء دائر، و جمعه أفلاك قال الراجز: التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۴۶

باتت تناصى الفلك الدوارا حتى الصباح تعمل الاقتارا «۱»

و معنى «يسبحون» يجرون- فى قول ابن جريج- و قال ابن عباس «يسبحون» بالخير و الشر، و الشدة و الرخاء. و انما قال «يسبحون» على

فعل ما يعقل، لأنه أضاف اليها الفعل الـذى يقع من العقلاء، كما قال «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ» «۲» و قال «لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ»، «۳» و قال النابغة الجعدى:

تمزرتها و الديك يدعوا صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا «۴»

و قوله «كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» أراد الشمس و القمر و النجوم، لأن قوله «الليل» دل على النجوم.

ثم قـال لنبيه (ص) و «مـا جَعَلْنـا لِبَشَـرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْـدَ» أى البقاء دائماً فى الـدنيا «أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخالِـدُونَ» اى لم يجعل لهم الخلود، حتى لو مت أنت لبقوا أولئك مخلـدين، بل ما أولئك مخلدين. ثم أكد ذلك، و بين بأن قال «كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ» و المعنى لا بد لكل نفس حيـة بحياة أن يـدخل عليها الموت، و تخرج عن كونها حيـة. و انما قال (ذائقة) لان العرب تصف كل أمر شاق على النفس بالـذوق كما قال «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» «۵». و قال الفراء: إذا كان اسم الفاعل لما مضـى جازت الاضافة، و إذا كان للمستقبل، فالاختيار التنوين، و نصب ما بعده.

ثم قال تعالى «وَ نَبْلُوكُمْ» اى نختبركم معاشـر العقلاء بالشـر و الخير، يعنى بالمرض و الصحة. و الرخص و الغلاء، و غير ذلك من انواع الخير و الشر «فتنة»

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۷/ ۱۶

. (۲) سورة ۱۲ يوسف آية ۴ [.....]

(۳) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۶۵

. (۴) هو فى مجمع البيان ۴/ ۴۶

(۵) سورة ۴۴ الدخان آية ۴۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۴۷

أى اختباراً منى لكم، و تكليفاً لكم. ثم قال «وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ» يوم القيامـة. فيجازى كل انسان على قـدر عمله. و دخلت الفاء فى قوله «أَ فَإِن» و هى جزاء، و فى جوابه، لان الجزاء متصل بكلام قبله. و دخلت فى (فهم) لأنه جواب الجزاء، و لو لم يكن فى (فهم) الفاء، كان جائزاً على وجهين:

أحدهما- ان تكون مرادة، و قد حذفت.

و الأخرى- أن تكون قد قدمت على الجزاء، و تقديره (أفهم الخالدون) إن مت.

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (۲۱): الآيات ۳۶ الى ۴۰] ..... ص : ۲۴۷

وَ إِذا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَ هـذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَ هُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمنِ هُمْ كافِرُونَ (۳۶) خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ (۳۷) وَ يَقُولُونَ مَتى هـذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۳۸) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَ لا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ (۳۹) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّها وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ (۴۰)

خمس آيات.

يقول اللّه تعالى لنبيه محمـد (ص) إنه «إِذا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا» و جحـدوا وحدانيـة اللّه، و لم يقروا بنبوتك «إِنْ يَتَّخِذُونَكَ» اى ليس يتخذونك «إلا هزواً» يعنى سـخرية، جهلا منهم و سـخفاً و فى ذلك تسـلية لكل محق يلحقه أذى التبيان فى تفسـير القرآن، ج۷، ص: ۲۴۸

من جاهل مبطل. و الهزؤ إظهار خلاف الإبطان، لإيهام النقص عن فهم القصد.

يقال: هزئ منه يهزأ هزؤاً، فهو هازئ، و مثله السخرية «أ هـذَا الَّذِی یَذْکُرُ آلِهَتَکُمْ» حکایة، أی یقولون ذلک، و معناه إنهم یعیبون من جحد إلهیة من لا نعمة له، و هم یجحدون إلهیة من کل نعمة، فهی منه، و هذا نهایة الجهل. و المعنی أ هذا الذی یعیب آلهتکم، تقول العرب، فلان یذکر فلاناً أی یعیبه، قال عنترة:

لا تذکری مهری و ما أطعمته فیکون جلدک مثل جلد الاجراب «۱»

و قوله «وَ هُمْ بِذِکْرِ الرَّحْمنِ» معناه و هم بذکر توحید الرحمن «هُمْ کافِرُونَ».

و قوله «خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ» قال قتادة: معناه خلق الإنسان عجولا. و المراد به جنس الإنسان. و قال السدی: المعنی به آدم (ع). و قال مجاهد: خلق الإنسان علی تعجیل، قبل غروب الشمس یوم الجمعة. و قال ابو عبیدة: معناه خلقت العجلة من الإنسان، علی القلب. و هو ضعیف، لأنه لا وجه لحمله علی القلب. و قال قوم:

معناه علی حب العجلة، لأنه لم یخلقه من نطفة و من علقة بل خلقه دفعة واحدة.

و الذی قاله قتادة، أقوی الوجوه. و قیل خلق الإنسان من عجل مبالغة، کأنه قیل هو عجلة، کما یقال: انما هو إقبال و ادبار. و قال المبرد: خلق علی صفة من شأنه ان یعجل فی الأمور. و قال الحسن: معناه خلق الإنسان من ضعف، و هو النطفة. و قال قوم: العجل هو الطین الذی خلق آدم منه، قال الشاعر:

و النبع ینبت بین الصخر ضاحیه و النخل ینبت بین الماء و العجل «۲»

یعنی الطین. و الاستعجال طلب الشیء قبل وقته الذی حقه أن یکون فیه دون غیره. و العجول الکثیر الطلب للشیء قبل وقته. و العجلة تقدیم الشیء قبل

---

(۱) دیوانه: ۳۳

(۲) تفسیر القرطبی ۱۱/ ۲۸۹ و الشوکانی ۳/ ۳۹۴ و روایته: (و النبع فی الصخرة الصماء منبتة ...

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۲۴۹

وقته، و هو مذموم. و السرعة تقدیم الشیء فی أقرب أوقاته، و هو محمود.

و قوله «سَأُرِیکُمْ آیاتِی فَلا تَسْتَعْجِلُونِ» أی سأظهر بیناتی و علاماتی، فلا تطلبوه قبل وقته. ثم أخبر تعالی عن الکفار أنهم «یَقُولُونَ مَتی هـذَا الْوَعْدُ» یریدون ما توّعد اللَّه به من الجزاء و العقاب علی المعاصی بالنیران و انواع العذاب «إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ» یعنی یقولون «إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ» و محقین فیما تقولون متی یکون ما وعدتموه، فقال اللَّه تعالی «لَوْ یَعْلَمُ الَّذِینَ کَفَرُوا» الوقت الذی «لا یکفون فیه» أی لا یمنعون فیه «عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَ لا عَنْ ظُهُورِهِمْ» یعنی إن النار تحیط بهم من جمیع وجوههم «وَ لا هُمْ یُنْظَرُونَ» إی لا یدفع عنهم العذاب بوجه من الوجوه.

و جواب (لو) محذوف، و تقدیره: لعلموا صدق ما وعدوا به من الساعة.

ثم قال «بَلْ تَأْتِیهِمْ» یعنی الساعة، و القیامة «بغتة» إی فجأة «فَتَبْهَتُهُمْ» أی تحیرهم و المبهوت المتحیر «فَلا یَسْتَطِیعُونَ رَدَّها» و معناه: لا یقدرون علی دفعها «وَ لا هُمْ یُنْظَرُونَ» أی لا یؤخرون الی وقت آخر. و قال البلخی: و یجوز أن تکون العجلة من فعل اللَّه و هو ما طبع اللَّه علیه الخلق من طلب سرعة الأشیاء، و هو کما خلقهم یشتهون أشیاء و یمیلون الیها، و یحسن أمرهم بالتأنی عنها، و التوقف عند ذلک، فلأجل ذلک قال «فَلا تَسْتَعْجِلُونِ» کما حسن نهیهم عن ارتکاب الزنا الذی تدعوهم الیه الشهوة

قوله تعالی:[سورة الأنبیاء (۲۱): الآیات ۴۱ الی ۴۵] ..... ص : ۲۴۹

وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِکَ فَحاقَ بِالَّذِینَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ (۴۱) قُلْ مَنْ یَکْلَؤُکُمْ بِاللَّیْلِ وَ النَّهارِ مِنَ الرَّحْمنِ بَلْ هُمْ

عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (۴۲) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَ لا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (۴۳) بَلْ مَتَّعْنا هؤُلاءِ وَ آباءَهُمْ حَتَّى طالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَ فَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها أَ فَهُمُ الْغالِبُونَ (۴۴) قُلْ إِنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَ لا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إِذا ما يُنْذَرُونَ (۴۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۵۰

خمس آيات.

قرأ ابن عامر «و لا تسمع» بالتاء و ضمها و كسر الميم «الصم» بالنصب.

الباقون- بالياء- مفتوحة، و بفتح الميم، و ضم «الصم».

فوجه قراءة ابن عامر، أنه وّجه الخطاب الى النبى (ص) فكأنه قال «و لا تسمع» أنت يا محمد «الصم» كما قال «وَ ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ» «۱» لأن اللَّه تعالى، لما خاطبهم، فلم يلتفتوا إلى ما دعاهم اليه، صاروا بمنزلة الميت الذى لا يسمع و لا يعقل.

و وجه قراءة الباقين أنهم جعلوا الفعل لهم، و يقويه قوله (إِذا ما يُنْذَرُونَ) قال أبو على: و لو كان على قراءة ابن عامر، لقال: إذا ينذرون. و (الصم) وزنه (فعل) جمع أصم. و أصله (أصمم) فادغموا الميم فى الميم و تصغير (أصم) (أصيمم). و (الصمم) ثقل فى الأذن، فإذا كان لا يسمع شيئاً قيل أصلج. و قال ابن زيد: (أصم) أصلج بالجيم. و الوقر المثقل فى الأذن.

---

(۱) سورة ۳۵ فاطر آية ۲۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۵۱

لما قال اللَّه تعالى لنبيه محمد: إن الكفار إذا ما رأوك اتخذوك هزواً و سخرية علم ان ذلك يغمه فسلاه عن ذلك بأن اقسم بأن الكفار فيما سلف استهزؤا بالرسل الذين بعث اللَّه فيهم. و سخروا منهم (فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ) أى حل بهم عقوبة ما كانوا يسخرون منهم، و حاق معناه حل، حاق يحق حيقاً.

و منه قوله «وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» «۱» أى يحل و بال القبيح بأهله الذين يفعلونه، فكان كما أرادوه بالداعى لهم الى اللَّه حل بهم.

و الفرق بين الهزء و السخرية، أن فى السخرية معنى الذلة، لأن التسخير التذليل و الهزء يقتضى طلب صغر القدر مما يظهر فى القول.

ثم أمر نبيه (ص) بأن يقول لهؤلاء الكفار «مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ» أى من يحفظكم من بأس الرحمن و عذابه. و قيل: من عوارض الآفات، يقال: كلأه يكلؤه، فهو كالئ قال ابن هرمة:

إن سليمى و اللَّه يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها «۲»

و معنى (يَكْلَؤُكُمْ ... مِنَ الرَّحْمنِ) اى من يحفظكم من أن يحل بكم عذابه و قوله (بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ) معناه كأنه قال: ما يلتفتون الى شيء من الحجج و المواعظ، بل هم عن ذكر ربهم معرضون. و قيل: من يحفظكم مما يريد اللَّه إحلاله بكم من عقوبات الدنيا و الآخرة. ثم قال على وجه التوبيخ لهم و التقريع (أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا) أى من عذابنا و عقوباتنا. ثم أخبر أنهم (لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ). و قيل: ان المعنى إن آلهتهم لا يقدرون على نصر أنفسهم، فكيف يقدرون على نصر غيرهم؟! و قيل ان الكفار

---

(۱) سورة ۳۵ فاطر ۴۳.

(۲) تفسير القرطبى ۱۱/ ۲۹۱ و الطبرى ۱۷/ ۲۰ و الشوكانى ۳/ ۳۹۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۵۲

(لا یَسْتَطِیعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ) و هو الأشبه ای لا یقدرون علی دفع ما ینزل بهم عن نفوسهم «وَ لا هُمْ مِنَّا یُصْحَبُونَ» معناه لا یصحبهم صاحب یمنعهم منا. و قیل و لا هم منا یصحبون بأن یجیرهم مجیر علینا. و قال ابن عباس: معناه و لا الکفار منا یجارون، کما یقولون: ان لک من فلان صاحباً، أی من یجیرک و یمنعک. و قال قتادة: معناه (وَ لا هُمْ مِنَّا یُصْحَبُونَ) بخیر ثم قال تعالی (بَلْ مَتَّعْنا هؤُلاءِ وَ آباءَهُمْ) فلم نعاجلهم بالعقوبة حتی طالت أعمارهم. ثم قال موّبخاً لهم (أفلا- یرون) ای ألا- یعلمون (أَنَّا نَأْتِی الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها) قیل: بخرابها. و قیل: بموت أهلها. و قیل: بموت العلماء.

و قوله (أَ فَهُمُ الْغالِبُونَ) قال قتادة: افهم الغالبون رسول اللَّه مع ما یشاهدونه من نصر اللَّه له فی مقام بعد مقام، توبیخاً لهم، فکأنه قال: ما حملهم علی الاعراض الا الاغترار بطول الامهال حیث لم یعاجلوا بالعقوبة.

ثم قال لنبیه محمد (ص) (قل) لهم (إِنَّما أُنْذِرُکُمْ بِالْوَحْیِ) ای أعلمکم و أخوفکم بما اوحی اللَّه الی. ثم شبههم بالصم الذین لا یسمعون النداء إذا نودوا، فقال (وَ لا یَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إِذا ما یُنْذَرُونَ) ای یخوفون، من حیث لم ینتفعوا بدعاء من دعاهم، و لم یلتفتوا الیه، فسماهم صماً مجازاً و توسعاً.

قوله تعالی:[سورة الأنبیاء (۲۱): الآیات ۴۶ الی ۵۰] ..... ص : ۲۵۲

وَ لَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذابِ رَبِّکَ لَیَقُولُنَّ یا وَیْلَنا إِنَّا کُنَّا ظالِمِینَ (۴۶) وَ نَضَعُ الْمَوازِینَ الْقِسْطَ لِیَوْمِ الْقِیامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَیْئاً وَ إِنْ کانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَیْنا بِها وَ کَفی بِنا حاسِبِینَ (۴۷) وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسی وَ هارُونَ الْفُرْقانَ وَ ضِیاءً وَ ذِکْراً لِلْمُتَّقِینَ (۴۸) الَّذِینَ یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَیْبِ وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (۴۹) وَ هذا ذِکْرٌ مُبارَکٌ أَنْزَلْناهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْکِرُونَ (۵۰)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۲۵۳

خمس آیات.

قرأ اهل المدینة (مثقال حبة) برفع اللام- هاهنا- و فی القمر.

الباقون بنصبها.

من رفع اللام جعل (کان) تامة بمعنی حدث، کما قال (إِلَّا أَنْ تَکُونَ تِجارَةً) «۱» و لا خبر لها. و من نصبه جعل فی (کان) ضمیراً و نصب (مثقال) بأنه خبر (کان) و تقدیره فلا تظلم نفس شیئاً و ان کان الشیء (مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) و انما قال (بها) بلفظ التأنیث و المثقال مذکر، لان مثقال الحبة وزنها، و مثله قراءة الحسن (تلتقطه بعض السیارة) «۲» لان بعض السیارة سیارة. و روی ان مجاهد قرأ (آتینا) ممدوداً بمعنی جازینا بها.

اخبر اللَّه تعالی انه لو مس هؤلاء الکفار (نَفْحَةٌ مِنْ عَذابِ الله) و معناه لو لحقهم و أصابهم دفعة یسیرة، فالنفحة الدفعة الیسیرة، یقال: نفخ ینفخ نفحاً، فهو نافح، لأیقنوا بالهلاک، و لقالوا (یا ویلنا) ای الهلاک علینا (إِنَّا کُنَّا ظالِمِینَ) لنفوسنا بارتکاب المعاصی اعترافاً منهم بذلک. و معنی (یا ویلنا) یا بلاءنا الذی نزل بنا. و انما یقال استغاثه مما یکون منه، کما یستغیث الإنسان بنداء من یرفع به.

ثم قال تعالی (وَ نَضَعُ الْمَوازِینَ الْقِسْطَ لِیَوْمِ الْقِیامَةِ) قال قتادة: معناه نضع

---

(۱) سورة ۲ البقرة آیة ۲۸۲

(۲) سورة ۱۲ یوسف آیة ۱۰

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۲۵۴

العدل فی المجازاة بالحق لکل احد علی قدر استحقاقه، فلا یبخس المثاب بعض ما یستحقه، و لا یفعل بالمعاقب فوق ما یستحقه. و قال الحسن: هو میزان له کفتان و لسان، یذهب الی انه علامة جعلها الله للعباد یعرفون بها مقادیر الاستحقاق. و قال قوم: میزان ذو

كفتين توزن بها صحف الاعمال. و قال بعضهم: يكون فى احدى الكفتين نور، و فى الأخرى ظلمة، فأيهما رجح، علم به مقدار ما يستحقه، و تكون المعرفة فى ذلك ما فيه من اللطف و المصلحة فى دار الدنيا.

و قوله «لِيَوْمِ الْقِيامَةِ» معناه لأهل يوم القيامة. و قيل فى يوم القيامة.

و قوله «وَ إِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها» معناه أنه لا يضيع لديه قليل الاعمال و المجازاة عليه، طاعة كانت أو معصية «وَ كَفى بِنا حاسِبِينَ» أى و كفى المطيع أو العاصى بمجازاة اللَّه و حسبه ذلك. و فى ذلك غاية التهديد، لأنه إذا كان الذى يتولى الحساب لا يخفى عليه قليل و لا كثير، كان أعظم. و الباء فى قوله «كفى بنا» زائدة. و «حاسبين» يحتمل أن يكون نصباً على الحال أو المصدر- فى قول الزجاج.

ثم اخبر اللَّه تعالى فقال: «وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى وَ هارُونَ الْفُرْقانَ» قال مجاهد و قتادة: هو التوراة التى تفرق بين الحق و الباطل. و قال ابن زيد: هو البرهان الذى فرق بين حقه و باطل فرعون، كما قال تعالى «وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ» «١». و قوله «و ضياء» أى و آتيناه ضياء يعنى أدلة يهتدون بها، كما يهتدون بالضياء. و آتيناه «ذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ» أى مذكراً لهم، يذكرون اللَّه به.

و من جعل الضياء و الذكر حالا للفرقان قال: دخلته واو العطف، لاختلاف الأحوال، كقولك جاءنى زيد الجواد و الحليم و العالم. و أضافه الى المتقين، لأنهم المنتفعون به دون غيرهم.

ثم وصف المتقين بأن قال «الَّذِينَ يَخْشَوْنَ» عذاب اللَّه فيجتنبون معاصيه فى

---

(١) سورة ٨ الانفال آية ٤١

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٥٥

حال السر و الغيب. و قال الجبائى: معناه يؤمنون بالغيب الذى أخبرهم به، و هم من مجازاة يوم القيامة «مُشْفِقُونَ» أى خائفون.

ثم اخبر عن القرآن، فقال «وَ هذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ» يعنى القرآن «أنزلناه» عليك يا محمد. و خاطب الكفار فقال «أ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ» أى تجحدونه، على وجه التوبيخ لهم، و التقرير، و فى ذلك دلالة على حدوثه، لأن ما يوصف بالانزال و بأنه مبارك يتنزل به، لا يكون قديماً، لان ذلك من صفات المحدثات.

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٥١ الى ٥٥] ..... ص : ٢٥٥

وَ لَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا بِهِ عالِمِينَ (٥١) إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ (٥٢) قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ (٥٣) قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٥٤) قالُوا أَ جِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥)

خمس آيات.

لما اخبر اللّه تعالى أنه آتى موسى و هارون الفرقان، و الضياء، و الذكر.

و بين أن القرآن ذكر مبارك أنزله على محمد (ص)، أخبر انه آتى إبراهيم أيضاً قبل ذلك (رشده) يعنى آتيناه من الحجج و البينات ما يوصله الى رشده، من معرفة اللَّه و توحيده. و الرشد هو الحق الذى يؤدى الى نفع يدعو اليه. و نقيضه الغى، رشد يرشد رشداً و رشداً، فهو رشيد. و فى نقيضه: غوى يغوى غياً، فهو غاو. و قال قتادة و مجاهد: معنى (آتيناه رشده) هديناه صغيراً. و قال قوم: معنى (رشده) التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٥٦

النبوة. و قوله (من قبل) يعنى من قبل موسى و هارون. و قوله (وَ كُنَّا بِهِ عالِمِينَ) أى كنا عالمين بأنه موضع لإيتاء الرشد، كما قال تعالى (وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ) «١» و قيل: كما نعلم أنه يصلح للنبوة (إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ). (إذ) فى موضع نصب، و العامل فيه (آتيناه رشده ...

إذ قـال) أی فی ذلـک الوقت، و فیه إخبـار مـا أنکر ابراهیم علی قومه و أبیه حین رآهم یعبـدون الأصـنام و الأوثـان، فانه قال لهم: أی شیء هذه الأصـنام؟! یعنی الصور التی صرتم لازمین لها بالعبادة، و العکوف اللزوم لأمر من الأمور: عکف علیه عکوفاً، فهو عاکف. و قیل فی معنی (لَها عاکِفُونَ) لأجلها. قال مجاهد (هذه التماثیل) الأصنام. ثم حکی ما أجابه به قومه، فإنهم قالوا «وَجَدْنا آباءَنا لَها» لهذه الأصـنام «عابـدین» فأحالوا علی مجرد التقلیـد. فقال لهم ابراهیم «لَقَـدْ کُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُکُمْ فِی ضَـلالٍ مُبِینٍ» فذمهم علی تقلید الآباء، و نسب الجمیع الی الضـلالة و العـدول عن الحق. فقـالوا له عنـد ذلـک «أ جِئْتَنـا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِینَ» و معناه أجاد أنت فیما تقول محق عند نفسک أم أنت لاعب مازح؟ و ذلک أنهم کانوا یستبعدون إنکار عبادتها علیهم.

قوله تعالی:[سورة الأنبیاء (۲۱): الآیات ۵۶ الی ۶۰] ..... ص : ۲۵۶

قالَ بَلْ رَبُّکُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِی فَطَرَهُنَّ وَ أَنَا عَلی ذلِکُمْ مِنَ الشَّاهِدِینَ (۵۶) وَ تَاللَّهِ لَأَکِیدَنَّ أَصْنامَکُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِینَ (۵۷) فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلاَّ کَبِیراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَیْهِ یَرْجِعُونَ (۵۸) قالُوا مَنْ فَعَلَ هـذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِینَ (۵۹) قالُوا سَمِعْنا فَتًی یَذْکُرُهُمْ یُقالُ لَهُ إِبْراهِیمُ (۶۰)

(۱) سورة ۴۴ الدخان آیة ۳۲

خمس آیات.

قرأ الکسائی «جذاذاً» بکسـر الجیم. الباقون بضمها. فمن ضـم الجیم أراد جعلهم قطعاً، و هو (فعال) علی وزن الرفات و الفتات و الرقاق، و جـذذته أجذه جذاً أی قطعته. و قال ابن عباس: الجذاذ الحطام. و من کسـر الجیم فانه أراد جمع جذیذ (فعیل) بمعنی مجذوذ. و مثله کریم و کرام، و خفیف و خفاف، و بالضم مصدر لا یثنی و لا یجمع. قال جریر:

آل المهلب جذ اللَّه دابرهم أمسوا رماداً فلا أصل و لا طرف «۱»

حکی اللَّه تعـالی مـا رد بـه إبراهیم علی کفـار قـومه حین قـالوا له «أ جِئْتَنـا بِـالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِـبِینَ» فـانه قـال لهم «بَـلْ رَبُّکُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِی» خلقکم و دبرکم و الذی خلق السموات و الأرض و «فَطَرَهُنَّ» معناه ابتدأهن و الفطر شق الشیء من امر ظهر منه یقال: فطره یفطره فطراً و انفطر انفطاراً، و منه تفطر الشـجر بالورق، فکأن السـماء تشق عن شـیء فظهرت بخلقها. ثم قال ابراهیم «وَ أَنَا عَلی ذلِکُمْ مِنَ الشَّاهِدِینَ» یعنی أنا علی ما قلت لکم: من انه تعالی خالقکم و خالق السـموات شاهد بالحق لأنه دال، و الشاهد الدال علی الشـیء عن مشاهـدة، فـإبراهیم (ع) شاهـد بـالحق دال علیه بمـا یرجع الی ثقـة المشاهـدة. ثم أقسم إبراهیم فقـال «وَ تَاللَّهِ لَأَکِیـدَنَّ أَصْنامَکُمْ» و ذلک قسم، و التاء فی القسم لا تدخل إلا فی اسم اللَّه تعالی، لأنها بدل من الواو و الواو بدل من الباء، فهی بدل من بدل، فلذلک اختصت باسم اللَّه. و قال قتادة:

معناه لأکیدن أصنامکم فی سر من قومه. و الکید ضر النبیء بتدبیر علیه، یقال:

(۱) دیوانه (دار بیروت) ۳۰۸

کاده یکیده کیداً. فهو کائد.

و قوله «بَعْـدَ أَنْ تُوَلُّوا مُـدْبِرِینَ» یقال: انه انتظرهـم حتی خرجوا الی عید لهم فحینئذ کسـر أصـنامهم. ثم أخبر تعالی انه «فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً» أی قطعـاً «إِلَّا کَـبِیراً لَهُمْ» ترکه علی حـاله. و یجوز أن یکون کبیرهم فی الخلقـة. و یجوز أن یکون أکبرهم عنـدهم فی التعظیم «لَعَلَّهُمْ

إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ» أى لكى يرجعوا اليه فينتهبوا على ما يلزمهم فيه من جهل من اتخذوه إلهاً، إذا وجدوه على تلك الصفة. و كان ذلك كيداً لهم.

و فى الكلام حذف، لان تقديره إن قومه رجعوا من عيدهم، فوجدوا أصنامهم مكسرة «قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ» ف (من) بمعنى الذى، و تقديره الذى فعل هذا بمعبودنا، فانه ظلم نفسه.

و قوله «قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ» قيل تخلف بعضهم فسمع إبراهيم يذكرها بالعيب، فذكر ذلك، و رفع (ابراهيم) بتقدير، يقال له هذا إبراهيم، او ينادى يا إبراهيم، ذكره الزجاج.

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (۲۱): الآيات ۶۱ الى ۶۵] ..... ص : ۲۵۸

قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (۶۱) قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ (۶۲) قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ (۶۳) فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (۶۴) ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ (۶۵)

خمس آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۵۹

لما قال بعضهم انه سمع ابراهيم يعيب آلهتهم و حكاه لقومه قالوا: جيئوا «بِهِ عَلى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن و قتادة و السدى: كرهوا أن يأخذوه بغير بينة، فقالوا جيئوا به بحيث يراه الناس، و يكون بمرءاً منهم «لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ» بما قاله إنى أكيد أصنامهم شهادة تكون حجة عليه.

الثانى- قال ابن إسحاق «لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ» عقابه. و قيل «لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ» حجته و ما يقال له من الجواب، فلما جاءوا به قالوا له (أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ) مقررين له على ذلك، فأجابهم إبراهيم بأن قال (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ) و إنما جاز أن يقول (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا) و ما فعل شيئاً لأحد أمرين:

أحدهما- انه قيده بقوله (إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ) فقد فعله كبيرهم. و قوله (فاسألوهم) اعتراض بين الكلامين، كما يقول القائل: عليه الدارهم فاسأله إن أقر.

و الثانى- انه خرج مخرج الخبر و ليس بخبر، و انما هو إلزام دل على تلك الحال، كأنه قال بل ما تنكرون فعله كبيرهم هذا، فالالزام تارة يأتى بلفظ السؤال و تارة بلفظ الامر، كقوله (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) «۱» و تارة بلفظ الخبر. و المعنى فيه أنه من اعتقد كذا لزمه كذا و قد قرئ فى الشواذ (فَعَلَّهُ كَبِيرُهُمْ)- بتشديد اللام- بمعنى فلعل كبيرهم، فعلى هذا لا يكون خبراً، فلا يلزم ان يكون كذباً، و الكذب قبيح لكونه كذباً، فلا يحسن على وجه، سواء كان فيه نفع او دفع ضرر، و على كل حال، فلا يجوز على الأنبياء القبائح، و لا يجوز ايضاً عليهم التعمية فى الاخبار، و لا التقية

---

(۱) سورة ۱۰ يونس آية ۳۸ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۶۰

فى اخبارهم، لأنه يؤدى الى التشكيك فى اخبارهم، فلا يجوز ذلك عليهم على وجه.

فأما ما

روى عن النبى (ص) بأن قال (لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات كلها فى الله)

فانه خبر لا أصل له، و لو حسن الكذب على وجه. كما يتوهم بعض الجهال، لجاز من القديم تعالى ذلك. و زعموا ان الثلاث كذبات هى قوله «فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا» و ما كان فعله. و قوله «إِنِّي سَقِيمٌ» «۱» و لم يكن كذلك. و قوله فى سارة لما أراد الجبار أخذها: إنها اختى، و كانت زوجته. حتى قال بعضهم: كان اللّه أذن له فى ذلك. و هذا باطل، لأنه لو اذن اللّه له فيه، لكان الكذب حسناً. و قد بينا

أنه قبيح على كل حال. و قيل: معنى قوله «إِنِّي سَقِيمٌ «اى سأسقم، لأنه لما نظر الى بعض الكواكب علم انه وقت نوبة حمى كانت تجيئه، فقال: إني سقيم. و قيل معناه: اني سقيم، اى غماً بضلالكم. و قيل: معناه سقيم عندكم، فيما أدعوكم اليه من الدين.

و قيل: ان من كانت عاقبته الموت جاز ان يقال فيه سقيم، مثل المريض المشفى على الموت. و أما قوله فى سارة إنها أختى فانه أراد فى الدين. و اما قول يوسف لأخوته «إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ» «۲» فقد قال قوم: هو من قول مؤذن يوسف على ظنه فيما يقتضيه الحال من الظن الذى يعمل عليه. و قيل معناه: (إنكم لسارقون) يوسف (ع) و قوله تعالى (فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ) اى عادوا الى نفوسهم يعنى بعضهم الى بعض و قال بعضهم لبعض: (إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ) فى سؤاله، لأنها لو كانت آلهة لم يصل ابراهيم الى كسرها.

و قوله (ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ) فالنكس هو جعل الشيء أسفله أعلاه، و منه النكس فى العلة إذا رجع لى أول حاله. و المعنى أدركتهم حيرة سوء، فنكسوا لأجلها رؤسهم. ثم أقروا بما هو حجة عليهم، فقالوا لإبراهيم

---

(۱) سورة ۳۷ الصافات آية ۸۹

(۲) سورة ۱۲ يوسف آية ۷۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۶۱

(لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ) فأقروا بهذا للحيرة التى لحقتهم، فكان ذلك دلالة على خطئهم، لكنهم أصروا على العناد

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (۲۱): الآيات ۶۶ الى ۷۰] ..... ص : ۲۶۱

قالَ أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لا يَضُرُّكُمْ (۶۶) أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۶۷) قالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ (۶۸) قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ (۶۹) وَ أَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِينَ (۷۰)

خمس آيات.

يقول اللَّه تعالى لما قال كفار قوم إبراهيم (ع) (لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ) فقال لهم إبراهيم منبهاً لهم على خطئهم و ضلالهم (أ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى توجهون عبادتكم الى الأصنام التى لا تنفعكم شيئاً و لا تدفع عنكم ضراً، لأنها لو قدرت على نفعكم و ضركم. لدفعت عن نفسها، حتى لم تكسر، و لأجابت حين سئلت (مِنْ دُونِ اللَّهِ) الذى يقدر على ضركم و نفعكم من ثوابكم و عقابكم، و إنه يفعل معكم مالا يقدر عليه سواه. و ليس كل من قدر على الضر و النفع يستحق العبادة، و انما يستحقها من قدر على اصول النعم التى هى خلق الحياة، و الشهوة، و القدرة، و كمال العقل، و يقدر على الثواب و العقاب لو لمنافع تقع على وجه لا يقدر على إيقاعها على ذلك الوجه سواه. قال الرماني: لأنه تعالى لو فعل حركة فيها لطف فى إيمان زيد كزلزلة الأرض فى بعض الأحوال. ثم ان عندها ايماناً يتخلص به من التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۶۲

العقاب. و يستحق الثواب الذى ضمنه بالايمان، لا يستحق- بفعل الحركة على هذا الوجه- العبادة.

ثم قال مهجناً لأفعالهم مستقذراً لها (أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) فمعنى (أف) الضجر بما كان من الامر و هى كلمة، مبنية، لأنها وضعت وضع الصوت الخارج عن دلالة الاشارة و الافادة، فصارت كدلالة الحرف، لأنه يفهم المعنى بالحال المقارنة لها، و بنيت على الحركة لالتقاء الساكنين إذ لا اصل لها فى التمكن مستعمل، فتستحق به البناء على الحركة. و كسرت على اصل الحركة لالتقاء الساكنين. و قال الزجاج: معنى (أف لكم) نتناً لأفعالكم، و يجوز- ضم الفاء- للاتباع لضمة الهمزة و يجوز- الفتح- لثقل التضعيف. و يجوز- التنوين- على التنكير.

و قوله «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» معناه أ فلا تتفكرون بعقولكم فى أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة، و لا تقدر على الضر و النفع، فلما سمعوا منه هذا القول قال بعضهم لبعض «حرقوه» يعنى بالنار «وَ انْصُرُوا آلِهَتَكُمْ» أى عظموها و ادفعوا عنها و عن عبادتها «إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ» معناه

إن كنتم ناصريها، و لم تريدوا ترك عبادتها. و التحريق هو التقطيع بالنار، يقال: حرقه تحريقاً و أحرقه إحراقاً، و ثوب حرق أى متقطع كالتقطع بالنار. و احترق الشيء احتراقاً، و تحرق على الامر تحرقاً.

و قال ابن عمر: الذى أشار بتحريق إبراهيم رجل من أكراد فارس. و فى الكلام حذف لأن تقديره أوثقوا إبراهيم و طرحوه فى النار، فقال اللَّه تعالى عند ذلك للنار «كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ» و قيل فى وجه كون النار برداً و سلاماً قولان:

أحدهما- انه تعالى أحدث فيها برداً بدلا من شدة الحرارة التى فيها، التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۶۳

فلم تؤذه.

و الثانى- انه تعالى حال بينها و بين جسمه، فلم تصل اليه، و لو لم يقل سلاماً لأهلكه بردها، و لم يكن هناك أمر على الحقيقة. و المعنى أنه فعل ذلك، كما قال «كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ» «۱» أى صيرهم كذلك من غير ان أمرهم بذلك. و قال قتادة: ما أحرقت النار منه إلا وثاقه. و قال قوم: ان إبراهيم لما أوثقوه ليلقوه فى النار قال (لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين. لك الحمد و لك الملك لا شريك لك). ثم اخبر تعالى ان الكفار أرادوا بإبراهيم كيداً و بلاء، فجعلهم اللَّه «الأخسرين» يعنى بتأييد ابراهيم و توفيقه، و منع النار من إحراقه حتى خسروا و تبين كفرهم و ضلالهم.

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (۲۱): الآيات ۷۱ الى ۷۵] ..... ص : ۲۶۳

وَ نَجَّيْناهُ وَ لُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها لِلْعالَمِينَ (۷۱) وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ نافِلَةً وَ كُلًّا جَعَلْنا صالِحِينَ (۷۲) وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاةِ وَ إِيتاءَ الزَّكاةِ وَ كانُوا لَنا عابِدِينَ (۷۳) وَ لُوطاً آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ نَجَّيْناهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ تَعْمَلُ الْخَبائِثَ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فاسِقِينَ (۷۴) وَ أَدْخَلْناهُ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (۷۵)

خمس آيات.

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۶۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۶۴

يقول اللَّه تعالى إنا نجينا ابراهيم و لوطاً من الكفار الذين كانوا يخافوهم، و حملناهما «إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها لِلْعالَمِينَ» قال قتادة: نجيا من ارض كوثاريا الى الشام. و قال ابو العالية: ليس ماء عذب الا من الصخرة التى فى بيت المقدس.

و قال ابن عباس: نجاهما الى مكة، كما قال «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً» «۱» و قيل: الى أرض بيت المقدس. و قال الزجاج: من العراق الى ارض الشام. و قال الجبائى: أراد ارض الشام. و انما قال «للعالمين» لما فيها من كثرة الأشجار و الخيرات التى ينتفع جميع الخلق بها إذا حلوا بها. و انما جعلها مباركة، لان اكثر الأنبياء بعثوا منها، فلذلك كانت مباركة. و قيل: لما فيها من كثرة الأشجار و الثمار، و النجاة هو الدفع عن الهلاك، فدفع اللَّه ابراهيم و لوطاً عن الهلكة الى الأرض المباركة. و البركة ثبوت الخير النامى و نقيضها الشؤم و هو إمحاق الخير و ذهابه. و قيل فى هذه الآية دلالة على نجاة محمد (ص) كما نجا ابراهيم من عبدة الأصنام، الى الأرض التى اختارها له.

ثم قال «وَ وَهَبْنا لَهُ» يعنى ابراهيم اى أعطيناه اجتلاباً لمحبته، فاللَّه تعالى يحب أنبياءه و يحبونه، و يحب أن يزدادوا فى محبته بما يهب لهم من نعمه «إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ» اى أعطيناه إسحاق و معه يعقوب «نافلة» اى زيادة على ما دعا اللَّه اليه. و قوله «نافِلَةً» اى فضلا- فى قول ابن عباس و قتادة و ابن زيد- لأنه كان سأل اللَّه ان يرزقه ولداً من سارة، فوهب له إسحاق، و زاده يعقوب ولد ولده.

و قيل جميعاً نافلة، لأنهما عطية زائدة على ما تقدم من النعمة- فى قول مجاهد و عطاء- و النفل النفع الذى يوجب الحمد به لأنه مما زاد على حد الواجب، و منه صلاة النافلة اى فضلا على الفرائض. و قيل: نافلة اى غنيمة قال الشاعر:

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۹۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۶۵

للّه نافلة الأعز الأفضل

و قوله (وَ كُلًّا جَعَلْنا صالِحِينَ) يحتمل أمرين:

أحدهما- انه جعلهم بالتسمية على وجه المدح بالصلاة أى سميناهم صالحين.

و الثانى- انا فعلنا بهم من اللطف الذى صلحوا به. ثم وصفهم بأن قال (وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً) يقتدى بهم فى أفعالهم (يهدون) الخلق الى طريق الحق (بِأَمْرِنا وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ) اى أوحينا اليهم بأن يفعلوا الخيرات «و اقام الصلاة» اى و بأن يقيموا الصلاة بحدودها و انما قال «وَ إِقامَ الصَّلاةِ» بلا (هاء) لأن الاضافة عوض الهاء «وَ إِيتاءَ الزَّكاةِ» أى بأن يؤتوا الزكاة، التى فرضها اللّه عليهم.

ثم اخبر: أنهم كانوا عابدين للّه وحده لا شريك له، لا يشركون بعبادته سواه.

و قوله «وَ لُوطاً آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً» نصب (لوطاً) ب (آتينا) و تقديره: و آتينا لوطاً آتيناه، كقوله «وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ» «۱». و يجوز ان يكون نصباً بتقدير اذكر «لُوطاً» إذ «آتَيْناهُ حُكْماً» اى أعطيناه الفصل بين الخصوم بالحق أى جعلناه حاكماً، و علمناه ما يحتاج الى العلم به.

و قوله «وَ نَجَّيْناهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ تَعْمَلُ الْخَبائِثَ» يعنى انهم كانوا يأتون الذكران، فى أدبارهم و يتضارطون فى أنديتهم، و هى قرية (سدوم) على ما روى.

ثم اخبر «إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فاسِقِينَ» اى خارجين عن طاعة اللّه الى معاصيه. ثم عاد الى ذكر لوط فقال «وَ أَدْخَلْناهُ فِي رَحْمَتِنا» أى نعمتنا «إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» الذين أصلحوا أفعالهم. فعملوا بما هو حسن منها، دون ما هو قبيح.

(۱) سورة ۳۶ يس آية ۳۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۶۶

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (۲۱): الآيات ۷۶ الى ۸۰] ..... ص : ۲۶۶

وَ نُوحاً إِذْ نادى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (۷۶) وَ نَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ (۷۷) وَ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ (۷۸) فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وَ كُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْماً وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنَّا فاعِلِينَ (۷۹) وَ عَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ (۸۰)

خمس آيات.

قرأ «لنحصنكم» بالنون ابو بكر عن عاصم. و قرأ ابن عامر و حفص عن عاصم بالتاء. الباقون بالياء. فمن قرأ بالتاء فلأن الدروع مؤنثة، فأسند الفعل اليها. و من قرأ بالياء اضافه الى (لبوس)، و هو مذكر و يجوز ان يكون أسند الفعل الى اللّه. و يجوز ان يضيفه الى التعليم- ذكره ابو على- و من قرأ بالنون أسند الفعل الى اللّه ليطابق قوله «و علمناه».

يقول اللّه تعالى لنبيه محمد (ص) و اذكر يا محمد «نوحاً» حين «نادى مِنْ قَبْلُ» ابراهيم. و النداء الدعاء على طريقة (يا فلان) فأما على طريقة (افعل) و (لا تفعل) فلا يسمى نداء، و إن كان دعاء. و المعنى إذ دعا ربه، فقال: رب، أى التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۶۷

يـا رب نجنى و اهلى من الكرب العظيم فقـال اللَّه تعـالى «فَاسْتَجَبْنا لَهُ» اى اجبنـاه الى مـا التمسه «فَنَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ». و الكرب الغم الذى يحمى به القلب، و يحتمل ان يكون غمه كان لقومه. و يجوز ان يكون من العذاب الذى نزل بهم.

و قوله «وَ نَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا» اى منعناه منهم ان يصـلوا اليه بسوء. و معنى نصرته عليه أعنته على غلبه. ثم اخبر تعالى «إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ» فأغرقهم اللَّه أجمعين بالطوفان.

ثم قال و اذكر يا محمـد «داوُدَ وَ سُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ» فى الوقت الـذى «نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ» و النفش لا يكون الا ليلا على ما قاله شريح. و قال الزهرى:

الهمل و النشر بالنهار، و النفش بالليل، و الحرث الـذى حكاه فيه: قال قتادة: هو زرع وقعت فيه الغنم ليلا، فأكلته. و قيل: كرم قـد نبتت عنا قيده- فى قول ابن مسعود- و شريح. و قيل:

ان داود كان يحكم بالغنم لصاحب الكرم. فقال سليمان:

غير هـذا يـا نبى اللَّه. قـال: و مـا ذاك؟ قـال: يـدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، و تـدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصـيب منهـا، حتى إذا عـاد الكرم كما كان دفع كل واحـد الى صاحبه- ذكره ابن مسـعود- و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع)

و قـال ابو على الجبـائى: أوحى اللَّه الى سـليمان ممـا نسـخ به حكم داود الـذى كـان يحكم به قبـل. و لم يكن ذلـك عن اجتهاد، لان الاجتهاد لا يجوز ان يحكم به الأنبياء. و هذا هو الصحيح عندنا. و قال ابن الاخشاذ، و البلخى و الرمانى:

يجوز أن يكون ذلـك عن اجتهـاد، لأن رأى النبى أفضـل من رأى غيره، فكيف يجوز التعبـد بالتزام حكم غيره من طريق الاجتهاد، و يمتنع من حكمه من هـذا الوجه. و الـدليل على صـحة الاول ان الأنبياء (ع) يوحى اليهم، و لهم طريق الى العلم بالحكم، فكيف التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۶۸

يجوز أن يعملوا بالظن؟! و الامة لا طريق لها الى العلم بالاحكام فجاز ان يكلفوا ما طريقه الظن؟! على ان عندنا لا يجوز فى الأمة ايضاً العمل على الاجتهاد. و قد بينا ذلك فى غير موضع. و من قال: انهما اجتهدا، قال أخطأ داود و أصاب سليمان.

و ذكروا فى قوله «إِذْ يَحْكُمانِ» ثلاثة أوجه:

أحدها- إذ شرعا فى الحكم فيه من غير قطع به فى ابتداء الشرع.

و ثانيها- ان يكون حكمه حكما معلقاً بشرط لم يفعله بعد.

و ثالثها- أن يكون معناه طلبا بحكم فى الحرث، و لم يبتديا به بعد. و يقوى ما قلناه قوله تعالى «فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ» يعنى علمنا الحكومة فى ذلك سليمان. و قيل:

ان اللَّه تعالى «فهم سليمان» قيمة ما أفسدت الغنم.

ثم أخبـر تعـالى بـأنه آتى كلاـ حكمـا و علمـاً، فـدل على ان مـا حكم به داود كـان بوحى اللَّه، و تعليمه. و قيـل: معنى قوله «فَفَهَّمْنـاها سُلَيْمـانَ» أى فتحنـا له طريق الحكومـة، لمـا اجتهـد فى طلب الحق فيهـا، من غير عيب على داود فيمـا كـان منه فى ذلك، لأنه اجتهـد: فحكم بما أدى اجتهاده اليه.

و قوله «وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ» معنـاه سـير الله تعالى الجبال مع داود حيث سار، فعبر عن ذلك بالتسبيـح، لما فيها من الآيـة العظيمة التى تـدعو له بتعظيم الله و تنزيهه عن كـل مـا لا يليق به، و لا يجوز وصـفه به. و كـذلك سـخر له الطير، و عبر عن ذلك التسـخير بأنه تسبيح من الطير، لدلالته على أن من سخرها قادر لا يجوز عليه العجز، كما يجوز على العباد.

و قوله «وَ كُنَّا فاعِلِينَ» أى و كنا قادرين على ما نريده. و قال الجبائى: أكمل الله تعالى عقول الطير حتى فهمت ما كان سليمان يأمرها به و ينهاها عنه، و ما يتوعدها به متى خالفت. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۶۹

و قوله «وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ» انما جمعه فى موضع التثنية، لأن داود و سليمان كان معهما المحكوم عليه، و من حكم له. فلا يمكن الاستدلال به على أن اقل الجمع اثنان.

و من قال: إنه كناية عن الاثنين، قال: هو يجرى مجرى قوله «فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ» «۱» فى موضع فان كان له أخوان. و هذا ليس بشىء، لان ذلك علمناه بدليل الإجماع، و لذلك خالف فيه ابن عباس، فلم يحجب ما قل عن الثلاثة.

و قوله «وَ عَلَّمْناهُ» يعنى داود «صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ» اى علمناه كيف يصنع الدرع. و قيل: ان اللبوس- عند العرب- هو السلاح كله، درعاً كان، أو جوشناً، او سيفاً، او رمحاً، قال الهذلى.

و معى لبوس للبنين كأنه روق بجبهة ذى نعاء مجفل «۲»

يصف رمحاً. و قال قتادة، و المفسرون: المراد به فى الآية الدروع. و الإحصان الاحراز، و الباس شدة القتال. و قوله «فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ» تقرير للخق على شكره تعالى على نعمة التى أنعم بها عليهم بأشياء مختلفة.

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (۲۱): الآيات ۸۱ الى ۸۵] ..... ص : ۲۶۹

وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ (۸۱) وَ مِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ وَ كُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ (۸۲) وَ أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (۸۳) فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَ آتَيْناهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ ذِكْرى لِلْعابِدِينَ (۸۴) وَ إِسْماعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (۸۵)

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۱۰

(۲) تفسير القرطبى ۱۱/ ۳۲۰ و الطبرى ۱۷/ ۳۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۷۰

خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى و سخرنا «لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً» من رفع (الريح) و هو عبد الرحمن الأعرج: أضاف الريح الى سليمان إضافه الملك، كأنه قال له الريح.

و «عاصفة» نصب على الحال فى القراءتين، و الريح هو الجو، يشتد تارة و يضعف أخرى. و حد الرمانى الريح بأن قال: هو جسم منتشر لطيف، يمتنع بلطفه من القبض عليه و يظهر للحس بحركته. و قولهم: سكنت الريح مثل قولهم: هبت الريح، و إلا فإنها لا تكون ريحاً إلا بالحركة. و يقولون: أسرع فلان فى الحاجة كالريح، و راح فلان الى منزله.

و (العصوف) شدة حركة الريح، و عصفت تعصف عصفاً و عصفة، و عصف عصفاً و عصوفاً إذا اشتد، و العصف التبن، لان الريح تعصفه بتطيرها. و قيل: عصوف الريح شدة هبوبها. و ذكر ان الريح كانت تجرى لسليمان إلى حيث شاء، فذلك هو التسخير «تَجْرِي بِأَمْرِهِ» يعنى بأمر سليمان «إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها» يعنى الشام، لأنها كانت مأواه، فأى مكان شاء مضى اليه. و عاد اليها بالعشى.

و قوله «وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ» معناه علمنا معه على ما يعلمه من صحة التدبير، فان ما أعطيناه من التسخير يدعوه الى الخضوع له. و يدعو طالب الحق الى الاستبصار فى ذلك، فكان لطفاً يجب فعله.

و قوله «وَ مِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ» أي و سخرنا لسليمان قوماً من الشياطين يغوصون له فى البحر «وَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذلِكَ» قال الزجاج: معناه سوى ذلك «وَ كُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ» أى يحفظهم اللّه من الإفساد لما عملوه. و قيل:

كان حفظهم لئلا يهربوا من العمل. و قال الجبائى: كشف اللّه تعالى أجسام الجن حتى التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۷۱

تهيأ لهم تلك الاعمال، معجزة لسليمان (ع) قال: انهم كانوا يبنون له البنيان، و الغوص فى البحار، و إخراج ما فيه من اللؤلؤ و غيره، و ذلك لا يتأتى مع رقة أجسامهم. قال: و سخر له الطير بأن قوّى أفهامها، حتى صارت كصبياننا الذين يفهمون التخويف و الترغيب.

ثم قال و اذكر يا محمد «أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ» أى حين دعاه، فقال يا رب «أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ» أى نالنى الضر يعنى ما كان ناله من المرض و الضعف. قال الجبائى: كان به السلعة «وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» فارحمنى. و قيل انما فعل ذلك بأيوب، ليبلغ بصبره على ذلك المنزلة الجليلة التى أعدها اللَّه- عز و جل- له و لكل مؤمن فيما يلحقه من مصيبة اسوة بأيوب، قال الجبائى: لم يكن ما نزل به من المرض فعلا للشيطان، لأنه لا يقدر على ذلك، و إنما آذاه بالوسوسة و ما جرى مجراها. قال الحسن: و كان اللَّه تعالى أعطاه مالا و ولداً، فهلك ما له و مات ولده، فصبر، فأثنى اللَّه عليه. ثم قال تعالى «فَاسْتَجَبْنا لَهُ» يعنى أجبنا دعاءه و نداءه «فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ» أى أزلنا عنه ذلك المرض «وَ آتَيْناهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ» قيل: رد الله اليه أهله الذين هلكوا بأعيانهم، و أعطاه مثلهم معهم- فى قول ابن مسعود و ابن عباس- و قال الحسن و قتادة: إن اللَّه أحيا له أهله بأعيانهم. و زاده اليهم مثلهم. و قال عكرمة و مجاهد- فى رواية- أنه خير فاختار إحياء أهله فى الآخرة، و مثلهم فى الدنيا، فأوتى على ما اختار. و قال ابن عباس: أبدله اللَّه تعالى بكل شيء ذهب له ضعفين «رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا» أى نعمة منا عليه «وَ ذِكْرى لِلْعابِدِينَ» اى عظة يتذكر به العابدون للَّه تعالى مخلصين.

و قوله «وَ إِسْماعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكِفْلِ «أى اذكر هؤلاء الذين عددتهم لك من الأنبياء، و ما أنعمت عليهم من فنون النعمة. ثم أخبر أنهم كانوا كلهم التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۷۲

«مِنَ الصَّابِرِينَ» يصبرون على بلاء اللَّه، و العمل بطاعته. دون معاصيه.

و اختلفوا فى ذى الكفل، فقال ابو موسى الاشعرى، و قتادة، و مجاهد: كان رجلا صالحاً، كفل لنبى بصوم النهار، و قيام الليل، و ألا يغضب، و يقتضى بالحق، فوفى للَّه بذلك، فأثنى الله عليه. و قال قوم: كان نبياً، كفل بأمر و فى به. و قال الحسن: هو نبى اسمه ذو الكفل. و قال الجبائى: هو نبى، و معنى وصفه بالكفل أنه ذو الضعف أى ضعف ثواب غيره، ممن فى زمانه لشرف عمله.

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (۲۱): الآيات ۸۶ الى ۹۰] ..... ص : ۲۷۲

وَ أَدْخَلْناهُمْ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (۸۶) وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنادى فِي الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (۸۷) فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَ نَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (۸۸) وَ زَكَرِيَّا إِذْ نادى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ (۸۹) فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَ وَهَبْنا لَهُ يَحْيى وَ أَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ يَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً وَ كانُوا لَنا خاشِعِينَ (۹۰)

خمس آيات.

قرأ يعقوب «فظن ان لن يقدر عليه» بالياء مضمومة. و فتح الدال.

الباقون بالنون، و كسر الدال، و المعنيان متقاربان. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۷۳

يقول الله تعالى إنا أدخلنا هؤلاء الذين ذكرناهم من الأنبياء «فى رحمتنا» أى فى نعمتنا، و معنى (أَدْخَلْناهُمْ فِي رَحْمَتِنا) غمرناهم بالرحمة. و لو قال رحمناهم لما أفاد الاغمار. بل أفاد انه فعل بهم الرحمة، التى هى النعمة.

و قوله (إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ) معناه إنما أدخلناهم فى رحمتنا، لأنهم كانوا ممن صلحت أعمالهم، و فعلوا الطاعات، و تجنبوا المعاصى. و (صالح) صفة مدح فى الشرع.

ثم قال لنبيه محمد (ص) و اذكر (ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) و النون الحوت، و صاحبها يونس بن متى، غضب على قومه- فى قول ابن عباس و الضحاك- فذهب مغاضباً لهم، فظن ان اللَّه لا يضيق عليه، لأنه كان ندبه الى الصبر عليهم و المقام فيهم من قوله «وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ» «۱» أى ضيق، و قوله «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ» «۲» أى يضيق، و هو قول ابن عباس و

مجاهد و الضحاك، و اكثر المفسرين. و قال الزجاج و الفراء: معناه «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» ما قدرناه. و قال الجبائی: ضيق اللَّه عليه الطريق حتی ألجأه الی ركوب البحر حتی قذف فيه، و ابتلعته السمكة. و من قال: ان يونس (ع) ظن أن اللَّه لا يقدر عليه من القدرة، فقد كفر. و قيل إنما عوتب علی ذلك، لأنه خرج مغاضباً لهم قبل أن يؤذن له، فقال قوم: كانت خطيئة، من جهة تأويله أنه يجوز له ذلك. و قد قلنا:

انه كان مندوباً الی المقام فلم يكن ذلك محظوراً، و انما كان ترك الأولی. فأما ما روی عن الشعبی و سعيد بن جبير من انه خرج مغاضباً لربه فلا يجوز ذلك علی نبی من الأنبياء، و كذلك لا يجوز أن يغضب لم عفی اللَّه عنهم إذ آمنوا، لان هذا اعتراض

---

(۱) سورة ۶۵ الطلاق آية ۷

(۲) سورة ۱۳ الرعد آية ۲۸

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۷۴

علی اللَّه بما لا يجوز فی حكمته.

و قوله «فَنادی فِي الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» فالظلمات قيل: إنها ظلمة الليل، و ظلمة البحر، و ظلمة بطن الحوت، علی ما قاله ابن عباس و قتادة. و قيل: حوت فی بطن حوت، فی قول سالم بن أبی حفصة.

و قيل: ان أكثر دعائه كان فی جوف الليل فی الظلمات. و الأول أظهر فی اقوال المفسرين. و قال الجبائی: الغضب عداوة لمن غضب عليه، و بقاؤه فی بطن الحوت حياً معجز له. و لم يكن يونس فی بطن الحوت علی جهة العقوبة، لان العقوبة عداوة للمعاقب، لكن كان ذلك علی وجه التأديب، و التأديب يجوز علی المكلف و غير المكلف، كتأديب الصبی و غيره. و قال قوم: معنی قوله «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ» الاستفهام، و تقديره أ فظن. و هذا ضعيف، لأنهم لا يحذفون حرف الاستفهام إلا و فی الكلام عوض عنه من (أم) أو غيرها.

و قوله «إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» أی كنت من الباخسين نفسی ثوابها، لو أقمت، لأنه كان مندوباً اليه، و من قال يجوز الصغائر علی الأنبياء، قال: كان ذلك صغيرة نقصت ثوابه. فأما الظلم الذی هو كبيرة، فلا يجوزها عليهم إلا الحشوية الجهال، الذين لا يعرفون مقادير الأنبياء، الذين وصفهم اللَّه بأنه اصطفاهم و اختارهم.

ثم اخبر تعالی انه استجاب دعاءه و نجاه من الغم الذی كان فيه. و وعد مثل ذلك أن ينجی المؤمنين.

و قد قرأ ابو بكر عن عاصم «نجی المؤمنين» بنون واحدة مشددة الجيم.

الباقون بنونين. و هی فی المصحف بنون واحدة حذف الثانية كراهة الجمع بين المثلين فی الخط، و لأن النون الثانية تخفی مع الجيم، و مع حروف الفم، و لا تظهر، و لذلك ظن قوم أنها أدغمت فی الجيم، فقرءوها مدغماً، و ليس بمدغم. و لا وجه لقراءة عاصم هذه

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۷۵

و لا لقول أبی عبيدة حاكياً عن أبی عمرو: ان النون مدغمة، لأنها لا تدغم فی الجيم.

و قال الزجاج: هذا لحن، و لا وجه لمن تأوله: نجی النجا المؤمنين، كما لا يجوز ضرب زيداً بمعنی ضرب الضرب زيداً. و قال الفراء: هو لحن. و قال قوم- محتجين لأبی بكر- انه أراد فعلا ماضياً، علی ما لم يسم فاعله، فاسكن الياء، كما قرأ الحسن «و ذروا ما بقی من الربا» «۱» أقام المصدر مقام المفعول الذی لا يذكر فاعله، فكذلك نجی النجا المؤمنين، و احتجوا بأن أبا جعفر قرأ «لنجزی قوماً» «۲» فی الجاثية علی تقدير لنجزی الجزاء قوماً قال الشاعر.

و لو ولدت قفيرة جر و كلب لسب بذلك الجر و الكلابا «۳»

ثم قال تعالی لنبيه (ص) و اذكر «زَكَرِيَّا إِذْ نادی رَبَّهُ» أی دعاه، فقال يا «رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً» أی وحيداً، بل ارزقنی ولداً. ثم قال «وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ» و معناه أنت خير من يرث العباد من الأهل و الولد، فقال اللَّه تعالی إنا استجبنا دعاءه «وَهَبْنا لَهُ يَحْيی وَ أَصْلَحْنا لَهُ

زَوْجَهُ» قال قتادة: إنها كانت عقيماً فجعلها اللَّه ولوداً. و قيل: كانت سيئة الخلق، فرزقها اللَّه حسن الخلق. ثم اخبر «إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ» أي يبادرون فى فعل الطاعات «و يدعون» اللَّه «رغبة» فى ثوابه «و رهبة» من عقابه «و كانوا» للَّه «خاشعين» متواضعين.

و قال الجبائى: إجابة الدعاء لا تكون إلا ثواباً. و قال ابن الاخشاذ: يجوز أن تكون استصلاحاً لا ثواباً، و لذلك لا يمتنع أن يجب اللَّه دعاء الكافر و الفاسق. فأما قولهم:

فلان مجاب الدعوة، فلا يجوز إطلاقه على الكفار و الفساق، لأن فيه تعظيماً و أن له منزلة جليلة عند اللَّه. و الامر بخلاف ذلك.

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۷۸

(۲) سورة ۴۵ الجاثية آية ۱۳

(۳) تفسير القرطبى ۱۱/ ۳۳۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۷۶

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (۲۱): الآيات ۹۱ الى ۹۵] ..... ص : ۲۷۶

وَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا وَ جَعَلْناها وَ ابْنَها آيَةً لِلْعالَمِينَ (۹۱) إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (۹۲) وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنا راجِعُونَ (۹۳) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ وَ إِنَّا لَهُ كاتِبُونَ (۹۴) وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ (۹۵)

خمس آيات.

قرأ اهل الكوفة إلا حفصاً عن عاصم «و حرم» بكسر الحاء بلا الف. الباقون بفتح الحاء. و إثبات الالف، و هما بمعنى واحد.

يقول اللَّه تعالى لنبيه (ص) و اذكر ايضاً «الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها» يعنى مريم بنت عمران. و الإحصان إحراز الشيء من الفساد، فمريم أحصنت فرجها بمنعه من الفساد فأثنى اللَّه عليها. و رزقها ولداً عظيم الشأن، لا كالأولاد المخلوقين من النطفة. و جعله نبياً. و قوله «فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا» معناه أجرينا فيها روح المسيح، كما يجرى الهواء بالنفخ، و أضاف الروح الى نفسه، على وجه الملك تشريفاً له فى الاختصاص بالذكر. و قيل: إن اللَّه تعالى أمر جبرائيل بنفخ الروح فى فرجها، و خلق المسيح فى رحمها. و قوله «وَ جَعَلْناها وَ ابْنَها آيَةً لِلْعالَمِينَ» معناه إنا جعلنا مريم و ابنها عيسى آية للعالمين. و انما قال «آية» و لم يثن، لأنه فى موضع دلالة لهما، فلا يحتاج أن يثنى. و الآية فيهما أنها جاءت به من غير فحل، فتكلم فى المهد بما يوجب التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۷۷

براءة ساحتها من العيب، و فى ذلك دليل واضح على سعة مقدوراته تعالى، و أنه يتصرف كيف شاء.

و قوله «وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً» قال ابن عباس و مجاهد و الحسن:

معناه دينكم دين واحد. و اصل الأمة الجماعة التى على مقصد واحد، فجعلت الشريعة أمة، لاجتماعهم بها على مقصد واحد. و قيل: معناه جماعة واحدة فى أنها مخلوقة مملوكة للَّه. و نصب «أمة» على الحال، و يسميه الكوفيون قطعاً. ثم قال «وَ أَنَا رَبُّكُمْ» الذى خلقكم «فاعبدونى» و لا تشركوا بى احداً.

و قوله «وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ» معناه اختلفوا فى الدين بما لا- يسوغ، و لا- يجوز- فى قول ابن زيد- ثم قال مهدداً لهم «كُلٌّ إِلَيْنا راجِعُونَ» أي الى حكمنا، فى الوقت الذى لا يقدر على الحكم فيه سوانا، كما يقال: رجع أمرهم الى القاضى أي الى حكمه.

و قوله «فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ» قيل: الصالحات- هاهنا- صلة الرحم، و معونة الضعيف، و نصرة المظلوم، و إغاثة الملهوف، و الكف عن الظلم، و نحو ذلك من اعمال الخير، و انما شرط الايمان، لأن هذه الأشياء لو فعلها الكافر لم ينتفع بها عند الله.

و قوله «فَلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ» معناه لا جحود لإحسانه فى عمله، و هو مصدر كفر كفراً و كفراناً، قال الشاعر:

من الناس ناس لا تنام خدودهم و خدی و لا كفران لله نائم «۱»

و قوله «وَ إِنَّا لَهُ كاتِبُونَ» أی ملائكتنا يثبتون ذلک و يكتبونه، فلا يضيع له لديه شیء.

و قوله «وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ» قيل: (لا) صلة،

---

(۱) تفسير الطبری ۱۷/ ۶۱

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۷۸

و المعنى: حرام رجوعهم. و قيل «أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ» أی حال قبول التوبة. و قال قوم: حرام على قرية أهلكناها، لأنهم لا يرجعون. و قال الزجاج: المعنى و حرام على قرية أهلكناها أن نتقبل منهم عملا لأنهم لا يرجعون، أی لا يتوبون أبداً. و حرم و حرام لغتان مثل حل و حلال. و قيل: فی معنى «وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ» معناه واجب عليهم ألا يرجعون الى تلك القرية أبداً. و قال الجبائی: معناه و حرام على قرية أهلكناها عقوبة لهم ان يرجعوا الى دار الدنيا.

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (۲۱): الآيات ۹۶ الى ۱۰۰] ..... ص : ۲۷۸

حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (۹۶) وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يا وَيْلَنا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا بَلْ كُنَّا ظالِمِينَ (۹۷) إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ (۹۸) لَوْ كانَ هؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها وَ كُلٌّ فِيها خالِدُونَ (۹۹) لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ هُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ (۱۰۰)

خمس آيات.

قرأ ابن عامر «فتحت» مشددة، على التكثير. الباقون بالتخفيف.

يقول الله تعالى: إنه حرام على أهل قرية أهلكناها رجوعهم، «حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ» أی ينفرج السدان (يأجوج و مأجوج) و يظهروا، و التقدير فتحت التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۷۹

جهة يأجوج و مأجوج، و الفتح انفراج الشیء عن غيره.

و قوله «وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ» قال مجاهد: ان قوله «و هم» كناية عن الناس، يحشرون الى أرض الموقف يوم القيامة. و قال عبد الله بن مسعود: هو كناية عن يأجوج و مأجوج. و يأجوج و مأجوج اسمان أعجميان، و هما قبيلان. و لو كانا عربيين لكانا من أج النار، أو الماء الأجاج. و قال قتادة: الحدب الاكم. و قيل:

هو الارتفاع من الأرض بين الانخفاض، و معناهما واحد. و الحدبة خروج الظهر، يقال: رجل أحدب إذا احدودب كبراً. و قوله «ينسلون» فالنسول الخروج عن الشیء الملابس، يقال: نسل ينسل و ينسل نسولا، قال امرؤ القيس:

و ان كنت قد ساءتک منی خليقة فسلی ثيابی من ثيابک تنسل «۱»

و نسل ريش الطائر إذا سقط و قيل: النسول الخروج باسراع مثل نسلان الذئب، قال الشاعر:

عسلان الذئب أمسى قاربا برد الليل عليه فنسل «۲»

و قوله تعالى «وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ» قال قوم: الواو مقحمة و التقدير اقترب الوعد الحق، يعنی القيامة. و قال آخرون: ليست مقحمة، بل الجواب محذوف، و هو الأجود. و التقدير على قول الأولين «حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ... وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ» ذكره الفراء قال: و هو مثل قوله «وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَ نادَيْناهُ» «۳» و كقوله (حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ) «۴» و المعنى فتحت. و على قول البصريين الواو مرادة و التقدير حتى إذا فتحت، و اقترب الوعد الحق، قالوا يا ويلنا قد كنا فی غفلة. و قيل: خروج يأجوج و مأجوج من أشراط الساعة.

(۱) شرح ديوانه ۱۴۷ [.....]

(۲) تفسير الطبرى ۱۷/ ۶۶

(۳) سورة ۳۷ الصافات آية ۱۰۳

(۴) سورة ۳۹ الزمر آية ۷۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۸۰

و قوله (فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ) قيل ان الضمير فى قوله (فإذا هى) عائد الى معلوم ينبه عليه ابصار الذين كفروا، كما قال الشاعر:

لعمر أبيها لا تقول ظعينتى إلا فرّ عنى مالك ابن أبى كعب «۱»

فكنى فى أبيها ثم بين ذكرها. و قال قوم: إضمار العماد على شروط التفسير، كقوله تعالى (فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) «۲» و قوله (يا ويلنا) أى يقول الكفار الذين شخصت أبصارهم: الويل لنا انا قد كنا فى غفلة من هذا اليوم، و هذا المقام، بل كنا ظالمين لنفوسنا بارتكاب معاصى اللَّه، فيقول الله تعالى لهم (إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ) و المعنى انكم ايها الكافرون و الذى عبدتموه من الأصنام و الأوثان حصب جهنم. و قال ابن عباس: وقودها. و قال مجاهد: حطبها. و قيل: انهم يرمون فيها، كما يرمى بالحصباء- فى قول مجاهد، و قال إنما يحصب بهم أى يرمى بهم.

و قرأ (على) (ع)، و عائشة (حطب). و قرأ الحسن (حضب) بالضاد.

و معناه ما تهيج به النار و تذكا به. و الحضب الحية.

و قوله (أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ) خطاب لجميع الكفار انهم يردون جهنم و يدخلونها لا محالة، فالورود قد يكون الدخول، كقولهم وردت الدار، أى دخلتها، و يكون بالإشراف، كقوله (وَ لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ) «۳» و معناه أشرف عليه. و المراد فى الآية الدخول، لأن الكفار يدخلون النار لا محالة.

ثم قال تعالى: لو كان هذه الأصنام و الأوثان آلهة لم يردوا جهنم. و يحتمل:

(۱) تفسير الطبرى ۱۷/ ۶۶ و القرطبى ۱۱/ ۳۴۲

(۲) سورة ۲۲ الحج آية ۴۶

(۳) سورة ۲۸ القصص آية ۱۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۸۱

أن يكون أراد ما وردت الأصنام جهنم، لأنه كان يكون عبادتهم واقعة موقعها، و لكانوا يقدرون على الدفاع عنهم و النصرة لهم.

ثم اخبر تعالى ان كل فى جهنم خالدون، مؤبدون فيها. و أن لهم فى جهنم زفيراً، و هو شدة التنفس. و قيل: هو الشهيق لهول ما يرد عليهم من النار (و هم فيها) يعنى فى جهنم (لا- يسمعون) قال الجبائى: لا يسمعون ما ينتفعون به، و إن سمعوا ما يسؤهم. و قال ابن مسعود: يجعلون فى توابيت من نار، فلا يسمعون شيئا. و قال قوم: المراد بقوله (وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) الشياطين الذين دعوهم الى عبادة غير الله. فأطاعوهم، فكأنهم عبدوهم، كما قال (يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ) «۱» أى لا تطعه.

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (۲۱): الآيات ۱۰۱ الى ۱۰۵] ..... ص : ۲۸۱

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ (۱۰۱) لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها وَ هُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ (۱۰۲) لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (۱۰۳) يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَما بَدَأْنا أَوَّلَ

خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ (۱۰۴) وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ (۱۰۵)

---

(۱) سورة ۱۹ مريم آية ۴۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۸۲

خمس آيات.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر (للكتب) على الجمع. الباقون (للكتاب) على التوحيد. و قرأ حمزة وحده (الزبور) بضم الزاى. من ضم الزاى أراد الجمع.

و من فتحها أراد الواحد. يقال: زبرت الكتاب أزبره زبراً إذا كتبته.

لما اخبر الله تعالى: ان الكفار حصب جهنم و انهم واردون النار، و داخلون فيها مؤبدين، اخبر (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى يعنى الوعد بالجنة. و قيل:

الحسنى الطاعة لله تعالى يجازون عليها فى الآخرة بما وعدهم الله به. و اخبر تعالى ان من هذه صفته مبتعد عن النار ناء عنها، و يكونون بحيث (لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها) يعنى صوتها، الذى يحس، و إنهم فى ما تشتهيه أنفسهم من الثواب و النعيم خالدون و الشهوة طلب النفس للذة يقال: اشتهى شهوة، و تشهى تشهياً، و نقيض الشهوة تكره النفس، فالغذاء يشتهى و الدواء يتكره. و قيل: الحسنى الجنة التى وعد الله بها المؤمنين. و قال ابن زيد: الحسنى السعادة لأهلها من الله، و سبق الشقاء لأهله، كأنه يذهب الى ان معنى الكلمة انه: سيسعد أو أنه سيشقى. و قال الحسن و مجاهد: الذين سبقت لهم منا الحسنى عيسى، و عزير، و الملائكة الذين عبدوا من دون اللّه، و هم كارهون، استثناهم من جملة من اخبر انهم مع الكفار فى جهنم.

و قوله «لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ» معناه لا يغم الذين سبقت لهم من اللّه الحسنى الفزع الأكبر. و من ضم الياء أراد لا يفزعهم الفزع الأكبر. قال ابن جبير، و ابن جريج: هو عذاب النار، على أهلها. و قال ابن عباس: هى النفخة الأخيرة. و قال الحسن: هو حين يؤمر بالعبد الى النار «وَ تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ» قيل تتلقاهم الملائكة بالتهنئة و يقولون لهم «هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» به أى تخوفون بما فيه من التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۸۳

العقاب، و ترغبون فيما فيه من الثواب.

و قوله «يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ» يحتمل نصب (يوم) وجهين:

أحدهما- أن يكون بدلا من (توعدون) لان تقديره توعدونه.

الثانى- انه نعدكم يوم نطوى السماء. و قوله «كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ» فالسجل الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة، فشبه اللّه تعالى طى السماء يوم القيامة بطى الكتاب- فى قول ابن عباس و مجاهد- و قال ابن عمر، و السدى: السجل ملك يكتب اعمال العباد. و قال ابن عباس- فى رواية أخرى- السجل كاتب كان لرسول اللّه (ص) و التقدير كطى الكتاب السجل، و اللام مؤكدة. و يحتمل أن يكون المعنى كطى السجل، و قدتم الكلام. ثم قال للكتب أى لما كتبناه و علمناه، فعلنا ذلك، كما قال «وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ» «۱» و قوله «كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ» المعنى نعيد الخلق كما بدأناه. قال ابن عباس: معناه انه يهلكك كل شىء، كما كان أول مرة. ثم قال: إن الذى ذكرناه وعيد منا لازم نفعله لا محالة.

ثم قال تعالى «وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ» قيل الزبور كتب الأنبياء «مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ» من بعد كتبه فى أم الكتاب- فى قول سعيد بن جبير و مجاهد و ابن زيد.

و قيل: الزبور، زبور داود، من بعد الذكر فى توراة موسى- فى قول الشعبى- و قال قوم «مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ» معناه قبل الذكر الذى هو القرآن، حكاه ابن خالويه.

و قوله «أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ» قال ابن عباس و سعيد بن جبير و ابن زيد: يعنى أرض الجنة يرثها الصالحون من عباد اللَّه، كما قال

---

(۱) سورة ۱۰ يونس آية ۱۹، و سورة ۱۱ هود آية ۱۱۱، و سورة ۲۰ طه آية ۱۲۹، و سورة ۴۱ حم السجدة (فصلت) آية ۴۵، و سورة، ۲۴ الشورى آية ۱۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۸۴

«وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ» «۱» و قيل: هى الأرض فى الدنيا التى تصير للمؤمنين فى أمة محمد (ص) من بعد اجلاء الكفار عنها- فى رواية اخرى- عن ابن عباس.

و قيل: يعنى أرض الشام، يرثها الصالحون من بنى إسرائيل ذكره الكلبى.

و عن أبى جعفر (ع) إن ذلك وعد للمؤمنين بأنهم يرثون جميع الأرض.

قوله تعالى:[سورة الأنبياء (۲۱): الآيات ۱۰۶ الى ۱۱۲] ..... ص : ۲۸۴

إِنَّ فِي هـذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ (۱۰۶) وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ (۱۰۷) قُلْ إِنَّما يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۰۸) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلى سَواءٍ وَ إِنْ أَدْرِي أَ قَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ ما تُوعَدُونَ (۱۰۹) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَ يَعْلَمُ ما تَكْتُمُونَ (۱۱۰)

وَ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ (۱۱۱) قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَ رَبُّنَا الرَّحْمنُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ (۱۱۲)

سبع آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى «إِنَّ فِي هـذا» المعنى الذى أخبرتكم به، مما توعدنا به الكفار، من النار و الخلود فيها، و ما وعدنا به المؤمنين من الجنة و الكون فيها «لبلاغاً» و قيل:

«ان فى هـذا» يعنى القرآن «لبلاغا» أى لما يبلغ الى البغية من أخذ به، و عمل عليه. و البلوغ الوصول. و البلاغ سبب الوصول الى الحق، ففى البرهان بلاغ، و القرآن

---

(۱) سورة ۳۹ الزخرف آية ۷۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۸۵

دليل و برهان. و قيل: معناه إنه يبلغ رضوان اللَّه و محبته و جزيل ثوابه «لِقَوْمٍ عابِدِينَ» للَّه مخلصين له.

ثم قال لنبيه محمد (ص) (وَ ما أَرْسَلْناكَ) يا محمد (إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ) أى نعمة عليهم، و لأن ترحمهم.

و فى الآية دلالة على بطلان قول المجبرة فى أنه: ليس للَّه على الكافرين نعمة.

لأنه تعالى بين ان إرسال اللَّه رسوله نعمة على العالمين. و على كل من أرسل اليهم.

و وجه النعمة على الكافر انه عرضه للايمان و لطف له فى ترك معاصيه. و قيل: هى نعمة على الكافر بأن عوفى مما أصاب الأمم قبلهم من الخسف و القذف- فى قول ابن عباس- ثم قال له (ص) قل لهم (إِنَّما يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) اى مسلمون لهذا الوحى الذى أوحى الى، من اخلاص الالهية و العبادة للَّه تعالى. ثم قال (فان تولوا) يعنى إن اعرضوا عن هذا الذى تدعوهم اليه من إخلاص التوحيد، فقل لهم (آذَنْتُكُمْ عَلى سَواءٍ) أى أعلمتكم على سواء فى الإيذان تتساوون فى العلم به لم اظهر بعضكم على شيء كتمته عن غيره، و هو دليل على بطلان قول أصحاب الرموز، و أن للقرآن بواطن خص بالعلم بها أقوام. و قيل على

سواء [في العلم انى صرت مثلكم، و مثله قوله «فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ] «۱» أى ليستوى علمك و علمهم. و قيل معناه: لتستووا فى الايمان به.

و قوله (وَ إِنْ أَدْرِي أَ قَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ ما تُوعَدُونَ) معناه لست اعلم ان ما وعدكم اللّه به من العقاب أ قريب مجيؤه ام بعيد. و قوله (وَ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ) اى لست ادرى لعل التأخير شدة فى عبادتكم يظهر بها ما هو كالسر فيكم من خير أو شر، فيخلص الجزاء بحسب العمل. و اصل الفتنة التخليص

---

(۱) سورة ۸ الأنفال آية ۵۱. و ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۸۶

بالشدة، كتخليص الذهب بشدة النار من كل شائب من غيره. و قيل (فتنة لكم) اى اختبار لكم (وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ) أى تتمتعون الى الوقت الذى قدره اللّه لاهلاككم.

ثم قال لنبيه (ص) (قل) يا محمد (رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ) انما أمره أن يدعو بما يعلم انه لا بد أن يفعله تعبداً، لأنه إذا دعا بهذا ظهرت رغبته فى الحق الذى دعا به. و قال قتادة: كان النبى (ص) إذا شهد قتالا قال (رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ) بينى و بين المشركين بما يظهر به الحق للجميع. و قرأ حفص وحده (قالَ رَبِّ احْكُمْ) على الخبر. الباقون على الامر، و ضم الباء ابو جعفر اتباعاً لضم الكاف. الباقون بكسرها على أصل حركة التقاء الساكنين.

و قوله (وَ رَبُّنَا الرَّحْمنُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ) أى على ما تذكرون، مما ينافى التوحيد. و حكى عن الضحاك انه قرأ (قال ربى أحكم) بإثبات الياء، و هو خلاف ما فى المصاحف، و يكون على هذا (ربى) مبتدأ و (أحكم) خبره، كقوله (اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ) «۱». و قرا ابن ذكران عن ابن عامر (عما يصفون) بالياء يعنى على ما يكذب هؤلاء الكفار من انكار البعث. الباقون بالتاء على الخطاب لهم بذلك.

---

(۱) سورة ۲۳ المؤمنين آية ۱۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۸۷

۲۲-سورة الحج ..... ص : ۲۸۷

اشارة

قال قتادة هى مدنية إلا اربع آيات فإنها مكيات من قوله «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ» الى قوله (عذاب مقيم) و قال مجاهد و عياش بن أبى ربيعة: هى مدنية كلها. و هى ثمان و سبعون آية فى الكوفى و ست فى المدنيين و خمس فى المكى.

[سورة الحج (۲۲): الآيات ۱ الى ۴] ..... ص : ۲۸۷

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (۱) يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى وَ لكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (۲) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ (۳) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ (۴)

أربع آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٨٨

قرا اهل الكوفة إلا عاصماً «سكرى» بلا الف بسكون الكاف فى الموضعين.

الباقون «سكارى».

هذا خطاب من اللّه تعالى لجميع المكلفين من البشر يأمرهم بأن يتقوا معاصى اللّه لأنه يستحق بفعل المعاصى و الإخلال بالواجبات العقوبات يوم القيامة.

ثم اخبر «إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ» يعنى القيامة «شَيْءٌ عَظِيمٌ» و الزلزلة شدة الحركة على حالة هائلة، و منه زلزلة الأرض لما يلحق من الهول، و كان أصله زلت قدمه إذا زالت عن الجهة بسرعة. ثم ضوعف فقيل: زلزل اللّه أقدامهم، كما قيل: دكة و دكدكة، و الزلزلة و الزلزال- بكسر الزاى- مصدر. و الزلزال- بالفتح- الاسم قال الشاعر:

يعرف الجاهل المضلل ان الدهر فيه النكراء و الزلزال «١»

و قال علقمه و الشعبى: الزلزلة من أشراط القيامة. و روى الحسن فى حديث رفعه عن النبى (ص) انها يوم القيامة. و العظيم المختص بمقدار يقصر عنه غيره، و ضده الحقير. و الكبير نقيض الصغير.

و فى الآية دلالة على أن المعدوم يسمى شيئاً، لان اللّه تعالى سمى الزلزلة يوم القيامة شيئاً، و هى معدومة اليوم.

و قوله «يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ»

قال الفراء و الكوفيون:

يجوز ان يقال: مرضع بلا هاء، لأن ذلك لا يكون فى الرجال، فهو مثل حائض و طامث. و قال الزجاج و غيره من البصريين: إذا أجريته على الفعل قلت أرضعت فهى مرضعة، فإذا قالوا مرضع، فالمعنى انها ذات رضاع. و قيل فى قولهم: حائض و طامث معناه انها ذات حيض و طمث. و قال قوم: إذا قلت: مرضعة، فانه يراد

---

(١) تفسير الطبرى ١٧/ ٨٠

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٨٩

بها ام الصبى المرضع. و إذا أسقطت الهاء، فانه يراد بها المرأة التى معها صبى مرضعة لغيرها.

و المعنى ان الزلزلة هى شيء عظيم، فى يوم ترون فيها الزلزلة، على وجه «تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ»

اى يشغلها عن ولدها اشتغالها بنفسها، و ما يلحقها من الخوف.

و قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، و تضع الحامل لغير تمام.

و الذهول الذهاب عن الشيء دهشاً و حيرة، تقول: ذهلت عنه ذهولا، و ذهلت- بالكسر- ايضاً، و هو قليل، و الذهل السلوّ، قال الشاعر:

صحا قلبه يا عز أو كاد يذهل «١» و هذا تحويل ليوم القيامة، و تعظيم لما يكون فيه من الشدة على وجه لو كان هناك مرضعة لشغلت عن الذى ترضعه، و لو كان هناك حامل لأسقطت من هول ذلك اليوم، و إن لم يكن هناك حامل و لا مرضعة.

و قوله (وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى

معناه تراهم سكارى من الفزع، و ما هم بسكارى من شرب الخمور. و انما جاز «وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى

، لأنها رواية تخيل. و قيل: معناه كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما يمر بهم، فيضطربون كاضطراب السكران من الشراب. و قرأ ابو هريرة (وَ تَرَى النَّاسَ)

بضم التاء، و الناس منصوب على أنه مفعول ثان. و تقديره و ترى أن الناس. و تكون «سكارى» نصباً على الحال. و من قرأ «سكرى» جعله مثل جرحى و قتلى. و قيل: هما جمعان كسكران و سكرانة، قال ابو زيد: يقولون: مريض و مراضى، و مرضى. فمن قرأ «سكرى»

فلأن السكر كالمرض و الهلاک، فقالوا:

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۷/ ۸۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۹۰

(سكرى) مثل هلكى و مثل عكلى. و من

قرأ «سكارى» فلأنه روى أن النبى (ص) قرأ كذلک.

ثم علل تعالى ذلک، فقال ليس هم بسكارى «وَ لكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ»

فمن شدته يصيبهم ما يصيبهم من الاضطراب.

ثم اخبر تعالى ان «مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ» أى يخاصم «فِي اللَّهِ» فيما يدعوهم اليه من توحيد اللَّه و نفى الشرک عنه «بِغَيْرِ عِلْمٍ» منه بل للجهل المحض «و يتبع» فى ذلک «كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ» يغويه عن الهدى و يدعوه الى الضلال. و ذلک يدل على أن المجادل فى نصرة الباطل مذموم، و أن من جادل بعلم و وضع الحجة موضعها بخلافه.

و (المريد) المتجرد للفساد. و قيل أصله الملاسة، فكأنه متملس من الخير، و منه صخرة مرداء أى ملساء، و منه الأمرد. و المريد الداهية المنكرة. و يقال: تمرد فلان.

و الممرد من البناء المتطاول المتجاوز.

و قوله «كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ» يقول اللَّه تعالى انه كتب فى اللوح المحفوظ ان من تولى الشيطان و اتبعه و أطاعه فيما يدعوه اليه، فانه يضله. و قال الزجاج: معناه كتب عليه أنه من تولاه يضله، فعطف (أن) الثانية على الأولى تأكيداً، فلذلک نصبت (أن) الثانية. و الأكثر فى التأكيد أن لا يكون معه حرف عطف غير انه جائز. كما يجوز: زيد- فافهم- فى الدار. و قال قوم: نصبت (أن) الثانية، لان المعنى فلأنه يضله عن طريق الحق «وَ يَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ» أى عذاب النار الذى يستعر و يلتهب. و الهاء فى «كُتِبَ عَلَيْهِ» راجعة الى الشيطان، و تقديره كتب على الشيطان أنه من تولى الشيطان و اتبعه، فان الشيطان يضله، فالهاء فى يضله عائدة الى (من) فى قوله «مَنْ تَوَلَّاهُ».

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۹۱

قوله تعالى:[سورة الحج (۲۲): آية ۵] ..... ص : ۲۹۱

يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (۵)

آية واحدة بلا خلاف.

قرأ ابو جعفر «و ربأت». الباقون (ربت).

خاطب اللَّه تعالى بهذه الآية جميع المكلفين من البشر. فقال لهم «إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ» و النشور. و الريب أقبح الشک «فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ» قال الحسن: المعنى خلقنا آدم من تراب الذى هو أصلكم و أنتم نسله. و قال قوم: أراد به جميع الخلق، لأنه إذا أراد انه خلقهم من نطفة، و النطفة يجعلها اللَّه من الغذاء، و الغذاء ينبت من التراب و الماء، فكان أصلهم كلهم التراب، ثم أحالهم بالتدريج: الى النطفة، ثم أحال النطفة علقه، و هى القطعة من الدم جامدة. ثم أحال العلقة مضغة، و هى شبه قطعة من اللحم مضوغة. و المضغة مقدار ما يمضغ من اللحم.

و قوله «مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ» قال قتادة: تامة الخلق، و غير تامة. و قيل:

مصورة و غير مصورة. و هى السقط- فى قول مجاهد-. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۹۲

و قوله «لِنُبَيِّنَ لَكُمْ» معناه لندلكم على مقدورنا، بتصريفه فى ضروب الخلق و قوله «وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى» مستأنف، فلذلك رفع.

و قال مجاهد: معناه نقره الى وقت تمامه.

و قوله «ثم نخرجكم طفلا يعنى نخرجكم» من بطون أمهاتكم، و أنتم أطفال.

و الطفل الصغير من الناس، و نصب طفلا على المصدر، و هو فى موضع جمع. و قيل:

هو نصب على التمييز، و هو جائز، و تقديره نخرجكم أطفالا، و قيل الطفل الى قبل مقاربة البلوغ.

و قوله «ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ» يعنى وقت كمال عقولكم و تمام خلقكم. و قيل:

وقت الاحتلام و البلوغ، و هو جمع (شد). و الأشد فى غير هذا الموضع قد بينا اختلاف المفسرين فيه «۱». و قوله «وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى» يعنى قبل بلوغ الأشد.

و قيل: قبل أن يبلغ أرذل العمر «وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ» و قيل معناه.

أهونه و اخسه عند أهله. و قيل: أحقره. و قيل هى حال الخرف. و انما قيل: أرذل العمر، لان الإنسان لا يرجو بعده صحة و قوة، و انما يترقب الموت و الفناء، بخلاف حال الطفولية، و الضعف الذى يرجو معها الكمال و التمام و القوة، فلذلك كان أرذل العمر.

و قوله «لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً» معناه إنا رددناه الى أرذل العمر لكى لا يعلم، لأنه يزول عقله من بعد أن كان عاقلا عالماً بكثرة من الأشياء و ينسى جميع ذلك.

و قوله «وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً» اى دارسة داثرة يابسة، يقال: همد يهمد هموداً إذا درسته و دثرته. قال الأعشى:

---

(۱) انظر ۴/ ۳۴۳ و ۶/ ۱۱۷، ۴۷۶ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۹۳

قالت فتيلة ما لجسمك شاحباً و أرى ثيابك باليات همدا «۱»

و قوله تعالى «فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ» يعنى الغيث و المطر «اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ» فالاهتزاز شدة الحركة فى الجهات. و الربو الزيارة فيها اى تزيد بما يخرج منها من النبات، و تهتز بما يذهب فى الجهات «وَ أَنْبَتَتْ» يعنى الأرض «مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ» فالبهيج الحسن الصورة، الذى يمتع فى الرؤية. و قال الزجاج (ربت) و (ربأت) لغتان. و قال الفراء: ان ذهب ابو جعفر فى قراءته (ربأت) الى انه من الربئة التى تجربين الناس، فهو مذهب. و إلا فهو غلط، و يغلط العرب كقولهم:

حلأت السويق، و لبأت بالحج، و رثأت الميت. و قد قرأ الحسن البصرى فى يونس «وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ» و هو مما يرخص فى القراءة.

قوله تعالى:[سورة الحج (۲۲): الآيات ۶ الى ۱۰] ..... ص : ۲۹۳

ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتى وَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۶) وَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (۷) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدىً وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ (۸) ثانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَ نُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَذابَ الْحَرِيقِ (۹) ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ (۱۰)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى ان الذى ذكرناه انما دللنا به لتعلم ان «اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» و انه

(۱) ديوانه ۵۴ و روايته (سائنا) بدل (شاحباً)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۹۴

الواحد الذى لا يستحق العبادة سواه، و من اعتقده كذلك، فمعتقده على ما هو به، و هو محق، و الحق هو ما كان معتقده على ما أعتقده «وَ أَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتى‏» لأن من قدر على إنشاء الخلق ابتداء و نقله من حال الى حال على ما وصف، فانه يقدر على إعادته حياً بعد كونه ميتاً، و يعلم ايضاً انه قادر على كل ما يصح أن يكون مقدوراً له، و اصل الوصف بالحق من قولهم: حقه يحقه حقاً، و هو نقيض الباطل. و الفرق بين الحق و العدل أن العدل جعل الشي‏ء على قدر ما تدعو اليه الحكمة، و الحق فى الأصل جعل الشي‏ء لما هو له فى ما تدعو اليه الحكمة غير انه نقل الى معنى مستحق لصفات التعظيم، فاللَّه تعالى لم يزل حقاً أى انه لم يزل مستحقاً لمعنى صفة التعظيم بأنه الا له الواحد الذى هو على كل شي‏ء قدير.

ثم اخبر تعالى ان فى جملة الناس من يخاصم و «يُجادِلُ فِي اللَّهِ» و صفاته «بِغَيْرِ عِلْمٍ» بل للجهل المحض «وَ لا هُدىً» أى و لا حجة «وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ» أى و لا حجة كتاب ظاهر، و هذا يدل ايضاً على ان الجدال بالعلم صواب، و بغير العلم خطأ، لأن الجدال بالعلم يدعو الى اعتقاد الحق، و بغير العلم يدعو الى الاعتقاد بالباطل، و لذلك قال تعالى «وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» «۱» و قوله «ثانى عطفه» نصب على الحال يعنى الذى يجادل بغير علم يثنئ عطفه.

قال مجاهد و قتادة: يلوى عنقه كبراً. و قيل انها: نزلت فى النضر بن الحارث ابن كلدة- ذكره ابن عباس-.

و قوله «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» من فتح الياء، معناه يفعل هذا ليضل عن طريق الحق المؤدى الى توحيد اللَّه. و من ضم الياء أراد انه يفعل ذلك ليضل غيره.

ثم اخبر تعالى ان من هذه صفته «لَهُ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ» و أنه يذيقه

(۱) سورة ۱۶ النحل آية ۱۲۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۹۵

«عَذابَ الْحَرِيقِ» يوم القيامة أى العذاب الذى يحرق بالنار. ثم قال «ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ» أى يقول اللَّه تعالى عند نزول العذاب به «ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» و معناه إن ما يفعل بالظالم نفسه من عذاب الحريق جزاء على ما كسبت يداه، فذكر اليدين مبالغة فى إضافة الجرم اليه، و هذا يدل على أن ذكر اليدين قد يكون لتحقيق الاضافة. و قوله «و إن الله» اى و لان اللَّه «لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» و إنما ذكره بلفظ المبالغة، و إن كان لا يفعل القليل من الظلم لامرين:

أحدهما- انه خرج مخرج الجواب للمجبرة، ورداً عليهم، لأنهم ينسبون كل ظلم فى العالم اليه تعالى، فبين أنه لو كان، كما قالوا لكان ظلاماً و ليس بظالم.

و الثانى- أنه لو فعل أقل قليل الظلم لكان عظيماً منه، لأنه يفعله من غير حاجة اليه، فهو أعظم من كل ظلم فعله فاعله لحاجته اليه.

قوله تعالى:[سورة الحج (۲۲): الآيات ۱۱ الى ۱۶] ..... ص : ۲۹۵

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى‏ حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى‏ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ (۱۱) يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُ وَ ما لا يَنْفَعُهُ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (۱۲) يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلى‏ وَ لَبِئْسَ الْعَشِيرُ (۱۳) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ (۱۴) مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ (۱۵)

وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ آياتٍ بَيِّناتٍ وَ أَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (١۶)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٩۶

ست آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و أبو عمرو، و رويس، و ورش «ثم ليقطع» ثم «ليقضوا» «١»- بسكون اللام- فيهما، و وافقهم قنبل فى «ثم ليقضوا». الباقون بسكون اللام.

معنى قوله «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ» أى فى الناس من يوجه عبادته إلى اللَّه على ضعف فى العبادة، كضعف القيام على حرف جرف، و ذلك من اضطرابه فى استيفاء النظر المؤدى الى المعرفة. فأدنى شبهة تعرض له ينقاد لها، و لا يعمل فى حلها. و الحرف و الطرف و الجانب نظائر. و الحرف منتهى الجسم، و منه الانحراف الانعدال الى الجانب. و قلم محرف قد عدل بقطعته عن الاستواء إلى جانب، و تحريف القول هو العدول به عن جهة الاستواء، فالحرف معتدل الى الجانب عن الوسط. و قال مجاهد: معنى على حرف على شك. و قال الحسن: يعبد اللَّه على حرف يعنى المنافق يعبده بلسانه دون قلبه. و قيل على حرف الطريقة لا يدخل فيها على تمكين.

و قوله «فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ» قال ابن عباس: كان بعضهم إذا قدم المدينة فان صح جسمه و نتجت فرسه مهراً حسناً و ولدت امرأته غلاماً رضى به و اطمأن اليه، و إن اصابه وجع المدينة، و ولدت امرأته جارية، و تأخرت عنه الصدقة، قال ما أصبت منذ كنت على دينى هذا إلا شراً. و كل ذلك من عدم البصيرة. و قيل: انها نزلت فى بنى أسد كانوا نزلوا حول المدينة. و (الفتنة)- هاهنا- معناه المحنة بضيق المعيشة، و تعذر المراد من

---

(١) سورة ٢٢ الحج آية ٢٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٩٧

أمور الدنيا.

ثم اخبر الله تعالى أن من هذه صفته على خسران ظاهر، لأنه يخسر الجنة، و تحصل له النار. ثم اخبر عن من ذكره انه «يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُ وَ ما لا يَنْفَعُهُ» يعنى الأصنام و الأوثان، لأنها جماد لا تضر و لا تنفع، فانه يعبدها دون الله. ثم قال تعالى «ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ» يعنى عبادة ما لا يضر و لا ينفع من العدول عن الصواب، و الانحراف عن الطريقة المستقيمة الى البعيد عن الاستقامة.

و «ذلك» فى موضع نصب ب (يدعو) و معناه (الذى) كأنه قال: الذى هو الضلال البعيد يدعوه. و قوله «يدعو لمن» مستأنف على ما ذكره الزجاج. و قوله «يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ» يعنى يدعو هذه الأصنام التى ضررها أقرب من نفعها، لان الضرر بعبادتها عذاب النار، و النفع ليس فيها. و إنما جاز دخول اللام فى «لَمَنْ ضَرُّهُ» لأن (يدعو) معلقة، و إنما هى تكرير للأولى، كأنه قال: يدعو- للتأكيد- للذى ضره أقرب من نفعه يدعو. ثم حذفت (يدعو) الأخيرة اجتزاء بالأولى. و لا يجوز قياساً على ذلك ضربت لزيد، و لو قلت بدلا من ذلك يضرب لمن خيره اكثر من شره يضرب، ثم حذفت الخبر جاز. و العرب تقول عندى لما غيره هو خير منه، كأنه قال للذى غيره خير منه عندى، ثم حذف الخبر من الثانى، و الابتداء من الاول، كأنه قال عندى شيء غيره خير منه و على هذا يقال: أعطيك لما غيره خير منه، على حذف الخبر. و قيل: فى خبر (لمن ضرره) أنه (لبئس المولى). و قيل: يدعو بمعنى يقول. و الخبر محذوف. و تقديره يقول لمن ضره أقرب من نفعه: هو آلهة، قال عنترة: التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٩٨

يدعون عنتر و الرماح كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم «١»

اى يقولون يا عنتر، و قيل تقدير اللام التأخر، و إن كانت متقدمة. و المعنى يدعو من لضره أقرب من نفعه.

و قوله «لَبِئْسَ الْمَوْلى وَ لَبِئْسَ الْعَشِيرُ» فالمولى هو الولى، و هو الناصر الذى بولى غيره نصرته إلا أنها نصرة سوء، و العشير الصاحب

المعاشـر أى المخالط- فى قول ابن زيد- و قال الحسن: المولى- هاهنا- الولى. و قيل: ابن العم اى بئس القوم لبنى عمهم بما يدعونهم اليه من الضلال. و قيل: اللام لام اليمين، و التقدير يدعو و عزتى لمن ضره أقرب من نفعه.

ثم اخبر تعالى انه «يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا» باللَّه و أقروا بوحـدانيته و صـدقوا رسـله «و عملوا» الاعمال «الصالحات» التى أمرهم بها «جنات» أى بساتين «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ» من ذلك لا اعتراض عليه فى ذلك.

ثم قال «مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ» فالهاء فى قوله «يَنْصُرَهُ اللَّهُ» قال ابن عباس و قتادة: عائدة الى النبى (ص)، و المعنى من كان يظن أن الله لا ينصـر نبيه و لا يعينه على عدوه، و يظهر دينه فليمت غيظاً. و النصـرة المعونـة- فى قوله قتادة- و قال مجاهد و الضـحاك: أن الكناية عائدة الى (من) و المعنى إن من ظن أن لا ينصره اللَّه. و قال ابن عباس: النصـرة- هاهنا- الرزق. و المعنى من ظن ان اللَّه تعالى لا يرزقه، و العرب تقول: من ينصـرنى نصره اللَّه أى من يعطينى أعطاه اللَّه. و قال الفقعسى:

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۲۹ من معلقته

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۲۹۹

و إنك لا تعط امرءاً فوق حظه و لا تملك الشق الذى الغيث ناصره «۱»

اى معطيه و جائـده، و يقـال نصـر اللَّه أرض فلاـن أى جـاد عليهـا بـالمطر و قوله «فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ» قيـل فى معنى (السماء) قولان:

أحدهما- قال ابن عباس: أراد سـقف البيت. و السبب الحبل. و قال ابن زيد: الى السماء سماء الدنيا و السبب المراد به الوحى الى النبى (ص) «ثُمَّ لْيَقْطَعْ» الوحى عن النبى (ص) و المعنى من ظن أنه لاـ يرزقه اللَّه على وجه السـخط لما اعطى «فَلْيَمْدُدْ» بحبل الى سـماء بيته واضعاً له فى حلقه، على طريق كيد نفسه ليذهب غيظه به. و هذا مثل ضربه الله لهذا الجاهل. و المعنى مثله مثل من فعل بنفسه هذا، فما كان إلا زائـدا فى بلائه. و قيل: هذا مثل رجل وعدته وعداً، و وكدت على نفسك الوعد، و هو يراجعك. لا يثق بقولك له. فتقول له: فاهب فاختنق، يعنى اجهد جهدك فلا ينفعك، و هذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين نفروا من اتباع النبى (ص) خيفة من المشركين يخشون أن لا يتم له أمره.

و قرأ ابن مسـعود «يدعو من ضـره أقرب من نفعه» بلا لام. الباقون بإثبات اللام. و وجهه أن (من) كلمة لا يبين فيها الاعراب فاستجازوا الاـعتراض باللاـم دون الاسم الـذى يبين فيه الاعراب، و لـذلك قالت العرب: عنـدى لما غيره خير منه. و قـد يجوز أن يكون (يـدعو) الثانية من صلة الضلال البعيد، و يضمر فى يدعو الهاء. ثم يستأنف الكلام باللام. و لو قرئ بكسر اللام كان قوياً. قال الفراء: كأن يكون المعنى يـدعو الى ما ضـره أقرب من نفعه، كما قال تعالى «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا» «۲» أى الى هـذا إلاـ انه لم يقرأ به احد.

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۲/ ۲۲ و الطبرى ۱۷/ ۸۷

(۲) سورة ۷ الاعراف آية ۴۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۰۰

و قوله «وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ» اى مثل ما ذكرنا من الادلة الواضـحة أنزلناه «آيات» واضحات، لان «اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ» منه فعل الطاعات و يدله عليها.

قوله تعالى:[سورة الحج (۲۲): الآيات ۱۷ الى ۲۲] ..... ص : ۳۰۰

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصَّابِئِينَ وَ النَّصارى وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۱۷) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ وَ مَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ (۱۸) هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ (۱۹) يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ (۲۰) وَ لَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (۲۱)

كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ (۲۲)

ست آيات.

اقسم الله تعالى لأن (إن) يتلقى بها القسم، فأقسم تعالى «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» بالله و صدقوا بوحدانيته و صدقوا أنبياءه «وَ الَّذِينَ هادُوا» يعنى اليهود «وَ الصَّابِئِينَ وَ النَّصارى وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» مع الله غيره «إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۰۱

فخبر «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» قوله «إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ» فدخل (إن) على الخبر تأكيداً، كما يقول القائل: إن زيداً إن الخير عنده لكثير. و قال جرير:

إنّ الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم «۱»

و قال الفرا لا يجوز أن تقول: إن زيداً انه صائم لاتفاق الا سمين. قال الزجاج: يجوز ذلك، و هو جيد بالغ. و معنى قوله «يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ» يعنى إن اللَّه يفصل بين الخصوم فى الدين يوم القيامة بما يضطر الى العلم بصحة الصحيح و يبيض وجه المحق، و يسود وجه المبطل. و الفصل هو التمييز بين الحق و الباطل. و إظهار أحدهما من الآخر.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» أى عالم بما من شأنه أن يشاهد، فاللَّه تعالى يعلمه قبل أن يكون، لأنه علام الغيوب. ثم خاطب نبيه (ص) و المراد به جميع المكلفين فقال «أَ لَمْ تَرَ» و معناه ألم تعلم «أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ» من العقلاء. و يسجد له «الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ» فسجود الجماد هو ما فيه من ذلة الخضوع التى تدعو العارفين الى السجود، سجود العبادة للَّه المالك للأمور، و سجود العقلاء هو الخضوع له تعالى و العبادة له. و قوله «مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ» و إن كان ظاهره العموم، فالمراد به الخصوص إذا حملنا السجود على العبادة و الخضوع، لأنا علمنا أن كثيراً من الخلق كافرون بالله تعالى، فلذلك قال (وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ) ارتفع (كثير) بفعل مقدر، كأنه قال (و كثير) أبى السجود، ف (حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ) دل عليه، لأنهم يستحقون العقاب بجحدهم وحدانية الله، و إشراكهم معه غيره. و قيل: سجود كل شيء- سوى

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۴۳۱ و روايته: (يكفى الخليفة)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۰۲

المؤمنين- سجود ظله حين تطلع الشمس و حين تغيب- فى قول مجاهد- كأنه يجعل ذلك لما فيه من العبرة بتصريف الشمس فى دورها عليه سجوداً.

و قوله (وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ) يعنى لآبائه السجود. و قيل: بل هو يسجد بما يقتضيه عقله من الخضوع، و إن كفر بغير ذلك من الأمور، و أنشدنا فى السجود بمعنى الخضوع قول الشاعر:

بجمع تضل البلق فى حجراته ترى الا كم فيها سجداً للحوافر «۱»

و قوله (وَ مَنْ یُهِنِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُکْرِمٍ) معناه من یهنه الله بالشقوة بإدخاله جهنم (فَما لَهُ مِنْ مُکْرِمٍ) بالسعادة بإدخاله الجنة، لأنه الذی یملک العقوبة و المثوبة (إِنَّ اللَّهَ یَفْعَلُ ما یَشاءُ) یعنی یکرم من یشاء، و یهین من یشاء إذا استحق ذلک.

و قوله (هذانِ خَصْمانِ) یعنی الفریقین من المؤمنین و الکفار یوم بدر، و هم حمزة بن عبد المطلب قتل عتبة بن أبی ربیعة، و علی بن أبی طالب (ع) قتل الولید بن عتبة، و عبیدة بن الحارث قتل شیبة بن ربیعة- فی قول أبی ذر- و قال ابن عباس:

هم اهل الکتاب، و أهل القرآن. و قال الحسن و مجاهد و عطاء: هم المؤمنون و الکافرون «اخْتَصَمُوا فِی رَبِّهِمْ» لان المؤمنین قالوا بتوحید اللَّه و أنه لا یستحق العبادة سواه.

و الکفار أشرکوا معه غیره، و انما جمع قوله «اختصموا» لأنه أراد ما یختصمون فیه او أراد بالخصمین القبیلتین و خصومهم. ثم قال تعالی «فَالَّذِینَ کَفَرُوا» باللَّه و جحدوا وحدانیته «قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِیابٌ مِنْ نارٍ» و معناه إن النار تحیط بهم کاحاطة الثیاب التی یلبسونها. و «یُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِیمُ»

روی فی خبر مرفوع: انه یصب علی رؤسهم الحمیم، فینفذ الی أجوافهم فیسلب ما فیها.

و الحمیم الماء المغلی.

و قیل: ثیاب نحاس من نار تقطع لهم، و هی أشد ما یکون حمی. و قوله

---

(۱) انظر ۱/ ۳۱۱ تعلیقة ۵

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۳۰۳

«یُصْهَرُ بِهِ ما فِی بُطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ» فالصهر الاذابة. و المعنی یذاب بالحمیم الذی یصب من فوق رؤسهم ما فی بطونهم من الشحوم و تساقط من حره الجلود. تقول: صهرت الالیة بالنار إذا أذبتها، أصهرها صهراً قال الشاعر:

تروی لقی ألقی فی صفصف تصهره الشمس فما ینصهر «۱»

یعنی ولدها، و تروی معناه أن تحمل له الماء فی حوصلتها، فتصیر له راویة کالبعیر الذی یحمل علیه الماء، یقال: رویت للقوم إذا حملت لهم الماء. و اللقی کل شیء ملقی من حیوان او غیره، و قال الآخر:

شک السفافید الشواء المصطهر

و قوله تعالی «وَ لَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِیدٍ» فالمقامع جمع مقمعة، و هی مدقة الرأس.

و مثله المنقفة، قمعه قمعاً إذا ردعه عن الأمر. فالزبانیة بأیدیهم عمد من حدید یضربون بها رؤسهم إذا أرادوا الخروج من النار من الغم الذی یلحقهم، و العذاب الذی ینالهم ردوا بتلک المقاطع فیها و أعیدوا الی حالتهم التی کانوا فیها من العقاب. و قیل: یرفعهم زفیرها حتی إذا کادوا أن یخرجوا منها ضربوا بالمقامع، حتی یهووا فیها. و قیل: لهم ذوقوا عذاب الحریق، فالذوق طلب ادراک الطعم، فهو أشد لاحساسه عند تفقده و طلب ادراک طعمه. فأهل النار یجدون ألمها وجدان الطالب لادراک الشیء، و الحریق الغلیظ من النار المنتشر العظیم الإهلاک. و قیل: هو بمعنی محرق کألیم بمعنی مؤلم، فهؤلاء أحد الخمصین. و الآخرون هم المؤمنون الذین وصفهم فی الآیة بعدها.

---

(۱) تفسیر القرطبی ۱۲/ ۲۷ و الطبری ۱۷/ ۹۲ و للسان (صهر) نسبه لابن أحمر

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۳۰۴

قوله تعالی:[سورة الحج (۲۲): الآیات ۲۳ الی ۲۵] ..... ص : ۳۰۴

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ (۲۳) وَ هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَ هُدُوا إِلى صِراطِ الْحَمِيدِ (۲۴) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ الَّذِي جَعَلْناهُ لِلنَّاسِ سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَ الْبادِ وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ (۲۵)

ثلاث آيات.

قرأ نافع و أبو بكر «و لؤلؤاً» بالنصب. الباقون بالجر.

لما حكى اللَّه تعالى أمر الخصمين اللذين يختصمان، من الكفار، و المؤمنين.

ثم بين ما للكفار من عذاب النار، و إصهار ما فى بطونهم، و المقامع من الحديد، و غير ذلك، بين ما للمؤمنين، و هم الفريق الآخر فى هذه الآية، فقال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا» باللَّه و أقروا بوحدانيته، و صدقوا رسله «و عملوا» الاعمال «الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها» أى يلبسون الحلى «مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ» و الأساور جمع أسوار، و فيه ثلاث لغات أسوار- بالألف- و سوار و سوار. فمن جعله أسوار، جمعه على أساورة. و من جعله سوراً، و جمعه أسورة. و فى قراءة عبد اللَّه «أساوير» واحدها إسوار أيضاً، و سوار و أساور، مثل كراع و أكارع، و جمع الاسورة سوراً «و لؤلؤاً» فمن جره عطفه على «من ذهب» و تقديره:

يحلون أساور من ذهب و لؤلؤ، و من نصبه عطفه على الموضع، لأن (من) و ما بعدها التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۰۵

فى موضع نصب، فعطف «و لؤلؤاً» على الموضع، و تقديره: و يحلون لؤلواً. و قد روى عن عاصم هم الاولى و تليين الثانية. و روى ضده، و هو تليين الأولى و همز الثانية. الباقون يهمزونهما. و كل ذلك جائز فى العربية. و اللؤلؤ الكبار، و المرجان الصغار. و يجوز أن يكون اللؤلؤ مرصعاً فى الذهب، فلذلك قال: يحلون لؤلؤاً و قوى القراءة بالنصب أنه فى المصاحف مكتوباً بالألف، قال ابو عمرو: كتب كذلك، كما كتبوا كفروا بالألف.

ثم اخبر ان لباسهم فى الجنة حرير، فحرم اللَّه على الرجال لبس الحرير فى الدنيا و شوقهم اليه فى الآخرة. ثم قال «و هدوا» يعنى أهل الجنة الى الصواب من القول.

قال الجبائى: هدوا الى البشارات من عند اللَّه بالنعيم الدائم. و قيل: معناه الى القرآن.

و قيل: الى الايمان. و قال الكلبى: الى قول: لا إله إلا اللَّه. و قال قوم: هو القول الذى لا فحش فيه، و لا صخب «وَ هُدُوا إِلى صِراطِ الْحَمِيدِ» قيل: الى الإسلام.

و قيل: الى الجنة. فالحميد هو الله المستحق الحمد. و قيل: المستحمد الى عباده بنعمه- فى قول الحسن- أى الطالب منهم أن يحمدوه. و

روى عن النبى (ص) أنه قال ما احد أحب اليه الحمد من الله- عز و جل-.

ثم قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بوحدانيته و اختصاصه بالعبادة.

(و يصدون) أى و يمنعون غيرهم (عن) اتباع (سبيل الله) بالقهر و الإغواء (وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ) أى و يمنعونهم عن المسجد الحرام أن يجيئوا اليه حجاجاً و عماراً (الذى) جعله الله تعالى (للناس) كافة قبلة لصلاتهم و منسكاً لحجهم، و المراد بالمسجد الحرام المسجد بقبة. و قيل الحرم كله «سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَ الْبادِ» قال ابن عباس و قتادة: العاكف المقيم فيه، و الباد الطارئ. و نصب (سواء) حفص عن التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۰۶

عاصم على انه مفعول ثان من قوله (جَعَلْناهُ لِلنَّاسِ سَواءً) أى مساوياً، كما قال (إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا). «۱» و يرتفع (العاكف) فى هذه القراءة بفعله أى يستوى العاكف و البادى. و من رفع (سواء) جعله ابتداء و خبراً، كما تقول: مررت برجل سواء عنده الخير و الشر، و تقديره العاكف و البادى سواء فيه بالنزول فيه. و قال مجاهد:

معناه إنهم سواء فى حرمته و حق اللَّه عليهما فيه. و استدل بذلك قوم على أن أجرة المنازل فى أيام الموسم محرمة، و قال غيرهم: هذا

ليس بصحيح، لان المراد به سواء العاكف فيه و الباد، فى ما يلزمه من فرائض اللَّه تعالى فيه، فليس لهم أن يمنعوه من الدور، و المنازل، فهى لملاكها. و هو قول الحسن. و انما عطف بالمستقبل على الماضى من قوله (كَفَرُوا، وَ يَصُدُّونَ) لان المعنى و من شأنهم الصد، و نظيره (الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) «۲» و يجوز فى (سواء) الرفع و النصب و الجر، فالنصب على أن يكون المفعول الثانى ل (جعلناه) على ما بيناه، و الرفع على تقدير: هم سواء فيه. و الجر على البدل من قوله (للناس سواء).

و قوله (وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ) معناه من أرادته فيه بإلحاد كما قال الشاعر:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل «۳»

ذكره الزجاج. و الباء فى قوله (بإلحاد) مؤكدة. و الباء فى قوله (بظلم) للتعدية، و مثله قول الشاعر:

بواد يمان ينبت الشث صدره و أسفله بالمرخ و الشبهان «۴»

---

(۱) سورة ۴۳ الزخرف آية ۳

(۲) سورة ۱۳ الرعد آية ۳۰

(۳) مر هذا البيت فى ۳/ ۱۷۴ و ۴/ ۱۸۴

(۴) تفسير القرطبى ۱۲/ ۳۶ و الطبرى ۱۷/ ۹۴ و اللسان (شثث) و روايته (فرعه) بدل (صدره)

و المعنى ينبت المرخ. و مثله قوله (تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ) «۱».

أى تنبت الدهن. و قال الأعشى:

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا نيل المراجل و الصريح الأجردا «۲»

و قال امرؤ القيس:

ألا هل أتاها و الحوادث جمة بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا «۳»

و قال الآخر:

فلما جزت بالشرب هزّ لها العصا شجيح له عند الازاء نهيم «۴»

و قال الآخر:

ألم يأتيک و الأبناء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد «۵»

و يجوز ان يكون المعنى، و من يرد فيه منعاً (بإلحاد) أى يميل بظلم، فتكون حينئذ معدّية للارادة، و ذلك انه يمكن أن يريد منعاً لا بإلحاد، كما يمكن أن يميل لا بظلم، و كما يمكن أن يمر لا بشىء. و قال ابن عباس: المعنى فيه من يرد استحلال ما حرم اللَّه. و (الإلحاد) هو الميل عن الحق.

و قوله «نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ» يعنى مؤلم. و حكى الفراء: انه قرئ «و من يرد» بفتح الياء- من الورود، و معناه من ورده ظلماً على غير ما أمر اللَّه به، إلا انه شاذ. و قال مجاهد: معناه من ظلم فيه و عمل شيئاً و أشرك باللَّه غيره. و قال ابن

---

(۱) سورة ۲۳ المؤمنون آية ۲۰ [.....]

(۲) ديوانه ۵۷ و روايته:

ضمنت لنا أعجازهن قدورنا و ضروعهن لنا الصريح الأجردا

(۳) شرح ديوانه (للسندوبى) ۸۶

(۴) تفسير الطبرى ۱۷/ ۹۵

(۵) مر تخريجه فى ۶/ ۱۹۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۰۸

مسعود: من استحل ما حرمه اللّه. و قال ابن عباس: هو استحلال الحرم متعمداً.

و قال حسان بن ثابت: هو احتكار الطعام بمكة.

و قيل نزلت فى أبى سفيان و أصحابه، حين صدوا رسول اللّه (ص) عن عمرة الحديبية.

قوله تعالى:[سورة الحج (۲۲): الآيات ۲۶ الى ۳۰] ..... ص : ۳۰۸

وَ إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْقائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ (۲۶) وَ أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَ عَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (۲۷) لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِيرَ (۲۸) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَ لْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (۲۹) ذلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ أُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعامُ إِلاَّ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (۳۰)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى لنبيه (ص) و اذكر يا محمد «إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ» و معناه جعلنا له علامة يرجع اليها. و قال قوم: معنى بوأنا وطّأنا له. و قال السدى: كانت العلامة ريحاً هبت، فكشف حول البيت، يقال لها الحجوج. و قال قوم: كانت: التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۰۹

سحابة تطوقت حيال الكعبة، فبنى على ظلها. و اصل بوأنا من قوله «باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» أى رجعوا بغضب منه. و منه قول الحارث بن عباد (بؤ بشسع كليب) أى ارجع، قال الشاعر:

فان تكن القتلى بواء فإنكم فتى ما قتلتم آل عوف ابن عامر «۱»

اى قد رجع بعضها ببعض فى تكافئ. و تقول: بوأته منزلا أى جعلت له منزلا يرجع اليه، و المكان و الموضع و المستقر نظائر. و البيت مكان مهيأ بالبناء للبيتوتة، فهذا أصله. و جعل البيت الحرام على هذه الصورة. و قوله «أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً» معناه و أمرناه ألا تشرك بى شيئاً فى العبادة (و طهر بيتى) قال قتادة:

يعنى من عبادة الأوثان. و قيل: من الأدناس. و قيل من الدماء، و الفرث، و الاقذار التى كانت ترمى حول البيت. و يلطخون به البيت إذا ذبحوا.

و قوله (للطائفين) يعنى حول البيت (وَ الْقائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ) يعنى طهر حول البيت للذين يقومون هناك للصلاة و الركوع و السجود. و قال عطاء:

و القائمين فى الصلاة. و إذا قال: طاف، فهو من الطائفين، و إذا قعد، فهو من العكف، و إذا صلى، فهو من الركع السجود.

و فى الآية دلالة على جواز الصلاة فى الكعبة.

و قوله (وَ أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) قال الحسن: و الجبائى: هو أمر للنبى (ص) أن يؤذن للناس بالحج و يأمرهم به، و انه فعل ذلك فى حجة الوداع. و قال ابن عباس: ان إبراهيم قام فى المقام، فنادى (يا أيها الناس إن الله قد دعاكم الى الحج) فأجابوا (بلبيك اللهم لبيك).

و قوله (يَأْتُوكَ رِجالًا) أى مشاة على أرجلهم، فرجال جمع راجل مثل

(١) انظر ۶/ ١٥٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣١٠

صاحب و صحاب، و قائم و قيام (و على كل ضامر) أى على كل جمل ضامر. و هو المهزول، أضمره السير (مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) أى طريق بعيد، قال الراجز:

يقطعن بعد النازح العميق

و إنما قال (يأتين) لأنه فى معنى الجمع. و قيل: لأن المعنى و على كل ناقة ضامر. و قوله (لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ) قيل الأجر و الثواب فى الآخرة، و التجارة فى الدنيا. و

قال أبو جعفر (ع): المغفرة.

و قوله (وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ) قال الحسن و قتادة: الأيام المعلومات عشر من ذى الحجة، و الأيام المعدودات أيام التشريق. و

قال ابو جعفر (ع) الأيام المعلومات أيام التشريق، و المعدودات العشر، لأن الذكر الذى هو التكبير فى أيام التشريق.

و انما قيل لهذه الأيام:

معدودات، لقلتها. و قيل لتلك: معلومات، للحرص على علمها بحسابها، من أجل وقت الحج فى آخرها.

و قوله (عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ) يعنى مما يذبح من الهدى. و قال ابن عمر: الأيام المعلومات أيام التشريق. لأن الذبح فيها الذى قال الله تعالى (وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ). و قوله (فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِيرَ) قال مجاهد و عطاء: أمرنا بأن نأكل من الهدى و ليس بواجب. و هو الصحيح، غير انه مندوب اليه. و البائس الذى به ضر الجوع، و الفقير الذى لا شيء له، يقال: بؤس فهو بائس إذا صار ذا بؤس، و هو الشدة. أمر اللَّه تعالى أن يعطى هؤلاء من الهدى.

و قوله «ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» فالتفث مناسك الحج، من الوقوف، و الطواف، و السعى، و رمى الجمار، و الحلق بعد الإحرام من الميقات. و قال ابن عباس و ابن التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣١١

عمر: التفث جمع المناسك. و قيل التفث قشف «١» الإحرام، و قضاؤه بحلق الرأس و الاغتسال، و نحوه. قال الازهرى: لا يعرف التفث فى لغة العرب إلا من قول ابن عباس.

و قوله «وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ» أى يوفوا بما نذروا، من نحر البدن- فى قول ابن عباس- و قال مجاهد: كل ما نذر فى الحج. و قرأ ابو بكر عن عاصم «وَ لْيُوفُوا» مشددة الفاء، ذهب إلى انه التكبير. و قوله «وَ لْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» أمر من اللَّه تعالى بالطواف بالبيت. قال ابن زيد: سمى البيت عتيقاً، لأنه أعتق من ان تملكه الجبابرة عن آدم. و قيل: لأنه أول بيت بنى، كقوله تعالى «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً» «٢» ثم حدده إبراهيم (ع). و قيل:

لأنه أعتق من الغرق أيام الطوفان، فغرقت الأرض كلها إلا موضع البيت، روى عن أبى جعفر (ع).

و الطواف المأمور به من اللَّه فى هذه الآية، قال قوم: هو طواف الافاضة بعد التعريف إما يوم النحر، و إما بعده، و هو طواف الزيارة. و هو ركن بلا خلاف. و روى أصحابنا ان المراد- هاهنا- طواف النساء الذى يستباح به وطؤ النساء، و هو زيادة على طواف الزيارة.

و قوله «ذلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللَّهِ» بأن يترك ما حرمه اللَّه. و قوله «وَ أُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعامُ إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» يعنى إلا ما يتلى عليكم فى كتاب اللَّه: من الميتة، و الدم، و لحم الخنزير، و الموقوذة، و المتردية، و النطيحة، و ما أكل السبع، و ما ذبح على النصب. و قيل: و أحلت لكم الانعام، من الإبل، و البقر، و الغنم، فى حال إحرامكم «إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» من الصيد، فانه يحرم على المحرم.

و قوله «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ» معنى (من) لتبيين الصفة، و التقدير

(۱) و فى المخطوطة فشق

(۲) سورة ۳ آل عمران آية ۹۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۱۲

فاجتنبوا الرجس الذى هو الأوثان. و روى أصحابنا أن المراد به اللعب بالشطرنج، و النرد، و سائر انواع القمار «وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ» يعنى الكذب. و روى أصحابنا أنه يدخل فيه الغناء و سائر الأقوال الملهية بغير حق.

قوله تعالى:[سورة الحج (۲۲): الآيات ۳۱ الى ۳۵] ..... ص : ۳۱۲

حُنَفاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ (۳۱) ذلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (۳۲) لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّها إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (۳۳) وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَ بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (۳۴) الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ الصَّابِرِينَ عَلى ما أَصابَهُمْ وَ الْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (۳۵)

خمس آيات بلا خلاف.

قوله «حنفاء» نصب على الحال من الضمير فى قوله «وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ» و معنى «حنفاء» مستقيمى الطريقة، على أمر اللَّه. و أصل الحنف الاستقامة. و قيل للمائل القدم: أحنف تفاؤلا بالاستقامة. و قيل: أصله الميل. و الحنيف المائل الى العمل بما أمر اللَّه، و الأول أقوى، لأنه أشرف فى معنى الصفة. و قوله «غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ» أى غير مشركين بعبادة اللَّه غيره. و الاشراك تضييع حق عبادة اللَّه بعبادة غيره. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۱۳

أو ما يعظم عظم عبادة غيره، و كل مشرك كافر، و كل كافر مشرك. ثم قال تعالى «وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ» أى من أشرك بعبادة اللَّه غير اللَّه، كان بمنزلة من وقع من السماء، «فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ» أى تتناوله بسرعة و تستلبه. و الاختطاف و الاستلاب واحد. يقال: خطفه يخطفه خطفاً، و تخطفه تخطفاً إذا أخذه من كل جهة بسرعة. و قرا ابن عامر «فتخطفه» بتشديد الطاء، بمعنى فتختطفه، فنقل فتحة الطاء الى الخاء، و أدغم التاء فى الطاء. الباقون بالتخفيف، و هو الأقوى لقوله «إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ»»

.و قوله (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ) و السحيق البعيد. و المعنى أن من أشرك باللَّه غيره كان هالكاً بمنزلة من زل من السماء، و استلبه الطير و رمى به الريح فى مكان بعيد، فانه لا يكون إلا هالكاً. و قيل: شبه المشرك بحال الهاوى فى أنه لا يملك لنفسه نفعاً و لا ضراً يوم القيامة. و قيل: شبه أعمال الكفار أنها تذهب فلا يقدر على شيء منها- فى قول الحسن- و قوله «ذلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» قال سيبويه: تقديره ذلك الأمر. من يعظم، فالشعائر علامات مناسك الحج كلها، منها رمى الجمار، و السعى بين الصفا و المروة و غير ذلك- فى قول ابن زيد- و قال مجاهد: هى البدن، و تعظيمها استسمانها و استحسانها. و الشعيرة العلامة التى تشعر بها، لما جعلت له، و أشعرت البدن إذا علمتها بما يشعر أنها هدى.

و قوله «فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» فالكناية فى قوله «فإنها» تعود الى التعظيم.

و يجوز أن تعود الى الخصلة من التعظيم. و قيل: شعائر اللَّه دين اللَّه. و قوله «فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» معناه إن تعظيم الشعائر من تقوى القلوب أى من خشيتها.

---

(۱) سورة ۳۷ الصافات آية ۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۱۴

ثم قال «لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى» قال ابن عباس، و مجاهد: ذلك ما لم يسم هدياً او بدناً. و قال عطاء: ما لم يقلد، و قيل:

منافعها رکوب ظهرها و شرب ألبانها إذا احتاج الیها. و هو المروی عن أبی جعفر (ع).
و قوله «إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی» قال عطاء بن أبی ریاح: الی أن تنحر. و قیل: المنافع التجارة. و قیل:
الأجر، و قیل: جمیع ذلک. و هو أعم فائدة.
و قوله (ثُمَّ مَحِلُّها إِلَی الْبَیْتِ الْعَتِیقِ) معناه إن محل الهدی و البدن الی الکعبة.
و عند أصحابنا: إن کان الهدی فی الحج، فمحله منی، و إن کان فی العمرة المفردة، فمحله مکة قبالة الکعبة بالخزورة. و قیل: الحرم کله محل لها، و الظاهر یقتضی أن المحل البیت العتیق، و هو الکعبة. و قال قوم «إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی» یعنی یوم القیامة.
ثم اخبر تعالی انه جعل لکل أمة من الأمم السالفة منسکاً. و قرأ حمزة و الکسائی «منسکا» بکسر السین. الباقون بالفتح، و هما لغتان، و هو المکان للعبادة المألوفة الذی یقصده الناس. و قال الحسن: المنسک المنهاج و هو الشریعة جعل اللّه لکل أمة من الأمم السالفة منسکا أی شریعة، کقوله «لِکُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَکاً هُمْ ناسِکُوهُ» «۱» و قال مجاهد «منسکا» یعنی عبادة فی الذبح، و النسکة الذبیحة. یقال: نسکت الشاة أی ذبحتها فکأنه المذبح، و هو الموضع الذی یذبح فیه. و قال محمد بن أبی موسی:
محل المناسک الطواف بالبیت.
و قوله «لِیَذْکُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلی ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِیمَةِ الْأَنْعامِ» أی جعلنا ذلک للأمم و تعبدناهم به «لِیَذْکُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلی ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِیمَةِ الْأَنْعامِ» یعنی من الإبل و البقر و الغنم إذا أرادوا تذکیتها. و فی ذلک دلالة علی وجوب التسمیة عند الذبیحة.

---

(۱) سورة ۲۲ الحج آیة ۶۷

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۳۱۵

ثم اخبر تعالی فقال «فَإِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ» أی معبودکم الذی ینبغی أن توجهوا العبادة الیه واحد لا شریک له «فَلَهُ أَسْلِمُوا» أی استسلموا «وَ بَشِّرِ الْمُخْبِتِینَ» قال قتادة: یعنی المتواضعین. و قال مجاهد: یعنی المطمئنین الی ذکر ربهم.
و اشتقاق المخبت من الخبت، و هو المکان المطمئن. و قیل: المنخفض، و معناهما واحد. ثم وصف تعالی المخبتین، فقال «الَّذِینَ إِذا ذُکِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» و المعنی إذا ذکر ثواب الله، علی طاعاته، و عقابه علی معاصیه، خافوا عقابه و خشوا من ترک طاعاته «وَ الصَّابِرِینَ عَلی ما أَصابَهُمْ» یعنی یصبرون علی ما یبتلیهم الله، من بلائه فی دار الدنیا من أنواع المصائب و الأمراض و الأوجاع «وَ الْمُقِیمِی الصَّلاةِ» یعنی الذین یقیمون الصلاة، فیؤدونها بحقوقها، و یداومون علیها. «وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ» أی مما ملکهم الله و جعل لهم التصرف فیه ینفقون فی مرضاته.
و فی ذلک دلالة علی أن الحرام لیس برزق الله، لان الله مدح من ینفق فی سبیل الله مما رزقه، و الحرام ممنوع من التصرف فیه، و الإنفاق منه فکیف یکون رزقاً.

قوله تعالی:[سورة الحج (۲۲): الآیات ۳۶ الی ۴۰] ..... ص : ۳۱۵

وَ الْبُدْنَ جَعَلْناها لَکُمْ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ لَکُمْ فِیها خَیْرٌ فَاذْکُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَیْها صَوافَّ فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها فَکُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْقانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ کَذلِکَ سَخَّرْناها لَکُمْ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ (۳۶) لَنْ یَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها وَ لکِنْ یَنالُهُ التَّقْوی مِنْکُمْ کَذلِکَ سَخَّرَها لَکُمْ لِتُکَبِّرُوا اللَّهَ عَلی ما هَداکُمْ وَ بَشِّرِ الْمُحْسِنِینَ (۳۷) إِنَّ اللَّهَ یُدافِعُ عَنِ الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا یُحِبُّ کُلَّ خَوَّانٍ کَفُورٍ (۳۸) أُذِنَ لِلَّذِینَ یُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللَّهَ عَلی نَصْرِهِمْ لَقَدِیرٌ (۳۹) الَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیارِهِمْ بِغَیْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ یَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِیَعٌ وَ صَلَواتٌ وَ مَساجِدُ یُذْکَرُ فِیهَا اسْمُ اللَّهِ کَثِیراً وَ لَیَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ یَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِیٌّ عَزِیزٌ (۴۰)
التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۳۱۶

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ يعقوب «لن تنال الله لحومها و لكن تناله» بالتاء فيهما. الباقون بالياء فيهما. و قد مضى ذكر نظائره. و قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى «أذن» بفتح الالف «يقاتلون» بكسر التاء. و قرأ نافع و حفص «أذن» بضم الألف «يقاتلون» بفتح التاء. و قرأ ابو عمرو، و ابو بكر عن عاصم «أذن» بضم الالف «يقاتلون» بكسر التاء. و قرأ ابن عامر «أذن» بفتح الألف «يقاتلون» بفتح التاء. و قرأ ابن كثير و أبو عمرو «إن الله يدفع، و لولا دفع الله» بغير ألف فى الموضعين الباقون «يدافع»، «و لولا دفاع الله» بإثبات الألف فى الموضعين. و قرأ أهل الكوفة و ابن كثير و ابو جعفر «لهدمت» بتخفيف الدال. الباقون بتشديدها، و هما لغتان. و التشديد للتكثير.

قال الحسن: هدمها تعطيلها، فإذا هدمت مواضع الصلاة فكأنهم هدموا الصلاة. و قيل: إن الصلوات بيوت النصارى، يسمونها صلوتاً، و قال أبو العالية التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۱۷

الصلوات بيوت الصابئين و انشد:

اتق الله و الصلوات فدعها إن فى الصوم و الصلوات فساداً «۱»

يريد بيت النصارى و معنى الصوم- فى البيت- ذرق النعام.

«و دفع الله، و دفاع الله» [لغتان و الأغلب أن يكون (فعال) بين اثنين.

و قد يكون للواحد مثل عافاه الله و طارقت النعل «۲» و قال ابن عمر: دفاع الله، و يدافع: لحن. و من فتح الالف فى (اذن) و كسر التاء فى (يقاتلون) فالمعنى أذن الله للذين يقاتلون أن يقاتلوا من ظلمهم، و كذلك المعنى فى قراءة الباقين.

و معنى (بأنهم ظلموا) أى من أجل انهم ظلموا.

يقول الله تعالى (وَ الْبُدْنَ جَعَلْناها) فنصب البدن بفعل مضمر يدل عليه (جعلناها) و مثله «وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ» «۳» فيمن نصب القمر و البدن جمع بدنة، و هى الإبل المبدنة بالسمن. قال الزجاج: يقولون: بدنت الناقة إذا سمنتها. و يقال لها بدنة من هذه الجهة. و قيل: أصل البدن الضخم، و كل ضخم بدن. و بدن بدناً إذا ضخم، و بدن تبديناً، فهو بدن، ثقل لحمه للاسترخاء كما يثقل الضخم. و البدنة الناقة، و تجمع على بدن و بدن. و تقع على الواحد و الجمع قال الراجز:

على حين تملك الأمورا صوم شهور وجبت نذورا

و حلق رأسى وافياً مغضورا و بدناً مدرعاً موفورا «۴»

قال عطاء: البدن البقرة و البعير. و قيل: البدنة إذ انحرت علقت يد واحدة، فكانت على ثلاث، و كذلك تنحر، و عند أصحابنا تشد يداها الى إبطيها، و تطلق رجلاها. و البقر تشد يداها و رجلاها و يطلق ذنبها، و الغنم تشد يداها و رجل واحدة

---

(۱) لم أجد فى مظانه

(۲) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

(۳) سورة ۳۶ يس آية ۳۹

(۴) تفسير الطبرى ۱۷/ ۱۰۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۱۸

و تطلق الرجل الأخرى.

و قوله «جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ» معناه جعلناها لكم فيها عبادة للّه بما فى سوقها الى البيت و تقليدها بما ينبئ أنها هدى. ثم نحرها للأكل منها و اطعام القانع و المعتر.

و قيل «مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ» معناه من معالم اللّه «لَكُمْ فِيها خَيْرٌ» أى منافع فى دينكم و دنياكم، مثل ما فسرناه.

و قوله «فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْها صَوافَّ» أمر من الله أن يذكر اسم الله عليها إذا أقيمت للنحر، صافة. و صواف جمع صافة، و هى المستمرة فى وقوفها على منهاج واحد، فالصف استمرار جسم يلى جسماً على منهاج واحد. و التسمية إنما تجب عند نحرها دون حال قيامها.

و قوله «فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها» معناه وقعت لنحرها، و الوجوب الوقوع، و منه يقال: وجبت الشمس إذا وقعت فى المغيب للغروب. و وجب الحائط إذا وقع، و وجب القلب إذا وقع فيه ما يضطرب به. و وجب الفعل إذا وقع ما يلزم به فعله.

و وجبت المطالبة إذا وقع ما يدعو الى قبولها. و وجب البيع إذا وقع. و قال أوس ابن حجر:

ألم تكسف الشمس و البدر و الكواكب للجبل الواجب «۱»

أى الواقع، و قرئ «صواف» على ثلاثة أوجه: صواف بمعنى مصطفة، و عليه القراء «و صوافى» بمعنى خالصة لله و هى قراءة الحسن «و صوافن» بمعنى معلقة فى قيامها، بأزمتها. و هى قراءة ابن مسعود، و هو مشتق من صفن الحصان إذا ثنى احدى يديه حتى قام على ثلاثة، و منه قوله «الصَّافِناتُ الْجِيادُ» «۲»

---

(۱) ديوانه (دار بيروت): ۱۰ و تفسير القرطبى ۱۲/ ۶۲ [.....]

(۲) سورة ۳۸ ص آية ۳۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۱۹

قال الشاعر:

الف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا «۱»

و الصافن من الخيل الذى يقوم على ثلاث، و يثنى سنبك الرابعة.

و قوله «فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْقانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ» فقال قوم: الاكل و الإطعام واجبان. و قال آخرون: الاكل مندوب و الإطعام واجب. و قال قوم: لو أكل جميعه جاز، و عندنا يطعم ثلثه، و يعطى ثلثه القانع و المعتر، و يهدى الثلث الباقى. و القانع الذى يقنع بما أعطى أو بما عنده و لا يسأل، و المعتر الذى يتعرض لك ان تطعمه من اللحم.

و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: المعتر الذى يسأل، و القانع الذى لا يسأل، و قال الحسن و سعيد بن جبير: القانع الذى يسأل قال الشماخ:

لمال المرء يصلحه فيغنى مفاقره أعف من القنوع «۲»

أى من السؤال. و قال الحسن: المعتر يتعرض، و لا يسأل. و قال مجاهد:

القانع جارك الغنى، و المعتر الذى يعتريك من الناس. و يقال: قنع الرجل الى فلان قنوعاً إذا سأل قال لبيد:

و أعطانى المولى على حين فقره إذا قال الصبر حلتى و قنوعى «۳»

و قنعت بكسر النون اقنع قناعة و قناعاً إذا اكتفيت.

و قوله «كَذلِكَ سَخَّرْناها لَكُمْ» أى مثل ذلك ذللنا هذه الأنعام لكم تصرفونها على حسب اختياركم، بخلاف السباع الممتنعة بفضل قوتها، لكى تشكروه على نعمه

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۲/ ۶۲

(۲) تفسير الطبرى ۱۷/ ۱۱۰ و اللسان (فقر) و تفسير القرطبى ۱۲/ ۶۴

(۳) تفسير الطبرى ۱۷/ ۱۰ و روايته (اصبر) بدل (الصبر) و شرح ديوانه (طبع الكويت: ۷۱) روايته (إذا أبصر خلتى و خشوعى)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۲۰

التى أنعم بها عليكم.

ثم قال تعالى «لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها ...» و المعنى لن يتقبل اللَّه اللحوم، و لا الدماء، و لكن يتقبل التقوى فيها و فى غيرها، بأن يوجب فى مقابلتها الثواب. و قيل:

لن يبلغ رضا اللَّه لحومها، و لا دماؤها، و لكن ينالها التقوى منكم.

ثم قال «كَذلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ» يعنى الأنعام «لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ» أى لتعظموه ثم تشكروه على هدايته إياكم الى معرفته و طريق ثوابه. و قيل: معناه لتسموا اللَّه تعالى على الذباحة. و قيل: لتكبروا اللَّه فى حال الإحلال بما يليق به فى حال الإحرام.

ثم قال تعالى «وَ بَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ» يا محمد، الذين يفعلون الأفعال الحسنة و ينعمون على غيرهم.

ثم قال «إِنَّ اللَّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا» أى ينصرهم و يدفع عنهم عدوهم، تارة بالقهر. و أخرى بالحجة «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ» إخبار منه تعالى أنه لا يحب الخوان، و هو الذى يظهر النصيحة، و يضمر الغش للنفاق، أو لاقتطاع المال. و قيل: إن من ذكر اسم غير اللَّه على الذبيحة، فهو الخوان، و الكفور هو الجحود لنعم اللَّه و غمط أياديه.

ثم اخبر انه «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا» قيل: إن هذه الآية نزلت فى المهاجرين الذين أخرجهم أهل مكة من أوطانهم، فلما قووا، أمرهم اللَّه بالجهاد، و بين أنه أذن لهم فى قتال من ظلمهم و أخرجهم من أوطانهم. و معنى «بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا» أى من أجل أنهم ظلموا.

ثم أخبر أنه «عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» و معناه انه سينصرهم. قال الجبائى: لا فائدة له الا هذا المعنى. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۲۱

و هذه الآية أول آية نزلت فى الأمر بالقتال.

ثم بين حالهم فقال «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ» بل ظلماً محضاً «إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ» و المعنى الا أن يقولوا الحق، فكأنه قال الذين أخرجوا بغير حق، الا الحق الذى هو قولهم ربنا اللَّه. و قال سيبويه (إلا) بمعنى (لكن) و تقديره لكنهم يقولون: ربنا اللَّه، فهو استثناء منقطع، و هو كقولك ما غضبت علىّ إلا أنى منصف، و ما تبغض فلاناً إلا أنه يقول الحق، أى جعلت ذلك ذنبه.

و قال الفراء: تقديره إلا بأن يقولوا، فتكون (أن) فى موضع الجر.

ثم قال «وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ» فى أيام شريعة موسى «و بيع» فى ايام شريعة عيسى «و مساجد» فى ايام شريعة محمد (ص)- فى قول الزجاج- و قال مجاهد: صوامع الرهبان، و بيع النصارى، و هو قول قتادة.

و عن مجاهد ايضاً ان البيع كنائس اليهود. و قال الضحاك: الصلوات كنائس اليهود يسمونها صلوتاً. و قيل مواضع صلوات المسلمين مما فى منازلهم. و قيل: الصلوات أراد بها المصليات، كما قال «لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى» (۱) و أراد المساجد، و الظاهر أنه أراد نفس الصلاة لا يقربها سكران. و قيل تقديره: و تركت صلوات- ذكره الأخفش- و قوله «يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً» يعنى فى المساجد و المواضع التى ذكرها.

ثم قال «وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ» أى من نصر أولياء اللَّه، و دفع عنهم فان اللَّه ينصره، و يدفع عنه. و يجوز أن يكون المراد: من ينصر دين اللَّه و يذب عنه فان اللَّه ينصره «إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» أى قادر قاهر، لا ينال أحد منه ما لا يريده،

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۴۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۲۲

و لا يتعذر عليه من يريد ضره. و قال الحسن: إن اللَّه يدفع عن هدم مصليات أهل الذمة بالمؤمنين. و قرأ عاصم الجحدرى «و صلوات» بالتاء- فى رواية هارون- و قال غيره: صلوات بالتاء و الصاد و اللام مضمومتان، و قال: هى مساجد للنصارى.

و قرأ الضحاك (صلوث) بثلاث نقط، و قال: هى مساجد اليهود. و هذه شواذ لا يقرأ بها، و لا يعرف لها فى اللغة اصل.

قوله تعالى:[سورة الحج (٢٢): الآيات ۴۱ الى ۴۵] ..... ص : ۳۲۲

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ (۴۱) وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عادٌ وَ ثَمُودُ (۴۲) وَ قَوْمُ إِبْراهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ (۴۳) وَ أَصْحابُ مَدْيَنَ وَ كُذِّبَ مُوسى فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (۴۴) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَ هِيَ ظالِمَةٌ فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ (۴۵)

خمس آيات فى الكوفى و المدنيين. و فى الباقى أربع آيات.

قرأ ابو عمرو وحده «أهلكتها» بالتاء. لقوله فى الآية التى فيما بعد (فأمليت).

الباقون (أهلكناها) بالنون.

يقول اللّه تعالى (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ) ف (الذين) صفة من تقدم ذكره من المهاجرين فى سبيل اللّه، و موضعه النصب، و تقديره (لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ... الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ) و معناه أعطيناهم كل ما لا يصح الفعل إلا معه، لان التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۲۳

التمكين إعطاء ما يصح معه الفعل، فان كان هذا الفعل لا يصح إلا بآلة، فالتمكين بإعطاء تلك الآية لمن فيه القدرة، و كذلك ان كان لا يصح الفعل إلا بعلم، و نصب دلالة، و صحة سلامة، و لطف و غير ذلك، فإعطاء جميع ذلك واجب. و إن كان الفعل يكفى- فى صحة وجوده- مجرد القدرة، فخلق القدرة هو التمكين. ثم وصفهم.

فقال: هؤلاء الذين هاجروا فى سبيل اللّه، (إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ) يعنى أدوها بحقوقها، و قيل: معناه داموا عليها (وَ آتَوُا الزَّكاةَ) أى و اعطوا ما افترض اللّه عليهم فى أموالهم من الزكوات و غيرها (وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ). و فى ذلك دلالة على أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر واجب، لأن ما رغب اللّه فيه، فقد اراده، و كل ما أراده من العبد، فهو واجب إلا أن يقوم دليل على ذلك انه نفل، لان الاحتياط يقتضى ذلك. و (المعروف) هو الحق، و سمى معروفاً لأنه تعرف صحته. و سمى المنكر منكراً، لأنه لا يمكن معرفة صحته.

و قوله «وَ لِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ» معناه تصير جميع الأملاك للّه تعالى، لبطلان كل ملك سوى ملكه. ثم قال لنبيه (ص) مسلياً له عن تكذيب قومه له و قلة قبولهم منه: «وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ» يا محمد فى ما تدعيه من النبوة «فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ» نوحا، و كذبت قوم «عاد» هوداً و قوم «ثمود» صالحاً «وَ قَوْمُ إِبْراهِيمَ» ابراهيم «وَ قَوْمُ لُوطٍ» لوطاً «وَ أَصْحابُ مَدْيَنَ» شعيباً «و كذب» اصحاب موسى «موسى» و انما قال «وَ كُذِّبَ مُوسى و لم يقل و قوم موسى، لأن قومه بنى إسرائيل، و كانوا آمنوا به و إنما كذبه قوم فرعون «فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ» اى أخرت عقابهم و حلمت عنهم «ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ» فاستاصلتهم بأنواع الهلاك «فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ» أى عذابى لهم. و انما اقتصر على ذكر أقوام بعض الأنبياء، و لم يسم أنبياءهم، لدلالة الكلام عليه.

ثم قال تعالى «فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ» معناه و كم من أهل قرية «أهلكناها» لما التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۲۴

استحقوا الإهلاك فى حال كونها «ظالمة» لنفسها «فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها» أى أهلكناها فى حال كونها ظالمة لنفسها حتى تهدمت الحيطان على السقوف. و قال الضحاك على عروشها سقوفها.

و قوله «وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ» معناه و كم من بئر معطلة أى لا أهل لها.

و التعطيل إبطال العمل بالشىء، و لذلك قيل الدهرى: معطل، لأنه أبطل العمل بالعلم على مقتضى الحكمة. و يقال: خوت الدار خواء، ممدود. و هى خاوية، و خوى جوف الإنسان من الطعام خوى، مقصور، و هو خاو. و قيل فى خفض «وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ» قولان:

أحدهما- بالعطف على قرية، فيكون المعنى إهلاكاً كالقرية.

و الثانى- بالعطف على العروض، فيكون المعنى ان بها البئر المعطلة و القصر المشيد. و معنى و قصر مشيد أى مجصص، و الشيد الجص- فى قول عكرمة و مجاهد- و قال قتادة: معناه رفيع، و هو المرفوع بالشيد. و قال عدى بن زيد:

شاده مرمراً و جلله كا ساً فللطير فى ذراه و كور «١»

و قال امرؤ القيس:

و تيماء لم يترک بها جذع نخلة و لا أجماً إلا مشيداً بجندل «٢»

و قال آخر:

كحية الماء بين الطين و الشيد «٣»

---

(١) شرح ديوان امرئ القيس (اخبار المراقبة) ٣۶٠ و تفسير القرطبى ١٢/ ٧۴ و الطبرى ١٧/ ١١۶ و اللسان (شيد)

(٢) شرح ديوانه: ١۵٧ و روايته (أطماً) بدل (أجماً)

(٣) تفسير الطبرى ١٧/ ١١۶ و القرطبى ١٢/ ٧۴ و تمامه:

لا تحسبين و ان كنت امرءاً غمراً كحية الماء بين الطين و الشيد

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٢۵

و يقال شدته أشيده إذا زينته. و قال الكلبى قصر مشيد: معناه حصين.

و قيل: ان البئر و القصر معروفان باليمن. و فى تفسير أهل البيت إن معنى «وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ» أى و كم من عالم لا يرجع اليه، و لا ينتفع بعلمه، و لا يلتفت اليه. و معنى الآية:

أ فلم يسيروا فى الأرض فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم اللّه بكفرهم و أبادهم بمعصيتهم، ليروا من تلك الآثار بيوتاً خاوية، قد سقطت على عروشها، و بئر الشرب قد باد أهلها و عطل رساوها و غار معينها و قصراً مشيداً مزيناً بالجص، قد خلا من السكن، و تداعى بالخراب، فيتعظوا بذلک، و يخافوا من عقوبة اللّه، و بأسه الذى نزل بهم.

قوله تعالى:[سورة الحج (٢٢): الآيات ۴۶ الى ۵٠] ..... ص : ٣٢۵

أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (۴۶) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (۴٧) وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَها وَ هِيَ ظالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها وَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (۴٨) قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۴٩) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (۵٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى «مما يعدّون» بالياء، على الخبر عن التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٢۶

الكفار. الباقون بالتاء، على الخطاب.

لما اخبر اللّه تعالى عن إهلاک الأمم الماضية جزاء على كفرهم و معاصيهم، نبه الذين يرتابون بذلک. فقال «أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها» إذا شاهدوا آثار ما أخبرنا به، و سمعوا صحة ما ذكرناه عمن أخبرهم بصحته من الذين عرفوا أخبار الماضين. و فيها دلالة على أن العقل هو العلم، لان معنى (يَعْقِلُونَ بِها) يعلمون بها مدلول ما يرون من العبرة. و فيها دلالة على أن القلب محل العقل و العلوم، لأنه تعالى وصفها بأنها هى التى تذهب عن إدراک الحق، فلولا أن التبين يصح أن يحصل فيها، لما وصفها بأنها تعمى، كما لا يصح أن يصف اليد و الرجل بذلک. و الهاء فى (فَإِنَّها لا تَعْمَى) هاء عماد، و هو الإضمار على شروط

التفسیر، و انما جاز أن یقول: و لکن تعمی القلوب التی فی الصدور، للتأکید لئلا یتوهم بالذهاب الی غیر معنی القلب، لأنه قد یذهب الی ان فیه اشتراکا کقلب النخلة، فإذا قیل هکذا کان أنفی للبس بتجویز الاشتراک و اما قوله (یَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَیْسَ فِی قُلُوبِهِمْ) «۱» فلان القول قد یکون بغیر الفم. و المعنی فی الآیة ان الأبصار و إن کانت عمیاً، فلا تکون فی الحقیقة کذلک، إذا کان عارفاً بالحق. و انما یکون العمی عمی القلب الذی یجحد معه معرفة الله و وحدانیته.

ثم قال (و یستعجلونک) یا محمد (بالعذاب) أن ینزل علیهم، و یستبطئونه، و ان الله لا یخلف ما یوعد به (وَ إِنَّ یَوْماً عِنْدَ رَبِّکَ کَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال ابن عباس و مجاهد و عکرمة: یوم من أیام الآخرة، یکون کألف سنة من ایام الدنیا.

و قال ابن زید، و فی روایة اخری عن ابن عباس: انه أراد یوماً من الأیام التی خلق الله فیها السموات و الأرض. و المعنی (وَ إِنَّ یَوْماً عِنْدَ رَبِّکَ) من ایام العذاب، فی

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آیة ۱۶۷

الثقل و الاستطالة (کَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) فی الدنیا، فکیف یستعجلونک بالعذاب لولا جهلهم، و هو کقولهم: ایام الهموم طوال، و ایام السرور قصار.

قال الشاعر:

یطول الیوم لا ألقاک فیه و یوم نلتقی فیه قصیر «۱»

و أنشد ابو زید:

تطاولن أیام معن بنا فیوم کشهرین إذ یستهل «۲»

و قال جریر:

و یوم کابهام الحباری لهوته «۳»

و قیل «وَ إِنَّ یَوْماً عِنْدَ رَبِّکَ کَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» فی طول الامهال للعباد لصلاح من یصلح منهم، أو من نسلهم، فکأنه ألف سنة لطول الأناة. و قیل (وَ إِنَّ یَوْماً عِنْدَ رَبِّکَ کَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) فی مقدار العذاب فی ذلک الیوم، أی انه لشدته و عظمه کمقدار عذاب ألف سنة من ایام الدنیا علی الحقیقة. و کذلک نعیم الجنة، لأنه یکون فی مقدار یوم السرور و النعیم مثل ما یکون فی الف سنة من أیام الدنیا لو بقی ینعم و یلتذ فیها.

ثم قال تعالی (وَ کَأَیِّنْ مِنْ قَرْیَةٍ أَمْلَیْتُ لَها) فالاملاء و الإملال و التأخیر نظائر (و هی ظالمة) ای مستحقة لتعجیل العقاب، لکن أخذتها و أهلکتها و الی المصیر،

---

(۱) هذا البیت ساقط من المطبوعة

. (۲) هو فی مجمع البیان ۴/ ۹۰

(۳) و فی المخطوطة (و یوم کابهام الحباری لطوله) و لم أجده فی دیوان جریر و انما یوحد أبیات تشبه هذا و هی:

و یوم کابهام القطاة مزین الی صباه غالب لی باطله

لهوت بجنیّ علیه سموطه و إنس مجالیه و انس شمائله

لکل أحد، بأن یزول ملک کل مالک ملک شیئاً فی دار الدنیا.

ثم قال لنبيه (قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) اى مخوف من معاصى الله بعقابه، مبين لكم ما يجب عليكم فعله، و ما يجب عليكم تجنبه (فَالَّذِينَ آمَنُوا) اى صدقوا بالله و أقروا برسله (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) من الله تعالى لمعاصيهم و لهم (رِزْقٌ كَرِيمٌ) اى مع إكرامهم بالثواب الذى لا يقاربه تعظيم و تبجيل.

قوله تعالى:[سورة الحج (٢٢): الآيات ٥١ الى ٥٥] ..... ص : ٣٢٨

وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (٥١) وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) وَ لا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥)

خمس آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٢٩

قرأ ابن كثير و ابو عمرو (معجزين) بالتشديد، بمعنى مثبطين و مبطئن، و هو قول مجاهد. الباقون (معاجزين) بالألف. قال قتادة: معناه مشاقين معاندين.

يقول الله تعالى ان (الذين سعوا فى آيات الله معجزين) و معناه إن الذين يعجزون المؤمنين فى قبول هذه الآيات اى يعجزونهم عن إقامتها بجحدهم تدبير الله (عز و جل) لها. و يحتمل ان يكون معناه يعجزونهم عن تصحيحها. و السعى الاسراع فى المشى، و منه قوله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ) «١» و سعى يسعى سعياً، فهو ساع، و جمعه سعاة، و استسعاه فى الامر استسعاء. و قال قتادة: ظنوا انهم يعجزون الله أى يفوتونه و أن يعجزوه. و قال مجاهد: معناه مبطئين عن اتباع آيات الله. و من قرأ (معاجزين) أراد انهم يجادلون عجز الغالب. و من قرأ (معجزين) بالتشديد أراد طلب اظهار العجز. و قال ابن عباس: معنى (معاجزين) مشاقين. و قيل معنى (معجزين) مسابقين، يقال: اعجزنى الشيء بمعنى سبقنى و فاتنى. و قال ابو على: معاجزين ظانين و معتقدين انهم يفوتونا، لانكارهم البعث. و معجزين أى ينسبون من اتبع النبى (ص) الى العجز. و قال مجاهد: معناه مثبطين للناس عن النبى (ص) و اتباعه.

و قوله «أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ» معناه الذين يسعون فى آيات اللّه طالبين إظهار عجزه إن لهم عذاب الجحيم، و هم ملازمون لها.

و قوله «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ» روى عن ابن عباس و سعيد بن جبير و الضحاك و محمد بن كعب و محمد ابن قيس: انهم قالوا: كان سبب نزول الآية انه لما تلى النبى (ص)

---

(١) سورة الجمعة آية ٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٣٠

«أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى «١» القى الشيطان فى تلاوته (تلك الغرانيق العلى و إن شفاعتهن لترتجى) و معنى الآية التسلية للنبى (ص) و انه لم يبعث اللّه نبياً، و لا رسولا إلا إذا تمنى- يعنى تلا- القى الشيطان فى تلاوته بما يحاول تعطيله، فيرفع اللّه ما ألقاه بمحكم آياته. و قال المؤرج: الامنية الفكرة، بلغة قريش. و قال مجاهد: كان النبى (ص) إذا تأخر عنه الوحى تمنى أن ينزل عليه فيلقى الشيطان فى أمنيته، فينسخ اللّه ما يلقى الشيطان و يحكم آياته. و قال ابو على الجبائى: انما كان يغلط فى القراءة سهواً فيها، و ذلك جائز على النبى، لأنه سهو لا يعرى منه بشر، و لا يلبث ان ينبهه اللّه تعالى عليه. و قال غيره: إنما قال ذلك فى تلاوته بعض المنافقين عن إغواء الشياطين، و أوهم أنه من القرآن. و قال الحسن: انما قال: هى عند اللّه كالغرانيق العلى، يعنى الملائكة فى قولكم،

و إن شفاعتهن لترتجى فى اعتقادكم. و التمنى فى الآية معناه التلاوة، قال الشاعر:

تمنى كتاب اللَّه أول ليلة و آخره لاقى حمام المقادر «۲»

و قال الجبائى: انما سها النبى (ص) فى القراءة نفسها. فأما الرواية بأنه قرأ تلك الغرانيق العلى، و إن شفاعتهن لترتجى، فلا أصل لها، لأن مثله لا يغلط على طريق السهو، و انما يغلط فى المتشابه.

و قوله «فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ» أى يزيل اللَّه ما يلقيه الشيطان من الشبهة «ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ» حتى لا يتطرق عليها ما يشعثها. و قال البلخى: و يجوز أن يكون النبى (ص) سمع هاتين الكلمتين من قومه و حفظهما فلما قرأ النبى (ص) وسوس بهما اليه الشيطان، و ألقاهما فى فكره، فكاد أن يجريهما على لسانه، فعصمه الله، و نبهه، و نسخ وسواس الشيطان، و أحكم آياته، بأن قرأها النبى (ص) محكمة

---

(۱) سورة ۵۳ النجم آية ۱۹- ۲۰ [.....]

(۲) مر هذا البيت فى ۱/ ۳۱۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۳۱

سليمة مما أراد الشيطان. و يجوز أن يكون النبى (ص) حين اجتمع اليه القوم و اقترحوا عليه أن يترك ذكر آلهتهم بالسوء، أقبل عليهم يعظهم و يدعوهم الى الله، فلما انتهى رسول الله الى ذكر اللات و العزى. قال الشيطان هاتين الكلمتين رافعاً بها صوته، فألقاهما فى تلاوته فى غمار من القوم و كثرة لغطهم، فظن الكفار ان ذلك من قول النبى، فسجدوا عند ذلك.

و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» معناه إنه عالم بجميع المعلومات، واضح الأشياء مواضعها. و الآية تدل على أن كل رسول نبى، لأنه تعالى ذكر انه أرسلهم، و انما قال من رسول و لا نبى، لاختلاف المعنيين، لأن الرسول يفيد أن الله أرسله، و النبى يفيد أنه عظيم المنزلة يخبر عن اللَّه. و قد قال بعض المفسرين: إن المراد بالتمنى فى الآية تمنى القلب، و المعنى انه ما من نبى و لا رسول إلا و هو يتمنى بقلبه ما يقربه الى اللَّه من طاعاته، و إن الشيطان يلقى فى أمنيته بوسوسته و اغوائه ما ينافى ذلك، فينسخ اللَّه ذلك عن قلبه بأن يلطف له ما يختار عنده ترك ما أغواه به.

و قوله «لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» بيان من اللَّه تعالى أنه يجعل ما يلقيه الشيطان من الأمنية فتنة، فمعنى (ليجعل) يحتمل أمرين:

أحدهما- الحكم و التسمية، كما تقول جعلت حسنى قبيحاً، و يكون المراد انه ينسخ ما يلقى الشيطان طلباً للفتنة و الإغواء.

و الثانى- انه أراد ليجعل نسخ ما يلقى الشيطان فتنة، لأن نفس فعل الشيطان لا يجعله الله فتنة، لأن ذلك قبيح، و الله تعالى منزه عن القبائح اجمع، فمعنى الفتنة فى الآية المحنة، و تغليظ التكليف «لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شك و نفاق و قلة معرفة «وَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ» يعنى من قسى قلبه من اتباع الحق. و قيل: هم الظالمون.

ثم اخبر تعالى «إِنَّ الظَّالِمِينَ» لنفوسهم «لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ» أى مشاقة التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۳۲

بعيدة من الله تعالى، و بين انه يفعل ذلك «لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» بالله و صفته و أن أفعاله صواب «أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» فيصدقوا به «فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ» أى تطمئن اليه و تسكن. و بين ان الله تعالى يهدى من يؤمن الى صراط مستقيم، بأن يلطف له ما يعلم انه يهتدى عنده «إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ».

ثم قال «وَ لا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ» يعنى من القرآن. و معناه الاخبار عمن علم الله تعالى من الكفار انهم لا يؤمنون بالآية خاصة. و هو قول ابن جريج إلا أن (تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ) يعنى القيامة (بغتة) أى فجأة، و على غفلة (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ) قال الضحاك: هو عذاب يوم القيامة. و قال مجاهد و قتادة:

هو عذاب يوم بدر. و قيل معنى (عقيم) أى لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة قال الشاعر:

عقم النساء بأن يلدن شبيهه إن النساء بمثله لعقيم «۱»

قوله تعالى:[سورة الحج (۲۲): الآيات ۵۶ الى ۶۰] ..... ص : ۳۳۲

الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (۵۶) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ (۵۷) وَ الَّذِينَ هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (۵۸) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (۵۹) ذلِكَ وَ مَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (۶۰)

---

(۱) البيت فى مجمع البيان ۴/ ۹۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۷، ص: ۳۳۳

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر «ثم قتلوا» بالتشديد. الباقون بالتخفيف. من شدد أراد التكثير. و من خفف، فلأنه يحتمل القليل و الكثير.

يقول الله تعالى إن الملك فى اليوم الذى وصفه بأنه «عقيم» و انه لا- مثل له فى عظم الأهوال، فيه الملك لله تعالى وحده. لا ملك لاحد معه. و انما خص ذلك به، لأن فى الدنيا قد ملك الله تعالى أقواماً أشياء كثيرة. و الملك اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور، فالله تعالى يملك الأمور لنفسه، و كل مالك سواه، فإنما هو ملك له بحكمه، اما بدليل السمع او بدليل العقل.

و قوله (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) أى يفصل فى ذلك اليوم بين الخلائق، و ينصف بينهم فى الحكم، و الحكم الخبر بالمعنى الذى تدعوا اليه الحكمة، و لهذا قيل: الحكم له، لأن كل حاكم غيره، فإنما يحكم باذنه و اعلام من جهته إما من جهة العقل او جهة السمع.

ثم اخبر تعالى ان (فَالَّذِينَ آمَنُوا) اى صدقوا بوحدانيته، و صدقوا أنبياءه (وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) التى أمر الله بها انهم (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) منعمين فيها.

(و إن الذين كفروا) اى جحدوا ذلك (و كذبوا) بآيات الله، فان لهم عذاباً مهيناً، يهينهم و يذلهم. و الهوان الاذلال بتصغير القدر، و مثله الاستخفاف و الاحتقار، أهانه يهينه إهانة فهو مهان مذلل.

و قيل نزلت الآية فى قوم من المشركين أتوا جماعة من المسلمين، فقاتلوهم فى الأشهر الحرم بعد ان نهاهم المسلمون عن ذلك، فأبوا، فنصروا عليهم. و قيل إن النبى (ص) عاقب بعض المشركين لما مثلوا بقوم من أصحابه يوم أحد. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۷، ص: ۳۳۴

و قوله (وَ الَّذِينَ هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) يعنى الذين خرجوا من ديارهم و أوطانهم بغضاً للمشركين الذين كانوا يؤذونهم بمكة (ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً) يعنى الجنة (وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) ثم اقسم تعالى انه ليدخلن هؤلاء المهاجرين فى سبيل الله الذين قتلوا (لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ) و يؤثرونه يعنى الجنة، و ما فيها من انواع النعيم. و قرأ نافع «مدخلا» بفتح الميم، يريد المصدر او اسم المكان، و تقديره: ليدخلنهم فيدخلون مدخلا يرضونه أو مكاناً يرضونه.

و الباقون بضم الميم و هو الأجود، لأنه من ادخل يدخل مدخلا لقوله «أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ» «۱» و إن اللَّه لعليم بأحوالهم، حليم عن معاجلة الكفار بالعقوبة.

و قوله «ذلِكَ وَ مَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ» قيل نزلت فى قوم من المشركين لقوا جماعة من المسلمين. فقاتلوهم فى الأشهر الحرم بعد أن نهاهم المسلمون عن ذلك، فأبوا. فنصروا عليهم. و

قيل: إن النبى (ص) عاقب بعض المشركين لما مثلوا بقوم من أصحابه يوم أحد

، و الأول لم يكن عقوبة، و انما هو كقولهم الجزاء بالجزاء. و الاول ليس بجزاء، و انما هو لازدواج الكلام.

قوله تعالى:[سورة الحج (۲۲): الآيات ۶۱ الى ۶۵] ..... ص : ۳۳۴

ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (۶۱) ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (۶۲) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (۶۳) لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (۶۴) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ وَ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ يُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (۶۵)

---

(۱) سورة ۱۷ الإسراء آية ۸۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۳۵

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل العراق إلا أبا بكر «و إن ما يدعون» بالياء. الباقون بالتاء. معنى ذلك ان «ذلك» الأمر «بأن اللَّه يولج الليل فى النهار» أى يدخل الليل على النهار، و الإيلاج الإدخال بإكراه، ولج يلج ولوجاً و أولج إيلاجاً و اتلج اتلاجاً.

و انما قال يولج الليل فى النهار- هاهنا- لأن ذلك يقتضى أن ذلك صادر من مقتدر لولاه لم يكن كذلك. و قيل: معنى «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ» أن يدخل ما انتقص من ساعات الليل فى النهار، و ما انتقص من ساعات النهار فى الليل. و معنى «وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ»- هاهنا- أنه يسمع ما يقول عباده فى هذا بصير به، لا يخفى عليه شيء منه حتى يجازى به.

و قوله «بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» وصفه بأنه الحق يحتمل أمرين:

أحدهما- انه ذو الحق فى قوله و فعله.

الثانى- انه الواحد فى صفات التعظيم التى من اعتقدها، فهو محق.

و قوله «وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ» من قرأ بالتاء خاطب بذلك الكفار. و من قرأ بالياء أخبر عنهم بأن ما يدعونه من دون اللَّه من الأصنام و الأوثان هو الباطل، على الحقيقة «وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» فالعلى القادر الذى كل شيء سواه تحت معنى صفته، بأنه قادر عليه، و لا يجوز وصفه ب (رفيع) على هذا المعنى، التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۳۶

لان صفة على منقولة اليه، و لم تنقل صفة (رفيع) و وصفه بأنه الكبير، يفيد أن كل شيء سواه يصغر مقداره عن معنى صفته، لأنه القادر الذى لا يعجزه شيء، العالم الذى لا يخفى عليه شيء.

و قوله «أَ لَمْ تَرَ» خطاب للنبى (ص) و المراد به جميع المكلفين يقول الله لهم ألم تعلموا «أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنى غيثاً و مطراً «فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ» بذلك «مخضرة» بالنبات «إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» فاللطيف معناه أنه المختص بدقيق التدبير الذى لا يخفى عنه شيء و لا يتعذر عليه، فهو لطيف باستخراج النبات من الأرض بالماء، و ابتداع ما يشاء «خبير» بما يحدث عنه و ما يصلح له. و قوله «فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ» انما رفع (فتصبح) لأنه لم يجعله جواباً للاستفهام، لان الظاهر و إن كان الاستفهام فالمراد به الخبر، كأنه قال: قد رأيت أن اللَّه ينزل من السماء ماء، فتصبح الأرض مخضرة، إلا انه نبه على ما كان رآه ليتأمل ما فيه قال الشاعر:

ألم تسأل الربع القواء فينطق و هل يخبرنك اليوم بيداً سملق «۱»

لان المعنى قد سألته فنطق. ثم أخبر تعالى أن «له» ملك «ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» لا ملك لاحد فيه. و معناه إن له التصرف فى جميع ذلك لا اعتراض عليه. و أخبر «إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» فالغنى هو الحى الذى ليس بمحتاج، فهو تعالى المختص بأنه لو بطل كل شيء سواه لم تبطل نفسه القادرة العالمة. الذى لا يجوز عليه الحاجة بوجه من الوجوه، و كل شيء سواه يحتاج اليه، لأنه

لولاه لبطل، لأنه لا يخلو من مقدوره أو مقدور مقدوره. و (الحميد) معناه الذى يستحق الحمد على أفعاله، و هو بمعنى انه محمود.

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۷/ ۱۳۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۳۷

ثم قال «أَ لَمْ تَرَ» يا محمد و المراد جميع المكلفين «أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ» من الجماد و الحيوان اى قد ذلله لكم، تتصرفون فيه كيف شئتم، و ينقاد لكم، على ما تؤثرونه. و ان الفلك تجرى فى البحر بأمر اللَّه اى بفعل اللَّه، لأنها تسير بالريح، و هو تعالى المجرى لها و (يُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ) أى يمنعها من الوقوع على الأرض، و لا يقدر على إمساكها أحد سواه مع عظمها و ثقلها «إِلَّا بِإِذْنِهِ» اى لا تقع السماء على الأرض إلا إذا أذن اللَّه فى ذلك بأن يريد ابطالها و إعدامها.

و معنى (أن تقع) ألا تقع. و قيل معناه كراهية أن تقع. ثم أخبر انه تعالى (بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ) أى متعطف منعم عليهم.

قوله تعالى:[سورة الحج (۲۲): الآيات ۶۶ الى ۷۰] ..... ص : ۳۳۷

وَ هُوَ الَّذِي أَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسانَ لَكَفُورٌ (۶۶) لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ فَلا يُنازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَ ادْعُ إِلى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ (۶۷) وَ إِنْ جادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ (۶۸) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۶۹) أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ ذلِكَ فِي كِتابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (۷۰)

خمس آيات بلا خلاف.

لما ذكر اللَّه تعالى انه الذى سخر للخلق ما فى الأرض من الحيوان و ذللها لهم و اجرى التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۳۸

الفلك فى البحر، كنا عنه بأن قال «وَ هُوَ الَّذِي أَحْياكُمْ» ايضاً بعد ان لم تكونوا كذلك، يقال أحياه اللَّه، فهو محى له «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ» بعد هذا الأحياء «ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» يوم القيامة للحساب إما الى الجنة، و إما الى النار ثم اخبر عن الإنسان بانه (كفور) أى جحود لنعم اللَّه بما فعل به من انواع النعم، و جحوده ما ظهر من الآيات الدالة على الحق فى كونه قادراً على الأحياء و الاماتة. و الأحياء بعدها، لا يعجزه شىء من ذلك.

ثم اخبر تعالى أن «لكل أمة منسكا» أى مذهباً «هُمْ ناسِكُوهُ» أى يلزمهم العمل به. و قيل: المنسك جميع العبادات التى أمر اللَّه بها. و قيل: المنسك الموضع المعتاد لعمل خير او شر، و هو المألف لذلك. و مناسك الحج من هذا، لأنها مواضع العبادات فيه، فهى متعبدات الحج. و فيه لغتان فتح السين، و كسرها. و قال ابن عباس «منسكاً» اى عيداً. و قال مجاهد و قتادة: متعبداً فى إراقة الدم بمنى، و غيرها.

و قوله «فَلا يُنازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ» لأنهم كانوا يقولون: أ تأكلون ما قتلتم، و لا تأكلون الميتة التى قتلها اللَّه. و قيل «فَلا يُنازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ» نهى لهم عن منازعة النبى (ص) و قيل: نهى له لان المنازعة تكون من اثنين. فإذا وجه النهى الى من ينازعه، فقد وجه اليه. و قرئ «فلا ينزعنك» و المعنى لا يغلبنك على الامر.

ثم قال لنبيه (ص) «وَ ادْعُ إِلى رَبِّكَ» يا محمد «إِنَّكَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ» أى على طريق واضح. ثم قال «وَ إِنْ جادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ» معناه إن جادلوك على وجه المراء و التعنت الذى يعمله السفهاء، فلا تجادلهم على هذا الوجه، و ادفعهم بهذا القول. و قل «اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ» و هذا أدب من الله حسن، ينبغى أن يأخذ به كل احد «اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ» أى يفصل بينكم «يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» من توحيد الله و صفاته و اخلاص عبادته، و ألا نشرك به غيره. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۳۹

ثم قال لنبيه (ص) «أَ لَمْ تَعْلَمْ» و المراد به جميع المكلفين «أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» من قليل و كثير، لا يخفى عليه شىء من ذلك «إِنَّ ذلِكَ فِي كِتابٍ» يعنى مثبتاً فى اللوح المحفوظ الذى أطلع عليه ملائكته «إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» أى سهل غير متعذر.

قوله تعالى:[سورة الحج (٢٢): الآيات ٧١ الى ٧٥] ..... ص : ٣٣٩

وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَ ما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٧١) وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا قُلْ أَ فَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٢) يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ (٧٣) ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى مخبراً عن حال الكفار الذين يعبدون مع اللَّه الأصنام، و الأوثان: التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٤٠

انهم «يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً» أى لا حجة و لا برهاناً، و إنما قيل للبرهان سلطان، لأنه يتسلط على انكار المنكر، فكل محق فى مذهبه، فله برهان يتسلط به على الإنكار لمذهب خصمه.

و قوله «وَ ما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ» معناه و لا هو معلوم لهم ايضاً من جهة الدلالة، لان الإنسان قد يعلم صحة أشياء يعمل بها من غير برهان أدى اليها كعلمه بوجوب شكر المنعم، و وجوب رد الوديعة، و مدح المحسن و ذم المسيء، و غير ذلك، مما يعلمه بكمال عقله، و إن لم يكن معلوماً بحجة، فلذلك قال «وَ ما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ».

ثم اخبر انه ليس «للظالمين» أنفسهم بارتكاب المعاصى و ترك المعرفة باللَّه من ينصرهم و يدفع عنهم عذاب اللَّه إذا نزول بهم.

ثم اخبر تعالى عن حال الكفار و شدة عنادهم، فقال «وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا» يعنى من القرآن و غيره من حجج اللَّه تعالى الظاهرات البينات «تعرف» يا محمد «فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا» بنعم اللَّه، و جحدوا ربوبيته «المنكر» من القول «يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا» فالسطوة اظهار الحال الهائلة للاخافة، يقال: سطا عليه سطوة و سطواً وسطا به ايضاً فهو ساط. و الإنسان مسطو به.

و الإنسان يخاف سطوات الله و نقماته. و السطوة و الاستطالة و البطشة نظائر فى اللغة.

و المعنى إن هؤلاء الكفار إذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم، قاربوا أن يوقعوا بمن يتلوها المكروه.

ثم قال لنبيه (ص) «قل» يا محمد «أَ فَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ» أى بشر من اعتدائكم على التالى لآيات الله. و قيل: بشر عليكم مما يلحق التالى منهم. ثم ابتدأ فقال «النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ» و قيل التقدير كان قائلا قال ما ذلك الشر؟ فقيل «النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ» اى بئس التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٤١

الموضع، و كان يجوز فى (النار) الجر على البدل من (ذلكم) لأنه فى موضع جر ب (من) و كان يجوز النصب بمعنى أعرفكم شراً من ذلك النار، و الذى عليه القراء الرفع. ثم اخبر تعالى عن النار بأن الله وعدها الذين كفروا و بئس المرجع.

ثم خاطب جميع المكلفين من الناس، فقال «يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ» يعنى ضرب مثل، جعل، كقولهم ضرب على أهل الذمة الجزية، لأنه كالتثبيت شبهه بالضرب المعروف، و كذلك الضربة. و المثل: شبه حال الثانى بالأولى فى الذكر الذى صار كالعلم. و من حكم المثل أن لا يتغير، لأنه صار كالعلم. كقولهم «أطرى انك فاعلة».

ثم قال «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» قرأ يعقوب بالياء على الخبر الباقون بالتاء على الخطاب، كقوله «يا أَيُّهَا النَّاسُ». و الذى عبدوه من دون الله الأصنام و الأوثان «لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ» على ذلك و عاون بعضهم بعضاً مع صغر الذباب، فكيف بالعظيم من الأشياء. ثم زاد فى ضرب المثل، فقال «وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً ...» يعنى هؤلاء الكفار، و من جرى مجراهم لو سلبهم الذباب شيئاً و طار، لما قدروا على استنقاذه منه و تخليصه من يديه. ثم اخبر تعالى بانه «ضَعُفَ الطَّالِبُ» يعنى من الأوثان «وَ الْمَطْلُوبُ» من الذباب- و هو قول ابن عباس- و لم يأت بالمثل، لأن فى الكلام دلالة عليه، كأنه قال يا أيها الناس مثلكم مثل من عبد آلهة اجتمعت لأن تخلق

ذباباً، فلم يقدروا عليه، و إن يسلبها الذباب شيئاً، فلم تستنقذه منه. و مثل ذلك فى الحذف قول امرئ القيس:

وجدك لو شيء أتانا رسوله سواك و لكن لم نجد عنك مدفعاً «۱»

و تقديره لو أتانا رسول غيرك لرددناه و فعلنا به، و لكن لم نجد عنك مدفعاً،

---

(۱) شرح ديوانه ۱۳۱ و قد مر فى ۵/ ۵۲۹ و ۶/ ۲۵۳ مع اختلاف يسير

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۴۲

فاختصر لدلالة الكلام عليه. و قال قوم: أراد أن الكافرين جعلوا لى الأمثال من الأصنام التى عبدوها فاستمعوا لما ضرب لى من الأمثال. ثم أخبر عنها كيف هى، و كيف بعدها مما جعلوه مثلا، و يدل عليه قوله «ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» و اختلفوا فى معنى «ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» فقال الحسن: معناه ما عظموه حق عظمته، إذ جعلوا له شريكاً فى عبادته. و هو قول المبرد و الفراء. و قال قوم: معناه ما عرفوه حق معرفته. و قال آخرون: ما وصفوه حق صفته. و هو مثل قول أبى عبيدة. قال:

يقول القائل: ما عرفت فلاناً على معرفته، اى ما عظمته حق تعظيمه.

و فى ذلك دلالة على أن من جوز عبادة غير الله فهو كافر، و كذلك من جوز ان يكون المنعم- بخلق النفس، و البصر، و السمع، و العقل- غير الله، فهو كافر بالله.

ثم اخبر تعالى عن نفسه، فقال «إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ» أى قادر على ما يصح ان يكون مقدوراً «عزيز» لا يقدر احد على منعه.

ثم قال تعالى «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا» أى يختار منهم من يصلح للرسالة «وَ مِنَ النَّاسِ» أى و يختار من الناس ايضاً مثل ذلك. و فى ذلك دلالة على انه ليس جميع الملائكة رسلا، لأن (من) للتبعيض عند اهل اللغة، و كما ان الناس ليس جميعهم أنبياء فكذلك الملائكة.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» أى يسمع جميع ما يدرك بالسمع من الأصوات و دعاء من يدعوه خالصاً، و دعاء من يدعو على وجه الاشراك به بصير بأحوالهم.

قوله تعالى:[سورة الحج (۲۲): الآيات ۷۶ الى ۷۸] ..... ص : ۳۴۲

يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (۷۶) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۷۷) وَ جاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ اعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ (۷۸)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۴۳

ثلاث آيات بلا خلاف لما اخبر الله تعالى عن نفسه بأنه «سَمِيعٌ بَصِيرٌ» وصف أيضاً نفسه بأنه «يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» يعنى ما بين أيدى الخلائق من القيامة و أحوالها، و ما يكون فى مستقبل أحوالهم، «وَ ما خَلْفَهُمْ» أى و ما يخلفونه من دنياهم. و قال الحسن: يعلم ما بين أيديهم: أول أعمالهم، و ما خلفهم آخر أعمالهم «و اليه ترجع الأمور» يعنى يوم القيامة ترجع جميع الأمور الى الله تعالى بعد ان كان ملكهم فى دار الدنيا منهما شيئا كثيراً.

ثم خاطب تعالى المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا» أى صلوا، على ما أمرتكم به، من الركوع و السجود فيها (وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ) الذى خلقكم و لا تشركوا به شيئاً (وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ) و الخير النفع الذى يجلّ موقعه، و تعم السلامة به، و نقيضه الشر، و قد أمر الله بفعل الخير، ففعله طاعة له.

و قوله (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) أى افعلوا الخير لكى تفوزوا بثواب الجنة و تتخلصوا من عذاب النار. و قيل معناه افعلوه على رجاء الصلاح منكم بالدوام على أفعال الخير و اجتناب المعاصى و الفوز بالثواب.

ثم أمرهم بالجهاد فقال (وَ جاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ) قال ابن عباس: معناه التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۴۴

جاهدوا المشركين، و لا تخافوا فى الله لومة لائم، و قال الضحاك: معناه اعملوا بالحق لله حق العمل.

و قوله (هُوَ اجْتَباكُمْ) فالاجتبا هو اختيار الشيء لما فيه من الصلاح. و قيل:

معناه اختاركم لدينه، و جهاد أعدائه. و الحق يجتبى، و الباطل يتقى، و لا بد أن يكون ذلك خطاباً متوجهاً الى من اختاره الله بفعل الطاعات، دون أن يكون ارتكب الكبائر الموبقات. و إن كان سبق منه جهاد فى سبيل الله.

و قوله (وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) معناه لم يجعل عليكم ضيقاً فى دينكم، و لا ما لا مخرج منه. و ذلك أن منه ما يتخلص منه بالتوبة، و منه ما يتخلص منه برد المظلمة، و ليس فى دين الإسلام ما لا سبيل الى الخلاص من عقابه. و فيه من الدليل- كالذى فى قوله (وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ) «۱»- على فساد مذهب المجبرة فى العدل. و مثله قوله (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها) «۲» و قوله (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ) يحتمل نصب (ملة) وجهين:

أحدهما- اتبعوا (مِلَّةَ أَبِيكُمْ) و الزموا، لان قبله (جاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ) و الاخر- كملة أبيكم إلا انه لما حذف حرف الجر اتصل الاسم بالفعل فنصب.

و قال الفراء: نصبه بتقدير: وسع ملتكم، كما وسع ملة أبيكم. و قوله (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ) معناه انه يرجع جميعهم الى ولادة ابراهيم، و أفاد هذا ان حرمة ابراهيم على المسلمين كحرمة الوالد على الولد، كما قال (وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ) «۳»- فى قول الحسن.

و قوله «هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ» قال ابن عباس و مجاهد: اللَّه سماكم المسلمين، فهو كناية عن اللَّه. و قال ابن زيد: هو كناية عن ابراهيم و تقديره ابراهيم سماكم المسلمين

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۲۰

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۲۸۶

(۳) سورة ۳۳ الأحزاب آية ۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۴۵

بدليل قوله «وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ» «۱».

و قوله «مِنْ قَبْلُ» اى من قبل القرآن.- فى قول مجاهد- و قيل: ملة ابراهيم داخلة فى ملة محمد (ص)، فلذلك قال «مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ. وَ فِي هذا» يعنى القرآن. و قال السدى: معناه: و فى هذا الأوان ليكون الرسول شهيدا عليكم بطاعة من أطاع فى تبليغه، و عصيان من عصى «وَ تَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ» بأعمالهم فى ما بلغتوهم من كتاب ربهم و سنة نبيهم. ثم أمرهم باقامة الصلاة، فقال «فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ اعْتَصِمُوا بِاللَّهِ» أى بدين اللَّه الذى لطف به لعباده- فى قول الحسن- و قيل: معناه امتنعوا باللَّه من أعدائكم «هُوَ مَوْلاكُمْ» أى أولى بكم، و بتدبيركم، و تصريفكم «فنعم» مالككم «المولى» يعنى اللَّه «وَ نِعْمَ النَّصِيرُ» أى الناصر، و الدافع عن الخلق اللَّه تعالى. و قيل: «فَنِعْمَ الْمَوْلى من لم يمنعكم الرزق لما عصيتموه «وَ نِعْمَ النَّصِيرُ» حين أعانكم لما أطعتموه.

و روى أن اللَّه أعطى هذه الأمة ثلاث أشياء لم يعطها أحداً من الأمم: جعلها اللَّه شهيداً على الأمم الماضية، و قال لهم «ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» «۲» و قال (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) «۳».

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ١٢٨

(٢) سورة ٢٢ الحج آية ٧٨

(٣) سورة ٤٠ المؤمن آية ٦٠

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٤٧

٢٣ سورة المؤمنون ..... ص : ٣٤٧

اشارة

مكية بلا خلاف، و هو قول قتادة و مجاهد: و هى مائة و ثمان عشرة آية فى الكوفى، و تسع عشرة فى البصرى، و المدنيين، و ليس فيها ناسخ و لا منسوخ، إلا ما روى أنهم كانوا يجيزون الالتفات يميناً و شمالا و إلى ما وراء نسخ ذلك بقوله «فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ» فلم يجيزوا أن ينظر المصلى إلا الى موضع سجوده.

[سورة المؤمنون (٢٣): الآيات ١ الى ٧] ..... ص : ٣٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ (٢) وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ (٤)
وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ (٧)

سبع آيات.

يقول اللَّه تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) أى فازوا بثواب اللَّه، الذين صدّقوا التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٤٨

باللَّه و أقروا بوحدانيته و صدقوا رسله. و قيل: معناه، قد سعدوا، قال لبيد:

فاعقلى ان كنت لما تعقلى و لقد أفلح من كان عقل «١»

و قيل معنى (أفلح) بقى أى بقيت أعمالهم الصالحة، و منه قولهم (حى على الفلاح) أى على بقاء أعمال الخير، و معنى (قد) تقريب الماضى من الحال، فدل على أن فلاحهم قد حصل بما هم عليه فى الحال، و هذا أبلغ فى الصفة من تجريد ذكر الفعل. ثم وصف هؤلاء المؤمنين بأوصاف، فقال (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ) أى خاضعون متذللون للَّه فيها. و قيل: معناه يسعون، مقبلون على الصلاة بالخضوع و التذلل لربهم. و قيل: معناه خائفون. و قال مجاهد: هو غض الطرف و خفض الجناح. و قيل: أن ينظر المصلى الى موضع سجوده. و

كان النبى (ص) يرفع بصره الى السماء. فلما نزلت هذه الآية طأطأ رأسه، و نظر الى مصلاه.

و الخشوع فى الصلاة هو الخضوع بجمع الهمة لها، و الاعراض عما سواها، لتدبر ما يجرى فيها: من التكبير، و التسبيح، و التحميد للَّه، و تلاوة القرآن. و هو موقف الخاضع لربه الطالب لمرضاته بطاعاته.

ثم زاد فى صفاتهم فقال (وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) و اللغو هو القول و الفعل الذى لا فائدة فيه يعتد بها، و هو قبيح على هذا الوجه. و قال ابن عباس:

اللغو- هاهنا- الباطل. و قال السدى: هو الكذب. و قال الكلبى هو الحلف.

و حكى النقاش: انهم نهوا عن سباب الكفار إذا سبوهم، و عن محادثتهم.

ثم قال (وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ) أى يؤدون ما يجب عليهم فى أموالهم من الصدقات، و سميت زكاة، لأنه يزكو بها المال عاجلا و آجلا. ثم قال (وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ) قيل عنى بالفروج- هاهنا- فرج الرجل خاصة بدلالة قوله

---

(١) مر هذا البيت فى ١/ ٥٩ من هذا الكتاب

بيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٤٩

(إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ) ثم استثنى من الحافظين لفروجهم من لا يحفظ فرجه عن زوجته، أو ما تملك يمينه من الإماء على ما أباحه اللَّه له، لأن التزويج ينبغى أن يكون، على وجه اباحة الله تعالى. و (ملك اليمين) فى الآية المراد به الإماء لأن الذكور من المماليك لا- خلاف فى وجوب حفظ الفرج منهم. و من ملك الأيمان، لا يجمع بين الأختين فى الوطء، و لا بين الأم و البنت. و كل ما لم يجز الجمع بينهم فى العقد، فلا- يجوز الجمع بينهم فى الوطء بملك اليمين. و لا- يخرج من الآية وطؤ المتمتع بها، لأنها زوجة عندنا، و إن خالف حكمها حكم الزوجات فى احكام كثيرة، كما أن حكم الزوجات مختلف فى نفسه. و ذكره تعالى هذه الأوصاف و مدحه عليها يكفى و يغنى عن الأمر بها، لما فيها من الترغيب كالترغيب فى الأمر، و أنها مرادة، كما أن المأمور به مراد، و كلها واجب.

و انما قيل للجارية (ملك يمين) و لم يقل فى الدار (ملك يمين) لأن ملك الجارية أخص من ملك الدار إذ له نقض بنية الدار، و ليس له نقض بنية الجارية، و له عارية الدار، و ليس له عارية الجارية، حتى توطأ بالعارية، فلذلك خص الملك فى الأمة، و انما قال «إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ» مع تحريم وطئها على وجوه: كتحريم وطئ الزوجة، و الأمة فى حال الحيض، و وطئ الجارية إذا كان لها زوج، أو كانت فى عدة من زوج، و تحريم وطئ المظاهرة قبل الكفارة، لأن المراد بذلك على ما يصح و يجوز، مما بينه اللَّه، و بينه رسوله فى غير هذا الموضع، و حذف لأنه معلوم، و هى من الأمور العارضة فى هذه الوجوه ايضاً، فان من وطأ الزوجة أو الأمة فى الأحوال التى حرم عليه وطؤها، فانه لا يلزمه اللوم من حيث كانت زوجة أو ملك يمين و إنما يستحق اللوم من وجه آخر. و اللوم و الذم واحد، و ضدهما الحمد و المدح. التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٥٠

ثم قال تعالى «فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ» و معناه من طلب سوى ذلك يعنى الزوجية، و ملك اليمين، فهو عاد. و الابتغاء و البغية الطلب. و البغاء طلب الزنا، و الباغى طالب الاعتداء. و (العادون) هم الذين يتعدون الحلال الى الحرام. و قوله «وراء»- هاهنا- قيل: معناه غير. و قال الفراء معناه «إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ» إلا من أزواجهم «أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ» فى موضع خفض.

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (٢٣): الآيات ٨ الى ١١] ..... ص : ٣٥٠

وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ (٨) وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ (٩) أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ (١١)

أربع آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وحده «لأمانتهم» على التوحيد. الباقون «لأماناتهم» على الجمع، لقوله «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها» «١» و قرأ ابن كثير ذلك اختياراً ليطابق قوله (و عهدهم). و قرأ حمزة و الكسائى (على صلاتهم) على التوحيد، لان الصلاة اسم جنس يقع على القليل و الكثير، فكذلك قوله (أمانتهم) و الأصل فيه المصدر كالعمل. الباقون (صلواتهم) على الجمع، و من جمع جعله بمنزلة الاسم، لاختلاف أنواعها. لقوله (حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ) «٢» قال ابو على النحوى: الجمع أقوى، لأنه صار اسماً شائعاً شرعياً، و قد بينا الوجه فيه.

ثم زاد الله تعالى فى صفات المؤمنين الذين وصفهم بالفلاح فقال و الذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون و معناه الذين يراعون

الأمانات التى يؤتمنون عليها و لا

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۵۷

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۲۳۸ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۵۱

يحزنون فيها، و يحفظون ما يعاهدون عليه من الأيمان و النذور، فلا يحنثون و لا ينكثون. و المراعات قيام الراعى بإصلاح ما يتولاه. ثم قال «وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ» أى لا يضيعونها. و يواظبون على أدائها. و فى تفسير أهل البيت إن معناه: الذين يحافظون على مواقيت الصلوات فيؤدونها فى أوقاتها، و لا يؤخرونها حتى يخرج الوقت. و به قال مسروق و جماعة من المفسرين. و انما أعيد ذكر الصلاة- هاهنا- لأنه أمر- هاهنا- بالمحافظة عليها، كما امر بالخشوع فيها، فى ما تقدم، كما أعيد ذكر الفلاح، لأنه يجب بالخصال المذكورة بعده كما وجب فى- سورة البقرة- «۱» بالخصال المذكورة قبله.

ثم اخبر تعالى عمن اجتمعت فيه هذه الخصال، فقال «أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه يؤل أمره الى النعيم فى الجنة، و يملك ما يعطيه الله، كما يؤل أمر الوارث الثانى-

روى أبو هريرة عن النبى (ص) أنه قال (ما منكم أحد إلا- و له منزلان منزل فى الجنة و منزل فى النار، فان مات على الضلال ورث منزله أهل الجنة، و إن مات على الايمان، ورث هو منزل اهل النار).

و قال مجاهد: يهدم منزله فى النار، ثم وصف الله تعالى الوارثين، فقال (الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ) و حقيقة الإرث ملك ما يتركه الميت ان بلده، ممن هو أولى به فى حكم اللَّه، فهذا أصله، ثم يشبه به، فيقال: ورث فلان علم فلان أى صار اليه، و معنى (يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ) اى يصيرون اليها بعد الأحوال المتقدمة. و الفردوس البستان الذى يجمع محاسن النبات. و قيل أصله رومى. و قيل: بل هو عربى و وزنه (فعول) و قيل الفردوس البستان. الذى فيه كرم قال جرير:

---

(۱) انظر ۱/ ۴۸ فى تفسير آية ۵ من سورة البقرة

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۵۲

ما بعد يبرين من باب الفراديس «۱»

و قال الجبائى (يرثون الفردوس) على التشبيه بالميراث المعروف من جهة الملك الذى ينتهى اليه أمره.

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۱۲ الى ۱۶] ..... ص : ۳۵۲

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (۱۲) ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ (۱۴) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ (۱۵) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُبْعَثُونَ (۱۶)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و ابو بكر عن عاصم «عظماً» فى الموضعين على التوحيد. الباقون على الجمع. فمن وحد، فلأنه اسم جنس يقع على القليل و الكثير. و من جمع، فلقوله «أَ إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً» «۲» و قوله «أَ إِذا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً» «۳» و قوله «مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ» «۴» و ما أشبه ذلك.

---

(۱) ديوانه ۲۵۰ و صدره: (فقلت للرجل إذ جد الرحيل بنا) و يبرين اسم بلد من بلاد بنى سعد. و باب الفراديس بدمشق.

(۲) سورة ۱۷ الإسراء آية ۴۹، ۹۸

(۳) سورة ۷۹ النازعات آية ۱۱

(۴) سورة ۳۶ يس آية ۷۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۵۳

يقول اللَّه تعالى على وجه القسم، انه: خلق «الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ» فقال ابن عباس و مجاهد: المراد بالإنسان كل انسان، لأنه يرجع إلى آدم الذى خلق من سلالة. و قال قتادة: المراد بالإنسان آدم، لأنه استل من أديم الأرض. و قيل:

استل من طين. و الصلالة صفوة الشيء التى تخرج منه، كأنها تستل منه. و السلالة صفوة الشيء التى تجرى قبل ثفله، و كدره، لأنها متقدمة على ثفله، كتقديم السلف و الأجر على الآخرة. و قد تسمى النطفة سلالة و الولد أيضاً سلالة و سليلة. و الجمع سلالات، و سلائل، قال الشاعر:

و هل كنت إلا مهرة عربية سليلة أفراس تجللها بغل «۱»

و قال آخر:

فجاءت به عضب الأديم غضنفرا سلالة فرج كان غير حصين «۲»

و قال آخر:

يقذفن فى أسلابها بالسلائل «۳»

و قال آخر:

إذا نتجت منها المهارى تشابهت على القود لا بالأنوف سلائله «۴»

و فى الآية دلالة على أن الإنسان هو هذا الجسم المشاهد، لأنه المخلوق من نطفة، و المستخرج من سلالة، دون ما يذهب اليه قوم: من انه الجوهر البسيط، أو شيء لا يصح عليه التركيب و الانقسام، على ما يذهب اليه معمر و غيره.

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۲/ ۱۰۹ و الطبرى ۱۸/ ۶

(۲) تفسير الطبرى ۱۸/ ۶ و تفسير القرطبى ۱۲/ ۱۰۹ و قد نسبه لحسان، و روايته (حملت) بدل (فجاءت)

(۳، ۴) تفسير الطبرى ۱۸/ ۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۵۴

و قوله «ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ» المعنى جعلنا الإنسان، و هو من ولد من نسل آدم «نطفة» و هى القطرة من ماء المنى التى يخلق اللَّه منها الحيوان، على مجرى العادة فى التناسل، فيخلق اللَّه من نطفة الإنسان إنساناً و من نطفة كل حيوان ما هو من جنسه. و معنى «مكين» أى مكين لذاك، بأن هيئ لاستقراره فيه الى بلوغ أمده الذى جعل له.

و قوله «ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً» فالعلقة القطعة من الدم إذا كانت جامدة، فبين اللَّه تعالى أنه يصير تلك النطفة علقة، ثم يجعل العلقة مضغة، و هى القطعة من اللحم.

ثم اخبر انه يجعل المضغة «عظاماً»، و قرئ «عظماً» و هى قراءة ابن عامر و أبى بكر عن عاصم. فمن قرأ «عظاماً» أراد ما فى الإنسان من أقطاع العظم. و من قرأ «عظماً» فلأنه اسم جنس يدل على ذلك.

ثم بين تعالى انه يكسو تلك «الْعِظامَ لَحْماً» ينشئه فوقها، كما تكسى الكسوة.

و قوله ثم «أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ» يعنى ينفخ الروح فيه- فى قول ابن عباس و مجاهد- و قيل: نبات الأسنان و الشعر، و إعطاء العقل و

الفهم. و قيل «خلقاً آخر» معناه ذكر او أنثى. ثم قال «فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ» و معنى (تبارك) استحق التعظيم بأنه قديم لم يزل، و لا يزال، و هو مأخوذ من البروك، و هو الثبوت.

و قوله «أَحْسَنُ الْخالِقِينَ» فيه دلالة على ان الإنسان قد يخلق على الحقيقة، لأنه لو لم يوصف بخالق إلا اللَّه، لما كان لقوله «أحسن الخالقين» معنى. و أصل الخلق التقدير، كما قال الشاعر:

و لأنت تفرى ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لا يفرى «۱»

ثم خاطب الخلق، فقال (ثم إنكم) معاشر الخلق بعد هذا الخلق و الأحياء

---

(۱) مر تخريجه فى ۶/ ۳۶۹

(لميتون) أي تموتون عند انقضاء آجالكم. يقولون لمن لم يمت و يصح عليه الموت: ميت و مائت. و لا يقولون لمن مات: مائت. و كذلك فى نظائره سيد و سائد.

و قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُبْعَثُونَ) أي تحشرون إلى الموقف و الحساب و الجزاء بعد أن كنتم أمواتاً، و لا يدل ذلك على أنه لا يحييهم فى القبور للمساءلة، لان قوله: انه يميتهم عند فناء آجالهم و يبعثهم يوم القيامة، لا يمنع من أن يحييهم فيما بين ذلك، ألا ترى أن القائل لو قال: دخلت بغداد فى سنة مائة، و خرجت منها فى سنة عشر و مائة، لم يدل على أنه لم يخرج فيما بينهما و عاد، فكذلك الآية. على ان اللَّه تعالى اخبر انه أحيا قوماً. فقال لهم اللَّه موتوا، ثم أحياهم، فلا بد من تقدير ما قلناه للجميع. و فيه دلالة على بطلان قول معمر، و النظام فى الإنسان.

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۱۷ الى ۲۰] ..... ص : ۳۵۵

وَ لَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ وَ ما كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غافِلِينَ (۱۷) وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ (۱۸) فَأَنْشَأْنا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ لَكُمْ فِيها فَواكِهُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ (۱۹) وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَ صِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (۲۰)

أربع آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و نافع و ابو عمرو «سيناء» بكسر السين، و لم يصرف، لأنه اسم البقعة. الباقون بفتح السين. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو «تنبت» بضم التاء

و كسر الباء. الباقون بفتح التاء و ضم الباء. من كسر السين من «سيناء»، فلقوله «طُورِ سِينِينَ» «۱» و السيناء الحسن، و كل جبل ينبت الثمار فهو سينين. و من فتح السين، فلأنه لغتان. و أصله سرياني، و من فتح السين لا يصرفه فى المعرفة و لا النكرة، لأن الهمزة فى هذا البناء لا تكون إلا للتأنيث، و لا تكون للإلحاق لأن (فعلال) لا يكون إلا فى المضاعف مثل (الزلزال و القلقال) و من كسر السين، فالهمزة عنده منقلبة عن الياء ك (علباء، و حوباء) و هى التي تظهر فى قولك (سيناية) لما بنيت للتأنيث. و انما لم يصرف على هذا القول، و إن كان غير مؤنث، لأنه جعل اسم بقعة أو ارض، فصار بمنزلة امرأة سميت ب (جعفر). و من ضم التاء من «تنبت» لم يعده بالباء، و أراد تنبت الدهن. قال ابو على الفارسي: و يحتمل أن يكون الباء متعلقا بغير هذا الفعل الظاهر، و تقدر مفعولا محذوفاً، و تقديره: تنبت ثمرها و فيها دهن و صبغ. و من فتح التاء عدى الفعل بالباء. كقولهم: ذهبت بزيد و أذهبت زيداً، و يجوز أن يكون الباء فى موضع الحال، و لا يكون للتعدى. مثل ما قلناه فى الوجه الأول و تقديره تنبت و فيها دهن.

يقول اللَّه تعالى «وَ لَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ» يعنى سبع سماوات، خلقها اللَّه فوق الخلائق، و سماها طرائق، لأن كل طبقة طريقة. و

قال الجبائي: لأنها طرائق للملائكة، و قال ابن زيد: الطرائق السماوات الطباق. و قال الحسن: ما بين كل سماء و سماء مسيرة خمسمائة عام و كذلك ما بين السماء و الأرض.

و قوله «وَ ما كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غافِلِينَ» معناه ما كنا غافلين ان ينزل عليهم ما يحييهم من المطر. و يحتمل أن يكون أراد ما كنا غافلين عن أفعالهم، و ما يستحقون بها من الثواب و العقاب، بل نحن عالمون بجميع ذلك. و قيل

---

(۱) سورة ۹۵ التين آية ۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۵۷

«وَ ما كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غافِلِينَ» بل كنا حافظين للسماء من أن تسقط عليهم، فتهلكهم. و الغفلة ذهاب المعنى عن النفس. و مثله السهو، فالعالم لنفسه لا يجوز عليه الغفلة، لأنه لا شيء إلا و هو عالم به. و إنما ذكر الغفلة بعد الطرائق، لأن من جاز عليه الغفلة عن العباد جاز عليه الغفلة عن الطرائق التى فوقهم، فتسقط عليهم، فأمسك اللَّه تعالى طرائق السموات أن تقع على الأرض إلا باذنه. و لولا إمساكه لها لم تقف طرفة عين.

و قوله «وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ» أى أنزلنا المطر و الغيث بقدر الحاجة، لا يزيد على قدر الحاجة، فيفسد، و لا ينقص عنها فيهلك، بل وفق الحاجة.

و قوله «فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ» يعنى انه تعالى أسكن الماء المنزل من السماء فى الأرض و أثبته فى العيون و الأودية. و

روى عن النبى (ص) أنه قال: (أربعة أنهار من الجنة: النيل، و الفرات، و سيحان، و جيحان).

ثم قال تعالى «وَ إِنَّا عَلى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ» لا يعجزنا عن ذلك شيء، و لو فعلناه لهلك جميع الحيوان، فنبههم بذلك على عظم نعمة اللَّه على خلقه، بانزال الماء من السماء.

ثم اخبر تعالى انه ينشئ للخلق بذلك الماء (جنات) و هى البساتين (مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ) لتنتفعوا بها معاشر الخلق (لَكُمْ فِيها فَواكِهُ كَثِيرَةٌ) تتفكهون بها (وَ مِنْها تَأْكُلُونَ) و انما خص النخيل و الأعناب، لأنها ثمار الحجاز، من المدنية و الطائف. فذكرهم اللَّه تعالى بالنعم التى يعرفونها.

و قوله (وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ) انما خص الشجرة التى تخرج من طور سينا، لما فى ذلك من العبرة، بأنه لا يتعاهدها إنسان بالسقى، و لا يراعيها احد من العباد، تخرج الثمرة التى يكون فيها الدهن الذى تعظم الفائدة و تكثر المنفعة به.

و سيناء البركة، كأنه قال جبل البركة- و هو قول ابن عباس و مجاهد- و قال قتادة التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۵۸

و الضحاك: معناه الحسن. و قال ابن عباس: طور سيناء اسم الجبل الذى نودى منه موسى (ع) و هو كثير الشجر قال العجاج:

دانى جناحيه من الطور فمر «۱»

و قيل يحتمل ان يكون (سيناء: فيعالا) من السنة، و هو الارتفاع. و الشجرة قيل انها شجرة الزيتون. و قوله (تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ) أى تنبت ثمرها بالدهن. و من فتح التاء فمعناه تنبت بثمر الدهن. و قيل نبت و أنبت لغتان قال زهير:

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم قطيناً بها حتى إذا أنبت البقل «۲»

و قيل الباء زائدة، و المعنى تنبت ثمر الدهن، كما قال الراجز:

نحن بنو جعدة أرباب الفلج نضرب بالبيض و نرجو بالفرج «۳»

أى نرجو الفرج. و قوله (وَ صِبْغٍ لِلْآكِلِينَ) أى و جعلناه مما يتأدم به الإنسان و يصطبغون به من الزيت و الزيتون. و الاصطباغ ان يغمز فيه ثم يخرجه و يأكله.

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۲۱ الى ۲۵] ..... ص : ۳۵۸

وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِها وَ لَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ (٢١) وَ عَلَيْها وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥)

---

(١) مر هذا الرجز فی ١/ ٢٨۶

(٢) ديوانه (دار بيروت) ۶٢

(٣) تفسير الطبرى ١٨/ ١٠ و القرطبى ١٢/ ١١٥

التبيان فی تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣۵٩

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و نافع و ابو بكر عن عاصم «نسقيكم» بفتح النون. الباقون بضمها. قال بعضهم: هما لغتان سقيت و أسقيت، قال الشاعر:

سقى قومى بنى مجد و اسقى نميراً و القبائل من هلال «١»

و لا يجوز ان يكون المراد فی البيت (و أسقى) مثل قوله «وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً» «٢» لأنه لا يكون قد دعا لقومه و خاصته بدون ما دعا للاجنبى البعيد عنه.

و الصحيح ان سقيت للشفة و أسقيت للأنهار و الانعام تقول: دعوت اللَّه ان يسقيه.

و من قرأ بضم النون أراد: انا جعلنا ما فی ضروعها من الألبان سقياً لكم، كما يقال:

أسقيناهم نهراً إذا جعلته سقياً لهم، و هذا كأنه أعم، لان ما هو سقياً لا يمتنع أن يكون للشفة، و ما يكون للشفة- فقط- يمتنع أن يكون سقياً. و ما أسقانا اللَّه من البان الانعام أكثر مما يكون للشفة و من فتح النون جعل ذلك مختصاً به الشفاه دون المزارع و المراعى، فلم يكن مثل الماء فی قوله «فَأَسْقَيْناكُمُوهُ» «٣» و قوله «وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً» لأن ذلك يصلح للأمرين، و من ثم قال «وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً» «۴» و انما قال هاهنا «مِمَّا فِي بُطُونِها» و فی النحل «بطونه» «۵» لأنه إذا أنث، فلا كلام لرجوع ذلك الى الانعام. و إذا ذكر فلأن النعم و الانعام بمعنى واحد، و لئن التقدير:

---

(١) مر تخريجه فی ۶/ ٣٩٩ [.....]

(٢) سورة ٧٧ المرسلات آية ٢٧

(٣) سورة ١۵ الحجر آية ٢٢

(۴) سورة ٧۶ الدهر آية ٢١

(۵) سورة ١۶ النحل آية ۶۶

التبيان فی تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣۶٠

و نسقيكم من بعض ما فی بطونه.

يقول اللَّه تعالى «وَ إِنَّ لَكُمْ» معاشر العقلاء «فِي الْأَنْعامِ» و هى الماشية التى تمشى على نعمة فی مشيها، خلاف الحافر فی وطئها، و هى الإبل و البقر و الغنم (لعبرة) يعنى دلالة تستدلون بها على توحيد اللَّه، و صفاته التى يختص بها دون سواه.

و قوله (نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِها) فالسقى إعطاء ما يصلح للشرب، فلما كان اللَّه تعالى قد أعطى العباد ألبان الأنعام، باجرائه فی

ضروعها، و تمكينهم منها، من غير حظر لها، كان قد سقاهم إياها.

ثم قال (و لكم فيها) يعنى فى الانعام «مَنافِعُ كَثِيرَةٌ» و لذات عظيمة، ببيعها و التصرف فيها و أكل لحومها، و شرب ألبانها، و غير ذلك من الانتفاع باصوافها و أوبارها، و اشعارها، و غير ذلك (وَ مِنْها تَأْكُلُونَ) يعنى اللحم، و غيره من الألبان و ما يعمل منها. ثم قال: و من منافعها انكم تحملون عليها الأثقال فى اسفاركم بأن تركبوها و تحملوا عليها أثقالكم. و مثل ذلك على الفلك، و هى السفن.

ثم اقسم تعالى انه أرسل نوحاً الى قومه، يدعوهم إلى اللَّه، و يقول لهم (اعْبُدُوا اللَّهَ) وحده لا شريك له، فانه لا معبود لكم غيره. و يحذرهم من عقابه، و يقول (أفلا تتقون) نقمة اللَّه بالاشراك معه فى العبادة. ثم حكى أن الملأ و هم- جماعة اشراف قومه- الكفار، قال بعضهم لبعض: ليس نوح هذا إلا مخلوقاً مثلكم، و بشر مثلكم، و ليس بملك (يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ) فيسودكم و يترأسكم و ان يكون أفضل منكم «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ» ما قاله من توحيده و اختصاصه بالعبادة (لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً) عليكم يدعونكم الى ذلك. ثم قالوا «ما سَمِعْنا بِهذا» يعنى بما قال نوح، و بمثل دعوته. و قيل بمثله بشراً أتى برسالة من ربه فى أسلافنا الماضين و ابائنا و أجدادنا الذين تقدمونا. ثم قالوا، (إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) اى ليس التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۶۱

هذا- يعنون نوحاً- إلا رجلا به جنة أى تعتاده غمرة تنفى عقله حتى يتخيل اليه ما يقوله و يخرجه عن حال الصحة و كمال العقل، فكان اشراف قومه يصدون الناس عن اتباعه، بما حكى اللَّه عنهم، و قالوا: انه لمجنون يأتى بجنونه بمثل هذا. و يحتمل أن يكونوا أرادوا كأنه فى طعمه فيما يدعو اليه مجنون. ثم قال بعضهم لبعض: (فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ) اى الى وقت ما، كأنهم قالوا لهم تربصوا به الهلاك و توقعوه.

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۲۶ الى ۳۰] ..... ص : ۳۶۱

قالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِما كَذَّبُونِ (۲۶) فَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا فَإِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَ لا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (۲۷) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۲۸) وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبارَكاً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (۲۹) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ وَ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (۳۰)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو بكر عن عاصم (منزلا) بفتح الميم. الباقون بضمها. من فتح الميم جعله اسم المكان أو مصدراً ثلاثياً. و من ضم الميم، فلانه مصدر (أنزل إنزالا) التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۶۲

لقوله (انزلنى) و مثله (أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) «۱» و لو قرئ (وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) لكان صواباً بتقدير أنت خير المنزلين به، كما تقول: أنزلت حوائجى بك.

و قرا حفص عن عاصم (من كلّ زوجين) منوناً على تقدير اسلك فيها زوجين اثنين من كل، اى من كل جنس، و من كل الحيوان. كما قال تعالىَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ)

اى لكل انسان قبلةُوَ مُوَلِّيها

«۲») لان (كلا و بعضاً) يقتضيان مضافاً إليهما. الباقون بالاضافة إلى (زوجين) و نصب (اثنين) على انه مفعول به يقول اللَّه تعالى ان نوحاً (ع) لما نسبه قومه الى الجنة، و ذهاب العقل، و لم يقبلوا منه، دعا الله تعالى، فقال «رَبِّ انْصُرْنِي بِما كَذَّبُونِ» أى اعنى عليهم، فالنصرة المعونة على العدو. فأجاب اللَّه تعالى دعاءه و أهلك عدوه، فأغرقهم و نجاه من بينهم بمن معه من المؤمنين. و قوله «بما كذبون» يقتضى أن يكون دعا عليهم بالإهلاك جزاء على تكذيبهم إياه. فقال اللَّه تعالى انا «فَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ» و هو السفينة «بِأَعْيُنِنا» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- بحيث نراها، كما يراها الرائى من عبادنا بعينه، ليتذكر انه يصنعها، و اللَّه (عز و جل) يراه.

الثانى- بأعين أوليائنا من الملائكة و المؤمنين، فإنهم يحرسونك من منع مانع لك.

و قوله «وَ وَحْيِنا» أى باعلامنا إياك كيفية فعلها. و قوله «فَإِذا جاءَ أَمْرُنا» يعنى إذا جاء وقت إهلاكنا لهم «وَ فارَ التَّنُّورُ» روى انه كان جعل اللَّه تعالى علامة

---

(۱) سورة ۱۷ الاسراء آية ۸۰

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۱۴۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۶۳

وقت الإهلاك فوران التنور بالماء. فقال له: إذا جاء ذلك الوقت «فَاسْلُكْ فِيها» يعنى فى السفينة، و كان فوران الماء من التنور المسجور بالنار، معجزة لنوح (ع) و دلالة على صدقه، و أكثر المفسرين على أنها التنور التى يخبر فيها. و

روى عن على (ع) انه أراد طلوع الفجر.

و يقال: سلكته و أسلكته، فيه لغتان، كما قال الشاعر:

و كنت لزاز خصمك لم أعرّد و قد سلكوك فى يوم عصيب «۱»

و قال الهذلى:

حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا «۲»

و قيل: سلكته فيه حذف، لان تقديره سلكت به فيه. و معنى «فَاسْلُكْ فِيها» احمل فيها و ادخل الى السفينة «مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ» أى من كل زوجين، من الحيوان. اثنين: ذكراً و أنثى. و الزوج واحد له قرين من جنسه و قوله «و أهلك» أى أجمل أهلك معهم، يعنى الذين آمنوا معك (إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) بالإهلاك منهم (وَ لا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا) اى لا تسلنى فى الظالمين أنفسهم بالاشراك معى ف (إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) هالكون. ثم قال له (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ) يا نوح (وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ) و استقررتم فيه و علوتم عليه، و تمكنتم منه فقل شكراً للَّه (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانا) و خلصنا (مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) لنفوسهم بجحدهم توحيد الله.

و قل داعياً (رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبارَكاً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) و قال الجبائى: المنزل المبارك هو السفينة. و قال مجاهد: قال ذلك حين خرج من السفينة. و قال الحسن:

كان فى السفينة. سبعة انفس من المؤمنين، و نوح ثامنهم. و قيل: ستة. و قيل:

---

(۱) انظر ۶/ ۳۸، ۳۲۱

(۲) مر تخريجه فى ۱/ ۱۲۸، ۱۴۹ و ۶/ ۳۲۲، ۴۵۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۶۴

ثمانين. و قيل: انه هلك كل ما كان على وجه الأرض إلا من نجا مع نوح فى السفينة.

و قال الحسن: كان طول السفينة الفاً و مئتى ذراع، و عرضها ستمائة ذراع. و كانت مطبقة تسير بين ماء السماء و بين ماء الأرض.

ثم قال تعالى (ان فى ذلك) يعنى فيما أخبرناك به و قصصنا عليك (لآيات) و دلالات للعقلاء، يستدلون بها على توحيد الله و صفاته (وَ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ) أى و إن كنا مختبرين عبادنا بالاستدلال على خالقهم بهذه الآيات، و معرفته و شكره على نعمه عليهم، و بعبادته و طاعته و تصديق رسله.

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۳۱ الى ۳۶] ..... ص : ۳۶۴

ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ (۳۱) فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ (۳۲) وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَةِ وَ أَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (۳۳) وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ (۳۴) أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (۳۵)
هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ (۳۶)

ست آيات بلا خلاف.

قرأ ابو جعفر (هيهات هيهات) بكسر التاء. الباقون بفتحها. و لا خلاف التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۶۵
الى ترك التنوين فيهما.

يقول الله تعالى (انا أنشأنا) و اخترعنا، من بعد إهلاك قوم نوح بالطوفان (قَوْماً آخَرِينَ) و الإنشاء و الاختراع واحد، و كلما يفعل الله تعالى، فهو إنشاء و اختراع. و قد يفعل الله تعالى الفعل عن سبب بحسب ما تقتضيه المصلحة. و القرن أهل العصر لمقارنة بعضهم لبعض، و منه قرن الكبش لمقارنته القرن الآخر، و منه القرينة، و هى الدلالة التى تقارن الكلام. و قوله «فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ» اخبار منه تعالى انه أرسل رسولا- فى القرن الذى أنشأهم من بعد قوم نوح. و قال قوم: هو صالح و قيل: هود، لأنه المرسل بعد نوح «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» أى أرسلناه بأن يقول لهم: اعبدوا اللَّه وحده لا- شريك له. و يقول لهم: ما لكم معبود سواه، و أن يخوفهم إذا خالفوه. و يقول لهم «أَ فَلا تَتَّقُونَ» عذاب اللَّه، و إهلاكه بارتكاب معاصيه، فموضع (أن) من الاعراب نصب. و تقديره بأن اعبدوا اللَّه، فلما حذفت الباء نصب ب (أرسلنا).

و قوله «وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ» يعنى- الاشراف، و وجوههم- قالوا لغيرهم «الَّذِينَ كَفَرُوا» باللَّه و كذبوا بآياته و حججه و بيناته، و جحدوا «وَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَةِ» و البعث و النشور يوم القيامة. و قوله «وَ أَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» و الإتراف التنعم بضروب الملاذ، و ذلك أن التنعيم قد يكون بنعيم العيش، و قد يكون بنعيم الملبس، فالاتراف بنعيم العيش قال الراجز:

و قد أرانى بالديار مترفاً

و قوله «ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» أى ليس هذا الذى يدعى النبوة من قبل اللَّه إلا بشراً مثلكم «يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ» من الاطعمة «وَ يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ» من الاشربة. ثم قالوا لهم «لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ» و على هيئتكم و أحوالكم «إِنَّكُمْ التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۶۶
إِذاً لَخاسِرُونَ»

فجعلوا اتباع الرسول خسرانا، لأنه بشر مثلهم، و لم يجعلوا عبادة الصنم خسراناً، لأنه جسم مثلهم، و هذا مناقضة ظاهرة.

ثم حكى انهم قالوا لغيرهم «أَ يَعِدُكُمْ» هذا الذى يدعى النبوة من قبل اللَّه «أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً» و رفاتاً «أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ» و قيل فى خبر (ان) الاول قولان:

أحدهما- انه قوله (مخرجون) و تكون الثانية للتأكيد.

و الثاني- ان يكون الخبر الجملة، و تقديره: أ يعدكم انكم إذا متم و كنتم ترابا و عظاما إخراجكم. و نظير تكرير (ان) قوله «أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ» «۱» يعنى فله نار جهنم- ذكره الزجاج- إلا ان هذه الثانية عملت فى غير ما عملت فيه الأولى. و إنما هى بمنزلة المكرر فى المعنى. و موضع «انكم» الأولى نصب، و تقديره: أ يعدكم بأنكم. و موضع (ان) الثانية كموضع الأولى، و انما ذكرت تأكيداً، و المعنى: أ يعدكم أنكم تخرجون إذا متم، فلما بعد ما بين (ان) الأولى، و الثانية بقوله «إذا كنتم ترابا و عظاما» أعيد ذكر (أن).

ثم قالوا لهم «هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ» من البعث، و النشور، و الجزاء بالثواب و العقاب. و معنى «هيهات» بعد الأمر جداً حتى امتنع،

و هو بمنزلة (صه، و مه) إلا ان هذه الأصوات الأغلب عليها الأمر و النهى و هذا فى الخبر و نظيره (شتان) أى بعد ما بينهما جداً، و انما لم تتمكن هذه الأصوات فى الأسماء بخروجها إلى شبه الافعال التى هى معانيها، و ليست مع ذلك افعالا، لأنه لا يضمر فيها، و لا لها تصرف الأفعال فى أصلها، و انما جعلت هكذا، و للافهام بما تفهم به البهيمة من الزجر بالأصوات، على هذه الجملة. و قال ابن عباس: معنى (هيهات)

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ۶۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٦٧

بعيد بعيد. و العرب تقول: (هيهات) لما تبغى، و هيهات ما تبغى، قال جرير:

فهيهات هيهات العقيق و من به و هيهات وصل بالعقيق نواصله «١»

و يروى أيهات. و كان الكسائى: يقف بالهاء، فيقول: هيهاة، على قياس هاء التأنيث فى الواحد زائدة نحو (علقاة) و اختار الفراء الوقف بالتاء، لأن قبلها ساكناً، فصارت كما تقول: بنت و أخت. قال: و لأن من العرب من يخفض التاء، فدل ذلك على انها ليست بهاء التأنيث، و انما هى بمنزلة دراك، و نظار ماله. و من وقف بالهاء جعلها كالادارة و قال الزجاج: يجوز هيهات و هيهتاً و هيهاتاً بالتنوين، و ترك التنوين. قال الأخفش: يجوز فتح التاء و كسرها و منهم من يجعل بدل الهاء همزة، فيقول: أيهات، و هى لغة تميم، غير انهم يكسرون التاء. و من العرب من إذا جعلها فى موضع اسم. قال: لم أره مذ أيهات من النهار- بضم التاء- و تنوينها.

و منهم من يجعل مكان التاء نوناً، فيقول: ايهان واحدها أيها، قال الشاعر:

و من دونى الاعيار و القيع كله و كتمان أيهاناً أشت و أبعدا «٢»

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (٢٣): الآيات ٣٧ الى ۴٠] ..... ص : ٣۶٧

إِنْ هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَ ما نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِما كَذَّبُونِ (٣٩) قالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ (۴٠)

أربع آيات بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى عن الملأ الذين قالوا «هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ» لقومهم

---

(١) ديوانه ٣٨۵ «دار بيروت»

(٢) تفسير القرطبى ١٢/ ١٢٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣۶٨

الذين أغووهم، و قالوا أيضاً ليست الحياة «إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ» أى لسنا نبعث يوم القيامة على ما يقول هذا المدعى للنبوة من قبل اللَّه.

و معنى «نَمُوتُ وَ نَحْيا» أى يموت منا قوم و يحيا قوم، لأنهم لم يكونوا يقرون بالنشأة الثانية، فلذلك قالوه على هذا الوجه، و شبههم فى انكار البعث طول المدة فى القرون الخالية، فظنوا أنه ابداً على تلك الصفة، و هذا أبلغ، لأنه إذا اقتضت الحكمة طول المدة لما فى ذلك من المصلحة للمكلفين، فلا بد منه، لأن الحكيم لا يخالف مقتضى الحكمة، فقال النبى المرسل عند ذلك يا «رَبِّ انْصُرْنِي بِما كَذَّبُونِ» أى أهلك هؤلاء جزاء على تكذيبى و نصرة لى، و معونة على صحة قولى. فقال اللَّه تعالى له «عَمَّا قَلِيلٍ» أى عن قليل و (ما) زائدة «لَيُصْبِحُنَّ» هؤلاء القوم «نادِمِينَ» على ما فعلوه من تكذيب الرسل، و جحد وحدانية اللَّه، و الاشراك مع اللَّه فى عبادته غيره و

اللام فى قوله «ليصبحن» لام القسم يجوز أن يقدم ما بعدها عليها و تقدير الكلام: ليصبحن هؤلاء نادمين عن قليل.

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۴۱ الى ۴۶] ..... ص : ۳۶۸

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۴۱) ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ (۴۲) ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ (۴۳) ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَ جَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ (۴۴)
ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى وَ أَخاهُ هارُونَ بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ (۴۵)
إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً عالِينَ (۴۶)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۶۹

ست آيات فى الكوفى و البصرى، و سبع فى المدنيين، عدوا قوله «ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى وَ أَخاهُ هارُونَ» آية.

لما قال اللَّه تعالى لصالح (ع) انه عما قليل يصبح هؤلاء الكفار نادمين، على ما فعلوا. حكى اللَّه أنهم «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ» و الصيحة الصوت الشديد الذى يفزع منها، فأهلك اللَّه تعالى (ثمود) بالصيحة و هى صيحة تصدعت منها القلوب.

و قوله «بالحق» معناه على وجه الحق، و هو أخذهم بالعذاب من أجل ظلمهم، بإذن ربهم و هو وجه الحق. و لو أخذوا بغير هذا، لكان أخذاً بالباطل، و هو كأخذ كل واحد بذنب غيره.

و قوله «فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً» فالغثاء القش الذى يجىء به السيل على رأس الماء:

قصب و حشيش و عيدان شجر و غير ذلك. و قيل: الغثاء البالى من ورق الشجر، إذا جرى السيل رأيته مخالطاً زبده. و قوله «فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ» معناه بعداً لهم من الرحمة، و هى كاللعنة التى هى ابعاد من رحمة اللَّه، و قالوا فى الدعاء على الشىء: بعداً له، و لم يقولوا فى الدعاء له قرباً له أى من الرحمة لأنهم طلبوا الانغماس فى الرحمة، فتركوا التقابل لهذه العلة. و قال ابن عباس و مجاهد. و قتادة: الغثاء المتفتت البالى من الشجر يحمله السيل. و قيل: ان اللَّه بعث ملكاً صاح بهم صيحة ماتوا عندها عن آخرهم.

ثم اخبر تعالى فقال «وَ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ» يعنى بعد هؤلاء الذين أهلكهم بالصيحة «قرونا» أى أمماً «آخرين» و اخبر انه «ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ» و هذا وعيد لهؤلاء المشركين، و معناه إن كل أمة لها أجل و وقت التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۷۰
مقدر قدره اللَّه لها إذا بلغته لا تؤخر عنه و لا تقدم عليه، بل تهلك عنده. و الأجل:

هو الوقت المضروب لحدوث أمر من الأمور، و ليس الأجل الوقت المعلوم أنه يحدث فيه أمر من الأمور، لان التأجيل فعل يكون به الوقت أجلا لأمر، و ما فى المعلوم ليس بفعل. و الأجل المحتوم لا يتأخر و لا يتقدم. و الأجل المشروط بحسب الشرط.

و المعنى فى الأجل المذكور- فى الآية- الأجل المحتوم.

ثم اخبر تعالى انه أرسل بعد ان أهلك من ذكره (رسلا تترا) و قرأ ابن كثير و أبو عمرو بالتنوين. الباقون بغير تنوين، و لا خلاف فى الوقف انه بألف.

فمن نون لم يمل فى الوقف، و من لم ينون فمنهم من يميل، و منهم من لا يميل. و المواترة المتابعة. و قيل: هى المواصلة يقال: واترت بين الخبرين أى تابعت بينهما. و قال ابن عباس و مجاهد، و ابن زيد: معنى «تترا» أى متواترين يتبع بعضهم بعضاً، و هى (فعلى) من المواترة فمن صرفها جعل الألف للإلحاق، و من لم يصرفها جعلها للتأنيث، و يقال: جاءت كتبه تترى. و أصل (تترى، و ترى) من و ترت، فقلبت الواو تاء لكراهتهم الواو أولاـ حتى لم يزيدوها هناك البتة مع شبهها بالتاء فى اتساع المخرج، و القرب فى الموضع. و أصله فى المعنى الاتصال، فمنه الوتر الفرد عن الجمع المتصل، و منه الوتر لاتصاله بمكانه من القوس. و منه و ترت الرجل أى قطعته بعد اتصال.

ثم اخبر تعالى انه «كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها» الذى بعثه اللَّه اليهم «كذبوه» و لم يقروا بنبوته.

و قوله «فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً» يعنى فى الإهلاك أى إهلاكنا قوماً بعد قوم «وَ جَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ» يتحدثون بهم على وجه المثل فى الشر، و هو جمع احدوثة.

و لا يقال فى الخير لأن الناس يفسرون فى الحديث بأسباب الشر أكثر و أغلب.

ثم قال تعالى «فبعدا» من رحمة اللَّه و رسوله «لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ» أى التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۷۱

لا يصدقون بوحدانيته فيقرون بالبعث و النشور و الجزاء.

ثم اخبر تعالى انه أرسل- بعد إهلاك من ذكره- «مُوسى وَ هارُونَ» نبيين «بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ» بأدلة من اللَّه و حجج ظاهرة «إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ» يعنى قومه «فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً عالِينَ» و الملأ الجماعة التى تملأ الصدر هيبتهم، و هم أشراف القوم و رؤساؤهم، و خصوا بالذكر، لأن من دونهم أتباع لهم. فلما استكبروا و ردوا دعوة الحق تبعهم غيرهم ممن هو دونهم. و قوله «فَاسْتَكْبَرُوا» اى تكبروا و تجبروا عن الاجابة لهما، و طلبوا بذلك الكبر، فكل مستكبر من العباد جاهل، لأنه يطلب أن يعظم بما فوق العبد، و هو عبد اللَّه مملوك يلزمه التذلل له و الخضوع، فهى صفة ذمّ للعبد، و كذلك جبار و متجبر، و هو مدح فى صفات اللَّه تعالى، لان صفته تجل عن صفات المخلوقين، و تعلو فوق كل صفة.

و قوله «وَ كانُوا قَوْماً عالِينَ» أى كانوا قاهرين للناس بالبغى و التطاول عليهم و لهذا كانت صفة ذم. و العالى القاهر القادر الذى مقدوره فوق مقدور غيره لعظمه يقال: علا فلان إذا ترفع و طغا و تجاوز، و منه قوله «أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ» «۱» و قوله «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ» «۲» و قوله «قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلى «۳» أى من علا على صاحبه و قهره بالحجة.

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۴۷ الى ۵۰] ..... ص : ۳۷۱

فَقالُوا أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا وَ قَوْمُهُما لَنا عابِدُونَ (۴۷) فَكَذَّبُوهُما فَكانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (۴۸) وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (۴۹) وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً وَ آوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَ مَعِينٍ (۵۰)

---

(۱) سورة ۲۷ النمل آية ۳۱

(۲) سورة ۲۸ القصص آية ۴

(۳) سورة ۲۰ طه آية ۶۴ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۷۲

أربع آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى حكاية عن فرعون و قومه بعد ما أخبر عنهم بالاستكبار، و العلو على موسى و هارون، و ترك اجابتهما انهم «فَقالُوا أَ نُؤْمِنُ» أى نصدق «لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا» أى إنسانين خلقهم مثل خلقنا، و سمى الإنسان بشراً، لانكشاف بشرته، و هى جلدته الظاهرة، حتى احتاج الى لباس يكنه، لأن غيره من الحيوان مغطى البشرة بريش أو صوف أو شعر أو وبر أو صدف، لطفاً من اللَّه تعالى لهم إذا لم يكن هناك عقل يدبر أمره مع حاجته الى ما يكنه. و هدى الإنسان الى ما يستغنى به فى هذا الباب. و قوله «وَ قَوْمُهُما لَنا عابِدُونَ» معناه انهم لنا مطيعون طاعة العبد لمولاه. و قال قوم: معناه إنهم يذلون لنا و يخضعون. و قال ابو عبيدة: كل من دان لملك، فهو عابد له، و منه سمى أهل الحيرة العباد، لأنهم كانوا يطيعون ملوك العجم. قال الحسن: كان بنوا إسرائيل يعبدون فرعون و فرعون يعبد الأوثان.

ثم اخبر عنهم انهم كذبوا موسى و هارون، فكان عاقبة تكذيبهما أن اهلكهم اللَّه و غرقهم. و الإهلاك إلقاء الشيء بحيث لا يحس به، فهؤلاء هلكوا بالعذاب و يقال للميت: هالك من هذا المعنى.

ثم اقسم تعالى انه آتى موسى الكتاب يعنى التوراة التى فيها ما يحتاجون اليه لكى يهتدوا إلى طريق الحق، من معرفة اللَّه و خلع

الأنداد.

و قوله «وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً» معناه جعلناهما حجة، على أنه تعالى قادر على اختراع الأجسام من غير شىء، كما اخترع عيسى من غير أب. و الاية- هاهنا- فى عيسى (ع) أنه ولد من غير فحل، و نطق فى المهد. و فى أمه أنها حملته التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۷۳

من غير ذكر و برأها كلامه فى المهد من الفاحشة.

و قوله «وَ آوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَ مَعِينٍ» يقال: آوى اليه يأوى، و آواه غيره يؤويه إيواء أى جعله مأوى له. (و الربوة) المكان المرتفع على ما حوله، و يجوز ضم الراء و فتحها و كسرها، و بالفتح قرأ عاصم و ابن عامر. الباقون بالضم أيضاً.

و لم يقرأ احد بالجر. و يقال: رباوة بفتح الراء و كسرها و الف بعد الباء. فصار خمس لغات. و الربوة التى أويا اليها فى الرملة- فى قول أبى هريرة- و قال سعيد بن المسيب:

هى دمشق، و قال ابن زيد: هى مصر. و قال قتادة هى بيت المقدس. و قال ابو عبيدة:

يقال: فلان فى ربوة من قومه أى فى عز و شرف، و عدد. و قوله «ذات قرار» أى تلك الربوة لها ساحة و سعة أسفل منها. و «ذات معين» أى ماء جار، ظاهر بينهم. و قيل: معنى «ذات قرار» ذات استواء يستقر عليه. و معين ماء جار ظاهر للعيون- فى قول سعيد و الضحاك- و قال قتادة «ذات قرار» ذات ثمار، ذهب إلى انه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها. و معين (مفعول) من عنته أعينه، و يجوز أن يكون (فعيلا) من معن يمعن، و هو الماعون، و هو الشىء القليل- فى قول الزجاج- قال الراعى:

قوم على الإسلام لما يمنعوا ما عونهم و يبدلوا التنزيلا

قيل معناه وفدهم. و قيل: زكاتهم. و أمعن فى كذا إذا لم يترك منه إلا القليل. و قال الفراء: المعن الاستقامة. قال عبيد بن الأبرص:

واهية او معين ممعن أو هضبة دونها لهوب «۱»

واحدها لهب، و هو شق فى الجبل، واهية أى وهت. و مطر ممعن أى مار.

---

(۱) ديوانه «دار بيروت» ۲۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۷۴

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۵۱ الى ۵۶] ..... ص : ۳۷۴

يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَ اعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (۵۱) وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (۵۲) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (۵۳) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (۵۴) أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ (۵۵)

نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ (۵۶)

ست آيات.

قرأ اهل الكوفة و ابن عامر (و إن) بكسر الهمزة، و خفف ابن عامر النون و سكنها. و قرأ الباقون بفتح الهمزة مشددة النون.

قال قوم: هذا خطاب لعيسى (ع) حكاه اللّه تعالى، قالوا: و ذلك لما جرى ذكره كأنه قال: يا عيسى «كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ» و قال: آخرون: هو خطاب للنبى (ص) خاصة خاطبه بلفظ الجمع، كما يقال للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عنا.

و قال قوم: لما ذكر بعض الأنبياء، كأنه قال: و قلنا لهم «يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ» و الأكل تناول الطعام بالفم، و مضغه و ابتلاعه. و صورة «كلوا» صورة الأمر، و المراد به الاباحة. و أصل «كلوا» اؤكلوا، فحذفت الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال. و المعنى مفهوم، لأنه

من الاكل. و (الطيبات) الحلال، و قيل: هو المستلذ. فعلى الوجه الأول يكون أمراً بنفل، لأن تقديره كلوا من الحلال على الوجه الذى يستحق به الحمد. و على الثانى يكون على الاباحة، كما قال التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۷۵

تعالى «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ» «۱».

و قوله «وَ اعْمَلُوا صالِحاً» أمر من اللّه لهم بأن يعملوا الطاعات، واجباتها و نوافلها. و الصلاح الاستقامة، على ما تدعو اليه الحكمة. و قال قوم: انما هذا حكاية لما قيل لجميع الرسل. و هو الوجه. و قال آخرون: المعنى و قلنا لعيسى «يا أَيُّهَا الرُّسُلُ» على الجمع على ما ذكرناه من المثال.

و قوله «وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ» موضع (ان) نصب، لان تقديره، و لان (هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) أى لهذه فاتقون. و قيل: موضعه الجر بالعطف على (بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ). و من كسر الهمزة استأنف الكلام. و معنى الأمة- هاهنا- الملة سماها بذلك للإجماع عليها بأمر اللّه. و قال الحسن و ابن جريج: معنى (وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً) أى دينكم دين واحد. و قيل: جماعتكم جماعة واحدة فى الشريعة التى نصبها اللّه لكم. و نصب (أُمَّةً واحِدَةً) على الحال. و قال الجبائى:

معناه (وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً) فى أنهم عبيد اللّه، و خلقه و تدبيره.

و قوله (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً) فالزبر الكتب- فى قول الحسن و قتادة و مجاهد و ابن زيد- و هو جمع زبور، كرسول و رسل. و المعنى تفرقوا كتباً دانوا بها، و كفروا بما سواها، كاليهود دانوا بالتوراة و كفروا بالإنجيل، و القرآن.

و كالنصارى دانوا بالإنجيل و كفروا بالقرآن. و من قرأ (زبراً) بفتح الباء، و هو ابن عامر فمعناها جماعات، لأنه جمع زبرة، و زبر، كبرمة و برم.

و قوله (كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) أى كل طائفة بما عندها تفرح لاعتقادها بأن الحق معها. فقال اللّه تعالى لنبيه (فذرهم) يا محمد (فى غمرتهم) أى جهلهم و ضلالتهم. و قيل: فى حيرتهم. و قيل: فى غفلتهم. و المعانى متقاربة (حتى حين)

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۳۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۷۶

أى حين وقت الموت. و قيل: حين العذاب.

ثم قال تعالى منكراً عليهم (أ يحسبون) أى يظنون هؤلاء الكفار (أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ) تمام الكلام أحد شيئين:

أحدهما- أ يحسبون ان الذى نمدهم به من اجل ما لهم و بنيهم، بل إنما نفعل ذلك لما فيه من المصلحة.

و الثانى- أن يكون فيه حذف، و تقديره أ يحسبون أن الذى نمدهم به من المال و البنين حق لهم أو لكرامتهم عندنا، لا، بل نفعل ذلك لما فيه من المصلحة التى ذكرناها، و يكون قوله (نُسارِعُ لَهُمْ فِی الْخَيْراتِ) ابتداء كلام، و لا يجوز أن يكون الإنكار وقع لظنهم ان ذلك مسارعة لهم فى الخيرات، لأنه تعالى قد سارع لهم فى الخيرات، بما فعل بهم من الأموال و البنين، لما لهم فى ذلك من اللطف و المصلحة. و الغرض فى ذلك ان يعرفوا اللّه و يؤدوا حقوقه (بل لا يشعرون) أى و هم لا يشعرون بذلك، و لا يفهمونه لتفريطهم فى ذلك.

و المسارعة تقديم العمل فى أوقاته التى تدعو الحكمة الى وقوعه فيه، و هى سرعة العمل. و مثله المبادرة. و انما بنى على (مفاعلة) لان الفعل كأنه يسابق فعلا آخر.

و الخيرات المنافع التى يعظم شأنها، و نقيضها الشرور. و هى المضار التى يشتد أمرها.

و الشعور العلم الذى يدق معلومه، و فهمه على صاحبه دقة الشعر. و قيل: هو العلم من جهة المشاعر، و هى الحواس، و لهذا لا يوصف اللّه تعالى به. و قيل: نسارع لهم فى الخيرات أى نقدم لهم ثواب أعمالهم لرضانا عنهم، و محبتنا إياهم، كلا، ليس الأمر كذلك، بل

نفعله ابتلاء فى التعبد لهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۷۷

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۵۷ الى ۶۱] ..... ص : ۳۷۷

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (۵۷) وَ الَّذِينَ هُمْ بِآياتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (۵۸) وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (۵۹) وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ (۶۰) أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ هُمْ لَها سابِقُونَ (۶۱)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ) اى خوفاً من عقابه (مشفقون) و الخشية ظن لحوق المضرة. و مثلها المخافة، و نقيضها الأمنة، فالخشية انزعاج النفس بتوهم المضرة، و الظن كذلك يزعج النفس، فيسمى باسمه على طريق البلاغة، و الخشية من اللَّه خشية من عقابه و سخطه على معاصيه، (وَ الَّذِينَ هُمْ بِآياتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ) و بحججه من القرآن و غيره يصدقون (وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ) أى لا- يشركون بعبادة اللَّه غيره، من الأصنام و الأوثان، لان خصال الايمان لا تتم إلا بترك الاشراك دون ما يقول أهل الجاهلية إنا نؤمن باللَّه.

و قوله (وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا) اى يعطون ما اعطوا، من الزكاة و الصدقة، و ينفقونه فى طاعة اللَّه (وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) أى خائفة من عقاب اللَّه لتفريط يقع منهم.

قال الحسن: المؤمن جمع إحساناً و شفقة. و قال ابن عمر: ما آتوا من الزكاة (وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) أى خائفة (أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ) اى يخافون من رجوعهم الى اللَّه التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۷۸

يوم القيامة، و الى مجازاته اى يخافون ذلك، لأنهم لا يأمنون التفريط. ثم أخبر عمن جمع هذه الصفات و كملت فيه، فقال (أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ) أى يبادرون الى الطاعات، و يسارعون اليها: من الايمان باللَّه و يجتهدون فى السبق اليها رغبة فيها و لعلهم بما لهم بها من حسن الجزاء. و قوله (وَ هُمْ لَها سابِقُونَ) قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

أحدها- قال ابن عباس انهم: سبقت لهم السعادة.

الثانى- و هم من اجل تلك الخيرات سابقون الى الجنة.

الثالث- و هم الى الخيرات سابقون.

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۶۲ الى ۶۷] ..... ص : ۳۷۸

وَ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها وَ لَدَيْنا كِتابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (۶۲) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هذا وَ لَهُمْ أَعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلِكَ هُمْ لَها عامِلُونَ (۶۳) حَتَّى إِذا أَخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذابِ إِذا هُمْ يَجْأَرُونَ (۶۴) لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ (۶۵) قَدْ كانَتْ آياتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ (۶۶)

مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سامِراً تَهْجُرُونَ (۶۷)

ست آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى مخبراً عن نفسه «لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» يعنى إلا على قدر طاقتها و قوتها، و مثله قوله تعالى «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» «۱» و الوسع

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۸۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٧، ص: ٣٧٩

الحال التى يتسع بها السبيل الى الفعل. و قيل: إن الوسع دون الطاقة. و التكليف تحميل ما فيه المشقة بالأمر و النهى و الاعلام، و هو مأخوذ من الكلفة فى الفعل، و اللَّه تعالى مكلف عباده تعريضاً لهم للنفع الذى لا يحسن الابتداء بمثله، و هو الثواب.

و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة: فى تكليف ما لا يطاق، لأنه لو كلف ما لا يطيقه العبد لكان قد كلفه ما ليس فى وسعه. و الآية تمنع من ذلك.

و قوله «وَ لَدَيْنا كِتابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ» يريد الكتاب الذى فيه اعمال العباد مكتوبة من الطاعة و المعصية تكتبه عليه الملائكة الموكلون به كما قال «ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» «١» ثم أخبر تعالى «انهم لا يظلمون» أى لا يؤاخذون بما لا يفعلونه و لا ينقصون عما استحقوه.

ثم اخبر تعالى فقال «بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هذا» اى فى غفلة من هذا اليوم، و هذه المجازاة. و قال الحسن: معناه فى حيرة. و هذا اخبار منه تعالى بما يكون منهم فى المستقبل من الاعمال القبيحة، زائدة على ما ذكره و حكاه أنه فعلهم «وَ لَهُمْ أَعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلِكَ هُمْ لَها عامِلُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال قتادة و ابو العالية- و فى رواية عن مجاهد- ان لهم خطايا من دون الحق.

و الثانى- قال الحسن و ابن زيد- و فى رواية عن مجاهد- ايضاً: أعمالا من دون ما هم عليه لا بد من ان يعملوها. و قوله «حَتَّى إِذا أَخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذابِ إِذا هُمْ يَجْأَرُونَ» فالمترف المتقلب فى لين العيش و نعومته. و منه قوله «وَ أَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» «٢» و (يجأرون) معناه يضجون، لشدة العذاب. و قال ابن عباس:

---

(١) سورة ٥٠ ق آية ١٨

(٢) سورة ٢٣ المؤمنون آية ٣٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٧، ص: ٣٨٠

يستغيثون. و قال مجاهد: كان ذلك بالسيوف يوم بدر، و الجؤار: رفع الصوت، كما يجأر الثور. قال الأعشى:

يراوح من صلوات المليك طوراً سجوداً و طوراً جؤارا «١»

و قيل معنى «يجأرون» يصرخون بالتوبة، فيقول اللَّه لهم «لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ» أى لا تصرخوا فى هذا اليوم «إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ» بقبول التوبة، و لا لكم من يدفع عنكم ما أفعله من العذاب. ثم يقول اللَّه تعالى لهم «قَدْ كانَتْ آياتِي» أى حججى و براهينى «تُتْلى عَلَيْكُمْ» من القرآن و غيره «فَكُنْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ» فالنكص الرجوع القهقرى و هو المشى على الأعقاب الى خلف، و هو أقبح مشية.

مثل شبه اللَّه به أقبح حال فى الاعراض عن الداعى الى الحق. و قال سيبويه: لأنه يمشى و لا يرى ما وراءه، فهو النكوص. و قال مجاهد: ينكصون معناه يستأخرون.

و قيل: يدبرون. و قوله «مستكبرين» نصب على الحال، و معناه «تنكصون» فى حال تكبركم عن الانقياد لحجج اللَّه، و الاجابة لأنبيائه. و قال ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتادة و الضحاك: «مستكبرين به» أى بحرم اللَّه أنه لا يظهر عليكم فيه أحد.

و قوله «سامِراً تَهْجُرُونَ» فالسامر الذى يحدث بالسمر ليلا، و منه السمرة و السمار، لان جميع ذلك من اللون الذى بين السواد و البياض. و قيل: السمر ظل القمر، و يقال له الفخت، و معنى «سامِراً» أى سماراً، فوضع الواحد موضع الجمع لأنه فى موضع المصدر، كما يقال قوموا قائماً أى قياماً قال الشاعر:

من دونهم إن جئتهم سمراً عزف القيان و مجلس غمر «٢»

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۸۴ و قد مر فى ۱/ ۲۶۳

(۲) اللسان (سمر). و تفسير الطبرى ۱۸/ ۲۶ و القرطبى ۱۲/ ۱۳۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۸۱

و كانوا يسمرون حول الكعبة بالليل. و قيل: انما وحد، لأنه فى موضع الوقت و تقديره لئلا تهجرون، و الهجر الكلام المرفوض، و هو المهجور منه، لأنه لا خير فيه. و النائم يهجر فى نومه أي يأتى بكلام مختلط لا فائدة فيه. و فى معنى تهجرون قولان:

أحدهما- تهجرون الحق بالاعراض عنه، فى قول ابن عباس.

الثاني- تقولون الهجر، و هو السيء من القول، فى قول سعيد بن جبير و مجاهد و ابن زيد.

و قرأ نافع وحده «تهجرون» بضم التاء أراد من الهجر، و هو الكلام السيء. الباقون بفتح التاء و ضم الجيم، على ما فسرناه، يقال: هجر يهجر هجراً إذا هذى.

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۶۸ الى ۷۰] ..... ص : ۳۸۱

أَ فَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جاءَهُمْ ما لَمْ يَأْتِ آباءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (۶۸) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (۶۹) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ (۷۰)

ثلاث آيات بلا خلاف يقول اللَّه تعالى منكراً على هؤلاء الكفار «أَ فَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ» الذى أتاهم به من القرآن و يتفكروا فيه، فيعلموا انه من قبل اللَّه، لعجز الجميع عن الإتيان بمثله.

و قوله «أَمْ جاءَهُمْ ما لَمْ يَأْتِ آباءَهُمُ الْأَوَّلِينَ» توبيخ لهم على انكار الدعوة من هذه الجهة، و مع ذلك، فقد جاءت الرسل الأمم قبلهم، متواترة، فهو عيب و خطأ من كل جهة «أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ» لكونه غريباً فيهم، فلا يعرفون صدقه، و لا أمانته التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۸۲

«فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ» لذلك؟! ثم اخبر تعالى أن النبى (ص) «جاءَهُمْ بِالْحَقِّ» من عند اللَّه «و أكثرهم» يعنى اكثر الناس «لِلْحَقِّ كارِهُونَ» أى يكرهونه بمجيئه بما ينافى عادتهم.

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۷۱ الى ۷۵] ..... ص : ۳۸۲

وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْناهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (۷۱) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَراجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (۷۲) وَ إِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۷۳) وَ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّراطِ لَناكِبُونَ (۷۴) وَ لَوْ رَحِمْناهُمْ وَ كَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ (۷۵)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو، و نافع، و عاصم «خرجاً» بلا ألف «فخراج» بألف. و قرأ حمزة و الكسائى «خراجاً فخراج» بالألف فيهما. و قرأ ابن عامر «خرجاً فخرج» بلا ألف فيهما.

معنى قوله «وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ» ان الحق لما كان يدعو الى الافعال الحسنة. و الاهواء تدعوا إلى الافعال القبيحة، فلو اتبع الحق داعى الهوى لدعاه الى قبيح الاعمال و الى ما فيه الفساد و الاختلاط، و لو جرى الامر على ذلك «لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ» و وجه فساد العالم بذلك: انه يوجب بطلان الادلة و امتناع الثقة بالمدلول عليه، و انه لا يؤمن وقوع الظلم، الذى لا ينصف منه، و تختلط التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۸۳

الأمور أقبح الاختلاط و لا يوثق بوعد، و لا وعيد، و لا يؤمن انقلاب عدل الحكيم. و هذا معنى عجيب. و قال قوم من المفسرين: إن

الحق- فی الآیـة- هو اللّه و التقدیر: و لو اتبع الحق أعنی الله أهواء هؤلاء الکفار، و فعل ما یریدونه لفسدت السـموات و الأرض. و قال الجبـائی: المعنی لو اتبع الحق- الـذی هو التوحیـد- أهواءهم فی الاشـراک معه معبوداً سواه، لوجب ان یکون ذلـک المعبود مثلا له و لصح بینهما الممانعة، فیؤدی ذلک الی الفساد، کما قال تعالی «لَوْ کانَ فِیهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا» «۱».

و الهوی میل النفس الی المشتهی من غیر داعی الحق، کما قال تعالی «وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَوی فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِیَ الْمَأْوی «۲»، فلا یجوز لاحـد أن یفعل شـیئاً لأنه یهواه. و لکن یفعله لأنه صواب، علی انه یهواه أو لأنه یهواه مع أنه صواب حسن جائز.

و قال ابو صالـح و ابن جریج: الحق هو اللّه، و قال الجبائی معنی «وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ» فیما یعتقدون من الآلهة «لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ» کقوله «لَوْ کانَ فِیهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا».

و قوله «بَلْ أَتَیْناهُمْ بِذِکْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِکْرِهِمْ مُعْرِضُونَ»، قال ابن عباس:

معنی الذکر البیان للحق. و قال غیره: الذکر الشرف. کقوله «وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ» «۳» و کل ذلک یراد به القرآن.

ثم قـال «أَمْ تَسْـأَلُهُمْ» یـا محمـد «خرجا» أی اجراً علی العمل- فی قول الحسن- و أصل الخرج و الخراج واحـد، و هو الغلـة التی تخرج علی سبیل الوظیفة منه.

و منه خراج الأـرض، و همـا مصـدران لاـ یجمعـان. ثم قـال «فَخَراجُ رَبِّکَ» أی أجر ربـک «خَیْرٌ وَ هُـوَ خَیْرُ الرَّازِقِینَ» یعنی اللّه خیر من یرزق. و فی ذلک دلالة علی أن

---

(۱) سورة ۲۱ الأنبیاء آیة ۲۲

(۲) سورة ۷۹ النازعات آیة ۴۱

(۳) سورة ۴۳ الزخرف آیة ۴۴

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۳۸۴

غیر اللّه قد یرزق باذنه، و لولا ذلک لم یجز (خَیْرُ الرَّازِقِینَ).

ثم قـال لنبیه محمـد (ص) (و انـک) یا محمـد (لتـدعوهم) أی هؤلاء الکفار (إِلی صِـراطٍ مُسْـتَقِیمٍ) من التوحیـد، و اخلاص العبادة، و العمـل بالشـریعة (وَ إِنَّ الَّذِینَ لاـ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) یعنی من لا یصـدقون بالبعث یوم القیامـة (عن الصـراط) صـراط الحق (لناکبون) أی عادلون عن دین الحق. و قال الجبائی: معناه لناکبون فی الآخرة عن طریق الجنة، بأخذهم یمنة و یسرة إلی النار.

ثم قـال تعـالی (وَ لَوْ رَحِمْنـاهُمْ) فی الاخرة و رددناهم الی دار الـدنیا، و کلفناهم فیها (لَلَجُّوا فِی طُغْیانِهِمْ یَعْمَهُونَ) کما قال (وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ) «۱» و قال ابن جریج یرید فی الدنیا أی (لَوْ رَحِمْناهُمْ وَ کَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ) و جوع و نحوه (لَلَجُّوا فِی طُغْیانِهِمْ) أی فی غوایتهم (یعمهون) أی یترددون.

قوله تعالی:[سورة المؤمنون (۲۳): الآیات ۷۶ الی ۸۰] ..... ص : ۳۸۴

وَ لَقَدْ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ فَمَا اسْتَکانُوا لِرَبِّهِمْ وَ ما یَتَضَرَّعُونَ (۷۶) حَتَّی إِذا فَتَحْنا عَلَیْهِمْ باباً ذا عَذابٍ شَدِیدٍ إِذا هُمْ فِیهِ مُبْلِسُونَ (۷۷) وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِیلاً ما تَشْکُرُونَ (۷۸) وَ هُوَ الَّذِی ذَرَأَکُمْ فِی الْأَرْضِ وَ إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ (۷۹) وَ هُوَ الَّذِی یُحْیِی وَ یُمِیتُ وَ لَهُ اخْتِلافُ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۸۰)

خمس آیات.

یقول اللّه تعالی انا أخذنا هؤلاء الکفار الذین ذکرناهم بالعذاب. و قیل:

---

(۱) سورة ۶ الانعام آیة ۲۸

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۳۸۵

هو الجدب و ضیق الرزق، و القتل بالسیف (فَمَا اسْتَکانُوا لِرَبِّهِمْ) أی لم یذلوا عند هذه الشدائد، و لم یتضرعوا الیه، فیطلبوا کشف البلاء منه تعالی عنهم بالاستکانة له، و الاستکانة طلب السکون خوفاً من السطوة. یقال: استکان الرجل استکانة إذا ذل عند الشدة.

و قوله (حَتَّی إِذا فَتَحْنا عَلَیْهِمْ باباً ذا عَذابٍ شَدِیدٍ إِذا هُمْ فِیهِ مُبْلِسُونَ) فالفتح فرج الباب بطریق یمکن السلوک فیه، فکأنه فتح علیهم باباً أتاهم منه العذاب.

و قیل: ان ذلک حین

دعا النبی (ص) فقال: (اللهم سنین کسنی یوسف)

فجاعوا حتی أکلوا العلهز و هو الوبر بالدم فی قول مجاهد.

و قال ابن عباس: هو القتل یوم بدر. و قال الجبائی فتحنا علیهم باباً من عذاب جهنم فی الآخرة.

و الإبلاس الحیرة للیأس من الرحمة، یقال: أبلس فلان إبلاساً إذا بهت عند انقطاع الحجة.

و قوله (وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ) أی أوجدکم، و اخترعکم من غیر سبب «وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ» أی و خلق لکم السمع تسمعون به الأصوات و الأبصار تبصرون بها المرئیات و خلق لکم (الافئدة) و هو جمع فؤاد، و هو القلب (قَلِیلًا ما تَشْکُرُونَ) نصب (قلیلا) علی المصدر و (ما) صلة، و تقدیره تشکرون قلیلا لهذه النعم التی أنعم بها علیکم.

ثم قال (وَ هُوَ الَّذِی ذَرَأَکُمْ) ای خلقکم و أوجدکم (فِی الْأَرْضِ وَ إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ) یوم القیامة، فیجازیکم علی أعمالکم إما الثواب أو العقاب. و المراد إلی الموضع الذی یختص تعالی بالتصرف فیه، و لا یبقی لاحد هناک ملک. و قال الفراء:

و هو الذی خلق السماوات و الأرض أی اخترعهما، و انشأهما، و قدرهما علی ما فیهما التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۳۸۶

من انواع المخلوقات، لیدل بها علی توحیده و ألا إله سواه «وَ لَهُ اخْتِلافُ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ» ای له مرورهما یوماً بعد لیلة. و لیلة بعد یوم، کما یقال إذا اتی الرجل الدار مرة بعد مرة: هو یختلف الی هذه الدار. و قیل: معناه و له تدبیرهما بالزیادة و النقصان.

ثم قال (أ فلا تعقلون) فتفکرون فی جمیع ذلک، فتعلمون انه لا یستحق الالهیة سواه، و لا تحسن العبادة إلا له.

قوله تعالی:[سورة المؤمنون (۲۳): الآیات ۸۱ الی ۹۰] ..... ص : ۳۸۶

بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ الْأَوَّلُونَ (۸۱) قالُوا أَ إِذا مِتْنا وَ کُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (۸۲) لَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وَ آباؤُنا هذا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلَّا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ (۸۳) قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِیها إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۸۴) سَیَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَ فَلا تَذَکَّرُونَ (۸۵)

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِیمِ (۸۶) سَیَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ (۸۷) قُلْ مَنْ بِیَدِهِ مَلَکُوتُ کُلِّ شَیْءٍ وَ هُوَ یُجِیرُ وَ لا یُجارُ عَلَیْهِ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۸۸) سَیَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّی تُسْحَرُونَ (۸۹) بَلْ أَتَیْناهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ (۹۰)

عشر آیات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو «سیقولون اللَّه» فی الأخیرتین. الباقون «للّه» بغیر الف، التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۳۸۷

و لا خلاف فی الاولی أنها بغیر الف.

اخبر اللَّه تعالی حاکیاً عن الکفار ممن عاصر النبی (ص) أنهم لم یؤمنوا باللَّه و لم یصدقوا رسوله فی اخلاص العبادة له تعالی «بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ الْأَوَّلُونَ» أی مثل الذی قاله الکفار الأولون: من انکار البعث و النشور و الحساب و الجنة و النار، فأقوال هؤلاء مثل أقوال أولئک. و انما دخلت علیهم الشبهة فی انکار البعث، لأنهم لم یشاهدوا میتاً عاش، و لا جرت به العادة. و شاهدوا النشأة الاولی من میلاد من لم یکن موجوداً. و لو فکروا فی أن النشأة الأولی أعظم منه لعلموا أن من أنکره فقد جهل جهلا عظیماً، و ذهب عن الصواب

ذهاباً بعيداً، لان من قدر على اختراع الأجسام لا من شيء، قدر على إعادتها إلى الصفة التى كانت عليها، مع وجودها.

ثم حكى ما قال كل منهم، فإنهم قالوا منكرين «أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ» أى كيف نصير أحياء بعد أن صرنا تراباً و رمماً و عظاماً نخرة؟! ثم قالوا «لَقَدْ وُعِدْنا» بهذا الوعد «نَحْنُ وَ آباؤُنا» من قبل هذا الوعد، فلم نر لذلك صحة، و لا لهذا الوعد صدقاً، و ليس «هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى ما سطره الأولون مما لا حقيقة له، و انما يجرى مجرى حديث السمر الذى يكتب للاطراف به. و الأساطير هى الأحاديث المسطرة فى الكتب، واحدها أسطورة.

فقال اللَّه تعالى لنبيه (ص) «قل» يا محمد لهؤلاء المنكرين للبعث و النشور «لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيها» أى من يملك الأرض و يملك من فيها من العقلاء [و قوله «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» موافقة لهم فى دعواهم. ثم قال فى الجواب «سَيَقُولُونَ لِلَّهِ» أى سيقولون إن السموات و الأرض و من فيهما للَّه، لأنهم لم يكونوا يجحدون اللَّه.

و انما كذبوا الرسول. و قوله «قُلْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ» أى أ فلا تتفكرون فى مالكها.

و تتذكرون قدرته و انه لا يعجزه شيء عن إعادتكم بعد الموت، مرة ثانية كما انشأكم التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٨٨

أول مرة] «١» ثم قال له «قل» يا محمد لهم ايضاً «مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ» أى من مالكها و المتصرف فيها؟ و لولاه لبطل كل شيء سواه، لأنه لا يصح إلا مقدوره او مقدور مقدوره، فقوام كل ذلك به، و لا تستغنى عنه طرفة عين لأنها ترجع الى تدبيره على ما يشاء (عز و جل) و كذلك هو تعالى «رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» و انما وجب أن يكون رب السماوات و العرش، من حيث كانت هذه الأشياء جميعها محدثة، لا بد لها من محدث اختراعها و انشأها، و لا بد لها من مدبر يدبرها و يمسكها، و يصرفها على ما تتصرف عليه، و لا بد أن يختص بصفات: من كونه قادراً عالماً لنفسه ليتأتى منه جميع ذلك، على ما دبره. و لولا كونه على هذه الصفات، لما صح ذلك.

ثم اخبر أنهم يقولون فى الجواب عن ذلك رب السماوات و رب العرش هو «اللَّه» و من قرأ بلا ألف فمعناه انهم يقولون إنها «للَّه» فعند ذلك «قل» لهم «أَ فَلا تَتَّقُونَ» اللَّه، و لا تخافون عقابه على جحد توحيده و الاشراك فى عبادته؟! ثم أمره بان يقول لهم أيضاً «مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ» و الملكوت عظم الملك و وزنه (فعلوت) و هو من صفات المبالغة نحو (جبروت) و من كلامهم (رهبوت خير من رحموت) أى ترهب خير من ان ترحم. و قال مجاهد: ملكوت كل شيء خزائن كل شيء، و المعنى أنه قادر على كل شيء إذا صح أن يكون مقدوراً له.

و قوله «وَ هُوَ يُجِيرُ» معناه أنه يعيذ بالمنع من السوء، لما يشاء «وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ» أى لا يمكن منع من أراده بسوء منه. و قيل «هُوَ يُجِيرُ» من العذاب «وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ» منه. و الاجارة الاعاذة، و الجار المجير المعيذ: و هو الذى يمنعك و يؤمنك و من استجار باللَّه أعاذه، و من أعاذه اللَّه لم يصل اليه احد. فإنهم «سَيَقُولُونَ لِلَّهِ» الذى له

---

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٨٩

ملكوت كل شيء و هو يجير و لا يجار عليه. فقل لهم عند ذلك «فَأَنَّى تُسْحَرُونَ» و معناه كيف يخيل إليكم الحق باطلا، و الصحيح فاسداً، مع وضوح الحق و تمييزه عن الباطل. و من قرأ (اللَّه) بإثبات الالف، فلانه يطابق السؤال فى قوله (من رب السموات السبع و رب الأرض ... و من بيده ملكوت كل شيء) لان جواب ذلك على اللفظ أن يقولوا (اللَّه). و من قرأ «للَّه» بإسقاط الالف، حمله على المعنى دون اللفظ، كقول القائل لمملوك: من مولاك؟ فيقول انا لفلان، و انشد الفراء لبعض بنى عامر:

و اعلم اننى سأكون رمساً إذا سار النواعج لا يسير

فقال السائلون لمن حفرتم فقال المخبرون لهم وزير «١»

لأنه بمنزلة من قال: من الميت؟ فقالوا له: وزير، و ذكر أنها فى مصاحف أهل الأمصار بغير الف، و مصحف أهل البصرة فإنها بالف. «۲» فأما الاولى فلا خلاف أنها بلا ألف لمطابقة السؤال فى قوله (قل لمن الأرض) و الجواب يقتضى أن يقولوا: لله. و إنما أخبر الله تعالى عنهم، بأنهم يقولون فى جواب السؤال: للّه، لأنهم لو أحالوا على غير اللّه فى انه مالك السموات و الأرض، و أن غيره بيده ملكوت كل شىء و أن غيره رب السموات السبع، و رب العرش العظيم، لظهر كذبهم. و لعلم كل احد بطلان قولهم، لظهور الأمر فى ذلك. و قربه من دلائل العقول.

و قوله (فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) أى كيف تعمهون عن هذا، و تصدون عنه، من قولهم: سحرت أعيننا عن ذلك، فلم نبصره. و قيل معنى ذلك: فأنى تخدعون، كقول امرئ القيس:

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۸/ ۳۲

(۲) و فى المخطوطة (فى مصاحف اهل الشام بغير الف و فى مصاحف أهل الأمصار بالألف) [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۹۰

و نسحر بالطعام و بالشراب «۱»

أى نخدع. و قيل معناه أنى تصرفون، يقال: ما سحرك عن هذا الامر أى ما صرفك عنه. ثم أخبر تعالى أنه أتى هؤلاء الكفار بالحق الواضح: من توحيد الله و صفاته و خلع الأنداد دونه و أنه يبعث الخلق بعد موتهم، و يجازيهم على طاعاتهم بالثواب، و على معاصيهم بالعقاب، و ان الكفار كاذبون فيما يخبرون بخلافه. قال المبرد: معنى (أنى) كيف، و من أين.

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۹۱ الى ۹۵] ..... ص : ۳۹۰

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (۹۱) عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (۹۲) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي ما يُوعَدُونَ (۹۳) رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۹۴) وَ إِنَّا عَلى أَنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرُونَ (۹۵)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ (عالم الغيب) بالجر ابن كثير و أبو عمرو، و ابن عامر و حفص عن عاصم. الباقون بالرفع. من جر رده على قوله (سبحان الله ... عالم الغيب) فجعله صفة لله.

و من رفعه، فعلى تقدير هو (عالم الغيب).

يقول الله تعالى مخبراً أنه لم يتخذ ولداً اى لم يجعل ولد غيره ولد نفسه، لاستحالة ذلك عليه، لأنه محال أن يكون له ولد، فلا يجوز التشبيه بما هو مستحيل ممتنع

---

(۱) مر تخريجه فى ۱/ ۳۷۲ و ۵/ ۲۶۸ و ۶/ ۴۸۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۹۱

إلا على النفى و التبعيد. و اتخاذ الولد: أن يجعل الجاعل ولد غيره يقوم مقام ولده لو كان له. و كذلك التبنى إنما هو جعل الجاعل ابن غيره يقوم مقام ابنه الذى يصح أن يكون ولداً له. و لذلك لا يقال: تبنى شاب شيخاً، و لا تبنى الإنسان بهيمة، لما استحال ان يكون ذلك ولداً له. و لا يجوز أن يقال: اتخذه ولداً، إذا اختصه بضرب من المحبة، لأن فى ذلك إخراج الشىء عن حقيقته كما أن تسمية ما ليس بطويل عريض عميق جسماً إخراج له من حقيقته.

ثم اخبر انه كما لم يتخذ ولداً، لم يكن معه إله. و هذا جواب لمحذوف، و تقديره: لو كان معه إله آخر «إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ» و فيه إلزام لمن يعبد الأصنام. و قوله «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا» «۱» دليل عام فى نفى مساو للقديم فيما يقدر عليه من جميع الأجناس و المعانى. و معنى «إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ» أى لا نفرد به و لحوله من خلق غيره، لأنه لا يرضى أن يضاف خلقه و انعامه الى غيره.

فان قيل: لم لا يكون كل واحد منهم حكيماً، فلا يستعلى على حكيم غيره؟

قلنا: لأنه إذا كان جسماً و كل جسم محتاج، جاز منه أن يستعلى لحاجته، بل لا بد من أن يقع ذلك منه، لأنه ليس له مدبر يلطف له حتى يمتنع من القبيح الذى يحتاج اليه، كما يلطف الله لملائكته و أنبيائه بما فى معلومه انهم يصلحون به.

ثم نزه نفسه تعالى عن اتخاذ الولد و أن يكون معه إله غيره، فقال «سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ» من الاشراك معه، و اتخاذ الولد له.

و قوله «عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» فلذلك يأتى بالحق، و هم يأتون بالجهل. و يحتمل ان يكون معناه إن عالم الغيب و الشهادة لا يكون له شريك، لأنه أعلى من كل شيء

---

(۱) سورة ۲۱ أنبياء آية ۲۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۹۲

فى صفته. قال الحسن: هو ردّ لقول المشركين: الملائكة بنات الله. و قال الجبائى:

فى الآية دلالة على انه يجوز ان يدعو الإنسان بما يعلم انه يكون لا محالة و أن الله لا بد أن يفعله.

ثم قال تعالى (فَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ) أى تعاظم الله عن ان يشرك هؤلاء الكفار معه من الأصنام و الأوثان. ثم قال لنبيه (ص) (قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي ما يُوعَدُونَ) و معناه إن أريتنى ما وعد هؤلاء الكفار به من العذاب و الإهلاك. فقل يا (رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أى لا تجعلنى فى جملة من يشملهم العذاب بظلمهم، و تقديره: إن أنزلت بهم النقمة، فاجعلنى خارجاً منهم. فقال الله تعالى (وَ إِنَّا عَلى أَنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرُونَ) معناه إن ما وعدتهم به من العذاب و الإهلاك على كفرهم قادر عليه، لكنى لا أفعله و أؤخره الى يوم القيامة لما فى تأخيره من المصلحة.

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۹۶ الى ۱۰۰] ..... ص : ۳۹۲

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَ (۹۶) وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ (۹۷) وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (۹۸) حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (۹۹) لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (۱۰۰)

خمس آيات بلا خلاف.

امر الله تعالى نبيه (ص) أن يدفع السيئة من إساءة الكفار اليه بالتى هى أحسن التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۹۳

منها. و معنى ذلك انهم إذا ذكروا المنكر من القول- الشرك- ذكرت الحجة فى مقابلته و ذكرت الموعظة التى تصرف عنه الى ضده من الحق، على وجه التلطف فى الدعاء اليه، و الحث عليه، كقول القائل: هذا لا يجوز، و هذا خطأ، و عدول عن الحسن.

و أحسن منه أن يوصل بذكر الحجة و الموعظة كما بينا. و قال الحسن: «بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» الاغضاء و الصفح. و قيل: هو خطاب للنبى (ص) و المراد به الأمة، و المعنى ادفع الأفعال السيئة بالافعال الحسنة التى ذكرها.

و قوله «نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَ» معناه نحن اعلم منهم بما يستحقون به من الجزاء فى الوقت الذى يصلح الأخذ بالعقوبة إذا انقضى الأجل المضروب بالامهال. ثم قال له «قل» يا محمد، و ادع فقل يا «رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ» أى نزغاتهم و وساوسهم،

فمعنى (أعوذ) اعتصم باللَّه من شر الشياطين، فى كل ما يخاف من شره. و المعاذة هى التى يستدفع بها الشر، و الهمزات دفعهم بالإغواء الى المعاصى، و الهمز شدة الدفع. و منه الهمزة: الحرف الذى يخرج من أقصى الحلق باعتماد شديد.

و العياذ طلب الاعتصام من الشر «وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ» هؤلاء الشياطين فيوسوسون لى و يغوونى عن الحق.

و قوله «حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ» اخبار من اللَّه تعالى عن أحوال هؤلاء الكفار، و انه إذا حضر أحدهم الموت، و اشرف عليه سأل اللَّه عند ذلك و «قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ» أى ردنى الى دار التكليف «لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً» من الطاعات و أتلافى ما تركته.

و انما قال «رَبِّ ارْجِعُونِ» على لفظ الجمع لأحد أمرين:

أحدهما- انهم استعانوا أولا باللَّه، ثم رجعوا الى مسألة الملائكة بالرجوع الى التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۹۴

اللَّه- فى رواية ابن جريج.

و الثانى- انه جرى على تعظيم الذكر فى خطاب الواحد بلفظ الجمع لعظم القدر كما يقول ذلك المتكلم، قال اللَّه تعالى «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» «۱» و قال «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ» «۲» و ما جرى مجراه. و روى النضر بن سمأل قال: سئل الخليل عن قوله «رَبِّ ارْجِعُونِ» ففكر ثم قال: سألتمونى عن شيء لا أحسنه و لا أعرف معناه، و اللَّه أعلم، لأنه جمع، فاستحسن الناس منه ذلك.

فقال اللَّه تعالى فى الجواب عن سؤالهم «كلا» و هى كلمة ردع و زجر أى حقاً «إِنَّها كَلِمَةٌ» فالكناية عن الكلمة و التقدير: ان الكلمة التى قالوها «كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها» بلسانه. و ليس لها حقيقة، كما قال «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» «۳» و قوله «وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» فالبرزخ الحاجز- و هاهنا- هو الحاجز بين الموت و البعث- فى قول ابن زيد- و قال مجاهد: هو الحاجز بين الموت و الرجوع الى الدنيا.

و قال الضحاك: هو الحاجز بين الدنيا و الاخرة. و قيل البرزخ الامهال. و قيل: كل فصل بين شيئين برزخ.

و فى الآية دلالة على أن احداً لا يموت حتى يعرف اضطراراً منزلته عند الله و انه من أهل الثواب أو العقاب- فى قول الجبائى و غيره- و فيها دلالة أيضاً على انهم فى حال التكليف يقدرون على الطاعة بخلاف ما تقول المجبرة.

و معنى «وَ مِنْ وَرائِهِمْ» أى أمامهم و قدامهم، قال الشاعر:

أ يرجو بنو مروان سمعى و طاعتى و قومى تميم و الفلاة ورائيا

و معنى «يبعثون» يوم يحشرون للحساب و المجازاة، و أضيف الى الفعل لان ظرف الزمان يضاف الى الافعال.

(۱، ۲) سورة ۱۵ الحجر آية ۹، ۲۶

(۳) سورة ۶ الانعام آية ۲۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۳۹۵

قوله تعالى:[سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۱۰۱ الى ۱۰۵] ..... ص : ۳۹۵

فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ (۱۰۱) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۱۰۲) وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خالِدُونَ (۱۰۳) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَ هُمْ فِيها كالِحُونَ (۱۰۴) أَ لَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ (۱۰۵)

خمس آيات بلا خلاف.

قوله تعالى «فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ» ليوم الحشر و الجزاء و معنى نفخ الصور:

هو علامة لوقت اعادة الخلق. و فى تصورهم الاخبار عن تلك الحال صلاح لهم فى الدنيا، لأنهم على ما اعتادوه فى الدنيا من بوق

الرحيل و القدوم. و قال الحسن:

الصور جمع صورة أی إذا نفخ فيها الأرواح و أعيدت احياء. و قال قوم: هو قرن ينفخ فيه إسرافيل بالصوت العظيم الهائل، على ما وصفه الله. و قوله «فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ» اخبار منه تعالى عن هول ذلك اليوم، فإنهم لا يتواصلون هناك بالأنساب، و لا يحنون اليها، لشغل كل انسان بنفسه. و قيل معناه: انهم لا يتناسبون فی ذلك اليوم، ليعرف بعضهم بعضاً من أجل شغله بنفسه عن غيره.

و قال الحسن: معناه لا أنساب بينهم يتعاطفون بها، و إن كانت المعرفة بأنسابهم حاصلة بدلالة قوله «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ» «١» فاثبت انهم يعرفون أقاربهم و إن هربهم منهم لاشتغالهم بنفوسهم، و النسب هو إضافة الى

---

(١) سورة ٨٠ عبس آية ٣۴- ٣۶

التبيان فی تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٩۶

قرابة فی الولادة.

و قوله «وَ لا يَتَساءَلُونَ» معناه لا يسأل بعضهم بعضاً عن خبره و حاله، كما كانوا فی الدنيا، لشغل كل واحد منهم بنفسه. و قيل: لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه من ذنوبه شيئاً. و لا يناقض ذلك قوله «وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ» «١» لان هناك مواطن، فمنها ما يشغلهم من عظيم الأمر الذی ورد عليهم عن المساءلة، و منها حال يفيقون فيها فيتساءلون. و قال ابن عباس: قوله «فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ» يعنی النفخة الاولى التی يهلك عندها الخلق، فلا احد يبقى، و لا نسب هناك و لا تساؤل.

و قوله (وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ) فذلك عند دخولهم الجنة، فانه يسأل بعضهم بعضاً، و هو قول السدی.

و قوله «فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» اخبار منه تعالى أن من عظمت طاعاته و سلمت من الإحباط- فی قول من يقول بذلك- و من لا يقول بالإحباط فمعناه عندهم: إن من كثرت طاعاته، و هو غير مستحق للعقاب، فان أولئك هم المفلحون الفائزون.

«وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ» بأن يكون أحبطت طاعاته، لكثرة معاصيه. و من لا يقول بالإحباط، قال: معناه من لم يكن معه شیء من الطاعات و إنما معهم المعاصی، لان الميزان إذا لم يكن فيه شیء يوصف بالخفة، كما يوصف بالخفة إذا كان فيه شیء يسير فی مقابلته ما هو أضعافه، فان من هذه صورته (فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) لأنهم أهلكوا بالمعاصی التی استحقوا بها العقاب الدائم، و هم (فی جهنم) مؤبدون (خالدون).

و قال الحسن و الجبائی و غيرهما: هناك ميزان له كفتان و لسان. و اختلفوا:

---

(١) سورة ٣٧ الصافات آية ٢٧

التبيان فی تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٩٧

فمنهم من قال: يوزن بها صحف الأعمال. و قال بعضهم: يظهر فی احدى الكفتين النور، و فی الأخرى الظلمة، فأيهما رجح تبينت الملائكة المستحق للثواب من المستحق للعقاب. و قال قتادة و البلخی: الميزان عبارة عن معادلة الاعمال بالحق. و بيان أنه ليس هناك مجازفة و لا تفريط.

ثم اخبر تعالى بأن النار التی يجعلون فيها (تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ) و انهم فيها (كالحون) يقال: لفح و نفح بمعنى واحد، غير أن اللفح أعظم من النفح. و أشد تأثيراً، و هو ضرب من السموم للوجه، و النفخ ضرب الريح للوجه، و الكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تبدو الأسنان، قال الأعشى:

و له المقدم لا مثل له ساعة الشدق عن الناب كلح «١»

قوله تعالی:[سورة المؤمنون (۲۳): الآیات ۱۰۶ الی ۱۱۰] ..... ص : ۳۹۷

قالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَیْنا شِقْوَتُنا وَ کُنَّا قَوْماً ضالِّینَ (۱۰۶) رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ (۱۰۷) قالَ اخْسَؤُا فِیها وَ لا تُکَلِّمُونِ (۱۰۸) إِنَّهُ کانَ فَرِیقٌ مِنْ عِبادِی یَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَیْرُ الرَّاحِمِینَ (۱۰۹) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِیًّا حَتَّی أَنْسَوْکُمْ ذِکْرِی وَ کُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَکُونَ (۱۱۰)

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ اهل الکوفة إلا عاصماً (شقاوتنا) بإثبات الألف. الباقون (شقوتنا).

---

(۱) دیوانه (دار بیروت) ۴۰ و روایته «فی الحرب» بدل «لا مثل له»

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۳۹۸

و قرأ اهل الکوفة إلا عاصماً و نافع (سخریاً) بضم السین. الباقون بکسرها.

حکی اللَّه تعالی عن هؤلاء الکفار انهم یعترفون علی نفوسهم بالخطإ، و یقولون (رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَیْنا شِقْوَتُنا) و الشقوة المضرة اللاحقة فی العاقبة. و السعادة المنفعة اللاحقة فی العاقبة، و قد یقال لمن جعل فی الدنیا علی مضرة فادحة: شقی، من حیث أنه یؤدی الی أمر شدیدة، فالمعاصی شقوة، تؤدی الی العقاب الدائم. و یجوز أن یکون المراد بالشقوة العذاب الذی یفعل اللَّه بهم و یغلب علیهم.

و قوله «وَ کُنَّا قَوْماً ضالِّینَ» اعتراف منهم علی نفوسهم أنهم ضلوا عن الحق فی الدنیا و زمان التکلیف، و یسألون اللَّه تعالی فیقولون «رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها» أی من هذه النار «فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ» و لا یجوز أن یکونوا لو أخرجوا الی دار التکلیف لما عادوا، لان الشهوة العاجلة و الاغترار بالامهال بعود الیهم فلا یکونون ملجئین.

و قد قال اللَّه تعالی «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ» «۱». و قال الحسن: هو آخر کلام یتکلمون به أهل النار، فیقول اللَّه تعالی لهم فی جوابهم «اخْسَؤُا فِیها» یعنی فی النار «وَ لا تُکَلِّمُونِ» أی ابعدوا، بعد الکلب. و إذا قیل للکلب اخسأ، فهو زجر بمعنی ابعد بعد غیرک من الکلاب، و إذا خوطب به انسان، فهو إهانة له، و لا یکون ذلک إلا عقوبة، و خسأت فلاناً أخسأه خسأ، فهو خاسئ إذا أبعدته بمکروه، و منه قوله «کُونُوا قِرَدَةً خاسِئِینَ» «۲» و قوله «وَ لا تُکَلِّمُونِ» قیل فی معناه قولان:

أحدهما- ان ذلک علی وجه الغضب اللازم لهم، فذکر ذلک لیدل علی هذا المعنی، لان من لا یکلم اهانة له و غضباً، فقد بلغ به الغایة فی الاذلال.

و الثانی- و لا تکلمون فی رفع العذاب عنکم، فانی لا أرفعه عنکم، و لا افتره

---

(۱) سورة ۶ الانعام آیة ۲۸

(۲) سورة ۲ البقرة آیة ۶۵

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۳۹۹

و هو علی صیغة النهی، و لیس بنهی.

ثم یقول الله تعالی لهؤلاء الکفار علی وجه التهجین لهم و التوبیخ (انه کان فریق من عبادی) یعنی المؤمنین فی دار الدنیا (یَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَیْرُ الرَّاحِمِینَ) أی یدعون بهذه الدعوات، عبادة لله، و طلباً لما عنده من الثواب (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ) أنتم یا معشر الکفار (سخریا) ای کنتم تستهزؤن بهم و تسخرون منهم. و قیل (السخری) بضم السین من التسخیر و (السخری) بکسر السین من الهمزء. و قیل: هما لغتان. و قوله (حَتَّی أَنْسَوْکُمْ ذِکْرِی) معناه لتشاغلکم بالسخریة نسیتم ذکری (وَ کُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَکُونَ) فلذلک

نسب اليهم انهم انسوهم ذكر الله، لما كان بسببهم، و الاشغال باغوائهم نسوا ذكر الله.

قوله تعالى: [سورة المؤمنون (۲۳): الآيات ۱۱۱ الى ۱۱۸] ..... ص : ۳۹۹

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِما صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفائِزُونَ (۱۱۱) قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (۱۱۲) قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعادِّينَ (۱۱۳) قالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۱۱۴) أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ (۱۱۵)
فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (۱۱۶) وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ (۱۱۷) وَ قُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَ ارْحَمْ وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (۱۱۸)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۰۰

ثمان آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى و خارجة عن نافع «انهم هم الفائزون» بكسر الهمزة.

الباقون بفتحها. و قرأ ابن كثير «قل كم لبثتم» على الامر. الباقون «قال كم لبثتم» على الخبر. و قرأ حمزة و الكسائى «قل» فيهما على الأمر. الباقون «قال» فيهما على الخبر. و قرأ «ترجعون» بفتح التاء و كسر الجيم حمزة و الكسائى. الباقون بضم التاء و فتح الجيم.

اخبر اللَّه تعالى «إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ» يعنى المؤمنين الذين سخر منهم الكفار فى دار التكليف، و أكافيهم على صبرهم و مضضهم فى جنب اللَّه، على أقوال الكفار و هزؤهم بهم ب «أَنَّهُمْ هُمُ الْفائِزُونَ» و حذف الباء، و نصب الهمزة، و قيل: إنها فى موضع جر، و تقديره جزيتهم بفوزهم بالجنة. و قيل تقديره: لأنهم هم الفائزون.

و من خفض الهمزة فاستأنف، فالجزاء مقابلة العمل بما يستحق عليه من ثواب أو عقاب كما يقال: الناس مجزّيون بأعمالهم إن خيراً فخيراً، و إن شراً فشراً. و الصبر حبس النفس عما تنازع اليه مما لا يحسن، أو ليس بأولى، لان الصبر طاعة اللَّه لما وعد عليه من الجزاء، و الطاعة قد تكون فرضاً و قد تكون نفلا.

و قوله «اليوم» يريد به أيام الجزاء لا- يوماً بعينه، لأن اليوم هو ما بين طلوع الفجر الثانى الى غروب الشمس، و ليس المراد فى الآية ذلك.

قوله «قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ»، فمن قرأ «قال» فمعناه قال اللَّه لهم كم لبثتم. و من قرأ «قل» معناه قل لهم يا محمد، و اللبث هو المكث و هو حصول الشيء على الحال اكثر من وقت واحد، و اللابث هو الكائن على الصفة، على مرور الأوقات. و العدد عقد يظهر به مقدار المعدود، يقال: عده يعده عداً و عدداً، التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۰۱

فهو عاد. و الحساب هو إخراج المقدار فى الكمية و هى العدة، و هذا السؤال لهم على وجه التوبيخ لانكارهم البعث و النشور، فيقول اللَّه لهم إذا بعثهم (كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ) اى اين ما كنتم تنكرون من أجابت الرسل و ما جاءت به و تكذبون به.

و قوله (قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) فسأل العادين قال مجاهد: معناه فسأل العادين من الملائكة لأنهم يحصون أعمال العباد. و قال قتادة: العادين هم الحساب الذين يعدون الشهور و السنين، و لا يدل ذلك على بطلان عذاب القبر، لأنهم لم يكون و يعذبون كاملى العقول، و قد صح عذاب القبر بتضافر الاخبار عن النبى (ص) و اجماع الامة عليه- ذكره الرمانى- و لا يحتاج الى هذا، لأنه لا يجوز أن يعاقب اللَّه العصاة إلا و هم كاملوا العقول ليعلموا أن ذلك و اصل إليهم على وجه الاستحقاق.

و وجه اخبارهم بيوم او بعض يوم، هو الاخبار عن قصر المدة، و قلته، لما مضى لسرعة حصولهم فى ما توعدهم اللَّه تعالى، فيقول اللَّه تعالى فى الجواب (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا) اى لم تلبثوا إلا قليلا، و المراد ما قلناه من قصر المدة كما قال (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ) «۱» و كما قال (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) «۲» و كما قال (وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) «۳» و قال الحسن: معناه (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا) فى طول لبثكم فى النار، و القلة و الكثرة يتغيران بالاضافة، فقد يكون الشيء قليلا بالاضافة الى ما هو أكثر منه، و يكون كثيراً بالاضافة الى ما

هو أقل منه (لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) صحة ما أخبرناكم به.

ثم قال لهم (أ فحسبتم) معاشر الجاحدين للبعث و النشور (أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً) لا لغرض؟!! أی ظننتم، و الحسبان و الظن واحد، أی ظننتم انا خلقناكم لا لغرض،

---

(۱) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۱

(۲) سورة ۵۴ القمر آية ۱

(۳) سورة ۱۶ النحل آية ۷۷

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۰۲

و حسبتم (أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ) أی الی الحال التی لا يملك نفعكم و ضركم فيها إلا اللَّه، كما كنتم فی ابتداء خلقكم قبل أن يملك أحداً شيئاً من أمركم. ثم نزه تعالى نفسه عن كل دنس، و أخبر أنه (فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ) و معناه: علا معنى صفته، فوق كل صفة لغيره، فهو تعظيم للَّه تعالى بأن كل شیء سواه يصغر مقداره عن معنى صفته. (و الملك الحق) هو الذی يحق له الملك، بأنه ملك غير مملك، و كل ملك غيره، فملكه مستعار له، و انما يملك ما ملكه اللَّه، فكأنه لا يعتد بملكه فی ملك ربه، و الحق هو الشیء الذی من اعتقده كان على ما اعتقده، فاللَّه الحق، لأنه من اعتقد انه لا إله إلا هو، فقد اعتقد الشیء على ما هو به. و قوله (رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) أی خالقه، و وصفه العرش بأنه كريم تعظيم له بإتيان الخير من جهته، بما دبره اللَّه لعباده، و الكريم فی أصل اللغة القادر على التكرم من غير مانع.

ثم قال «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ» و معناه إن من دعا مع اللَّه إلهاً سواه لا يكون له على ذلك برهان و لا حجة، لأنه باطل، و لو دعا اللَّه ببرهان لكان محقاً، و اجرى على ذلك قوله «وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ» «۱» و قول الشاعر:

على لا حب لا يهتدی بمناره «۲»

و قوله «فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ» يعنی اللَّه الذی يبين له مقدار ما يستحقه من ثواب او عقاب. ثم اخبر تعالى بأنه «لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ» يعنی الجاحدين لنعم اللَّه، و المنكرين لتوحيده، و الدافعين للبعث و النشور. ثم امر نبيه (ص) فقال له «قل» يا محمد «رَبِّ اغْفِرْ وَ ارْحَمْ» أی اغفر الذنوب، و أنعم على خلقك.

«وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ» معناه أفضل من رحم و أنعم على غيره، و أكثرهم نعمة و أوسعهم فضلا.

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۲۱

(۲) انظر ۲/ ۳۵۶، ۴۲۳ و ۶/ ۲۱۳ [.....]

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۰۳

۲۴- سورة النور ..... ص : ۴۰۳

اشارة

مدنية بلا خلاف، و هی أربع و ستون آية فی البصری و الكوفی و اثنتان فی المدنيين.

[سورة النور (۲۴): آية ۱] ..... ص : ۴۰۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْناها وَ فَرَضْناها وَ أَنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۱)

آية واحد بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو (و فرضناها) بتشديد الراء. الباقون بتخفيفها.

و فسر ابو عمرو قراءته بمعنى فصلناها «۱» و بيناها بفرائض مختلفة، و التقدير هذه (سورة) لان النكرة لا يبتدأ بها. و قال غيره: معنى التشديد حددنا فيها الحلال و الحرام. و قال قتادة: معنى التشديد: قد بيناها. و قيل: معنى التشديد: جعلناها عليكم و على من بعدكم الى قيام الساعة.

و من خفف أراد من الفريضة أى فرض فيها الحلال و الحرام، و الفرض مأخوذ من فرض القوس و هو الحز الذى فيه الوتر، و الفرض ايضاً نزول القرآن قال

---

(۱) و فى بعض النسخ الخطية (فمعنى قراءة أبى عمرو: و فصلناها)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۰۴

اللَّه تعالى (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) «۱» أى انزل. و ارتفع (سورة) على تقدير هذه (سورة) إلا انه حذف على تقدير التوقع لما ينزل من القرآن. و السورة المنزلة الشريفة قال الشاعر:

ألم تر أن اللَّه أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب «۲»

فسميت السورة من القرآن بذلك لهذه العلة. و الفرض هو التقدير- فى اللغة- و فصل بينه و بين الواجب، بأن الفرض واجب بجعل جاعل، فرضه على صاحبه، كما انه أوجبه عليه، و الواجب قد يكون واجباً من غير جعل جاعل، كوجوب شكر المنعم، فجرى مجرى دلالة الفعل على الفاعل فى انه يدل من غير جعل جاعل كما تجعل العلامة الوضعية، إلا أن اللَّه تعالى لا يوجب على العبد الا ما له صفة الوجوب فى نفسه، كما لا يرغب الا فى ما هو مرغوب فى نفسه.

و قوله (أَنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) فمعنى (الآيات) الدلالات على ما يحتاج إلى علمه مما قد بينه اللَّه فى هذه السورة، و نبه على ذلك من شأنها لينظر فيه طالب العلم و يفوز ببغيته منه، و التقدير، و فرضنا فرائضها. و أضاف الفرائض الى السورة، و هى بعضها، لدلالة الكلام عليه، لأنها مفهومة منها و (بينات) معناه ظاهرات واضحات. و قوله (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) معناه لكى تذكروا الدلائل التى فيها، فتكون حاضرة لكم لتعملوا بموجبه و تلتزموا معانيه.

قوله تعالى:[سورة النور (۲۴): الآيات ۲ الى ۳] ..... ص : ۴۰۴

الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ وَ لا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۲) الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَ الزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَ حُرِّمَ ذلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (۳)

---

(۱) سورة ۲۸ القصص آية ۸۵

(۲) قائله النابغة الدنيايى ديوانه «دار بيروت» ۱۸ و قد مر فى ۱/ ۱۹، ۳/ ۳۶۶ من هذا الكتاب

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۰۵

آيتان بلا خلاف.

قرأ ابن كثير الا ابن فليح (رآفة) بفتح الهمزة على وزن (فعالة).

الباقون بسكونها، و هما لغتان فى المصدر، يقال: رأف رأفة مثل كرم كرماً. و قيل:

رآفة مثل سقم سقامة. و الرأفة رقة الرحمة.

أمر الله تعالى فى هذه الآية: أن يجلد الزانى، و الزانية إذا لم يكونا محصنين (كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ) و إذا كانا محصنين أو أحدهما، كان على المحصن الرجم بلا خلاف. و عندنا انه يجلد أولا مائة جلدة ثم يرجم، و فى أصحابنا من خص ذلك بالشيخ و الشيخة إذا زنيا و كانا محصنين، فأما إذا كانا شابين محصنين لم يكن عليهما غير الرجم، و هو قول مسروق. و فى ذلك خلاف ذكرناه فى خلاف الفقهاء.

و الإحصان الذى يوجب الرجم هو أن يكون له زوج يغدو اليه و يروح على وجه الدوام، و كان حراً. فأما العبد، فلا يكون محصناً، و كذلك الأمة لا تكون محصنة، و انما عليهما نصف الحد: خمسون جلدة، و الحر متى كان عنده زوجة يتمكن من وطئها مخلى بينه و بينها سواء كانت حرة او أمة، او كان عنده أمة يطؤها بملك اليمين، فانه متى زنا وجب عليه الرجم، و من كان غائباً عن زوجته شهراً فصاعداً أو كان محبوساً او هى محبوسة هذه المدة. فلا إحصان. و من كان محصناً على ما قدمناه ثم ماتت زوجته أو طلقها بطل احصانه. و فى جميع ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۰۶

فى الخلاف.

و الخطاب بهذه الآية و ان كان متوجهاً الى الجماعة، فالمراد به الأمة بلا خلاف، لأنه لا خلاف أنه ليس لاحد اقامة الحدود إلا للإمام أو من يوليه الامام.

و من خالف فيه لا يعتد بخلافه.

و الزنا هو وطؤ المرأة فى الفرج من غير عقد شرعى و لا شبهة عقد شرعى مع العلم بذلك أو غلبة الظن. و ليس كل وطئ حرام زناً، لأنه قد يطأ امرأته فى الحيض و النفاس، و هو حرام، و لا يكون زناً، و كذلك لو وجد امرأة على فراشه، فظنها زوجته او أمته فوطأها لم يكن ذلك زناً، لأنه شبهة.

و قوله «وَ لا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ» قال مجاهد و عطاء ابن أبى رياح و سعيد بن جبير و ابراهيم: معناه لا تمنعكم الرأفة و الرحمة من اقامة الحد. و قال الحسن و سعيد بن المسيب و عامر الشعبى و حماد: لا يمنعكم ذلك من الجلد الشديد. و (الرأفة) بسكون الهمزة. و الرآفة- بفتح الهمزة- مثل الكأبة و الكآبة، و السأمة و السآمة، و هما لغتان، و بفتح الهمزة قرأ ابن كثير على ما قدمناه.

و قوله «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» أى إن كنتم تصدقون بما وعد اللّه و توعد عليه، و تقرون بالبعث و النشور، فلا تأخذكم فى من ذكرناه الرأفة، و لا تمنعكم من اقامة الحد على ما ذكرناه، و قوله «وَ لْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» قال مجاهد و ابراهيم: الطائفة رجل واحد. و

عن أبى جعفر (ع) ان اقله رجل واحد.

و قال عكرمة:

الطائفة رجلان فصاعداً. و قال قتادة و الزهرى: هم ثلاثة فصاعداً. و قال ابن زيد:

اقله اربعة. و قال الجبائى: من زعم ان الطائفة اقل من ثلاثة فقد غلط من جهة اللغة، و من جهة المراد بالآية، من احتياطه بالشهادة، و قال: ليس لأحد ان يقيم الحد التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۰۷

إلا الأئمة و ولاتهم، و من خالف فيه فقد غلط، كما انه ليس للشاهد ان يقيم الحد.

و قد دخل المحصن فى حكم الآية بلا خلاف.

و كان سيبويه يذهب الى ان التأويل: فى ما فرض عليكم، الزانية و الزانى، و لولا ذلك لنصب بالأمر. و قال المبرد: إذا رفعته ففيه معنى الجزاء، و لذلك دخل الفاء فى الخبر، و التقدير التى تزنى، و الذى يزنى، و معناه من زنى فاجلدوه، فيكون على ذلك عاماً فى الجنس.

و قال الحسن: رجم النبى (ص) الثيب «۱» و أراد عمر ان يكتبه فى آخر المصحف ثم تركه، لئلا يتوهم انه من القرآن. و قال قوم: إن ذلك منسوخ التلاوة دون الحكم. و

روى عن على (ع) ان المحصن يجلد مائة بالقرآن، ثم يرجم بالسنة.

و انه امر بذلك.

و قوله «الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، وَ الزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ...» الآية. قيل: انها نزلت على سبب، و ذلك انه استأذن رجل من المسلمين النبى (ص) ان يتزوج امرأة من اصحاب الرايات، كانت تسافح، فأنزل اللّه تعالى الآية. و روى ذلك عن عبد اللّه بن عمر، و ابن عباس: و قال حرم اللّه نكاحهن على المؤمنين، فلا يتزوج بهن الا زان او مشرك. و قال مجاهد و الزهرى و الشعبى: ان النبى استؤذن فيها ام مهزول. و قيل النكاح- هاهنا- المراد به الجماع، و المعنى الاشتراك فى الزنا، يعنى انهما جميعاً يكونان زانيين، ذكر ذلك ابن عباس.

و قد ضعف الطبرى ذلك، و قال: لا فائدة فى ذلك. و من قال بالأول، قال: الآية و ان كان ظاهرها الخبر، فالمراد به النهى. و قال سعيد بن جبير: معناه انها زانية مثله، و هو قول الضحاك و ابن زيد. و قال سعيد بن المسيب: كان ذلك حكم كل

---

(۱) فى المخطوط (البنت)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۰۸

زان و زانية، ثم نسخ بقوله (وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ) «۱»، و به قال اكثر الفقهاء. و قال الرمانى: وجه التأويل انهما مشتركان فى الزنا، لأنه لا خلاف انه ليس لاحد من اهل الصلاة ان ينكح زانية و ان الزانية من المسلمات حرام على كل مسلم من اهل الصلاة، فعلى هذا له ان يتزوج بمن كان زنى بها.

و

عن أبى جعفر (ع) (ان الآية نزلت فى اصحاب الرايات، فأما غيرهن فانه يجوز ان يتزوجها، و ان كان الأفضل غيرها، و يمنعها من الفجور).

و فى ذلك خلاف بين الفقهاء.

قوله تعالى:[سورة النور (۲۴): الآيات ۴ الى ۵] ..... ص : ۴۰۸

وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً وَ لا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً وَ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (۴) إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۵)

آيتان بلا خلاف.

قال سعيد بن جبير: هذه الآية نزلت فى عائشة. و قال الضحاك فى نساء المؤمنين: و هو الأولى، لأنه أعم فائدة، و إن كان يجوز أن يكون سبب نزولها فى عائشة، فلا تقصر الآية على سببها.

يقول اللّه تعالى ان «الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ» أى يقذفون العفائف من النساء بالزنا، و الفجور، و حذف قوله بالزنا لدلالة الكلام عليه، و لم يقيموا على ذلك أربعة من الشهود، فانه يجب على كل واحد منهم ثمانون جلدة. و قال الحسن:

يجلد

---

(۱) سورة ۲۴ النور آية ۳۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۰۹

و عليه ثيابه. و هو قول أبى جعفر (ع).

و يجلد الرجل قائماً، و المراة قاعدة. و قال ابراهيم ترمى عنه ثيابه فى حد الزنا.

و قوله «وَ لا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً» نهى من اللّه تعالى عن قبول شهادة القاذف على التأبيد، و حكم عليهم بأنهم فساق. ثم استثنى من ذلك الذين تابوا من بعد ذلك.

و اختلفوا فى الاستثناء الى من يرجع، فقال قوم: انه من الفساق، فإذا تاب قبلت شهادته حد او لم يجد. و هو قول سعيد بن المسيب. و قال عمر لأبى بكرة:

إن تبت قبلت شهادتك. فأبى ابو بكرة أن يكذب نفسه. و هو قول مسروق و الزهرى و الشعبى و عطاء و طاوس و مجاهد و سعيد بن جبير و عمر بن عبد العزيز و الضحاك، و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع).

و به قال الشافعى من الفقهاء و أصحابه، و هو مذهبنا. و قال الزجاج: يكون تقديره، و لا تقبلوا لهم شهادة أبداً إلا الذين تابوا.

ثم وصفهم بقوله «وَ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ» و قال شريح و سعيد بن المسيب، و الحسن و ابراهيم: الاستثناء من الفاسقين دون قوله «وَ لا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً» و به قال أهل العراق، قالوا: فلا يجوز قبول شهادة القاذف ابداً. و لا خلاف فى انه إذا لم يحد- بأن تموت المقذوفة و لم يكن هناك مطالب، ثم تاب- أنه يجوز قبول شهادته. و هذا يقتضى الاستثناء من المعنيين على تقدير: و أولئك هم الفاسقون فى قذفهم، مع امتناع قبول شهادتهم إلا التائبين منهم.

و الحد حق المقذوفة لا يزول بالتوبة. و قال قوم:

توبته متعلقة باكذابه نفسه.

و هو المروى فى أخبارنا

، و به قال الشافعى. و قال مالك بن أنس: لا يحتاج الى ذلك فيه. قال أبو حنيفة: و متى كان القاذف عبداً او أمة فعليه أربعون جلدة.

و قد التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۱۰

روى أصحابنا: أن الحد ثمانون فى الحرّ و العبد

، و ظاهر العموم يقتضى ذلك، و به قال عمر بن عبد العزيز، و القاسم بن عبد الرحمن.

قوله تعالى:[سورة النور (۲۴): الآيات ۶ الى ۱۰] ..... ص : ۴۱۰

وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ فَشَهادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهاداتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (۶) وَ الْخامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كانَ مِنَ الْكاذِبِينَ (۷) وَ يَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهاداتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكاذِبِينَ (۸) وَ الْخامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْها إِنْ كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۹) وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (۱۰)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة الا أبا بكر «فشهادة أحدهم اربع شهادات» برفع العين.

الباقون بفتحها. و قرأ نافع و يعقوب «ان لعنة اللّه ... و ان غضب اللّه عليها» بتخفيف النون فيهما، و سكونها، و رفع «لعنة اللّه» و قرأ نافع «غضب اللّه»- بكسر الضاد و فتح الباء، و رفع الهاء- من اسم اللّه. و قرأ يعقوب- بفتح الضاد و رفع الباء و خفض الهاء- من اسم اللّه.

الباقون بفتح الضاد و نصب الباء و خفض الهاء. و قرأ حفص «الخامسة ان غضب اللَّه» بالنصب. الباقون بالرفع.

من رفع قوله «اربع» جعله خبر الابتداء، و الابتداء «فشهادة أحدهم» قال أبو حاتم: من رفع فقد لحن، لان الشهادة واحدة، و قد أخبر عنها بجمع، فلا يجوز ذلك، كما لا يجوز (زيد إخوتك) و هذا خطأ، لان الشهادة، و إن كانت بلفظ الوحدة فمعناها التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۱۱

الجمع، كقولك صلاتى خمس، و صومى شهر. و قال الزجاج: تقديره «فشهادة أحدهم» التى تدرؤ العذاب «أربع شهادات» و من قرأ بالنصب جعله مفعولا به أى يشهد أربع شهادات. و قال ابو على الفارسي: ينبغى أن يكون قوله «فشهادة أحدهم» مبنياً على ما يكون مبتدأ، و تقديره: فالحكم أو فالفرض ان يشهد أحدهم أربع شهادات، أو فعليهم أن يشهدوا، و يكون قوله «إِنَّهُ لَمِنَ الْكاذِبِينَ» على هذا من صلة (شهادة أحدهم)، و تكون الجملة التى هى قوله «إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» فى موضع نصب، لان الشهادة كالعلم، و الجملة فى موضع نصب، بأنه مفعول به «و اربع شهادات» تنتصب انتصاب المصادر. و من رفع «أربع شهادات» لم يكن قوله «انه لمن الصادقين» إلا من صلة «شهادات» دون «شهادة» كما أن قوله «باللَّه» من صلة (شهادات) دون صلة (شهادة) لأنك لو جعلته من صلة (شهادة) فصلت بين الصلة و الموصول. و من نصب «أربع شهادات» فقياسه ان ينصب «و الخامسة» لأنها شهادة، و إذا رفع «أربع شهادات» و نصب «الخامسة» قدر له فعلا ينصبها به، و تقديره و يشهد الخامسة. و من رفع «أربع شهادات» و رفع «الخامسة» جعلها معطوفة عليه، و إذا نصب الخامسة، لم يجعلها معطوفة عليه و جعلها مفعولا، و قدر فعلا ينصبها به. و قال: ابو على: قراءة نافع فى تخفيف (ان) الوجه فيها أنها المخففة من الثقيلة، و لا تخفف فى الكلام أبداً و بعدها اسم إلا و يراد إضمار القصة، و مثله قوله «وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» «۱». و انما خففت الثقيلة المفتوحة على إضمار القصة و الحديث، و لم تكن المكسورة كذلك، لأن الثقيلة المفتوحة موصولة. و يستقبح النحويون قراءة نافع فى قوله «أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ» لان من شأن المخففة من الثقيلة ألا تلى فعلا إلا و فى الكلام عوض، كقوله «أَلَّا يَرْجِعُ» «۲» و قوله

---

(۱) سورة ۱۰ يونس آية ۱۰

(۲) سورة ۲۰ طه آية ۸۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۱۲

«عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ» «۱» فان (لا) و (السين) عوض من الثقيلة. و وجه قراءة نافع انه قد جاء فى الدعاء و لفظه لفظ الخبر، و قد يجيء فى الشعر و إن لم يفصل بين (ان) و بين ما يدخل عليها من الفعل، فعلى قول نافع (لعنة اللَّه) رفع بالابتداء و (غضب) فعل ماض، و اسم اللَّه رفع بفعله.

و معنى الآية ان من قذف محصنة حرة مسلمة بفاحشة من الزنا، و لم يأت بأربعة شهداء جلد ثمانين. و من رمى زوجته بالزنا تلاعنا. و الملاعنة أن يبدأ الرجل فيحلف اربع مرات بالله الذى لا إله إلا هو انه صادق فيما رماها به، و يحتاج ان يقول أشهد بالله أنى صادق، لان شهادته أربع مرات تقوم مقام أربعة شهود فى دفع الحد عنه، ثم يشهد الخامسة ان لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به. [و إذا جحدت المرأة ذلك شهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماها به و] «۲» تشهد الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين. ثم يفرق بينهما، و لا يجتمعان أبداً، كما

فرق رسول الله (ص) بين هلال بن أمية و زوجته.

و قضى أن الولد لها، و لا يدعى لأب، و لا ترمى هى، و لا يرمى ولدها. و قال ابن عباس:

متى لم تحلف رجمت، و إن لم يكن دخل بها جلدت الحد، و لم ترجم إذا لم تلتعن، و عند أصحابنا: انه لا لعان بينهما ما لم يدخل بها، فمتى رماها قبل الدخول وجب عليه حد القاذف، و لا لعان بينهما. و فرقة اللعان تحصل عندنا بتمام اللعان من غير حكم الحاكم، و

تمام اللعان إنما يكون إذا تلاعن الرجل و المرأة معاً. و قال قوم: تحصل بلعان الزوج الفرقة. و قال أهل العراق: لا تقع الفرقة إلا بتفريق الحاكم بينهما.

و متى رجعت عند النكول ورثها الزوج، لأن زناها لا يوجب التفرقة بينهما.

و لو جلدت- إذا لم يكن دخل بها- فهما على الزوجية. و ذلك يدل على ان الفرقة انما تقع

---

(۱) سورة ۷۳ المزمل آية ۲۰

(۲) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۱۳

بلعان الرجل و المرأة معاً. قال الحسن: إذا تمت الملاعنة بينهما و لم يكن دخل بها، فلها نصف الصداق، لان الفرقة جاءت من قبله. و إذا تم اللعان اعتدت عدة المطلقة عند جميع الفقهاء، و لا يتزوجها أبداً بلا خلاف.

و آية اللعان نزلت فى عاصم بن عدى. و قيل: نزلت فى هلال ابن امية- فى قول ابن عباس- و متى فرق بينهما ثم أكذب نفسه جلد الحد و لا ترجع اليه امرأته.

و قال ابو حنيفة ترجع اليه. و إذا أقر بالولد بعد اللعان ألحق به يرثه الابن و لا يرثه الأب. و قال الشافعى: يتوارثان. و (الدرؤ) الدفع و (العذاب) الذى يدرؤ عنهما بشهادتهما (الحد)، لأنه بمنزلة من يشهد عليها أربعة شهود بالزنا. و قال قوم: هو الحبس لأنه لم تتم البينة بأربعة شهود، و انما التعان الرجل درأ عنه الحد فى رميه.

قال الجبائى: فى الآية دلالة على ان الزنا ليس بكفر، لأنه ليس لصاحبه حكم المرتد. و فيها دلالة على انه يستحق اللعن من الله بالزنا.

و قوله (وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ) نصب قوله (و ان الله) لأنه عطف على موضع (أن) الاولى و جواب (لو لا) محذوف، و تقديره: لو لا فضل الله عليكم و رحمته لفضحكم بما ترتكبون من الفاحشة، و لعاجلكم بالعقوبة او لهلكتم و ما يجرى مجراه، و مثله قولهم: لو رأيت فلاناً و فى يده السيف اى لرأيت شجاعاً و لرأيت هائلا، قال جرير:

كذب العواذل لو رأيت مناخنا بحزيز رامة و المطى سوام «۱»

و فى المثل (لو ذات سوار لطمتنى).

---

(۱) ديوانه «دار بيروت» ۴۵۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۱۴

قوله تعالى:[سورة النور (۲۴): الآيات ۱۱ الى ۱۵] ..... ص : ۴۱۴

إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَ الَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ (۱۱) لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَ قالُوا هذا إِفْكٌ مُبِينٌ (۱۲) لَوْ لا جاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكاذِبُونَ (۱۳) وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيما أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذابٌ عَظِيمٌ (۱۴) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (۱۵)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى مخاطباً لأمة محمد (ص) «إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ» يعنى الذين أتوا بالإفك، و هو الكذب الذى قلب فيه الأمر عن وجهه، و أصله الانقلاب، و منه (المؤتفكات) و أفك يأفك افكاً إذا كذب. لأنه قلب المعنى عن حقه الى باطله.

فهو آفک، مثل کاذب.

و قوله «عُصْبَةٌ مِنْكُمْ» يعنى جماعة منكم، و منه قوله «لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنَّا وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ» «۱» و يقال: تعصب القوم إذا اجتمعوا على هيئة، فشد

---

(۱) سورة ۱۲ يوسف آية ۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۱۵

بعضهم بعضاً. و العصبة فى النسب العشيرة المقتدرة، لأنه يجمعها التعصب.

و قال ابن عباس: منهم (عبد اللّٰه بن أبى سلول) و هو الذى تولى كبره، و هو من رؤساء المنافقين. و (مسطح بن اثاثة، و حسان بن ثابت، و حمنة بنت جحش) و هو قول عائشة، و كان سبب الافك ان عائشة ضاع عقدها فى غزوة بنى المصطلق، و كانت تباعدت لقضاء الحاجة، فرجعت تطلبه، و حمل هودجها على بعيرها ظناً منهم بها أنها فيه فلما صارت الى الموضع وجدتهم قد رحلوا عنه، و كان صفوان ابن معطل السلمى الذكوانى من وراء الجيش فمر بها، فلما عرفها أناخ بعيره حتى ركبته، و هو يسوقه حتى أتى الجيش بعد ما نزلوا فى قائم الظهيرة. هكذا رواه الزهرى عن عائشة.

و قوله «لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» خطاب لمن قرب بالإفك من عائشة، و من اغتم لها، فقال اللّٰه تعالى لا تحسبوا غم الافك شراً لكم بل هو خير لكم، لان اللّٰه (عز و جل) يبرئ ساحته ببراءتها، و ينفعها بصبرها و احتسابها، و ما ينل منها من الأذى و المكروه الذى نزل بها، و يلزم أصحاب الافك ما استحقوه بالإثم الذى ارتكبوه فى أمرها.

ثم اخبر تعالى فقال «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ» أى له جزاء ما اكتسب من الإثم من العقاب.

ثم قال «وَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ» يعنى (ابن أبى بن سلول) تحمل معظمه و (كبره) مصدر من معنى الكبير من الأمور. قال ابو عبيدة: فرقوا بينه و بين مصدر الكبر فى السنّ، يقال: فلان ذو كبر أى ذو كبرياء. و قرأ ابو جعفر المدنى بضم الكاف.

الباقون بكسرها، فالكبر بضم الكاف من كبر السن و هو كبير قومه أى معظمهم، و الكبر و العظم واحد. و قيل: دخل حسان على عائشة فأنشدها قوله فى بيته: التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۱۶

حصان رزان ما تزن بريبة و تصبح غرثى من لحوم القوافل «۱»

فقالت له: لكنک لست كذلک. و قوله «لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ» يعنى جزاء على ما اكتسبه من الإثم. و قوله «لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً» معناه هلا- حين سمعتم هذا الافک من القائلين ظن المؤمنون بالمؤمنين الذين هم كانفسهم خيراً، لان المؤمنين كلهم كالنفس الواحدة فيما يجرى عليها من الأمور، فإذا جرى على أحدهم محنة، فكأنه جرى على جماعتهم، و هو كقوله «فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ» «۲» و هو قول مجاهد، قال الشاعر فى (لولا) بمعنى (هلا):

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بنى ضوطرى لولا الكمى المقنعا «۳»

اى فهلا- تعدون قتل الكمى. و قوله تعالى «وَ قالُوا هذا إِفْكٌ مُبِينٌ» معناه و هلا قالوا هذا القول كذب ظاهر. ثم قال تعالى «لَوْ لا جاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ» اى هلا جاءوا على ما قالوه ببينة أربعة من الشهداء «فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولئِكَ» الذين قالوا هذا الافک «هُمُ الْكاذِبُونَ» عند اللّٰه، و المعنى انهم كاذبون فى عيبهم، فمن جوز صدقهم، فهو رادّ لخبر اللّٰه تعالى، فالآية دالة على كذب من قذف عائشة، و افک عليها. فأما فى غيرها إذا رماها الإنسان، فانا لا نقطع على كذبه عند اللّٰه، و إن أقمنا عليه الحد، و قلنا هو كاذب فى الظاهر، لأنه يجوز أن يكون صادقاً عند اللّٰه، و هو قول الجبائى.

ثم قال تعالى على وجه الامتنان على المؤمنين

---

(۱) تفسیر القرطبی ۱۲/ ۲۰۰

(۲) سورة ۲۴ النور آیة ۶۱

(۳) قائلة جریر دیوانه (دار بیروت) ۲۶۵، و قد مر فی ۱/ ۳۱۹، ۴۳۵ و ۶/ ۳۱۹ و روایة الدیوان:

تعدون عقر النیب أفضل سعیکم بنی ضوطری هلا الکمی المقنعا

[.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۴۱۷

«وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ لَمَسَّکُمْ فِیما أَفَضْتُمْ فِیهِ عَذابٌ عَظِیمٌ» جزاء علی خوضکم فی قصة الافک و افاضتکم فیه. و قیل فی الآیة تقدیم و تأخیر، و تقدیره: و لو لا فضل الله علیکم و رحمته لمسکم فی ما أفضتم فیه عذاب عظیم فی الدنیا و الاخرة.

و قوله «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِکُمْ» تقدیره: لمسکم عذاب عظیم حین تلقونه بألسنتکم، و معناه بروایة بعضکم عن بعض لتشییعه- فی قول مجاهد- و روی عن عائشة أنها قرأت «تلقونه» من ولق الکذب، و هو الاستمرار علی الکذب، و منه:

ولق فلان فی السیر إذا استمر به، و یقال: فی الولق من الکذب: الإلق و الألق، تقول: ألقت و أنتم تألقونه. أنشد الفراء:

من لی بالمرر و الیلامق صاحب أدهان و ألق آلق «۱»

فتح الالف من ادهان، و قال الراجز:

إن الحصین زلق و زملق جاءت به عیس من الشام تلق

و ینشد ایضاً:

ان الحصین زلق و زملق جاءت به عنس من الشام تلق

مجوع البطن کلالیم الحلق

و قوله «تَقُولُونَ بِأَفْواهِکُمْ ما لَیْسَ لَکُمْ بِهِ عِلْمٌ» من وجه الافک «وَ تَحْسَبُونَهُ هَیِّناً وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِیمٌ» ای تظنونه حقیراً و هو عند اللَّه عظیم لأنه کذب و افتراء.

---

(۱) تفسیر الطبری ۱۸/ ۷۰

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۴۱۸

قوله تعالی:[سورة النور (۲۴): الآیات ۱۶ الی ۲۰] ..... ص : ۴۱۸

وَ لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ما یَکُونُ لَنا أَنْ نَتَکَلَّمَ بِهذا سُبْحانَکَ هذا بُهْتانٌ عَظِیمٌ (۱۶) یَعِظُکُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ (۱۷) وَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمُ الْآیاتِ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۱۸) إِنَّ الَّذِینَ یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیعَ الْفاحِشَةُ فِی الَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (۱۹) وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ (۲۰)

خمس آیات بلا خلاف.

یقول اللَّه تعالی للمؤمنین: و هلا حین سمعتم من هؤلاء العصبة ما قالوا من الافک «قلتم» فی جوابهم «ما یَکُونُ لَنا أَنْ نَتَکَلَّمَ بِهذا» أی لیس لنا ذلک بل هو محرم علینا، و قلتم «سبحانک» یا ربنا «هذا» الذی قالوه «بُهْتانٌ عَظِیمٌ» أی کذب و زور عظیم عقابه فی الظاهر.

فالبهتان الکذب الذی فیه مکابرة تحیر، یقال: بهته یبهته بهتاً و بهتاناً إذا حیره بالکذب علیه.

ثم قال تعالی «یَعِظُکُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا» أی کراهة أن تعودوا «لمثله» أو لئلا تعودوا إلی مثله من الافک «أبداً» أی طول أعمارکم، لا

ترجعوا الى مثل هذا القول «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» مصدقين باللّه و نبيه، قابلين وعظ اللّه. و قال ابن زيد: الوعظ يمنع ان يقول القائل أنا سمعته، و لم أختلقه. «وَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ» يعنى الدلالات و الحجج «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» أى عالم بما يكون منكم، حكيم فيما يفعله، التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۱۹

و لا يضع الشىء إلا فى موضعه.

ثم اخبر تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ» و يؤثرون «أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ» أى تظهر الافعال القبيحة «فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» أى موجع جزاء على ذلك «فى الدنيا» باقامة الحد عليهم، و فى «الاخرة» بعذاب النار «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» ذلك و غيره «وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» ان الله تعالى يعلم ذلك.

ثم قال «وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» لأهلككم و عاجلكم بالعقوبة، و حذف الجواب لدلالة الكلام عليه.

و فى الآية دلالة على أن العزم على الفسق فسق، لأنه إذا الزمه الوعيد على محبة شياع الفاحشة من غيره، فإذا أحبها من نفسه و أرادها كان أعظم.

قوله تعالى:[سورة النور (۲۴): الآيات ۲۱ الى ۲۵] ..... ص : ۴۱۹

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ وَ مَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَ لكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۲۱) وَ لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبى وَ الْمَساكِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۲) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ الْغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (۲۳) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (۲۴) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (۲۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۲۰

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو جعفر المدنى «و لا يتأل» على وزن (يتفعل) الهمزة مفتوحة بعد التاء، و اللام مشددة مفتوحة. الباقون «يأتل» على وزن (يفتعل). الهمزة ساكنة. و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «يوم يشهد» بالياء، لان تأنيث الألسنة ليس بحقيقى، و لأنه حصل فصل بين الفعل و الفاعل. الباقون بالتاء، لان الألسنة مؤنثة.

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين المعترفين بتوحيد الله المصدقين لرسله، ينهاهم فيه عن اتباع خطوات الشيطان، و خطوات الشيطان تخطية الحلال الى الحرام. و المعنى لا تسلكوا مسالك الشيطان، و لا تذهبوا مذهبه، و الاتباع الذهاب فيما كان من الجهات التى يدعو الداعى اليها بذهابه فيها، فمن وافق الشيطان فيما يدعو اليه من الضلال، فقد اتبعه. و الاتباع اقتفاء أثر الداعى الى الجهة بذهابه فيها، و هو بالتثقيل و التخفيف بمعنى الاقتداء به. و المعنى لا تتبعوا الشيطان بموافقته فيما يدعو اليه. ثم قال «وَ مَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ» فيما يدعوه اليه «فانه» يعنى الشيطان «يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ» يعنى القبائح «وَ الْمُنْكَرِ» من الأفعال. و الفحشاء كل قبيح عظيم. و المنكر الفساد الذى ينكره العقل و يزجر عنه.

ثم قال تعالى «وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ» بان يلطف لكم، و يزجركم عن ارتكاب المعاصى «ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً» ف (من) زائدة، و المعنى ما فعل احد منكم الأفعال الجميلة إلا بلطف من جهته أو وعيد من قبله. و قال ابن زيد: معناه لولا فضل الله ما أسلم احد منكم. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۲۱

و فى ذلك دلالة على أن احداً لا يصلح فى دينه إلا بلطف الله (عز و جل) له، لأن ذلك عام لجميع المكلفين الذين يزكون بهذا الفضل من الله.

و قوله «وَ لكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّی مَنْ يَشاءُ» معناه من يعلم أن له لطفاً يفعله به ليزكو عنـده. و قيل: يزكى من يشاء بالثناء عليه. و الأول أجود (وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) معناه إنه يفعل المصالح و الالطاف على ما يعلمه من المصلحة للمكلفين. لأنه يسمع أصواتهم و يعلم أحوالهم.

و فى الآية دلالة على أنه تعالى يريد لخلقه خلاف ما يريده الشيطان، لأنه ذكره عقيب قوله (يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ).

و قوله (وَ لا ـ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ) فلابتلاء القسم، يقال آلى يؤلى إيلاء إذا حلف على أمر من الأمور، و يأتل (يفتعل) من الالية على وزن (يقتضى) من القضية، و من قرا (يتألّ) فعلى وزن (يتفعل)، و المعنى لا يحلف أن لا يؤتى.

و قال ابن عباس و عائشة و ابن زيد: إن الآية نزلت فى أبى بكر، و مسطح بن أثاثة، و كان يجرى عليه، و يقوم بنفقته، فقطعها و حلف ان لا ينفعه أبداً، لما كان منه من الدخول مع أصحاب الافك فى عائشة، فلما نزلت هذه الآية عاد أبو بكر له الى ما كان، و قال: و اللَّه انى لأحب ان يغفر اللَّه لى، و اللَّه لا أنزعها عنه ابداً. و كان مسطح ابن خالة أبى بكر، و كان مسكيناً و مهاجراً من مكة الى المدينة، و من جملة البدريين. و قال الحسن و مجاهد: الآية نزلت فى يتيم كان فى حجر أبى بكر، حلف الا ينفق عليه. و روى عن ابن عباس و غيره: أن الآية نزلت فى جماعة من اصحاب- رسول اللَّه حلفوا أن لا ـ يواسوا أصحاب الأفك. و قال قوم: هذا نهى عام لجميع أولى الفضل و السعة أن يحلفوا ألا يؤتوا أولى القربى و المساكين و الفقراء، و هو أولى التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۲۲

و أعم فائدة، و يدخل فيه ما قالوه. و كان مسطح احد من حده النبى (ص) فى قذف الافك.

و قال ابو على الجبائى: قصة مسطح دالة على انه قد يجوز أن تقع المعاصى ممن شهد بدراً بخلاف قول النوابت.

و قوله تعالى (وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا) أمر من اللَّه تعالى للمرادين بالآية بالعفو عمن أساء اليهم، و الصفح عنهم. و اصل العافى التارك للعقوبة على من أذنب اليه، و الصفح عن الشيء ان يجعله بمنزلة ما مر صفحاً. ثم قال لهم (أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) معاصيكم جزاء على عفوكم و صفحكم عمن أساء إليكم (وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) اى ساتر عليكم منعم.

ثم اخبر تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ) و معناه الذين يقذفون العفائف من النساء (الغافلات) عن الفواحش (لُعِنُوا فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ) اى أبعدوا من رحمة اللَّه (فى الدنيا) باقامة الحد عليهم و رد شهادتهم (و فى الآخرة) بأليم العقاب، و الأبعد من الجنة (و لهم) مع ذلک (عَذابٌ عَظِيمٌ) عقوبة لهم على قذفهم المحصنات.

و هذا وعيد عام لجميع المكلفين، فى قول ابن عباس و ابن زيد و اكثر اهل العلم. و قال قوم: فى عائشة، لما رأوها نزلت فيها هذه الآية توهموا ان الوعيد خاص فيمن قذفها، و هذا ليس بصحيح، لأن عند اكثر العلماء المحصلين: ان الآية إذا نزلت على سبب لم يجب قصرها عليه، كآية اللعان، و آية القذف، و آية الظهار، و غير ذلک. و متى حملت على العموم دخل من قذف عائشة فى جملتها.

و قوله (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ) تقديره: و لهم عذاب عظيم فى هذا اليوم. و هو يوم القيامة. و شهادة الايدى و الأرجل باعمال الفجار.

قيل فى كيفيتها ثلاثة اقوال: التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۲۳

أحدها- ان الله تعالى يبنيها بنية يمكنهم النطق بها و الكلام من جهتها.

الثانى- ان يفعل الله تعالى فى هذه البنية كلاماً يتضمن الشهادة، فكأنها هى الناطقة.

و الثالث- ان يجعل فيها علامة تقوم مقام النطق بالشهادة، و ذلک إذا جحدوا معاصيهم. و اما شهادة الألسن فيجوز ان يكونوا يشهدون بألسنتهم إذا رأوا ان لا ـ ينفعهم الجحد. و اما قوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم) فقالوا: إنه يجوز ان يخرج الألسنة و يختم على الأفواه، و يجوز ان يكون الختم على الأفواه إنما هو فى حال شهادة الأيدى و الأرجل. و قال الجبائى: و يجوز ان يبنيها بنية مخصوصة، و يحدث فيها شهادة تشهد بها.

و قوله (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ) يعنى جزاءهم الحق، و الدين- هاهنا- الجزاء، و يجوز ان يكون المراد جزاء دينهم الحق، و حذف المضاف و اقام المضاف اليه مقامه (وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) اى يعلمون الله ضرورة فى ذلک اليوم، و يقرون انه

الحق، الذى ابان الحجج و الآيات فى دار التكليف، و هو قول مجاهد، و قرئ (الحق) بالرفع، و النصب، فمن رفعه جعله من صفة الله، و من نصبه جعله صفة للدين.

قوله تعالى:[سورة النور (۲۴): آية ۲۶] ..... ص : ۴۲۳

الْخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَ الْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ وَ الطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبِينَ وَ الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ أُولئِكَ مُبَرَّؤُنَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (۲۶)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۲۴

قيل فى معنى الآية أربعة اقوال:

أحدها- قال ابن عباس و مجاهد و الحسن و الضحاك: معناه (الخبيثات) من الكلم (للخبيثين) من الرجال أى صادرة منهم.

الثانى- فى رواية أخرى عن ابن عباس: أن (الخبيثات) من السيئات (للخبيثين) من الرجال، و الطيبات من الحسنات للطيبين من الرجال.

الثالث- قال ابن زيد: (الخبيثات) من النساء (للخبيثين) من الرجال، كأنه ذهب الى اجتماعها للمشاكلة بينهما.

و الرابع- قال الجبائى: (الخبيثات) من النساء الزوانى (للخبيثين) من الرجال الزناة، على التعبد الأول ثم نسخ، و قيل الخبيثات من الكلم إنما تلزم الخبيثين من الرجال و تليق بهم. و الطيبات للطيبين و الطيبون للطيبات عكس ذلك على السواء فى الأقوال الأربعة.

و الخبيث الفاسد الذى يتزايد فى الفساد تزايد النامى فى النبات، و نقيضه الطيب.

و الحرام كله خبيث. و الحلال كله طيب.

و قوله «أُولئِكَ مُبَرَّؤُنَ مِمَّا يَقُولُونَ» قال مجاهد معناه: الطيبون من الرجال مبرؤن من خبيثات القول، يغفرها اللَّه لهم. و من كان طيباً، فهو مبرأ من كل قبيح.

و من كان خبيثاً، فهو مبرأ من كل طيب بأن اللَّه يرده عليه، و لا يقبله منه. و قال الفراء و غيره: يرجع ذلك الى عائشة، و صفوان بن معطل، كما قال «فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ» «۱» و الام تحجب بالأخوين، فجاء على تغليب لفظ الجمع الذى يجرى مجرى الواحد فى الاعراب، و انما قال «مبرؤن ...» الآية، لأنه ذكر صفة الجمع، و المبرأ المنزه عن صفة الذم، المنفى عنه صفة العيب، يقال: برّأه اللَّه من كذا، إذا

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۲۵

نفاه عنه. و اللَّه تعالى يبرئ المؤمنين من العيوب التى يضيفها اليهم أعداؤهم، و يفضح من يكذب عليهم.

و قوله «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ» أى لهؤلاء الطيبين من الرجال و النساء.

مغفرة من اللَّه لذنوبهم، و عطية من اللَّه كريمة، فالرزق الكريم هو الذى يعطى الخير على الإدرار المهنأ، من غير تنغيص الامتنان، و هو رزق اللَّه تعالى الذى يعم جميع العباد، و يخص من يشاء بالزيادة فى الافعال. و قال قتادة «لهم مغفرة من الله و رزق كريم» فى الجنة.

قوله تعالى:[سورة النور (۲۴): الآيات ۲۷ الى ۳۰] ..... ص : ۴۲۵

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۲۷) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً فَلا تَدْخُلُوها حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَ إِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكى لَكُمْ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (۲۸) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَكْتُمُونَ (۲۹) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ (۳۰)

أربع آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۲۶

هـذا خطاب من اللّه تعالى للمؤمنين ينهاهم أن يدخلوا بيوتاً لا يملكونها، و هى ملك غيرهم إلا بعد أن يستأنسوا، و معناه يستأذنوا، و الاستئناس الاستئذان- فى قول ابن عباس و ابن مسعود و ابراهيم و قتادة- و كأن المعنى يستأنسوا بالاذن.

و روى عن ابن عباس أنه قال: القراءة «حتى تستأذنوا» و انما و هم الكتاب. و هو قول سعيد ابن جبير، و به قرأ أبى بن كعب. و قال مجاهد: حتى تستأنسوا بالتنحنح و الكلام الذى يقوم مقام الاستئذان. و قد بين اللّه تعالى ذلك فى قوله «وَ إِذا بَلَغَ الْأَطْفالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا» «١» قال عطاء: و هو واجب فى أمه و سائر أهله و الاستئناس طلب الانس بالعلم أو غيره، كقول العرب: اذهب فاستأنس هل ترى احداً، و منه قوله «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً» «٢» اى علمتم.

و قوله «وَ تُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها» معناه على أهل البيوت ينبغى أن تسلموا عليهم و إذا أذنوا لكم فى الدخول فادخلوها. و

روى ابو موسى عن النبى (ص) أنه قال: (الاستئذان ثلاث، فان أذنوا، و إلا فارجع)

فدعاه عمر، فقال لتأتينى بالبينة و إلا عاقبتك، فمضى أبو موسى، فأتى بمن سمع الحديث معه.

و الفرق بين الاذن فى الدخول، و بين الدعاء اليه، أن الدعاء اليه، يدل على ارادة الداعى، و ليس كذلك الاذن. و فى الدعاء رغبة الداعى او المدعو، و ليس كذلك الاذن و قوله «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» يعنى الاستئذان خير لكم من تركه، لتتذكروا فى ذلك، فلا تهجموا على العورات.

و قوله «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً» يعنى ان لم تعلموا فى البيوت احداً يأذن لكم فى الدخول «فَلا تَدْخُلُوها» لأنه ربما كان فيها ما لا يجوز أن تطلعوا عليه إلا بعد أن يأذن أربابها فى ذلك، يقال: وجد إذا علم.

---

(١) سورة ٢٤ النور آية ٥٩

(٢) سورة ٤ النساء آية ٥

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٧، ص: ٤٢٧

و قوله (وَ إِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا) أى لا- تدخلوا إذا قيل لكم: لا تدخلوا، فان ذلك (أزكى لكم) اى اطهر (وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) أى عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها.

ثم قال (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ) أى حرج و إثم (أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ) أى منافع. و قيل: فى معنى هذه البيوت أربعة اقوال:

أحدها- قال قتادة: هى الخانات، فان فيها استمتاعاً لكم من جهة نزولها، لا من جهة الإناث الذى لكم فيها.

و الثانى- قال محمد بن الحنفية: هى الخانات التى تكون فى الطرق مسبلة.

و معنى (غير مسكونة) اى لا ساكن لها معروف.

و الثالث- قال عطاء: هى الخرابات للغائط و البول.

و الرابع- قال ابن زيد: هى بيوت التجار التى فيها امتعة الناس.

و قال قوم: هى بيوت مكة. و قال مجاهد: هى مناخات الناس فى أسفارهم يرتفقون بها. و قال قوم: هى جميع ذلك حملوه على عمومه لأن الاستئذان إنما جاء لئلا يهجم على ما لا يجوز من العورة. و هو الأقوى، لأنه أعم فائدة.

و قوله (وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَكْتُمُونَ) اى لا يخفى عليه ما تظهرونه، و لا ما تكتمونه، لأنه عالم بجميع ذلك.

ثم خاطب النبى (ص) فقال (قل) يا محمد (لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ) عن عورات النساء و ما يحرم النظر اليه. و قيل: العورة من النساء ما عدا الوجه و الكفين و القدمين، فأمروا بغض البصر عن عوراتهن، و دخلت (من) لابتداء الغاية. و يجوز ان تكون للتبعيض، و المعنى أن يطرق و إن لم يغمض. و قيل: العورة من الرجل العانة الى مستغلظ الفخذ من أعلى الركبة، و هو العورة من الإماء، قالوا:

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ۴۲۸

و يدل على ان الوجه و الكفين و القدمين ليس من العورة من الحرة، ان لها كشف ذلك فى الصلاة، و إذا كانت محرمة مثل ذلك، بالإجماع، و القدمان فيهما خلاف.

و قوله (وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) أمر من اللَّه تعالى أن يحفظ الرجال فروجهم عن الحرام، و عن إبدائها حيث ترى فإنهم متى فعلوا ذلك كان ازكى لاعمالهم عند اللَّه و إن اللَّه خبير بما يعملون و يصنعون اى عالم بما يعملونه اى على اى وجه يعملونه.

و قال مجاهد: قوله (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً) معناه فان لم يكن لكم فيها متاع، فلا تدخلوها إلا بإذن، فان قيل لكم ارجعوا فارجعوا، و هذا بعيد، لان لفظة (احد) لا يعبر بها إلا عن الناس، و لا يعبر بها عن المتاع.

قوله تعالى: [سورة النور (٢۴): آية ٣١] ..... ص : ۴۲۸

وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا ما ظَهَرَ مِنْها وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنائِهِنَّ أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَواتِهِنَّ أَوْ نِسائِهِنَّ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ وَ لا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ۴۲۹

قرأ ابن عامر و ابو بكر عن عاصم و ابو جعفر (غير اولى الاربة) نصباً.

الباقون بالجر. و قرأ ابن عامر (أيه المؤمنون) بضم الهاء، و مثله (يا أيه الساحر) «١» و (أيه الثقلان) «٢». الباقون (ايها) بفتح الهاء مع الالف فيها. و كلهم وقف بلا الف إلا الكسائى، و اهل البصرة و الزبيبى من طريق العطار، و المالكى، فإنهم وقفوا بالف.

قال ابو على: الوقف بالألف أجود، لأنها سقطت فى الوصل لاجتماع الساكنين.

لما امر اللَّه تعالى الرجال المؤمنين فى الآية الأولى بغض أبصارهم عن عورات النساء، و أمرهم بحفظ فروجهم عن ارتكاب الحرام، أمر المؤمنات فى هذه الآية ايضاً من النساء بغض أبصارهن عن عورات الرجال، و ما لا يحل النظر اليه.

و أمرهن ان يحفظن فروجهن إلا عن أزواجهن على ما اباحه اللَّه لهم، و يحفظن ايضاً إظهارها بحيث ينظر اليها، و نهاهن عن إبداء زينتهن إلا ما ظهر منها. قال ابن عباس: يعنى القرطين و القلادة و السوار و الخلخال و المعضد و المنحر، فانه يجوز لها إظهار ذلك لغير الزوج، فاما الشعر فلا يجوز ان تبديه إلا لزوجها.

و الزينة المنهى عن إبدائها زينتان، فالظاهرة الثياب، و الخفية الخلخال، و القرطان و السوار- فى قول ابن مسعود- و قال ابراهيم: الظاهر الذى أبيح الثياب فقط. و عن ابن عباس- فى رواية أخرى- أن الذى أبيح الكحل و الخاتم و الحذاء و الخضاب فى الكف. و قال قتادة: الحذاء و السوار و الخاتم. و قال عطاء:

الكفان و الوجه. و قال الحسن: الوجه و الثياب. و قال قوم: كلما ليس بعورة يجوز إظهاره. و اجمعوا أن الوجه و الكفين ليسا بعورة، لجواز إظهارها فى الصلاة، و الأحوط قول ابن مسعود، و الحسن بعده.

---

(١) سورة ۴٣ الزخرف آية ۴٩

(٢) سورة ۵۵ الرحمن آية ٣١

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ۴٣٠

و قوله «وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ» فالخمار غطاء رأس المرأة المنسبل على جبينها و جمعه خمر، و قال الجبائى: هى المقانع.

ثم كرر النهى عن اظهار الزينة تأكيداً و تغليظاً و استثنى من ذلك: الأزواج و آباء النساء. و إن علوا، و آباء الازواج و أبنائهم، أو اخوانهن و بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن، أو نسائهن يعنى نساء المؤمنين دون نساء المشركين إلا إذا كانت أمة و هو معنى قوله «أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ» أى من الإماء- فى قول ابن جريج- فانه لا باس بإظهار الزينة لهؤلاء المذكورين، لأنهم محارم.

و قوله «أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ» قال ابن عباس: هو الذى يتبعك ليصيب من طعامك و لا حاجة له فى النساء، و هو الأبله. و به قال قتادة و سعيد بن جبير و عطاء. و قال مجاهد: هو الطفل الذى لا أرب له فى النساء لصغره.

و قيل: هو العنين، ذكره عكرمة، و الشعبى. و قيل: هو المجبوب. و قيل: هو الشيخ الهم.

و الاربة الحاجة، و هى فعلة من الارب، كالمشية من المشى، و الجلسة من الجلوس. و قد أربت لكذا آرب له أرباً إذا احتجت اليه، و منه الأربة- بضم الالف- العقدة، لان ما يحتاج اليه من الأمور يقتضى العقدة عليه، و لان الحاجة كالعقدة حتى تنحل بسد الخلة، و لان العقدة التى تمنع من المنفعة يحتاج الى حلها، و لان العقدة عمدة الحاجة.

و قوله «أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ» يعنى الصغار الذين لم يراهقوا. فانه يجوز إبداء الزينة لهم.

و قوله «وَ لا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ» معناه لا تضرب امرأة برجلها، ليعلم صوت الخلخال فى رجلها، كما كان يفعله نساء أهل الجاهلية. و ذلك التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۳۱

يدل على ان إظهار الخلخال لا يجوز.

ثم أمر اللَّه تعالى المكلفين، فقال «وَ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» أى لتفوزوا بثواب الجنة.

و من نصب (غير) يجوز أن يكون على الاستثناء، و يجوز أن يكون على الحال. و من كسر جعله نعتاً ل «التَّابِعِينَ، غَيْرِ» و إن لم يوصف به المعارف، فإنما المراد ب (التابعين) ليس بمعين. و ابن عامر انما ضم الهاء و وقف بلا ألف فى (أيه) اتباعاً للمصحف. قال ابو على: و قراءته ضعيفة. لان آخر الاسم هو الياء الثانية فى أى، فينبغى أن يكون المضمون آخر الاسم و لا يجوز ضم الهاء، كما لا يجوز ضم الميم فى قوله «اللهم» و لأنه آخر الكلام، و ها للتنبيه، فلا يجوز حذف الالف بحال.

قوله تعالى:[سورة النور (۲۴): الآيات ۳۲ الى ۳۳] ..... ص : ۴۳۱

وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَ إِمائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (۳۲) وَ لْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَ آتُوهُمْ مِنْ مالِ اللَّهِ الَّذِي آتاكُمْ وَ لا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ مَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۳۳)

آيتان بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۳۲

هذا خطاب من اللَّه للمكلفين من الرجال يأمرهم اللَّه تعالى أن يزوجوا الأيامى اللواتى لهم عليهن ولاية، و أن يزوجوا الصالحين المستورين الذين يفعلون الطاعات من المماليك و الإماء إذا كانوا ملكاً لهم، و الأيامى جمع (أيم) و هى المرأة التى لا زوج لها سواء كانت بكراً أو ثيباً. و يقال للرجل الذى لا زوجة له: أيم ايضاً و وزن أيم (فيعل) بمعنى (فعيل) فجمعت كجمع يتيم و يتيمة و يتامى، و قال جميل:

أحب الأيامى إذ بثينة ايم و أحببت لما أن غنيت الغوانيا «۱»

و يجوز جمعه أيايم، و يقال: امرأة أيم و ايمة إذا لم يكن لها زوج، قال الشاعر:

فان تنكحى أنكح و إن تتأيمى يدا الدهر ما لم تنكحى أتأيم «۲»

و قال قوم: الأيم التى مات زوجها، و منه قوله (عليه السلام): (و الأيم أحق بنفسها) يعنى الثيب. و معنى أنكحوا زوجوا، يقال: نكح إذا

تزوج، و أنكح غيره إذا زوجه. و قيل: ان الأمر بتزويج الأيامى إذا أردن ذلك أمر فرض، و الامر بتزويج الأمة إذا أرادت ندب، و كذلك العبد.

و قوله «إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ» معناه لا- تمتنعوا من إنكاح المرأة أو الرجل إذا كانوا صالحين، لأجل فقرهما، و قلة ذات أيديهما، فإنهم و إن كانوا كذلك، فان اللَّه تعالى يغنيهم من فضله، فانه تعالى واسع المقدور، كثير الفضل، عليهم بأحوالهم و بما يصلحهم، فهو يعطيهم على قدر ذلك. و قال قوم:

معناه إن يكونوا فقراء الى النكاح يغنهم اللَّه بذلك عن الحرام. فعلى الأول تكون الآية خاصة فى الأحرار. و على الثانى عامة فى الأحرار، و المماليك.

و قوله «وَ لْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» أمر

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۴۸

(۲) لسان العرب (أيم) و تفسير الطبرى ۱۸/ ۸۸ و القرطبى ۱۲/ ۲۴۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۳۳

من اللَّه تعالى لمن لا يجد السبيل الى أن يتزوج، بأن لا يجد طولا من المهر، و لا يقدر على القيام بما يلزمها من النفقة و الكسوة، أن يتعفف، و لا يدخل فى الفاحشة، و يصبر حتى يغنيه اللَّه من فضله.

و قوله «وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» معناه إن الإنسان إذا كانت له أمة أو عبد يطلب المكاتبة. و هى أن يقوّم على نفسه و ينجم عليه ليؤدى قيمة نفسه الى سيده، فانه يستحب للسيد أن يجيبه الى ذلك و يساعده عليه لدلالة قوله تعالى «فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً» و هذا أمر ترغيب بلا خلاف عند الفقهاء.

و قال عمرو بن دينار، و عطاء، و الطبرى: هو واجب عليه إذا طلب. و صورة المكاتبة أن يقول الإنسان لعبده، أو أمته: قد كاتبتك على ان تعطينى كذا و كذا ديناراً أو درهما فى نجوم معلومة على أنك إذا أديت ذلك فأنت حر، فيرضى العبد بذلك، و يكاتبه عليه و يشهد بذلك على نفسه، فمتى أدى ذلك، و هو مال الكتابة فى النجوم التى سماها صار حراً، و ان عجز عن أداء ذلك كان لمولاه أن يرده فى الرق. و عندنا ينعتق منه بحساب ما أدى و يبقى مملوكاً بحساب ما بقى عليه إذا كانت الكتابة مطلقة، فان كانت مشروطة بأنه متى عجز رده فى الرق، فمتى عجز جاز له رده فى الرق. و (الخير) الذى يعلم منه هو القوة على التكسب. و تحصيل ما يؤدى به مال الكتابة. و قال الحسن: معناه ان علمتم منهم صدقاً. و قال ابن عباس و عطاء: ان علمتم لهم مالا. و قال ابن عمر: ان علمتم فيهم قدرة على التكسب، قال: لأنه إذا لم يقدر على ذلك قال اطعمنى «۱» أوساخ أيدى الناس، و به قال سلمان.

---

(۱) فى المخطوطة (استطعتم) بدل (قال اطعمنى)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۳۴

و اختلفوا فى الامر بالكتابة مع طلب المملوك لذلك و علم مولاه أن فيه خيراً. فقال عطاء:

هو الفرض. و قال مالك، و الثورى، و ابن زيد: هو على الندب. و هو مذهبنا.

و قوله «وَ آتُوهُمْ مِنْ مالِ اللَّهِ الَّذِي آتاكُمْ» أمر من اللَّه تعالى أن يعطى السيد مكاتبه من ماله الذى أنعم اللَّه عليه، بأن يحط شيئاً منه. و روى عبد الرحمن السلمى عن على (ع) أنه قال: يحط عنه ربع مال الكتابة.

و قال سفيان أحب ان يعطيه الربع، او أقل، و ليس بواجب و قال ابن عباس و عطاء و قتادة: أمره بأن يضع عنه من مال الكتابة شيئاً. و قال الحسن و ابراهيم: حثه اللَّه تعالى على معونته. و قال قوم: المعنى آتوهم سهمهم من الصدقة الذى ذكره فى قوله «وَ فِي الرِّقابِ» «۱»

ذكره ابن زيد عن أبيه، و هو مذهبنا.

و اختلفوا فی الحط عنه، فقال قوم: هو واجب، و قال آخرون- و هو الصحيح- انه مرغب فيه.

و قوله «وَ لا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً» نهى عن إكراه الأمة على الزنا. قال جابر بن عبد اللَّه: نزلت فى عبد الله بن أبى بن سلول، حين اكره أمته مسيكة على الزنا. و هذا نهى عام لكل مكلف عن أن يكره أمته على الزنا طلباً لمهرها و كسبها. و قوله «إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً» صورته صورة الشرط و ليس بشرط و انما ذكر لعظم الافحاش فى الإكراه على ذلك. و قيل: انها نزلت على سبب فوقع النهى عن المعنى على تلك الصفة.

و قوله «وَ مَنْ يُكْرِهْهُنَّ» يعنى على الفاحشة «فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ» اى لهن «غَفُورٌ رَحِيمٌ» ان وقع منها صغير فى ذلك، و الوزر على المكره.

---

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۶۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۳۵

قوله تعالى:[سورة النور (۲۴): الآيات ۳۴ الى ۳۵] ..... ص : ۴۳۵

وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَ مَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (۳۴) اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۳۵)

آيتان بلا خلاف.

قرأ «درّى» مشددة، بضم الدال من غير همز، ابن كثير و نافع و ابن عامر و حفص عن عاصم. و قرأ- بكسر الدال و الهمز- ابو عمرو، و الكسائى. و قرأ- بضم الدال و الهمز- حمزة و عاصم، فى رواية أبى بكر، و قرأ ابن كثير و ابو عمرو «توقد» بفتح التاء و الدال. و قرأ- بالياء مخففة مرفوع مضموم الياء- نافع و ابن عامر و حفص عن عاصم و الكسائى. و قرأ- بضم التاء و الدال مخففة مرفوعة- حمزة و ابو بكر عن عاصم.

فمن قرأ «درى» بكسر الدال، فهو من (درأت) اى رفعت. و الكوكب (درى) لسرعة رفعه فى الانقضاض، و الجمع الدرارى، و هى النجوم التى تجىء و تذهب. و قال قوم: هى احد الخمسة المضيئة: زحل، و المشترى، و المريخ، و الزهرة، و عطارد. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۳۶

و من قرأ- بضم الدال- نسبه الى الدّر فى صفائه و حسنه. و من ضم الدال و همز، فهو غير معروف عند أهل اللغة، لأنه ليس فى الكلام (فُعيل)- ذكره الفراء- و قال ابو عبيدة: وجهه ان يكون- بفتح الدال- كأنه (فعيل). قال سيبويه: ليس فى الكلام (فعيل) و انما تكسر الفاء مثل (سكيت). و روى المفضل عن عاصم انه قرأ- بكسر الدال- من غير همز، و لا مدّ، و معناه: انه جار كالنجوم الدرارى الجارية مأخوذ من در الوادى إذا جرى.

و وجه قراءة ابن كثير فى «توقد» أنه على (فعل) ماض، و ضم الدال ابن محيصن أراد (تتوقد). و من ضم الياء مثل نافع و ابن عامر، رده على الكوكب.

و قال الفراء: رده على المصباح. و من ضم التاء و الدال رده على الزجاجة.

اقسم اللَّه تعالى انه انزل «آيات» يعنى دلالات «مبينات» يعنى مفصلات، بينهن الله و فصلهن، فيمن قرأ- بفتح الياء- و من كسر الياء: معناه ان هذه الآيات و الحجج تبين المعانى و تظهر ما بطن فيها.

و قوله «وَ مَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ» معناه انه انزل إليكم اخبار من كان قبلكم من امم الرسل، و جعل ذلك عبراً لنا. و قيل لتعتبروا بذلك و تستدلوا به على ما يرضاه اللَّه منكم فتفعلوه و على ما يسخطه فتتجنبوه.

و قوله «اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان اللَّه هادى اهل السموات و الأرض- ذكره ابن عباس- فى رواية و أنس.

و الثانى- انه منور السموات و الأرض بنجومها و شمسها و قمرها- فى رواية اخرى- عن ابن عباس، و قال ابو العالية و الحسن مثل ذلك.

ثم قال تعالى «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ» الهاء فى قوله «نوره» قيل التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۳۷

إنها تعود على المؤمن، و تقديره مثل النور الذى فى قلبه بهداية اللَّه، و هو قول أبى ابن كعب و الضحاك. و قال ابن عباس: هى عائدة على اسم اللَّه، و معناه مثل نور الله الذى يهدى به المؤمن. و قال الحسن: مثل هذا القرآن فى القلب كمشكاة.

و قيل: مثل نوره و هو طاعته- فى قول ابن عباس- فى رواية. و قيل: مثل نور محمد (ص). و قال سعيد بن جبير: النور محمد، كأنه قال مثل محمد رسول اللَّه (ص) فالهاء كناية عن الله. و المشكاة الكوة التى لا منفذ لها- فى قول ابن عباس و ابن جريج- و قيل: هو مثل ضرب لقلب المؤمن، و المشكاة صدره، و المصباح القرآن، و الزجاجة قلبه- فى قول أبى ابن كعب، و قال: فهو بين اربع خلال إن أعطى شكر، و إن ابتلى صبر، و إن حكم عدل، و إن قال صدق. و قيل: المشكاة عمود القنديل الذى فيه الفتيلة، و هو مثل الكوة. و قال كعب الأحبار: المشكاة محمد (ص) و المصباح قلبه، شبه صدر النبى بالكوكب الدرى.

ثم رجع الى المصباح أى قلبه شبهه بالمصباح كأنه فى زجاجة و «الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِي‌ءُ» اى يتبين للناس و لو لم يتكلم انه نبى. و من قال «اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ» يعنى منورها بالشمس و القمر و النجوم، ينبغى ان يوجه ضرب المثل بالمشكاة على ان ذلك مثل ما فى مقدوره، ثم تنبث الأنوار الكثيرة عنه.

ضرب الله تعالى المثل لنوره الذى هو هدايته فى قلوب المؤمنين بالمشكاة، و هى الكوة التى لا منفذ لها إذا كان فيها مصباح، و هو السراج، و يكون المصباح فى زجاجة، و تكون الزجاجة مثل الكوكب الدرى- فمن ضم الدال- منسوب الى الدر فى صفائه و نوره. و من كسر الدال شبهها بالكوكب فى سرعة تدفعه بالانقضاض.

ثم عاد الى وصف المصباح، فقال «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ» اى التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۳۸

يشتعل من دهن شجرة مباركة، و هى الزيتونة الشامية، قيل لأن زيتون الشام ابرك.

و قيل: وصفه بالبركة لان الزيتون يورق من اوله الى آخره.

و قوله «لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ» قال ابن عباس- فى رواية- معناه لا شرقية بشروق الشمس عليها فقط و لا غربية بغروبها عليها فقط، بل هى شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين، فهو أجود لزيتها. و قيل: معناه انها وسط البحر، روى ذلك عن ابن عباس أيضاً. و قال قتادة: هى ضاحية للشمس، و قال الحسن: ليست من شجر الدنيا «يَكادُ زَيْتُها يُضِي‌ءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ» اى زيتها من صفائه و حسنه يكاد يضى‌ء من غير ان تمسه نار و تشتعل فيه. و قال ابن عمر الشجرة ابراهيم (ع) و الزجاجة التى كأنها كوكب درى محمد (ص).

و قوله «نُورٌ عَلى نُورٍ» قيل: معناه نور الهدى الى توحيده، على نور الهدى بالبيان الذى اتى به من عنده. و قال زيد بن اسلم «نور على نور» معناه يضى‌ء بعضه بعضاً. و قيل «نور على نور» معناه انه يتقلب فى خمسة أنوار، فكلامه نور، و علمه نور، و مدخله نور، و مخرجه نور، و مسيره نور الى النور يوم القيامة الى الجنة. و قال مجاهد: ضوء النار على ضوء النور على ضوء الزيت على ضوء المصباح على ضوء الزجاجة.

و قوله «يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ» أى يهدى الله لدينه و إيمانه من يشاء بأن يفعل له لطفاً يختار عنده الايمان إذا علم ان له لطفاً. و قيل: معناه يهدى الله لنبوته من يشاء، ممن يعلم انه يصلح لها. و قيل: معناه «يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ» اى يحكم بإيمانه لمن يشاء، ممن آمن به.

و قوله «وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ» معناه يضرب اللّه الأمثال للذين يفكرون فيها و يعتبرون بها «وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» لا يخفى عليه خافية.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۳۹

قوله تعالى:[سورة النور (۲۴): الآيات ۳۶ الى ۳۸] ..... ص : ۴۳۹

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ (۳۶) رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ (۳۷) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ (۳۸)

ثلاث آيات فى الكوفى و البصرى تمام الآية الأولى «الآصال» و فى الباقى آيتان آخرهما «الأبصار» و «حساب».

قرأ ابن عامر و ابو بكر و ابن شاهى عن حفص «يسبح» بفتح الباء. الباقون بكسرها، فمن فتح الباء، و قرأ على ما لم يسم فاعله احتملت قراءته فى رفع (رجال) وجهين:

أحدهما- أن يكون الكلام قد تم عند قوله «و الآصال» ثم قال «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» فالتجارة الجلب، و البيع ما يبيع الإنسان على يده.

و الوجه الثانى- أن يرفع (رجال) بإضمار فعل يفسره الأول، فيكون الكلام تاماً عند قوله «و الآصال» ثم يبتدئ «رجال» بتقدير يسبحه رجال. و قال ابو على:

يكون أقام الجار و المجرور مقام الفاعل، ثم فسر من يسبحه، فقال «رجال» أى يسبحه رجال، و منه قول الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۴۰

ليبك يزيد ضارع لخصومة «۱»

كأنه قال ليبك يزيد. قيل من يبكيه؟ فقال: يبكيه ضارع. و قال المبرد:

يجوز ان يكون يسبح نعتاً للبيوت، و تقديره فى بيوت اذن اللّه برفها و ذكر اسمه و يسبح له فيها رجال لا تلهيهم تجارة. و من قرأ بكسر الباء- و رفع رجالا بفعلهم، فعلى هذه القراءة لا يجوز الوقف إلا على «رجال» و على الاول على قوله «و الآصال».

و الآصال جمع أصيل. و قرأ أبو محلم «الآصال» بكسر الالف جعله مصدراً.

و قوله «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ» قيل فى العامل فى (فى) قولان:

أحدهما- (المصابيح) فى بيوت، و العامل استقرار المصابيح، و هو قول ابن زيد.

و الثانى- توقد فى بيوت، و هذه البيوت هى المساجد- فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد- و قال عكرمة: هى سائر البيوت و قال الزجاج: يجوز ان تكون (فى) متصلة بيسبح و يكون فيها كقولك فى الدار قام زيد فيها.

و قوله «أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ» قال مجاهد: معناه أذن اللّه أن تبنى، و ترفع بالبناء، كما قال «وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ» «۲» و قال الحسن:

معناه أن تعظم، لأنها مواضع الصلوات.

و قوله «وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ» أى يذكر اسم اللّه فى هذه البيوت. و قيل تنزه من النجاسات و المعاصى.

و قوله «يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ» قال ابن عباس: معناه يصلى له فيها بالغداة و العشى، و هو قول الحسن و الضحاك. و قال ابن عباس: كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة.

(۱) انظر ۴/ ۳۱۰ تعليقه ۲ و ۶/ ۳۲۹

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۱۲۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۴۱

و قوله «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» أى لا تشغلهم و لا تصرفهم التجارة و البيع عن ذكر اللَّه و تعظيمه.

و

روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع) انه تعالى مدح قوماً إذا دخل وقت الصلاة تركوا تجارتهم و بيعهم، و اشتغلوا بالصلاة.

و قوله «وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ» أى لا تصرفهم تجارتهم عن ذكر الله، و عن اقامة الصلاة، و حذف التاء لان الاضافة عوض عنها، لأنه لا يجوز أن تقول: أقمته إقاماً، و انما يجوز إقامة، و الهاء عوض عن محذوف، لان أصله أقوام، فلما اضافه قامت الاضافة مقام الهاء «وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ» أى و لا يصرفهم ذلك عن إعطاء الزكاة التى افترضها الله عليهم. و قال ابن عباس: الزكاة الطاعة لله و قال الحسن: هى الزكاة الواجبة فى المال قال الشاعر [فى حذف الهاء و العوض عنها بالاضافة]:

إن الخليط اجدّوا البين فانجردوا و أخلفوك عدى الأمر الذى وعدوا «۱»

يريد عدة الأمر فحذف الهاء لما أضاف.

و قوله تعالى «يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ» أى يخافون عذاب يوم أو اهوال يوم تتقلب فيه القلوب من عظم أهواله، و الأبصار من شدة ما يعاينوه. و قيل تتقلب فيه القلوب ببلوغها الحناجر، و تقلب الأبصار بالعمى بعد النظر و قال البلخى: معناه إن القلوب تنتقل من الشك الذى كانت عليه، الى اليقين و الايمان. و إن الأبصار تتقلب عما كانت عليه، لأنها تشاهد من أهوال ذلك اليوم ما لم تعرفه، و مثله قوله «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا» «۲» الآية. و قال الجبائى:

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۸/ ۱۰۲ و اللسان (وعد)

(۲) سورة ۵۰ ق آية ۲۲ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۴۲

تتقلب القلوب و الأبصار عن هيئاتها بأنواع العقاب كتقلبها على الجمر.

و قوله «لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا» أى يفعلون ذلك طلبا لمجازات الله إياهم بأحسن ما عملوا من ثواب الجنة، و يزيدهم على ذلك من فضله و كرمه. ثم اخبر تعالى انه «يرزق» على العمل بطاعته تفضلا منه تعالى «مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ» و الثواب لا يكون إلا بحساب و التفضل يكون بغير حساب.

قوله تعالى:[سورة النور (۲۴): الآيات ۳۹ الى ۴۰] ..... ص : ۴۴۲

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ (۳۹) أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ (۴۰)

آيتان بلا خلاف.

ثم اخبر اللَّه تعالى عن احوال الكفار، فقال و الذين كفروا بتوحيد اللَّه و اخلاص العبادة و جحدوا أنبياءه «أعمالهم» التى عملوا يعنى التى يعتقدون أنها طاعات و قربات «كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ» فالسراب شعاع يتخيل كالماء يجرى على الأرض نصف النهار حين يشتد الحر و الآل شعاع يرتفع بين السماء و الأرض- كالماء- ضحوة النهار، و الال يرفع الشخص فيه. و انما قيل سراب، لأنه يتسرب أى يجرى

كالماء و (قيعة) جمع قاع، و هو المنبسط من الأرض الواسع. و فيه يكون السراب التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۴۳

و مثله جار و جيرة، و يجمع ايضاً على (اقواع، و قيعان)، و الشعاع بالقاع يتكثف فيرى كالماء، فإذا قرب منه صاحبه انفش كالضباب، فلم يره شيئاً، كما كان. و قال ابن عباس: القيعة الأرض المستوية. و المعنى: إن الكافر لم يجد شيئاً على ما قدر.

و قوله «وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ» و المعنى ان الذى قدره من جزاء أعماله لا يجده، و يعلمه اللَّه عند عمله فيوفيه جزاءه على سوء أفعاله.

و قوله «وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ» أى سريع المجازاة، لان كل ما هو آت سريع قريب. و قال الجبائى:، لأنه تعالى يحاسب الجميع فى وقت واحد، و ذلك يدل على انه لا يتكلم بآلة. و انه ليس بجسم، لأنه لو كان متكلماً بآلة لما تأتى ذلك إلا فى أزمان كثيرة.

ثم شبه اللَّه تعالى أفعال الكافر بمثال آخر، فقال «أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ» أى أفعاله مثل ظلمات، يعنى ظلمة البحر و ظلمة السحاب، و ظلمة الليل، لان الكافر حاله ظلمة، و اعتقاده ظلمة، و مصيره الى ظلمة، و هو فى النار يوم القيامة نعوذ بالله منها. و تلخيص الكلام أن اعمال هؤلاء الكفار كالسراب يحسبه الظمآن- من بعد- ماء يرويه حتى إذا دنى منه لم يجده شيئاً أى حتى إذا مات لم يجد عمله شيئاً لأنه بطل بكفره، و وجد الله عند عمله يجازيه عليه. ثم ضرب مثلا آخر فقال او كظلمات يعنى انه فى حيرة من كفره مثل هذه الظلمات «وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً» فى قلبه و يهديه به «فَما لَهُ مِنْ نُورٍ» يهتدى به.

و قوله «فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ، ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ» مبالغة فى تشبيه هذه الافعال بالظلمات المتكاثفة على ما وصفه الله تعالى، و لجة البحر معظمه، الذى تتراكب فيه أمواجه لا- يرى ساحله. و الظلمات مثل التحير، و التحير الجهل الذى يغشى القلب. و قوله «إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها» انما قال لم يكد يراها مع أنه

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۴۴

بدون هذه الظلمات لا يراها، لان (كاد يراها) معناه قارب ان يراها، و لم يكد يراها لم يقارب أن يراها، فهى نفى مقاربة الرؤية على الحقيقة. و قيل دخل (كاد) بمعنى النفى كما يدخل الظن بمعنى اليقين، كأنه قال: يكفيه ان يكون على هذه المنزلة فكيف أقصى المنازل. و قيل يراها بعد جهد و شدة، رؤية تخيل لصورتها. و قال الحسن لم يكد يراها لم يقارب الرؤية قال الشاعر:

ما كدت أعرفه إلا بعد انكار

و قالوا كاد العروس يكون أميراً. و كاد النعام يطير. و قوله «وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً، فَما لَهُ مِنْ نُورٍ» معناه من لم يجعل الله له هداية الى الرشد، فما له من نور، أى فما له ما يفلح به على وجه من الوجوه. و قيل: من لم يجعل الله له نوراً يوم القيامة يهديه الى الجنة، فما له من نور يهديه اليها.

و فى الآية دلالة على فساد قول من يقول: إن المعارف ضرورة، لأنه لا يصح مع المعرفة الضرورية الحسبان.

قوله تعالى:[سورة النور (۲۴): الآيات ۴۱ الى ۴۴] ..... ص : ۴۴۴

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ (۴۱) وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (۴۲) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ (۴۳) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ (۴۴)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۴۵

أربع آيات فى البصرى و الكوفى و ثلاث فى غيرها. لأنهم لم يعدوا «بالأبصار» آخر آية.

قرأ ابو جعفر المدنى «يذهب بالأبصار» بضم الياء. الباقون بفتحها. و قد مضى ذكر مثله.

يقول اللّه تعالى لنبيه محمد (ص) «ألم تر» يا محمد و المراد به جميع المكلفين أى ألم تعلم ان الذى ذكره فى الآية لا يرى بالأبصار و انما يعلم بالادلة، «أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» فالتسبيح التنزيه لله تعالى عن جميع ما لا يجوز عليه، و لا يليق به، فمن نفى عنه الصاحبة و الولد، فقد سبحه، لأنه برأه مما لا يجوز عليه، و من نفى عنه أن يكون له شريك فى ملكه او عبادته، فقد سبحه، لأنه برأه مما لا- يجوز عليه، و كذلك من نفى عنه فعل القبيح، فقد سبحه، لأنه برأه مما لا يجوز عليه. و من نفى عنه أن يكون له شريك فى ملكه او عبادته، فقد سبحه، لأنه برأه مما لا يجوز عليه، و كذلك من نفى عنه فعل القبيح، فقد سبحه، لأنه برأه مما لا يجوز عليه. و تسبيح من فى السموات و الأرض إنما هو بما فيها من الدلالات على توحيده، و نفى الصاحبة عنه، و نفى تشبيهه بخلقه و تنزيهه عما لا يليق به، مما يدل على ذلك و يدعو اليه، كأنه المسبح له.

و قوله «وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ» معناه و تسبحه الطير صافات فى حال اصطفافها فى الهواء، لأنها إذا صفت أجنحتها فى الهواء و تمكنت من ذلك كان فى ذلك دلالة و عبرة على أن ممكنها من ذلك لا يشبه شيئاً من المخلوقات.

و قوله «كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ» معناه: إن جميع ذلك قد علم الله تعالى التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۴۶

صلاته، يعنى دعاءه الى توحيده، و تسبيحه، و تنزيهه عما لا يليق به. و قال مجاهد:

الصلاة للإنسان، و التسبيح لكل شيء. و قيل: كل قد علم صلاته أى صلاة نفسه، و تسبيح نفسه، فيكون الضمير فى علم ل (كل)، و على الأول يعود على اسم الله، و الأول أجود، لان هذه الأشياء كلها لا يعلم كيفية دلالتها غير الله. و انما الله تعالى عالم بذلك، و يقويه قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ» أى عالم بأفعالهم، لا يخفى عليه شيء منها. فيجازيهم بحسبها.

ثم اخبر تعالى فقال «وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ»، و الملك المقدور الواسع لمن يملك السياسة و التدبير، فملك السموات و الأرض لا يصح إلا لله وحده لا شريك له، لأنه لا يقدر على خلق الأجسام غيره، و ليس مما يصح أن يملكه العبد، لأنه لا يمكنه أن يصرفه أتم التصريف، فالملك التام، لا يصح الا لله تعالى.

و قوله «وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» اى اليه المرجع يوم القيامة، الى ثوابه او عقابه.

ثم قال «أَ لَمْ تَرَ» اى ا لم تعلم (أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً) اى يسوق سحاباً الى حيث يريده، و منه زجا الخراج إذا انساق الى أهله و أزجاه فلان أى ساقه «ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ» أى بين بعضه و بعض، لان لفظ سحاب جمع، واحده سحابة، و هو كقولهم: جلس بين النخل، لان لفظ بين لا تستعمل إلا فى شيئين فصاعداً.

و قوله «ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً» و هو المتراكب بعضه فوق بعض «فَتَرَى الْوَدْقَ» يعنى المطر، يقال: و دقت السحابة، تدق و دقاً إذا أمطرت قال الشاعر:

فلا مزنة و دقت و دقها و لا ارض ابقل إبقالها «۱»

«يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ» فالخلال جمع خلل. و قوله «وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ» معنى (من) الاولى، لابتداء الغاية، لان (من السماء) ابتداء

---

(۱) مر تخريجه فى ۱/ ۲۱۶ و ۵/ ۳۶۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۴۷

الانزال بالمطر، و الثانية للتبعيض، لأن البرد بعض الجبال التى فى السماء، و الثالثة لتبيين الجنس، لان جنس الجبال جنس البرد. و قيل فى السماء جبال برد مخلوقة فى السماء. و قال البلخى: يجوز أن يكون البرد يجتمع فى السحاب كالجبال ثم ينزل منها.

و قيل السماء هو السحاب، لان كل ما علا مطبقاً فهو سماء. و قال الفراء: يجوز أن يكون المراد و ينزل من السماء قدر جبال من برد، كما تقول: عندى بيتان من تبن أى قدر بيتين. و قال الحسن: فى السماء جبال برد، و قيل المعنى: قدر جبال يجعل منها برداً على ما

حكيناه عن الفراء.

و قوله «فَيُصِيبُ بِهِ» يعنى بذلك البرد «فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ» ان يهلك أو يهلك ماله «وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ» على حسب اقتضاء المصلحة.

و قوله «يَكادُ سَنا بَرْقِهِ» أى ضياء البرق، فسنا البرق مقصور، و سناء المجد ممدود. و قال ابن عباس و ابن زيد: يعنى ضوء برقه يكاد يختطف الأبصار. و قال قتادة: لمعان برقه.

و قوله «يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ» يعنى يجىء بالنهار عقيب الليل، و بالليل عقيب النهار. و قيل: يزيد من هذا فى ذاك و ينقص من ذاك فى هذا «إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً» اى دلالة (لأولى الأبصار) يعنى ذوى العقول الذين يبصرون بقلوبهم.

و فى الآية دلالة على وجوب النظر، و فساد التقليد، لأنه تعالى مدح المعتبرين بعقولهم بما نبه من الدلالات و الآيات الدالة على توحيده و عدله و غير ذلك.

قوله تعالى:[سورة النور (٢٤): آية ۴۵] ..... ص : ۴۴۷

وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۴۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ۴۴۸

آية بلا خلاف.

قرا حمزة و الكسائى و خلف (و الله خالق) على وزن (فاعل). الباقون (خلق) على فعل ماض. و من قرأ (خالق) فلقوله (خالق كل شىء) «١» و من قرأ خلق، فلانه فعل ذلك فيما مضى، و لقوله (ألم تر ان الله خلق السموات) «٢» و قوله (خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) «٣».

اخبر الله تعالى انه خالق كل شىء يدب من الحيوان من ماء. ثم فصله فقال منهم من يمشى على بطنه كالحياة و السمك و الدود، و غير ذلك. و منهم من يمشى على رجلين كالطير و ابن آدم، و غير ذلك، و منهم من يمشى على أربع كالبهائم و السباع و غير ذلك. و لم يذكر ما يمشى على أكثر من أربع، لأنه كالذى يمشى على أربع فى مرأى العين، فترك ذكره، لان العبرة تكفى بذكر الأربع. و قال البلخى:

لان عند الفلاسفة أن ما زاد على الأربع لا يعتمد عليها. و اعتماده على الأربع فقط، و انما قال (من ماء) لان أصل الخلق من ماء، ثم قلب الى النار، فخلق الجن منه، و الى الريح فخلق الملائكة منه، ثم الى الطين فخلق آدم (ع). و دليل أن اصل الحيوان كله الماء قوله تعالى (وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) «۴» و انما قال منهم تغليباً لما يعقل على ما لا يعقل إذا اختلط فى خلق كل دابة. و قيل (من ماء) اى من نطفة، و ذكره الحسن، و جعل قوله (كل دابة) خاصاً، فيمن خلق من نطفة.

و قوله (يَخْلُقُ اللَّهُ ما يَشاءُ) اى يخترع ما يشاء، و ينشئه من الحيوان،

---

(١) سورة ۴٠ المؤمن آية ۶٢ و سورة ۶ الانعام آية ١٠٢ و سورة ١٣ الرعد آية ١٨

(٢) سورة ١۴ إبراهيم آية ١٩

(٣) سورة ٢۵ الفرقان آية ٢

(۴) سورة ٢١ الأنبياء آية ٣٠

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ۴۴۹

و غيره (إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) لا يتعذر عليه شىء يريده.

قوله تعالی:[سورة النور (۲۴): الآیات ۴۶ الی ۵۰] ..... ص : ۴۴۹

لَقَدْ أَنْزَلْنا آیاتٍ مُبَیِّناتٍ وَ اللَّهُ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۴۶) وَ یَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنا ثُمَّ یَتَوَلَّی فَرِیقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ وَ ما أُولئِکَ بِالْمُؤْمِنِینَ (۴۷) وَ إِذا دُعُوا إِلَی اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِیَحْکُمَ بَیْنَهُمْ إِذا فَرِیقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (۴۸) وَ إِنْ یَکُنْ لَهُمُ الْحَقُّ یَأْتُوا إِلَیْهِ مُذْعِنِینَ (۴۹) أَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتابُوا أَمْ یَخافُونَ أَنْ یَحِیفَ اللَّهُ عَلَیْهِمْ وَ رَسُولُهُ بَلْ أُولئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ (۵۰)

خمس آیات بلا خلاف.

اقسم اللّه تعالی فی هذه الآیة انه انزل (آیاتٍ مُبَیِّناتٍ) أی دلالات واضحات تظهر بها المعانی، و تتمیز، مما خالفها حتی تعلم مفصلة. و من کسر الیاء، جعلها من المبینة المظهرة مجازاً، من حیث یتبین بها، فکأنها المبینة.

و قوله (وَ اللَّهُ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ) معناه و اللّه یلطف لمن یشاء بما یعلم انه یهتدی عنده (إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ) واضح: من توحیده و عدله و صدق أنبیائه. و الهدایة الدلالة التی یهتدی بها صاحبها الی الرشد، و قد تطلق علی ما یصح أن یهتدی بها، کما قال تعالی (وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَیْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمی عَلَی التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۴۵۰

الْهُدی

«۱» لأن المراد فی الآیة اللطف علی ما قلناه. و قال الجبائی: قوله (یَهْدِی مَنْ یَشاءُ) یعنی المکلفین دون من لیس بمکلف، و یجوز أن یکون المراد هدایتهم فی الآخرة الی طریق الجنة، و الصراط المستقیم الایمان لأنه یؤدی الی الجنة.

و قوله (وَ یَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنا ثُمَّ یَتَوَلَّی فَرِیقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ وَ ما أُولئِکَ بِالْمُؤْمِنِینَ) قیل انها نزلت فی صفة المنافقین، لأنهم یقولون بألسنتهم:

آمنا باللّه و صدقنا رسوله، فإذا انصرفوا إلی أصحابهم قالوا خلاف ذلک، فأخبر اللّه تعالی أن هؤلاء لیسوا بمؤمنین علی الحقیقة. ثم اخبر عن حال هؤلاء فقال: «وَ إِذا دُعُوا إِلَی اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِیَحْکُمَ بَیْنَهُمْ» فی شیء یختلفون فیه «إِذا فَرِیقٌ مِنْهُمْ» یعنی المنافقین «معرضون» عن ذلک. و لا یختارونه، لأنه یکون الحق علیهم. ثم قال «وَ إِنْ یَکُنْ لَهُمُ الْحَقُّ» و تتوجه لهم الحکومة «یَأْتُوا إِلَیْهِ» یعنی الی النبی (ص) منقادین «مُذْعِنِینَ» و الإذعان هو الانقیاد من غیر إکراه، فهؤلاء المنافقون إذا دعوا الی رسول اللّه (ص) لیحکم بینهم فی شیء اختلفوا فیه، امتنعوا ظلماً، لأنفسهم.

و کفروا بنبیهم، ففضحهم اللّه بما أظهر من جهلهم و نفاقهم.

و قیل انها نزلت فی رجل من المنافقین کان بینه و بین رجل من الیهود حکومة، فدعاه الیهودی الی رسول اللّه، و دعاه المنافق الی کعب بن الأشرف. و قیل انها نزلت فی علی (ع) و رجل من بنی أمیة دعاه علی الی رسول اللّه، و دعاه الاموی الی الیهود، و کان بینهما منازعة فی ماء و أرض. و حکی البلخی انه کانت بین علی (ع) و عثمان منازعة فی أرض اشتراها من علی، فخرجت فیها أحجار، و أراد ردها بالعیب، فلم یأخذها، فقال بینی و بینک رسول اللّه، فقال الحکم ابن أبی العاص ان حاکمته الی ابن عمه حکم له، فلا تحاکمه الیه، فانزل اللّه الآیة.

---

(۱) سورة ۴۱ حم السجدة (فصلت) آیة ۱۷

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۴۵۱

ثم قال تعالی منکراً علیهم «أَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أی شک فی قلوبهم، و سمی الشک مرضاً، لأنه آفة تصد القلب عن ادراک الحق، کالآفة فی البصر تصد عن ادراک الشخص، و انما جاء علی لفظ الاستفهام، و المراد به الإنکار، لأنه أشد فی الذم و التوبیخ أی ان هذا کفر، قد ظهر حتی لا یحتاج فیه الی البینة، کما جاز فی نقیضه علی طریق الاستفهام، لأنه أشد مبالغة فی المدح، کما قال جریر:

ألستم خير من ركب المطايا و اندى العالمين بطون راح «١»

فقال اللَّه تعالى «أَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شك فى النبى «أَمِ ارْتابُوا» بقوله و بحكمه (أَمْ يَخافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ و رسوله عليهم) أى يجور عليهم، و الحيف الجور بنقض الحق، و يحيف عليهم: يظلمهم، لأنه لا وجه للامتناع عن المجيء إلا أحد هذه الثلاثة.

ثم اخبر تعالى فقال: ليس لشيء من ذلك، بل لأنهم الظالمون نفوسهم و غيرهم، و المانعون لهم حقوقهم، و إنما أفرد قوله (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) بعد قوله (إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ)، لأنه حكم واحد يوقعه النبى (ص) بأمر الله.

قوله تعالى: [سورة النور (٢٤): الآيات ٥١ الى ٥٤] ..... ص : ٤٥١

إِنَّما كانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ اللَّهَ وَ يَتَّقْهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ (٥٢) وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لا تُقْسِمُوا طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (٥٣) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْهِ ما حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ وَ إِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٥٤)

---

(١) قائله جرير، ديوانه (دار بيروت) ٧٧

أربع آيات بلا خلاف.

قرأ ابو بكر و أبو عمرو (و يتقه) ساكنة القاف، لان الهاء لما اختلطت بالفعل و صارت مزدوجة ثقلت الكلمة، فخففت بالإسكان. و قيل: انهم توهموا أن الجزم واقع عليها. و قرأ ابن كثير، و ابن عامر، و حمزة، و الكسائى، و ورش (و يتقهى) بكسر الهاء المجاورة القاف المكسورة، و بعد الهاء ياء. و روى قالون باختلاس الحركة، و هو الأجود عند النحويين، لان الأصل يتقيه باختلاس الحركة، فلما سقطت الياء للجزم بقيت الحركة مختلسة، كما كانت. و روى حفص بإسكان القاف و كسر الهاء، لأنه كره الكسرة فى القاف و أسكنها تخفيفاً، كما قال الشاعر:

عجبت لمولود و ليس له أب و من والد لم يلده أبوان «١»

و يجوز ان يكون أسكن القاف و الهاء ساكنة، فكسر الهاء لالتقاء الساكنين، و لأن من العرب من يقول لم يتق مجزوم القاف بعد حذف الياء.

لما اخبر اللَّه تعالى عن المنافقين أنهم إذا دعوا الى اللَّه و رسوله فى الحكم بينهم فيما يتنازعون فيه، فإنهم عند ذلك يعرضون عن ذلك، و لا يجيبون اليه، أخبر أن المؤمنين بخلافهم و انهم إذا قيل لهم تعالوا (إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) ينبغى (ان يقولوا) فى الجواب عن ذلك (سَمِعْنا وَ أَطَعْنا) أى قبلنا هذا القول و انقدنا اليه و أجبنا الى حكم الله و رسوله.

ثم اخبر تعالى عن هؤلاء المؤمنين بأنهم (هُمُ الْفائِزُونَ) الذين فازوا بثواب الله و كريم نعمه. و

عن أبى جعفر (ع) أن المعنى بالآية أمير المؤمنين (ع)

وصفه

---

(١) مر تخريجه فى ٧/ ٤

بخلاف ما وصف خصمه الذى ذكره فى الآية الاولى.

ثم قال تعالى (وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ) بان يفعل ما أمره به و يبادر اليه (وَ يَخْشَ اللَّهَ وَ يَتَّقْهِ) بأن يخاف عقابه، فيجتنب معاصيه، فان من هذه صفته من الفائزين. و (الفوز) أخذ الحظ الجزيل من الخير، تقول: فاز يفوز فوزاً، فهو فائز. و سميت المهلكة مفازة تفاؤلا، فكأنه قيل: منجاة.

ثم أخبر تعالى عن جماعة من المنافقين بأنهم «أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ»

أي حلفوا به أغلظ أيمانهم، و قدر طاقتهم «لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ»

يا محمد بالخروج «لَيَخْرُجُنَّ»

يعنى الى الغزو، فقال اللَّه تعالى لهم «لا تُقْسِمُوا»

أي لا تحلفوا «طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ»

و قيل: فى معناه قولان:

أحدهما- هذه طاعة معروفة منكم يعنى بالقول دون الاعتقاد. أى إنكم تكذبون ذكره مجاهد.

و الثانى- طاعة و قول معروف أمثل من هذا القسم، و القول المعروف هو المعروف صحته. فان ذلك خير لكم من هذا الحلف.

ثم اخبر تعالى بأنه «خبير» أى عالم «بِما تَعْمَلُونَ»

لا يخفى عليه شيء على أي وجه توقعون أفعالكم، فيجازيكم بحسبها. و فى ذلك تهديد. ثم قال «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْهِ ما حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ» أي تتولوا، فحذفت التاء، و ليس كقوله «وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ»»

لان الأول مجزوم، و هو للمخاطبين، لأنه قال «وَ عَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ» و لو كان لغير المخاطبين، لقال و عليهم، كما قال «وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ» و كان يكون فى موضع نصب لأنه بمنزلة قولك: فان قاموا، و الجزاء يصلح فيه لفظ المستقبل و الماضى من (فعل يفعل) كما قال (فَإِنْ فاؤُ فَإِنَّ اللَّهَ) «۲». و قوله

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۱۳۷

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۲۲۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۵۴

(وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ) فى موضع نصب ذكره الفراء، و قوله (فإنما عليه) يعنى على المتولى جزاء ما حمل أى كلف، فانه يجازى على قدر ذلك، و عليكم جزاء ما كلفتم إذا خالفتم (وَ إِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا) يعنى ان أطعتم رسوله تهتدوا.

ثم اخبر انه ليس (عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ) الظاهر و القبول يتعلق بكم، و لا يلزمه عهدته، و لا يقبل منكم اعتذار تركه بامتناع غيره.

قوله تعالى:[سورة النور (۲۴): آية ۵۵] ..... ص : ۴۵۴

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (۵۵)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابو بكر عن عاصم (و ليبدلنهم) بالتخفيف. الباقون بالتشديد. و قرأ ابو بكر عن عاصم (كما استخلف) بضم التاء على ما لم يسم فاعله.

الباقون بفتحها. قال ابو على: الوجه فتح التاء، لأن اسم اللَّه قد تقدم ذكره، و الضمير فى (يستخلفنهم) يعود الى الاسم، فكذلك قوله (كما استخلف) لان المعنى ليستخلفنهم استخلافاً كاستخلافه الذين من قبلهم. و من ضم التاء ذهب الى ان المراد به مثل المراد بالفتح.

فى هذه الآية وعد من اللَّه تعالى للذين آمنوا من اصحاب النبى (ص) و عملوا التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۵۵
الصالحات، بأن يستخلفهم فى الأرض، و معناه يورثهم أرض المشركين من العرب و العجم (كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يعنى بنى إسرائيل بأرض الشام بعد إهلاك الجبابرة بأن أورثهم ديارهم و جعلهم سكانها. و قال الجبائى: (اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يعنى فى زمن داود و سليمان. و قال النقاش: يريد بالأرض أرض مكة، لان المهاجرين سألوا ذلك، و الاول قول المقداد بن الأسود، و روى عن رسول اللَّه (ص) أنه قال: (لا يبقى على الأرض بيت مدر، و لا وبر إلا و يدخله الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل).

و فى ذلك دلالة على صحة نبوة النبى (ص) لأنه أخبر عن غيب وقع مخبره على ما أخبر، و ذلك لا يعلمه إلا اللَّه تعالى (وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ) يعنى يمكنهم من إظهار الإسلام الذى ارتضاه ديناً لهم (وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً) أى نصرهم بعد أن كانوا خائفين بمكة وقت غلبة المشركين آمنين بقوة الإسلام و انبساطه.

ثم اخبر عن المؤمنين الذين وصفهم بأنهم يعبدون اللَّه تعالى وحده لا يشركون بعبادته سواه من الأصنام و الأوثان و غيرهما. و يجوز ان يكون موضعه الحال.

و يجوز أن يكون مستأنفاً.

ثم قال (وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ) يعنى بعد الذى قصصنا عليك و وعدناهم به (فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ) و إنما ذكر الفسق بعد الكفر مع أن الكفر أعظم من الفسق، لأحد أمرين:

أحدهما- انه أراد الخارجين فى كفرهم الى أفحشه، لان الفسق فى كل شيء هو الخروج الى أكبره.

الثانى- أراد ان من كفر تلك النعمة بالفساد بعدها، فسق و ليس يعنى الكفر باللَّه، ذكره ابو العالية. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۵۶

و التبديل- تغيير حال الى حال أخرى، تقول: بدل صورته تبديلا، و تبدل تبدلا، و الابدال رفع الشيء بأن يجعل غيره مكانه، قال ابو النجم:

عزل الأمير بالأمير المبدل «۱»

و التبديل رفع الحال الى حال أخرى. و الابدال رفع النفس الى نفس أخرى.

و الأصل واحد. و هو البدل.

و استدل الجبائى، و من تابعه على إمامة الخلفاء الأربعة بأن قال: استخلاف المذكور فى الآية لم يكن إلا لهؤلاء، لأن التمكين المذكور فى الآية إنما حصل فى أيام أبى بكر و عمر، لان الفتوح كانت فى أيامهم، فأبو بكر فتح بلاد العرب و طرفاً من بلاد العجم، و عمر فتح مداين كسرى الى حد خراسان و سجستان و غيرهما، فإذا كان التمكين و الاستخلاف هاهنا ليس هو إلا لهؤلاء الائمة الأربعة. و أصحابهم علمنا أنهم محقون.

و الكلام على ذلك من الوجوه.

أحدها- ان الاستخلاف- هاهنا- ليس هو الامارة و الخلافة. بل المعنى هو ابقاؤهم فى أثر من مضى من القرون، و جعلهم عوضاً منهم و خلفاً، كما قال «هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ» «۲» و قال «عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ» «۳» و قال «وَ رَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ» «۴» و كقوله «وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً» «۵» أى جعل كل واحد منهما خلف صاحبه، و إذا ثبت ذلك، فالاستخلاف و التمكين الذى ذكره اللَّه

---

(۱) قد مر تخريجه فى ۷/ ۷۹

(۲) سورة ۳۵ فاطر آية ۳۹

(٣) سورة ٧ الاعراف آية ١٢٨

(۴) سورة ۶ الانعام آية ١٣٣ [.....]

(۵) سورة ٢۵ الفرقان آية ۶٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ۴۵٧

فى آية، كانا فى أيام النبى (ص) حين قمع اللَّه أعداءه و أعلا كلمته و نشر ولايته، و اظهر دعوته، و أكمل دينه، و نعوذ باللَّه أن نقول: لم يمكّن اللَّه دينه لنبيه فى حياته حتى تلافى ذلك متلاف بعده، و ليس ذلك التمكين كثرة الفتوح و الغلبة على البلدان لأن ذلك يوجب أن دين اللَّه لم يتمكن بعد الى يومنا هذا لعلمنا ببقاء ممالك للكفر كثيرة لم يفتحها المسلمون، و يلزم على ذلك إمامة معاوية و بنى أمية، لأنهم تمكنوا اكثر من تمكن أبى بكر و عمر، و فتحوا بلاداً لم يفتحوها.

و لو سلمنا أن المراد بالاستخلاف الامامة للزم أن يكون منصوصاً عليهم، و ذلك ليس بمذهب اكثر مخالفينا، و إن استدلوا بذلك على صحة إمامتهم احتاجوا أن يدلوا على ثبوت إمامتهم بغير الآية، و انهم خلفاء الرسول حتى تتناولهم الآية.

فان قالوا: المفسرون ذكروا ذلك.

قلنا: لم يذكر جميع المفسرين ذلك، فان مجاهداً قال: هم أمة محمد (ص).

و عن ابن عباس و غيره: قريب من ذلك.

و

قال أهل البيت (ع) إن المراد بذلك المهدى (ع) لأنه يظهر بعد الخوف، و يتمكن بعد ان كان مغلوباً

، فليس فى ذلك اجماع المفسرين. و هذا أول ما فيه. و قد استوفينا ما يتعلق بالآية فى كتاب الامامة، فلا نطول بذكره- هاهنا- و قد تكلمنا على نظير هذه الآية، و ان ذلك ليس بطعن على واحد منهم، و انما المراد الممانعة من أن يكون فيها دلالة على الامامة، و كيف يكون ذلك. و لو صح ما قالوه لما احتيج الى اختياره، و لكان منصوصاً عليه، و ليس ذلك مذهباً لأكثر العلماء، فصح ما قلناه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ۴۵٨

قوله تعالى:[سورة النور (٢۴): الآيات ۵۶ الى ۵٧] ..... ص : ۴۵٨

وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۵۶) لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ مَأْواهُمُ النَّارُ وَ لَبِئْسَ الْمَصِيرُ (۵٧)

آيتان بلا خلاف.

قرأ حفص و ابن عامر و حمزة «لا- يحسبن» بالياء. الباقون بالتاء. فمن قرأ- بالياء- فموضع (الذين) رفع. و من قرأ- بالتاء- فموضعه نصب، و (معجزين) المفعول الثاني، و المفعول الثاني لمن قرأ- بالياء- قوله «فى الأرض». و قال ابو على:

المفعول الثاني على هذه القراءة محذوف، و تقديره: و لا يحسبن الذين كفروا إياهم معجزين. و قال الأخفش: من قرأ- بالياء- يجوز أن يكون (الذين) فى موضع نصب، على تقدير لا يحسبن محمد الذين، فيكون محمد الفاعل.

امر اللَّه تعالى فى الآية الأولى جميع المكلفين باقامة الصلاة و إيتاء الزكاة اللذين أوجبهما عليهم و ان يطيعوا الرسول فيما يأمرهم به و يدعوهم اليه، ليرجموا جزاء على ذلك، و يثابوا بالنعم الجزيلة.

ثم قال «لا تحسبن» يا محمد اى لا تظنن «الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ» اى لا يفوتونى. و من قرأ- بالياء- قال تقديره: لا يظنن من كفر أنه يفوتنى، و يعجزنى أيّ مكان ذهب فى الأرض.

ثم اخبر تعالى: ان مأوى الكافرين و مستقرهم النار، عقوبة لهم على كفرهم و انها بئس المرجع و بئس المستقر و المأوى. و انما

وصفها بذلک لما ینال الصائر الیها من العذاب و الآلام و الشدائد، و إن کانت من فعل اللّه و حکمته صواباً.

قوله تعالی:[سورة النور (۲۴): الآیات ۵۸ الی ۶۰] ..... ص : ۴۵۹

یـا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لِیَسْتَأْذِنْکُمُ الَّذِینَ مَلَکَتْ أَیْمانُکُمْ وَ الَّذِینَ لَمْ یَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْکُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَ حِینَ تَضَعُونَ ثِیابَکُمْ مِنَ الظَّهِیرَةِ وَ مِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ ثَلاثُ عَوْراتٍ لَکُمْ لَیْسَ عَلَیْکُمْ وَ لا عَلَیْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَیْکُمْ بَعْضُکُمْ عَلی بَعْضٍ کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمُ الْآیـاتِ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۵۸) وَ إِذا بَلَغَ الْأَطْفالُ مِنْکُمُ الْحُلُمَ فَلْیَسْتَأْذِنُوا کَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ آیـاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۵۹) وَ الْقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ اللاَّتِی لا یَرْجُونَ نِکاحاً فَلَیْسَ عَلَیْهِنَّ جُناحٌ أَنْ یَضَعْنَ ثِیابَهُنَّ غَیْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِینَةٍ وَ أَنْ یَسْتَعْفِفْنَ خَیْرٌ لَهُنَّ وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۶۰)

ثلاث آیات بلا خلاف.

قرأ اهل الکوفة إلا حفصاً «ثلاث عورات» بفتح الثاء. الباقون بالرفع.

قـال ابو علی النحوی: من رفع، فعلی أنه خبر ابتـداء محـذوف، و تقـدیره هـذه ثلاث عورات، لأنه لمـا قال «الَّذِینَ مَلَکَتْ أَیْمانُکُمْ، وَ الَّذِینَ لَمْ یَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْکُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ» و فصـل الثلاث بقوله «مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ، وَ حِینَ تَضَعُونَ ثِیابَکُمْ مِنَ الظَّهِیرَةِ، وَ مِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ» صار کأنه قال: هذه ثلاث عورات، فأجمل بعد التفصیل. و من التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۴۶۰

نصب جعله بـدلا من قوله «ثلاث مرات» و انما أبـدل «ثلاث عورات» و لیس بزمان من (ثلاث مرات) و هی زمان، لأنه مشتمل علی زمان من حیث ان التقدیر:

أوقات ثلاث عورات، فلما حذف المضاف أقام المضاف الیه مقامه.

و (العورات) جمع عورة، و حکم ما کان علی وزن (فعلة) من الأسـماء أن تحرک العین منه، نحو صفحة و صفحات، و جفنة و جفنات إلا ان عامـة العرب یکرهون تحریـک العین فیمـا کـان عینه واواً أو یـاء، لأنه کان یلزمه الانقلاب الی الألف، فاسـکنوا لـذلک، فقالوا عورات و جوزات و بیضـات. و قرأ الأعمش- بفتـح الواو- من (عورات) و وجهه مـا حکاه المبرد أن هـذیلا یقولون فی جمع جوزة و عورة و لوزة:

جوزات، و عورات، و لوزات، فیحرکون العین فیها، و أنشد بعضهم:

ابو بیضات رائح متأوب رفیق بمسح المنکبین سبوح «۱»

فحرک الیاء من بیضات، و الأجود عند النحویین ما ذکرناه.

هذه الآیة متوجهة الی المؤمنین باللّه المقرین برسوله، یقول اللّه لهم: مروا عبیدکم و اماءکم أن یسـتأذنوا علیکم إذا أرادوا الدخول الی مواضع خلواتکم. و قال ابن عباس و ابو عبد الرحمن: الآیة فی النساء و الرجال من العبید. و قال ابن عمر: هی فی الرجال خاصة. و قال الجبائی: الاستئـذان واجب علی کل بالغ فی کل حال، و یجب علی الأطفال فی هـذه الأوقات الثلاثـة بظاهر هـذه الآیة. و قال قوم: فی ذلک دلالـة علی انه یجوز أن یؤمر الصبی الذی یعقل، لأنه أمره بالاستئذان. و قال آخرون: ذلک أمر للآباء أن یأخذوا الأولاد بذلک، فظاهر الآیـة یدل علی وجوب الاستئذان ثلاث مرات فی ثلاث أوقات من ساعات اللیل و النهار. ثم فسـر الأوقات فقال «من قبل صـلاة الفجر و حین تضعون ثیابکم من الظهیرة و من بعد صلاة العشاء» الاخرة

(۱) تفسیر القرطبی ۱۲/ ۳۰۵ و اللسان (بیض)

لأن الغالب على الناس أن يتعروا فى خلواتهم فى هـذه الأوقات ذكره مجاهـد. ثم بين أنه ليس عليكم و لا عليهم جناح فيما بعـد ذلك من الأوقات أن يدخلوا عليكم من غير اذن، يعنى فى الذين لم يبلغوا الحلم، و هو المراد بقوله «طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلى بَعْضٍ» ثم قال: مثل ما بين لكم هذه العورات بين الله لكم الدلالات على الأحكام «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ» بما يصلحكم «حكيم» فيما ذكره و غيره من أفعاله. ثم قـال «وَ إِذا بَلَغَ الْأَطْفـالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» يعنى يرتفع من دخوله بغير اذن إذا بلغ، و صار حكمه حكم الرجـال فى وجوب الاستئـذان على كـل حال. ثم قال مثل ما بين لكم هـذا بين لكم أدلته «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» ثم قال «وَ الْقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكاحاً» يعنى المسـنات من النساء اللاتى قعـدن عن التزويـج، لأنه لا يرغب فى تزويجهن. و قيل: هن اللاتى ارتفع حيضـهن، و قعـدن على ذلـك، اللاـتى لاـ يطمعن فى النكـاح أى لا يطمع فى جماعهن لكبرهن «فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ» قيل هو القناع الذى فوق الخمار و هو الجلباب، و الرداء الذى يكون فوق الشعار. و

فى قراءة أهل البيت (ع) «ان يضعن من ثيابهن»

و به قرأ أبى.

و قوله «غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ» أى لا تقصد بوضع الجلباب اظهار محاسنها، و ما ينبغى لها أن تستره. و التبرج إظهار المرأة من محاسنها ما يجب عليها ستره.

ثم اخبـر تعـالى أن الاسـتعفاف عن طرح الجلبـاب خير لهن فى دينهن «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ» لأـقوالكم «عليم» بمـا تضـمرونه «حليم» عليكم لا يعـاجلكم بالعقوبـة على معاصـيكم، و انمـا ذكر القواعـد من النساء، لان الشابـة يلزمها من التستر اكثر مما يلزم العجوز، و مع ذلك فلا يجوز للعجوز أن تبدى عورة لغير محرم، كالساق و الشعر و الذراع.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۶۲

قوله تعالى:[سورة النور (۲۴): آية ۶۱] ..... ص : ۴۶۲

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ وَ لاـ عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لاـ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَ لا عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَواتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خالاتِكُمْ أَوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتاتاً فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۶۱)

آية بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى انه «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ» و هو الذى كف بصره «وَ لا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ» و هو الذى يعرج من رجليه او أحدهما «وَ لا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ» و هو الذى يكون عليلا، و الحرج الضيق فى الدين، مشتق من الحرجة، و هى الشجر الملتف بعضه ببعض لضيق المسالك فيه، و حرج فلان إذا أثم. و تحرّج من كذا إذا تأثم من فعله.

نفى اللَّه الحرج عن هؤلاء لما يقتضيه حالهم من الآفات التى بهم مما تضيق على غيرهم. و اختلفوا فى تأويل ذلك، فقال الحسن و ابن زيـد و الجبـائى: ليس عليهم حرج فى التخلف عن الجهـاد، و يكون قوله «وَ لاـ عَلى أَنْفُسِكُمْ» كلامـا مسـتأنفاً. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۶۳

ابن عبـاس: ليس من مـؤاكلتهم حرج، لأـنهم كـانوا يتحرجون من ذلـك. قـال الفراء: كـانت الأنصـار تتحرج من ذلـك، لأـنهم كـانوا يقولون: الأـعمى لا يبصـر فتأكل جيـد الطعام دونه و يأكل رديئـة. و الأعرج لا يتمكن من الجلوس. و المريض يضـعف عن المأكل. و قال مجاهد: ليس عليكم فى الأكل من بيوت من سمى على جهة حمل قراباتهم إليهم يستتبعونهم فى ذلك حرج. و قال الزهرى: ليس عليهم حرج فى أكلهم من بيوت الغزاة إذا خلفوهم فيه بإذنهم. و قيل: كان المخلف فى المنزل المأذون له فى الأكل يتحرج، لئلا يزيد

على مقدار المأذون له فيه. و قال الجبائى: الآية منسوخة بقوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ» «۱» و

يقول النبى (ص) (لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه)

و الذى

روى عن أهل البيت (ع): انه لا بأس بالأكل لهؤلاء من بيوت من ذكرهم اللَّه بغير إذنهم، قدر حاجتهم من غير إسراف.

و قوله «وَ لا عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ» قال الفراء: لما نزل قوله «لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً» «۲» ترك الناس مؤاكلة الصغير و الكبير ممن أذن الله تعالى فى الأكل معه، فقال تعالى و ليس عليكم فى أنفسكم، و فى عيالكم حرج أن تأكلوا منهم و معهم الى قوله «أو صديقكم» أى بيوت صديقكم «أَوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ» أى بيوت عبيدكم و أموالهم. و قال ابن عباس: معنى ما ملكتم مفاتحه هو الوكيل و ما جرى مجراه. و قال مجاهد و الضحاك:

هو ما ملكه الرجل نفسه فى بيته. و واحد المفتاح مفتاح- بكسر الميم- و فى المصدر (مفتح) بفتح الميم. و قال قتادة: معنى قوله «أَوْ صَدِيقِكُمْ» لأنه لا بأس فى الاكل من بيت صديقه بغير اذنه.

---

(۱) سورة ۳۳ الأحزاب آية ۵۳

(۲) سورة ۴ النساء آية ۲۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۶۴

و قوله «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتاتاً» قيل: يدخل فيه أصحاب الآفات على التغليب للمخاطب كقولهم: انت و زيد قمتما، و لا يقولون قاما.

و قال ابن عباس: معناه لا بأس ان يأكل الغنى مع الفقير فى بيته. و قال ابن عباس و الضحاك: هى فى قوم من العرب كان الرجل منهم يتحرج أن يأكل وحده. و قال ابن جريج: كانوا من كنانة. و قال ابو صالح: كانوا إذا نزل بهم ضيف تحرجوا أن يأكلوا معه، فأباح اللَّه الاكل منفرداً و مجتمعاً. و الاولى حمل ذلك على عمومه، و انه يجوز الاكل وحداناً و جماعاً.

و قوله «فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ» قال الحسن: معناه ليسلم بعضكم على بعض. و قال ابراهيم: إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل: السلام علينا و على عباد اللَّه الصالحين. و قال قوم: أراد بالبيوت المساجد. و الأولى حمله على عمومه.

فاما رد السلام، فهو واجب على المسلمين. و قال الحسن: يجب الرد على المعاهد، و لا يقول الراد و رحمة اللَّه.

و قوله تعالى «تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً» يعنى هذا السلام تحيون به تحية من عند اللَّه مباركة طيبة، لما فيها من الأجر الجزيل و الثواب العظيم.

ثم قال كما يبين اللَّه لكم هذه الأحكام و الآداب «كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» أى يبين اللَّه لكم الأدلة على جميع الأحكام، و جميع ما يتعبدكم به لتعقلوا ذلک، و تعملوا بموجبه.

قوله تعالى:[سورة النور (۲۴): الآيات ۶۲ الى ۶۴] ..... ص : ۴۶۴

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذا كانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۶۲) لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۶۳) أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

(۶۴)

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۶۵

ثلاث آيات بلا خلاف يقول الله تعالى ليس المؤمنون على الحقيقـة إلا «الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ» أى صـدقوا بتوحيده و عدله، و أقروا بصدق رسوله و إذا كـانوا مع رسوله «عَلى أَمْرٍ جامِعٍ» و هو الـذى يقتضـى الاجتماع عليه و التعاون فيه: من حضور حرب أو مشورة فى أمر، أو فى صـلاة جمعـة، و ما أشـبه ذلك، لم ينصـرفوا عن رسوله او عن ذلك الأمر، إلا بعـد أن يأذن لهم الرسول فى الانصـراف متى طلبوا الاذن من قبله. و الاستئذان طلب الاذن من الغير.

ثم قال تعالى لنبيه (ص) «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ» يا محمـد، فهم الـذين يصدقون باللَّه و رسوله على الحقيقة، دون الذين ينصـرفون بلا استئذان.

ثم قال لنبيه (ص) أيضاً متى ما استأذنوك هؤلاء المؤمنون أن يذهبوا لبعض مهماتهم و حاجاتهم «فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ» فخيره بين ان يأذن و ألا يأذن، و هكذا التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۶۶

حكم الامام.

و قوله «وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ» أى اطلب لهم المغفرة من اللَّه. و اسـتغفار النبى (ص) هو دعاؤه لهم باللطف الـذى تقع معه المغفرة «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى ساتر لذنوبهم منعم عليهم.

ثم أمر المكلفين فقال تعالى «لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- احذروا دعاءه عليكم إذا أسخطتموه، فان دعاءه موجب، ليس كدعاء غيره، ذكره ابن عباس.

و الثـانى- قـال مجاهـد و قتـادة: ادعوه بـالخضوع و التعظيم، و قولوا له: يـا رسول اللَّه، و يـا نبى الله، و لا ـ تقولوا: يـا محمـد، كما يقول بعضكم لبعض.

و قوله «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً» معناه إذا تسـلل واحـد منكم من عنـد النبى (ص) فان الله عالم به. و قال الحسن: معنى «لواذاً» فراراً من الجهاد. قال الفراء: كان المنافقون يحضرون مع النبى الجمعة، فإذا نزلت آية فيها ذم للمنافقين ضجروا، و طلبوا غره «۱» و استتر بعضهم ببعض، يقال: لاوذت بفلان ملاوذة، و لواذاً. قال الزجاج: الملاوذة المخالفة، و لذت به ألوذ لياذاً.

ثم حذرهم من مخالفة رسوله بقوله «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ» و انما دخلت (عن) فى قوله «عن أمره» لأن المعنى يعرضون عن أمره. و فى ذلك دلالـة على أن أوامر النبى (ص) على الإيجاب، لأنها لو لم تكن كـذلك لما حـذر من مخالفته، و ليس المخالف هو ان يفعل خلاف ما أمره فقط، لان ذلك ضرب من المخالفة. و قد يكون مخالفاً بألا يفعل ما أمره به. و لو كان الأمر على الندب لجاز

---

(۱) معناه طلبوا اختصار الحديث أى طيه على غره

التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۶۷

تركه، و فعل خلافه.

و قوله «أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ» أى فليحذروا من أن تصـيبهم فتنة: أى بلية تظهر ما فى قلوبهم من النفاق. و الفتنة شدة فى الدين تخرج ما فى الضـمير «أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» فى الآـخرة جزاء على خلافهم الرسـول. و يجوز أن يكون المراد: ان تصـيبهم عقوبـة فى الـدنيا، أو يصيبهم عـذاب مؤلم فى الآـخرة. و قيـل: معنـاه «أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ» أى قبـل أن يصـيبهم عـذاب فى الآـخرة. و قوله «أَلا ـ إِنَّ لِلَّهِ مـا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» المعنى ان له ملك ما فى السـموات و الأرض، و التصـرف فى جميع ذلك، و لا يجوز لاحد الاعتراض عليه، و لا يجوز مخالفـة أمر رسوله، و لا ـ يخـالف أمره، لأـن الهـاء فى قوله «عن أمره» يحتمـل أن تكون راجعـة الى الرسول و يحتمـل أن تكون راجعة الى الله، و قد مضـى ذكرهما قبلها. ثم بين انه «يَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ» من الايمان و النفاق، لا يخفى عليه شىء من أحوالكم لا سراً و

لا علانية.

و قوله «وَ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ» أي يوم يردون اليه يعنى يوم القيامة، الذى لا يملك فيه احد شيئاً سواه، و من ضم الياء: أراد يردون. و من فتحهـا نسب الرجوع اليهم. و قوله «فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا» أى يعلمهم جميع ما عملوه من الطاعات و المعاصـى و يوافيهم عليها. «وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» لا يخفى عليه شيء من ذلك الذى عملوه سراً و جهراً.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۶۹

۲۵- سورة الفرقان ..... ص : ۴۶۹

اشارة

قال مجاهد و قتادة: هى مكية. و قال ابن عباس: نزلت ثلاث آيات منها بالمدينة من قوله «وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ» الى قوله «رحيماً» عدد آياتها سبع و سبعون آية ليس فيها خلاف.

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۱ الى ۶] ..... ص : ۴۶۹

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً (۱) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً (۲) وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ وَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً وَ لا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَ لا حَياةً وَ لا نُشُوراً (۳) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً (۴)

وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً (۵) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (۶)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۷۰

ست آيات.

معنى تبارك: تقدس و جل: بما لم يزل عليه من الصفات، و لا يزال كذلك، و لا يشاركه فيها غيره. و أصله من بروك الطير على الماء، فكأنه قال: ثبت فيما لم يزل و لا يزال الذى نزل الفرقان على عبده. و قال ابن عباس: تبارك (تفاعل) من البركة. فكأنه قال ثبت بكل بركة او حل بكل بركة. و قال الحسن: معناه الذى تجيء البركة من قبله، و البركة الخير الكثير. و الفرقان هو القرآن، سمى فرقاناً لأنه يفرق به بين الصواب و الخطأ، و الحق و الباطل فى امور الدين، بما فيه من الوعظ و الزجر عن القبائح و الحث على أفعال الخير.

ثم بين تعالى انه انما نزل هذا القرآن، و غرضه أن يكون نذيراً للعالمين، أى مخوفاً و داعياً لهم الى رشدهم، و صارفاً لهم عن غيهم و ضلالتهم، يقال: أنذره إنذاراً إذا دعاه الى الخير، بأن يخوفه من تركه: إذا كان غافلا عنه، و قال ابن زيد: النذير هو النبى (ص). و قال آخرون: هو القرآن.

ثم وصف تعالى (الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ) بأنه (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) و التصرف فيهما، بسعة مقدوره بسياستها. و انه (لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً) كما يدعيه النصارى فى أن المسيح ابن اللَّه، و يزعم جماعة من العرب أن الملائكة بنات اللَّه. و أنه ليس له شريك فى الملك، بل هو المالك لجميع ذلك وحده، و انه (خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان كل شيء يطلق عليه اسم مخلوق، فانه خلقه، لأن أفعالنا لا يطلق عليها اسم الخلق حقيقة، لان الخلق يفيد الاختراع، و انما

يسمونها بذلك مجازاً. التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۷۱

و الثانى- انه لا يعتد بما يخلقه العبد فى جنب ما خلقه اللَّه، لكثرة ذلك و قلة ما يخلقه العبد.

و يحتمل ان يكون المراد قدّر كل شىء، لان أفعال العباد مقدرة للَّه، من حيث بين ما يستحق عليها فاعلها من الثواب و العقاب أو لا يستحق شيئاً من ذلك. و يقوى ذلك قوله (فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) لان المعنى فيه، و كل شىء على مقدار حاجتهم اليه و صلاحه لهم.

ثم اخبر تعالى عن الكفار، فقال (وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً) من الأصنام و الأوثان، و وجهوا عبادتهم اليها من دون اللَّه. ثم وصف آلهتهم بما ينبئ أنها لا تستحق العبادة، بأن قال (لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً) و لا يقدرون عليه، و هم مع ذلك مخلوقون، و مصرفون، و انهم (لا يملكون) أى لا- يقدرون (لأنفسهم) على ضرّ و لا على نفع (و لا يملكون) أى لا يقدرون على موت، و لا على حياة، و لا على بعث بعد الموت. و النشور هو البعث بعد الموت، يقال: نشر الميت، فهو ناشر نشوراً، و انشره اللَّه انشاراً، و منه قوله (ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ) «۱» و جميع ذلك يختص اللَّه بالقدرة عليه، و العبادة تستحق بذلك، لأنها أصول النعم، ثم أخبر عن الكفار بأنهم يقولون: ليس هذا القرآن الذى أنزلناه (إلا- إفك) يعنى كذب افتعله النبى (ص) (وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) قال الحسن: قالوا أعانه عليه عبد حبشى يعنى الحضرمى، و قال مجاهد: قالوا أعانه عليه اليهود.

ثم حكى تعالى عنهم بأنهم قالوا ذلك و (جاءوا) فى هذا القول (ظُلْماً وَ زُوراً) أى جاءوا بظلم، فلما حذف الباء نصبه أى انهم أضافوه الى غيره من صدر عنه، و كذبوا فيه.

---

(۱) سورة ۸۰ عبس آية ۲۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۷۲

و حكى عنهم انهم قالوا أيضاً: هذا القرآن (أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ) و رفع (أساطير) بأنه خبر ابتداء محذوف، و تقديره هذا أساطير الأولين. قال ابن عباس:

الذى قال ذلك النضر بن الحارث بن كلدة، يعنى اخبار قد سطرها الأولون من الأمم اكتتبها هو، و انتسخها (فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ) حتى ينسخها (بُكْرَةً وَ أَصِيلًا) يعنى غداة و عشياً. و الأصيل العشى، لأنه أصل الليل و أوله. و معناه: إنه يقرأ عليه على هوى النفس، فأمر اللَّه تعالى نبيه (ص) أن يقول لهم، تكذيباً لقولهم (قُلْ أَنْزَلَهُ) يعنى القرآن (الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ) يعنى الخفايا (فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) و المعنى انه أنزله على ما يعلم من المصلحة و بواطن الأمور و خفاياها، لا على ما تقتضيه أهواء النفوس و شهواتها. و قال الجبائى: السر- هاهنا- الغيب. و السر إخفاء المعنى فى القلب أسر اليه إسراراً أى ألقى اليه ما يخفيه فى قلبه، و ساره مسارة و سراراً: إذا أخفى ما يلقيه اليه من السر عن غيره.

و قوله (إِنَّهُ كانَ غَفُوراً) معناه الذى يعلم السر فى السموات و الأرض لا يعاجلهم بالعقوبة، بل يستر عليهم، و هكذا كان على من تقدم من الكفار و العصاة (رحيما) أى منعماً عليهم.

قوله تعالى:[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۷ الى ۱۰] ..... ص : ۴۷۲

وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ لَوْ لا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً (۷) أَوْ يُلْقى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْها وَ قالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً (۸) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (۹) تَبارَكَ الَّذِي إِنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ يَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً (۱۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۷۳

أربع آيات.

قرأ حمزة و الكسائى (نأكل) بالنون. الباقون بالياء. و قرأ ابن كثير و ابن عامر و ابو بكر عن عاصم (و يجعل لك قصوراً) بالرفع. الباقون بالجزم. من قرأ (يأكل) بالياء أراد النبى (ص) فإنهم كرهوا أن يكون نبى من قبل الله يأكل الطعام و يمشى فى الأسواق، و قالوا: هلا كان معه ملك؟ فيكون معه معيناً مخوفاً لعباده (و داعياً) لهم. و من قرأ بالنون أراد: نأكل نحن، فيكون له بذلك مزية علينا فى الفضل بأكلنا من جنته. و من جزم (و يجعل) عطفه على موضع (جعل) لأن موضع (جعل) جزم، لأنه جزاء الشرط، فعطف (و يجعل) على الموضع كما قرأ من قرأ قوله (مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ وَ يَذَرُهُمْ) «۱» بالجزم و من رفع استأنفه و قطعه عن الأول، كمن قرأ (و يذرهم) بالرفع.

حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم أنهم قالوا أى شيء «لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ» كما نأكل «وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ» فى طلب المعاش، كما نمشى «لَوْ لا أُنْزِلَ إِلَيْهِ» و معناه هلا أنزل الله عليه ملكاً ان كان صادقاً، فيكون معيناً له على الانذار و التخويف. و إن لم ينزل اليه ملك، هلا «يُلْقى إِلَيْهِ كَنْزٌ» يستغنى به و يكون عوناً له على دنياه و ما يريده «أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ» اى بستان «يأكل منها» هو نفسه. و من قرأ- بالنون- أراد نأكل نحن معه. و نتبعه.

ثم حكى: ان الظالمين نفوسهم بارتكاب المعاصى و الكفر، قالوا لأتباعهم و من سمع منهم (إن تتبعون) اى ليس تتبعون إن تبعتموه (إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً) و قيل

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۱۸۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۷۴

إنما يخاطبون بذلك المؤمنين المقرين بنبوته، ليصرفوهم عنه. و معنى (مسحوراً) انه قد سحر. و السحر ما خفى سببه حتى يظن انه معجز. فقال الله لنبيه (ص) (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ) يعنى الاشباه، لأنهم قالوا تارة: هو مسحور. و تارة مثلوه بالمحتاج المتروك، حتى تمنوا له الكنز. و تارة بأنه ناقص عن القيام بالأمور، و كل ذلك جهل منهم و ذهاب عن وجه الصواب. فقال الله تعالى (فضلوا) بضرب هذه الأمثال عن طريق الحق (فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) معناه لا يستطيعون طريقاً الى الحق، مع تمسكهم بطريق الجهل، و عدولهم عن الداعى الى الرشد. و قيل معناه (فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) الى إبطال أمرك.

ثم قال تعالى (تَبارَكَ الَّذِي) أى تقدس و تعاظم الله الذى (إِنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذلِكَ) يعنى مما قالوه- فى قول مجاهد- ثم فسر (ذلك) فقال الذى هو خير مما قالوه (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ يَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً) و هو جمع قصر، و هو البيت المشيد المبنى- فى قول مجاهد- و سمى القصر قصراً، لأنه يقصر من فيه عن أن يوصل اليه. و من جزم «يجعل» عطفاً على موضع (جعل)، لأنه جواب الشرط. و من رفع استأنف. و كان يجوز النصب على الظرف «۱».

قوله تعالى:[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۱۱ الى ۱۶] ..... ص : ۴۷۴

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَ أَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً (۱۱) إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَ زَفِيراً (۱۲) وَ إِذا أُلْقُوا مِنْها مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً (۱۳) لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً واحِداً وَ ادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً (۱۴) قُلْ أَ ذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كانَتْ لَهُمْ جَزاءً وَ مَصِيراً (۱۵)

لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ خالِدِينَ كانَ عَلى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُلًا (۱۶)

---

(۱) يقصد بالظرف (واو المعية)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۷۵

ست آيات.

يقول اللَّه تعالى مخبراً عن حال هؤلاء الكفار الذين وصفهم و ذكرهم بأنهم كفروا باللَّه و جحدوا البعث و النشور، أنهم لم يكفروا لأنك تأكل الطعام و تمشى فى الأسواق، بل لأنهم لم يقروا بالبعث و النشور، و الثواب و العقاب، و هو معنى قوله «بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ» يعنى بالقيامهٔ، و ما فيها من الثواب و العقاب.

ثم اخبر تعالى انه أعد «لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً» و (أعتدنا) أصله أعددنا فقلبت احدى الدالين تاء، لقرب مخرجهما. و (السعير) النار الملتهبهٔ، يقال: اسعرتها اسعاراً، و استعرت استعاراً، و تسعرت تسعراً، و سعرها اللَّه تسعيراً. و الاسعار تهيج النار بشدهٔ الإيقاد.

ثم وصف تلك النار المستعرهٔ، فقال «إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ» و نسب الرؤيهٔ الى النار- و انما هم يرونها- لان ذلك أبلغ، كأنها تراهم رؤيهٔ الغضبان الذى يزفر غيظاً، فهم يرونها على تلك الصفهٔ، و يسمعون منها تلك الحال الهائلهٔ. و (التغيظ) انتفاض الطبع لشدهٔ نفور النفس، و المعنى صوت التغيظ من التلهب و التوقد. و قال الجبائى: معناه «إِذا رَأَتْهُمْ» الملائكهٔ الموكلون بالنار «سَمِعُوا لَها» للملائكهٔ «تَغَيُّظاً وَ زَفِيراً» للحرص على عذابهم. و هذا عدول عن ظاهر الكلام مع حسن ظاهره و بلاغته من غير حاجهٔ داعيهٔ و لا دلالهٔ صارفهٔ. و انما شبهت النار بمن له تلك الحال، و ذلك فى نهايهٔ البلاغهٔ.

و قوله «وَ إِذا أُلْقُوا» يعنى الكفار «منها» يعنى من النار «مَكاناً ضَيِّقاً» أى التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۷۶

فى مكان ضيق «مقرنين» قيل: معناه مغللين، قد قرنت أعناقهم الى أيديهم فى الاغلال، كما قال «مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ» «۱» و قيل: مقرنين مع الشياطين فى السلاسل و الاغلال. و قيل يقرن الإنسان و الشيطان الذى كان يدعوه الى الضلال «دَعَوْا هُنالِكَ» يعنى فى ذلك الموضع، يدعون «ثبورا» قال ابن عباس: الثبور الويل، و قال الضحاك: هو الهلاك. و قيل: أصله الهلاك من قولهم ثبر الرجل إذا هلك.

قال ابن الزبعرى.

إذا جارى الشيطان فى سنن الغى فمن مال ميله مثبور «۲»

و يقال: ما ثبرك عن هذا الأمر أى ما صرفك عنه صرف المهلك عنه، فيقولوا: وا انصرفاه عن طاعهٔ اللَّه. و قيل: وا هلاكاه. فقال اللَّه تعالى انه يقال لهم عند ذلك «لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً واحِداً وَ ادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً» أى لا تدعوا ويلا واحداً، بل أدعوا ويلا كثيراً. و المعنى إن ذلك لا ينفعكم سواء دعوتم بالويل قليلا أو كثيراً.

ثم قال تعالى لنبيه (ص) «قل» لهم يا محمد «أَ ذلِكَ خَيْرٌ» يعنى ما ذكره من السعير و أوصافه خير «أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ» و انما قال ذلك على وجه التنبيه لهم على تفاوت ما بين الحالين. و انما قال «أَ ذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ» و ليس فى النار خير، لأن المراد بذلك أى المنزلين خير؟! تبكتاً لهم و تقريعاً. و قوله «الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ» أى وعد اللَّه بهذه الجنهٔ من يتقى معاصيه و يخاف عقابه «كانَتْ لَهُمْ جَزاءً وَ مَصِيراً» يعنى الجنهٔ مكافأهٔ و ثواباً على طاعاتهم، و مرجعهم اليها و مستقرهم فيها، و «لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ» و يشتهون من اللذات و المنافع «خالدين» أى مؤبدين لا يفنون فيها «كانَ عَلى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُلًا» و قيل فى معناه قولان:

---

(۱) سورهٔ ۱۴ ابراهيم آيهٔ ۴۹ و سورهٔ ۳۸ ص آيهٔ ۳۸

(۲) مر تخريجه فى ۶/ ۵۲۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۷۷

أحدهما- ان المؤمنين يسألون اللَّه عز و جل الرحمهٔ فى قولهم «رَبَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا» «۱» و قولهم: (وَ آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ) «۲».

و الثانى- انه بمنزلهٔ قولك: لك ما تمنيت منى أى متى تمنيت شيئاً فهو لك، فكذلك متى سألوا شيئاً. فهو لهم بوعد اللَّه (عز و جل)

إیاهم.

و قرأ ابن کثیر (ضیقاً) بتخفیف الیاء. الباقون بالتشدید، و هما لغتان بالتشدید و التخفیف، مثل سید و سید، و میت و میت. و قیل: ذلک هو الوعد المسئول فی دار الدنیا.

قوله تعالی:[سورة الفرقان (۲۵): الآیات ۱۷ الی ۲۰] ..... ص : ۴۷۷

وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ وَ ما یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَیَقُولُ أَ أَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِی هؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِیلَ (۱۷) قالُوا سُبْحانَکَ ما کانَ یَنْبَغِی لَنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِکَ مِنْ أَوْلِیاءَ وَ لکِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آباءَهُمْ حَتَّی نَسُوا الذِّکْرَ وَ کانُوا قَوْماً بُوراً (۱۸) فَقَدْ کَذَّبُوکُمْ بِما تَقُولُونَ فَما تَسْتَطِیعُونَ صَرْفاً وَ لا نَصْراً وَ مَنْ یَظْلِمْ مِنْکُمْ نُذِقْهُ عَذاباً کَبِیراً (۱۹) وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَکَ مِنَ الْمُرْسَلِینَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَیَأْکُلُونَ الطَّعامَ وَ یَمْشُونَ فِی الْأَسْواقِ وَ جَعَلْنا بَعْضَکُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَ تَصْبِرُونَ وَ کانَ رَبُّکَ بَصِیراً (۲۰)

اربع آیات.

---

(۱) سورة ۲۳ المؤمنون آیة ۱۱۰

(۲) سورة ۳ آل عمران آیة ۱۹۴

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۴۷۸

قرأ ابن کثیر و ابو جعفر و حفص و یعقوب (و یوم یحشرهم) بالیاء. الباقون بالنون. و قرأ ابن عامر (فنقول) بالنون. الباقون بالیاء. و قرأ ابو جعفر (ان نتخذ) بضم النون و فتح الخاء. الباقون بفتح النون و کسر الخاء. و قرأ حفص (فما تستطیعون) بالیاء. الباقون بالتاء.

من قرأ (یحشرهم) بالیاء فتقدیره: قل یا محمد یوم یحشرهم اللَّه و یحشر الأصنام التی یعبدونها من دون اللَّه. قال قوم: حشر الأصنام افناؤها. و قال آخرون یحشرها کما یحشر سائر الحیوان لیبکت من جعلها آلهة.

و من قرأ بالنون أراد: ان اللَّه المخبر بذلک عن نفسه. و ابن عامر جعل المعطوف مثل المعطوف علیه فی أنه حمله علی انه إخبار من اللَّه. و من قرأ الأولی بالنون و الثانیة بالیاء عدل من الاخبار عن اللَّه الی الاخبار عن الغائب.

یقول الله تعالی (وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ) یعنی هؤلاء الکفار الجاحدین للبعث و النشور و یحشر (ما یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) قال مجاهد: یعنی عیسی و عزیر. و قال قوم: هو کل ما عبدوه من دون الله لیبکتوا بذلک (فیقول) ای فیقول الله لهم (أَ أَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِی هؤُلاءِ) یعنی الکفار أی یقول الله للذین عبدوهم أ أنتم الذین دعوتم الکفار الی عبادتکم، فأجابوکم (أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِیلَ) من قبل نفوسهم عن طریق الحق و أخطئوا طریق الصواب؟ فیجیب المعبودون بما حکاه الله فیقولون:

(سُبْحانَکَ ما کانَ یَنْبَغِی لَنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِکَ مِنْ أَوْلِیاءَ) ندعوهم الی عبادتنا.

و من ضم النون أراد: لم یکن لنا ان نتخذ اولیاء من دونک، و ضعف هذه القراءة النحویون. فقالوا: لان (من) هذه تدخل فی الاسم دون الخبر، نحو ما علمت من رجل راکباً، و لا تقول: ما علمت رجلا من راکب. و قال الزجاج: لا یجوز ذلک التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۴۷۹

کما لا یجوز فی قوله (فَما مِنْکُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِینَ) «۱» ما احد عنه منکم من حاجزین.

و قال الفراء یجوز ذلک علی ضعف، و وجهه أن یجعل الاسم فی (من أولیاء)، و إن کانت وقعت موقع الفعل [و قوله (ما کانَ یَنْبَغِی لَنا)، (کان) زائدة، و التقدیر:

ما ینبغی لنا- ذکره ابو عبیدة- و هذا لا یحتاج الیه، لان هذا إخبار عنهم یوم القیامة:

انهم یقولون: «ما کانَ یَنْبَغِی لَنا» فی دار الدنیا ان نتخذ اولیاء من دونک «۲» و قوله «وَ لکِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آباءَهُمْ حَتَّی نَسُوا الذِّکْرَ وَ کانُوا

قَوْماً بُوراً» تمام الحكاية عما يقول المعبودون من دون الله، فإنهم يقولون يا ربنا انك متعت هؤلاء الكفار و متعت آباءهم فى نعيم الدنيا «حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ» أى ذكرك «وَ كانُوا قَوْماً بُوراً» أى هلكى فاسدين. و البور الفاسد، و يقال: بارت السلعة تبور بوراً إذا بقيت لا تشترى بقاء الفاسد الذى لا يراد. و البائر الباقى على هذه الصفة. و البور مصدر كالزور، لا يثنى و لا يجمع و لا يؤنث. و قيل هو جمع (بائر) قال ابن الزبعرى:

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور «۳»

و نعوذ باللَّه من بوار الإثم. و قوله «فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِما تَقُولُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- كذبكم الملائكة و الرسل، فى قول مجاهد.

و الثانى- قال ابن زيد: أيها المؤمنون كذبكم المشركون بما تقولون: عن نبوة محمد (ص) و غيره من أنبياء اللَّه.

قال الفراء: من قرأ بالياء معناه كذبوكم بقولهم. و قوله

---

(۱) سورة ۶۹ الحاقة آية ۴۷

(۲) ما بين القوسين كان فى المطبوعة مؤخرا عن موضعه. [.....]

(۳) انظر ۶/ ۲۹۴ من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۷، ص: ۴۸۰

«فَما تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَ لا نَصْراً» قال مجاهد: يعنى بذلك، فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف العذاب عن أنفسهم، و لا نصر أنفسهم من عذاب اللَّه تعالى. و قيل: معناه فما يستطيعون لك يا محمد صرفاً عن الحق، و لأنصر أنفسهم من البلاء الذى هم فيه، من التكذيب لك.

و قيل: ما يستطيعون نصراً من بعض لبعض. و من قرأ- بالتاء- خاطبهم بذلك بتقدير قل لهم.

ثم قال تعالى «وَ مَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ» نفسه بارتكاب المعاصى و جحد آيات اللَّه «نذقه» فى مقابلة ذلك جزاء عليه «عَذاباً كَبِيراً» أى عظيماً.

ثم خاطب نبيه محمداً (ص) فقال «وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ» يا محمد «مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ» مثلك «وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْواقِ» طلبا للمعايش، كما تطلبها أنت، و هو جواب لقولهم «ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ» «۱» و كسرت (إن) فى قول «الا انهم» لأنه موضع ابتداء، كأنه قال: إلا هم يأكلون الطعام، كما تقول: ما قدم علينا أمير الا إنه مكرم لى، و لا يجوز أن تكون مكسورة لأحل اللام، لأن دخولها و خروجها واحد فى هذا الموضع. و قال قوم (من) محذوفة و التقدير إلا من انهم ليأكلون الطعام نحو «وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ» «۲» اى الا من له مقام معلوم، ذكره الفراء. و قال الزجاج: هذا لا يجوز، لان قوله «إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ» صلة (من) و لا يجوز حذف الموصول و بقاء الصلة، و مثل الآية قول الشاعر:

ما أعطيانى و لا سألتهما إلا و أنى لحاجز كرمى «۳»

و قوله «وَ جَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً» قال الحسن: معناه يقول هذا الأعمى:

لو شاء لجعلنى بصيراً مثل فلان، و يقول هذا الفقير: لو شاء لجعلنى غنياً مثل فلان

---

(۱) سورة ۲۵ الفرقان آية ۷

(۲) سورة ۳۷ الصافات آية ۱۶۴

(۳) البيت فى مجمع البيان ۴/ ۱۶۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۷، ص: ۴۸۱

و يقول هذا السقيم: لو شاء لأصحنى مثل فلان.

و قوله «وَ كانَ رَبُّکَ بَصِيراً» أى بصيراً بمن يصبر ممن يجزع، فى قول ابن جريج. و قال الفراء: كان الشريف إذا أراد أن يسلم، و قد سبق المشروف الى الإسلام، فيقول: أسلم بعد هذا؟. فكان ذلک فتنة. و قيل «وَ جَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً» للعداوات التى كانت بينهم فى الدين. و الفتنة شدة فى التعبد تظهر ما فى نفس العبد من خير و شر، و هى الاختبار. و أصله اخلاص الشىء بإحراق ما فيه من الفساد من قولهم: فتنت الذهب بالنار إذا أخلصته من الغش باحراقه، و منه قوله «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» «۱» أى يحرقون إحراق ما يطلب إخلاصه من الفساد.

و قوله «أَ تَصْبِرُونَ وَ كانَ رَبُّکَ بَصِيراً» معناه اصبروا فقد عرفتم ما وعد الصابرون به من الثواب، و اللَّه بصير بمن يصبر و من يجزع.

قوله تعالى:[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۲۱ الى ۲۵] ..... ص : ۴۸۱

وَ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً (۲۱) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَ يَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً (۲۲) وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً (۲۳) أَصْحابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلاً (۲۴) وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ وَ نُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلاً (۲۵)

خمس آيات.

حكى اللَّه تعالى عن الكفار الذين لا يرجون لقاء ثواب اللَّه، و لا يخافون عقابه

---

(۱) سورة ۵۱ الذاريات آية ۱۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۸۲

أنهم قالوا ما ذكره. و الرجاء ترقب الخير الذى يقوى فى النفس وقوعه، تقول: رجا يرجو رجاء و ارتجى ارتجاء، و ترجى ترجياً، و مثل الرجاء الطمع و الأمل. و المعنى لا- يرجون لقاء جزائنا، و إذا استعملوا الرجاء مع النفى أرادوا به الخوف، كقوله «لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً» «۱» و هى لغة تهامة و هذيل. و اللقاء المصير الى الشىء من غير حائل و لهذا صح لقاء الجزاء من الثواب و العقاب، لان العباد يصيرون اليه فى الآخرة و على هذا يصلح أن يقال: لا بد من لقاء اللَّه تعالى.

و قوله «لَوْ لا- أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا» معناه هلا- أنزل الملائكة لتخبرنا بأن محمداً نبى «أَوْ نَرى رَبَّنا» فيخبرنا بذلک. قال الجبائى: و ذلک يدل على انهم كانوا مجسمة، فلذلک جوزوا الرؤية على اللَّه التى تقتضى التشبيه.

ثم اقسم تعالى فقال «لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا» بهذا القول «فِي أَنْفُسِهِمْ» أى طلبوا الكبر و التجبر بغير حق، تقول: استكبر استكباراً «وَ عَتَوْا» بذلک أى طغوا به «عُتُوًّا كَبِيراً» و العتو الخروج الى أفحش الظلم.

و قوله «يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ» يجوز أن يكون المراد به اليوم الذى تقبض فيه أرواحهم، و يعلمون أين مستقرهم. و يجوز أن يكون يوم القيامة «لا- بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ» أى لا- بشرى لهم فى ذلک اليوم. قال الفراء: ليس (اليوم) من صلة (بشرى) و لا منصوباً به، بل أضمرت (الفاء) كقولک: أما اليوم، فلا مال لک.

و قال الزجاج: يجوز على تقدير لا بشرى تكون للمجرمين يوم يرون الملائكة، و يكون (يومئذ) مؤكداً ل (يوم)، و لا يكون منصوباً ب (لا- بشرى) لأن ما يتصل ب (لا-) لا- يعمل فيما قبلها، لكن لما قيل: «لا بشرى للمجرمين» بين فى أى يوم ذلک فكأنه قال يمنعون البشرى يوم يرون الملائكة، و هو يوم القيامة و (المجرمين) معناه

---

(۱) سورة ۷۱ نوح آية ۱۳

التبيان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۴۸۳

الذین أجرموا و ارتکبوا المعاصی «وَ یَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً» حراماً محرّماً. و قال قتادة، و الضحاک: هو من قول الملائکة یقولون لهم: حراماً محرماً علیکم البشری.

و قال مجاهد و ابن جریح: هو من قول المجرمین، کما کانوا یقولون فی الدنیا إذا لقوا من یخافون منه القتل، قالوا «حِجْراً مَحْجُوراً» أی حراماً محرماً دماؤنا. و اصل الحجر الضیق، یقال: حجر علیه یحجر حجراً إذا ضیق. و الحجر الحرام لضیقه بالنهی عنه، قال المتلمس:

حنت الی النخلة القصوی فقلت لها حجر حرام ألا تلک الدهاریس «۱»

و قال آخر:

فهممت ان ألقی الیها محجراً و لمثلها یلقی الیه المحجر «۲»

أی حراماً. و منه حجر القاضی علیه یحجر. و حجر فلان علی أهله. و منه حجر الکعبة، لأنه لا یدخل الیه فی الطواف، و انما یطاف من ورائه، لتضیقه بالنهی عنه و قوله «لِذِی حِجْرٍ» «۳» أی لذی عقل، لما فیه من التضییق فی القبیح، و الحجر الأنثی من الخیل، و منه الحجرة، و حجر الإنسان.

و قوله «وَ قَدِمْنا إِلی ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً» قال البلخی:

معناه قدم أحکامنا بذلک. و قال مجاهد: معنی «قدمنا» عمدنا قال الراجز:

و قدم الخوارج الضلال الی عباد ربهم فقالوا

إن دماءکم لنا حلال «۴»

و فی الکلام بلاغة حسنة، لان التقدیر: کان قصدنا الیه قصد القادم علی ما یکرهه، ما لم یکن رآه قبل فیغیره. و الهباء غبار کالشعاع، لا یمکن القبض علیه

---

(۱) أنظر ۴/ ۳۱۳ تعلیقه ۱ من هذا الکتاب

. (۲) تفسیر الطبری ۱۹/ ۲

(۳) سورة ۸۹ الفجر آیة ۵

(۴) تفسیر القرطبی ۱۳/ ۲۱ و الطبری ۱۹/ ۳

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۴۸۴

و قال الحسن و مجاهد و عکرمة: هو غبار یدخل الکوة فی شعاع الشمس. و قال عکرمة:

هو رهج الخیل. و قال ابن عباس و غیره: هو الماء المهراق.

ثم قال تعالی «أَصْحابُ الْجَنَّةِ یَوْمَئِذٍ خَیْرٌ مُسْتَقَرًّا» و معناه: إن الذین یحصلون فی الجنة- مثابین منعمین فی ذلک الیوم- مستقرهم خیر من مستقر الکفار فی الدنیا و الآخرة. و انما قال ذلک علی وجه المظاهرة، بمعنی أنه لو کان لهم مستقر خیر و منفعة، لکان هذا خیراً منه، «وَ أَحْسَنُ مَقِیلًا» معناه أحسن موضع قائلة، و إن لم یکن فی الجنة نوم، إلا أنه من تمهیده یصلح للنوم، لأنهم خوطبوا بما یعرفون، کما قال «وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِیها بُکْرَةً وَ عَشِیًّا» «۱» علی ما اعتادوه. و قال البلخی: معنی «مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِیلًا» انه خیر فی نفسه، و حسن فی نفسه، لا انه أفضل من غیره، کما قال «وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَیْهِ» «۲» أی هو هین. و قال قوم: معنی «خَیْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ» أی انفع من مستقرهم. و قال ابن عباس و ابراهیم و ابن جریج:

لأنه یفرغ من حسابهم الی وقت القائلة.

و قوله «یَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ» أی عن الغمام، و هو کقولهم: رمیت بالقوس، و عن القوس بمعنی واحد.

و قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر «تشقق» مشددة و معناه تتشقق، فأدغم احدى التائين فى الشين لقرب مخرجيهما. و من قرأ بالتخفيف أراد ايضاً ذلك. و لكنه حذف أحدى التائين، و هى تاء (تفعّل) لان الأخرى علامة الاستقبال، لا يجوز حذفها. و قال أبو على الفارسى: المعنى «تشقق السماء» و عليها الغمام. و فى التفسير:

انه يتشقق سماء سماء. و قال الفراء تتشقق السماء عن الغمام الأبيض. و قرأ الباقون بالتخفيف. و قرأ ابن كثير «و ننزل الملائكة» بنونين. و قرأ الباقون بنون

---

(۱) سورة ۱۹ مريم آية ۶۲

(۲) سورة ۳۰ الروم آية ۲۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۸۵

واحدة مشددة.

و المعنى بذلك الاخبار عن هول ذلك اليوم و عظم شدائده، و ان الملائكة تنزل للمؤمنين بالإكرام و الإعظام، و للكافرين بالاستخفاف و الاهانة.

و من قرأ بالنونين أراد ان اللَّه المخبر بذلك عن نفسه. و من قرأ بنون واحدة فعلى ما لم يسم فاعله. و المعنيان واحد. و التشديد أجود لقوله «تنزيلا» و الآخر يجوز، كما قال (وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا)»

و قوله (وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً) «۲» فجاء المصدر على غير الفعل و ذلك سائغ جيد.

قوله تعالى:[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۲۶ الى ۳۰] ..... ص : ۴۸۵

الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمنِ وَ كانَ يَوْماً عَلَى الْكافِرِينَ عَسِيراً (۲۶) وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (۲۷) يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا (۲۸) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وَ كانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا (۲۹) وَ قالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً (۳۰)

خمس آيات.

يقول اللَّه تعالى إن (الملك) الذى هو السلطان بسعة المقدور و تدبير العباد فى ذلك اليوم و وصفه بأنه الحق «للرحمن» الذى أنعم على جميع خلقه، و أن ذلك

---

(۱) سورة ۷۳ المزمل آية ۸

(۲) سورة ۷۱ نوح آية ۱۷ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۸۶

اليوم كان على الكافرين عسيراً، يعنى صعباً شديداً، و العسير هو الذى يتعذر طلبه، و نقيضه اليسير. و الحق هو ما كان معتقده على ما هو به، معظم فى نفسه، و لذلك وصفه تعالى بأنه الحق و وصف ملكه ايضاً بأنه الحق لما ذكرناه. و قيل «الملك» على ثلاثة أضرب: ملك عظمة، و هو للَّه تعالى وحده. و ملك ديانة بتمليك اللَّه تعالى.

و ملك جبرية بالغلبة.

ثم قال تعالى أن فى ذلك اليوم «يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ» تلهفاً على ما فرط فى جنب اللَّه، فى ارتكاب معصيته. و قيل: إن الآية نزلت فى أبى بن خلف، و عقبة ابن أبى معيط، و كانا خليلين ارتدّ أبى، لما صرفه عن الإسلام عقبة. و قتل عقبة ابن أبى معيط يوم بدر صبراً.

و قتل أبى بن خلف يوم احـد، قتله النبى (ص) بيده، ذكره قتادة. و قال مجاهد: الخليل- هاهنا- الشيطان، و فلان كناية عن واحد بعينه من الناس، لأنه معرفة. و قال ابن دريد، عن أبى حاتم عن العرب: أنهم يكنوا عن كل مذكر بفلان، و عن كل مؤنث بفلانة. و إذا كنوا عن البهائم أدخلوا الألف و اللام، فقالوا الفلان و الفلانة.

ثم بين أنه يتبرأ منه بأن يقول: و اللّه «لَقَدْ أَضَلَّنِی عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِی» يعنى أغوانى عن اتباع الذكر الذى هو النبى (ص) و يحتمل أن يكون أراد القرآن.

ثم بين فقال «وَ كانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا» يخذله فى وقت حاجته و معاونته، لأنه على باطل «وَ قالَ الرَّسُولُ» أى و يقول الرسول «إِنَّ قَوْمِی اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال محمد، و ابراهيم: انهم قالوا فيه هجراً أى شيئاً من القول القبيح لزعمهم انه سحر، و انه أساطير الأولين.

و الثانى- قال ابن زيد: هجروا القرآن باعراضهم عنه، و ترك ما يلزمهم فيه التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۸۷

و يشهد لهذا قوله «لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ» «۱» و مثل (قال) بمعنى (يقول) قول الشاعر:

مثل العصافير أحلاماً و مقدرة لو يوزنون بزف الريش ما وزنوا «۲»

اى ما يوزنون، و اما قول الشاعر:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً منى و ما سمعوا من صالح دفنوا «۳»

فهذا فى الجزاء.

قوله تعالى:[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۳۱ الى ۳۴] ..... ص : ۴۸۷

وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَ كَفى بِرَبِّكَ هادِياً وَ نَصِيراً (۳۱) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً (۳۲) وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً (۳۳) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلى وُجُوهِهِمْ إِلى جَهَنَّمَ أُوْلئِكَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضَلُّ سَبِيلاً (۳۴)

أربع آيات.

معنى قوله «وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ» قيل فيه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس: جعل لمحمد (ص) عدواً من المجرمين، كما جعل لمن قبله.

---

(۱) سورة ۴۱ حم السجدة (فصلت) آية ۲۶

(۲) مجمع البيان ۴/ ۱۶۸

(۳) مجاز القرآن ۱/ ۱۷۷ انظر ۵/ ۴۴ تعليقة ۲ من هذا الكتاب

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۸۸

و الثانى- كما جعلنا النبى يعادى المجرم مدحاً له و تعظيما، كذلك جعلنا المجرم يعادى النبى ذماً له و تحقيراً. و المعنى إن اللّه تعالى حكم بأنه على هذه الصفة. و قيل «جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ» ببياننا أنهم أعداؤهم، كما يقال جعله لصاً أو خائناً. و قيل: معناه أمرنا بأن يسموهم أعداء. و الجعل وجود ما به يصير الشىء على ما لم يكن، و مثله التصيير، و العدو المتباعد من النصرة للبغضة، و نقيضه الولى، و أصله البعد. و منه عدوتا الوادى أى جانباه، لأنهما بعداه و نهايتاه، و عدا عليه يعدو عدواً إذا باعد خطوة للإيقاع به، و تعدى فى فعله إذا أبعد فى الخروج عن الحق. ثم قال تعالى «وَ كَفى بِرَبِّكَ» يا محمد «هادِياً وَ نَصِيراً» اى حسبك اللّه الهادى الى الحق، و الناصر على العدو، و (هادياً) منصوب على الحال أو التمييز، فالحال كفى به فى حال الهداية و النصرة، و التمييز من الهادين و

الناصرين- ذكره الزجاج- و لا يقدر أحد أن يهدى كهداية اللَّه، و لا أن ينصر كنصرته، فلذلك قال «وَ كَفى بِرَبِّكَ هادِياً وَ نَصِيراً» ثم حكى أنّ الكفار، قالوا «لولا» اى هلا «نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ» على النبى «جُمْلَةً واحِدَةً» فقيل لهم إن التوراة أنزلت جملة، لأنها أنزلت مكتوبة على نبى يكتب و يقرأ و هو موسى، و اما القرآن، فإنما انزل متفرقاً، لأنه أنزل غير مكتوب على نبى أمى، و هو محمد (ص) و قيل: انما لم ينزل جملة واحدة، لان فيه الناسخ و المنسوخ، و فيه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، و فيه ما هو إنكار لما كان. و فى الجملة المصلحة معتبرة فى إنزال القرآن، فإذا كانت المصلحة تقتضى انزاله متفرقاً كيف ينزل جملة واحدة!؟ فقال اللَّه تعالى لنبيه (ص) إنا أنزلناه متفرقاً (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ) و قال أبو عبيدة: معناه لنطيب به نفسك و نشجعك.

و قوله (وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا) فالترتيل التبين فى تثبت و ترسل. و قوله (وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ) أى لم ننزل القرآن جملة واحدة لأنهم لا يأتونك بشىء التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۸۹

يريدون به إبطال أمرك (إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ) الذى يبطله (وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً) أى نجيؤك بأحسن تفسيراً مما يأتونك به و أجود معانى.

ثم قال (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلى وُجُوهِهِمْ) يوم القيامة (الى جهنم) يعنى الكفار يسحبون على وجوههم. و فى الحديث أن الذى أمشاهم على أقدامهم، قادر على أن يمشيهم على وجوههم.

ثم أخبر تعالى عن هؤلاء الذين يحشرون على وجوههم بأنهم (شَرٌّ مَكاناً وَ أَضَلُّ سَبِيلًا) عن الحق و عن الثواب و الجنة.

قوله تعالى:[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۳۵ الى ۴۰] ..... ص : ۴۸۹

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ جَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً (۳۵) فَقُلْنَا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً (۳۶) وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَ جَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَ أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ عَذاباً أَلِيماً (۳۷) وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ أَصْحابَ الرَّسِّ وَ قُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً (۳۸) وَ كُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَ كُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِيراً (۳۹)

وَ لَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَ فَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً (۴۰)

ست آيات.

أقسم اللَّه تعالى بأنه آتى موسى الكتاب يعنى التوراة، و أنه جعل معه أخاه هارون وزيراً، يحمل عنه أثقاله، و أنه قال لهما و أوحى اليهما و أمرهما بأن يذهبا الى القوم التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۹۰

الذين كذبوا بآيات اللَّه و جحدوا أدلته، يعنى فرعون و قومه، و أخبر أنهم لم يقبلوا منهما و جحدوا نبوتهما، فأهلكهم الله و دمرهم تدميراً. و التدمير الإهلاك بأمر عجيب و مثله التنكيل، يقال: دمر على فلان إذا هجم عليه بالمكروه.

ثم قال «وَ قَوْمَ نُوحٍ» أى أغرقنا قوم نوح لما كذبوا الرسل «أَغْرَقْناهُمْ وَ جَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً» و علامة. و التغريق الإهلاك بالماء الغامر، و قد غرق الله تعالى قوم نوح بالطوفان، و هو مجىء ماء السماء المنهمر، و ماء الأرض الذى فجر الله تعالى عيونها حتى التقى الماء، أى أتى على أمر قد قدره الله، فطبق الأرض و لم ينج إلا نوحاً و من كان معه راكباً فى السفينة، و يقال: فلان غريق فى النعمة تشبيهاً بذلك.

و قوله «لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ» يعنى نوحاً و من تقدم من الأنبياء. و قيل:

المعنى نوحاً و الرسل من الملائكة. و قيل: نوحاً و من بعده من الرسل، لأن الأنبياء يصدق بعضهم بعضاً فى توحيد الله و خلع الأنداد، فمن كذب بواحد منهم فقد كذب بهم جميعهم، و قال الحسن: تكذيبهم بنوح تكذيب لسائر الرسل.

ثم قال تعالى: إنا مع إهلاكهم العاجل (أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ) نفوسهم (عَذاباً أَلِيماً) أى مؤلماً موجعاً.

و قوله (وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ أَصْحابَ الرَّسِّ وَ قُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً) معناه و أهلكنا هؤلاء ايضاً، يقال: (عاد) هم القوم الذين بعث الله إليهم هوداً، و (ثمود) هم الذين بعث الله اليهم صالحاً، و اصحاب الرس قال عكرمة: الرس بئر رسوا فيها نبيهم أى ألقوه فيها. و قال قتادة: هى

قریة بالیمامة، یقال لها: (فلج) و قال أبوا عبیدة: الرس کل محفور- فی کلام العرب- و هو المعدن، قال الشاعر:

سبقت الی فرط ناهل تنابلة یحفرون الرساسا «۱»

---

(۱) نائلة النابغة الجعدی. تفسیر القرطبی ۱۳/ ۳۲ و الطبری ۱۹/ ۹ و اللسان (رسس)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۴۹۱

ای المعادن. و قیل: الرس البئر التی لم تطو بحجارة، و لا غیرها، یقال:

رسه یرسه رساً إذا دسه. و قیل: اصحاب الرس هم اصحاب (یاسین) بانطاکیة الشام، ذکره النقاش. و قال الکلبی: هم قوم بعث الله تعالی الیهم نبیاً فأکلوه، و هم أول من عمل نساؤهم السحر. و عن اهل البیت (ع) انهم قوم کانت نساؤهم سحاقات.

و قوله (وَ قُرُوناً بَیْنَ ذلِکَ کَثِیراً) ای أهلکنا قروناً بین هؤلاء الذین ذکرناهم کثیراً. و قیل: القرن سبعون سنة. و قال ابراهیم: أربعون سنة.

و قوله (وَ کُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ) تقدیره و دللنا کلا ضربنا له الأمثال، فلما کفروا بها دمرناهم تدمیراً (وَ کُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِیراً) ای أهلکنا کلّا منهم إهلاکاً. و التتبیر تکبیر الإهلاک، و التبر مکسر الزجاج، و مکسر الذهب.

و قوله (وَ لَقَدْ أَتَوْا عَلَی الْقَرْیَةِ الَّتِی أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ) یعنی ان هؤلاء الکفار قد جاءوا الی القریة التی أهلکها الله بالمطر السوء (أَ فَلَمْ یَکُونُوا یَرَوْنَها) فیعتبروا بها. و القریة هی قریة (سدوم) قریة قوم لوط، و المطر السوء الحجارة التی رموا بها- فی قول ابن عباس- ثم قال (بل) رأوها، و انما لم یعتبروا بها، لأنهم (کانُوا لا یَرْجُونَ نُشُوراً) ای لا یخافون البعث لاعتقادهم جحده، قال الهذلی:

إذا لسعته الدبر لم یرج لسعها و خالفها فی بیت نوب عوامل «۱»

فالدبر النحل ای لم یخف. و قیل: رکبوا المعاصی، لأنهم لا یرجون ثواب من عمل خیراً بعد البعث.

---

(۱) مر تخریجه فی ۲/ ۲۱۰ و ۳/ ۳۱۵

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۴۹۲

قوله تعالی:[سورة الفرقان (۲۵): الآیات ۴۱ الی ۴۴] ..... ص : ۴۹۲

وَ إِذا رَأَوْکَ إِنْ یَتَّخِذُونَکَ إِلَّا هُزُواً أَ هذَا الَّذِی بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (۴۱) إِنْ کادَ لَیُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْ لا أَنْ صَبَرْنا عَلَیْها وَ سَوْفَ یَعْلَمُونَ حِینَ یَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِیلاً (۴۲) أَ رَأَیْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَ فَأَنْتَ تَکُونُ عَلَیْهِ وَکِیلاً (۴۳) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَکْثَرَهُمْ یَسْمَعُونَ أَوْ یَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا کَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِیلاً (۴۴)

أربع آیات.

یقول اللَّه تعالی حاکیاً عن الکفار الذین وصفهم بأنه «إِذا رَأَوْکَ» یا محمد و شاهدوک لا یتخذونک «إِلَّا هُزُواً» أی سخریاً، و الهزو إظهار خلاف الإبطان لاستصغار القدر علی وجه اللهو. و انهم لیقولون «أَ هذَا الَّذِی بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» متعجبین من ذلک، و منکرین له، لأنهم یعتقدون فی الباطن انه ما بعثه اللَّه.

و قوله «إِنْ کادَ لَیُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا» أی قد قارب أن یأخذ بنا فی غیر جهة عبادة آلهتنا، علی وجه یؤدی الی هلاکنا. و الإضلال الأخذ بالشیء الی طریق الهلاک.

و قوله «لَوْ لا أَنْ صَبَرْنا عَلَیْها» أی علی عبادتها لأزلنا عن ذلک، و حذف الجواب لدلالة الکلام علیه. فقال اللَّه تعالی متوعداً لهم «وَ سَوْفَ یَعْلَمُونَ» فیما بعد إذا رأوا العذاب الذی ینزل بهم «مَنْ أَضَلُّ سَبِیلًا» عن طریق الحق: هم أم غیرهم؟

ثم قال لنبیه یا محمد «أَ رَأَیْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ» لأنه ینقاد له و یتبعه فی جمیع ما یدعوه الیه. و قیل: المعنی من جعل إلهه ما یهوی،

و ذلک نهایة الجهل، التبيان فی تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۹۳

لان ما یدعو اليه الهوى باطل، و الا له حق يعظم بما لا شیء أعظم منه، فليس يجوز أن يكون الا له ما يدعو اليه الهوى، و انما الاله ما يدعو الى عبادته العقل.

و معنى «أَ فَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا» أى لا تكون له انت حافظاً من الخروج الى هذا الفساد. قال المبرد: الوكيل أصله واحد، و يشتمل على فروع ترجع اليه، فالوكيل من تتكل عليه و تعتمد فى أمورک عليه. ثم قال لنبيه (ص) «أَمْ تَحْسَبُ» يا محمد و تظن «الْإِنْسانُ أَكْثَرَ» هؤلاء الكفار «يسمعون» ما تقول سماع طالب للافهام «أَوْ يَعْقِلُونَ» ما تقوله لهم؟ بل سماعهم كسماع الانعام، و هم أضل سبيلا من الانعام، لأنهم مكنوا من طريق الفهم، و لم تمكن النعم من ذلک، و هم مع ذلک لا يعقلون ما تقول، إذ لو عقلوا عقل الفهم به لدعاهم عقلهم اليه، لأنه نور فى قلب المدرک له. و قيل «بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا» لأنها لا تعتقد بطلان الصواب و إن كانت لا تعرفه، و هم قد اعتقدوا ضد الصواب الذى هو الجهل. و قيل: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن صورة منه ترک الأول و عبد الثانى. و قيل: لان الأنعام تهتدى الى منافعها و مضارها. و هؤلاء لا يهتدون الى ما يدعون اليه من طريق الحق، فهم أضل.

قوله تعالى: [سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۴۵ الى ۴۶] ..... ص : ۴۹۳

أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّکَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (۴۵) ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً (۴۶)

آيتان.

يقول اللّه تعالى لنبيه محمد (ص) و هو متوجه الى جميع المكلفين «أَ لَمْ تَرَ» يا محمد «إِلى رَبِّکَ» و معناه ألم تعلم ربک «كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ» قال ابن عباس و الضحاک و سعيد التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۹۴

ابن جبير: الظل حده من طلوع الفجر الى طلوع الشمس. و قال ابو عبيدة: الظل بالغداة، و الفیء بالعشى، لأنه يرجع بعد زوال الشمس.

و قوله «وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً» أى دائماً لا يزول، فى قول ابن عباس و مجاهد.

و قوله «ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا» قال ابن زيد: يعنى باذهابها له عند مجيئها. و قيل: لان الظل يتبع الشمس فى طوله و قصره، فإذا ارتفعت فى أعلا ارتفاعها قصر، و إن انحطت طال بحسب ذلک الانحطاط و لو شاء لجعله ساكناً بوقوف الشمس. و الظل يتبع الدليل الذى هو الشمس، كما يتبع السائر فى المفازة الدليل.

و قوله «ثُمَّ قَبَضْناهُ» يعنى الظل يقبضه اللّه، من طلوع الشمس. و قيل:

بغروبها، فالقبض جمع الاجزاء المنبسطة قبضه يقبضه قبضاً، فهو قابض و الشیء مقبوض، و تقابضا تقابضاً، و قبضه تقبضاً، و تقبض تقبضاً، و انقبض انقباضاً.

و اليسير السهل القريب و اليسير نقيض العسير، يسر ييسر يسراً، و تيسر تيسراً، و يسره تيسراً، و أيسر ايساراً أى ملک من المال ما تتيسر به الأمور عليه. و اليد اليسرى لأنها يتيسر بها العمل مع اليمنى، و تياسر أخذ فى جهة اليد اليسرى.

و قيل: معناه قبضاً خفيفاً، لان ظلمة الليل تجیء شيئاً بعد شیء، فلا تهجم دفعة واحده عقيب غروب الشمس. و قيل: معناه قبضاً سريعاً.

قوله تعالى:[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۴۷ الى ۵۰] ..... ص : ۴۹۴

وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَ النَّوْمَ سُباتاً وَ جَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً (۴۷) وَ هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَیْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً (۴۸) لِنُحْيِیَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَ نُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَ أَناسِیَّ كَثِيراً (۴۹) وَ لَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً (۵۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۹۵

اربع آيات.

قرأ ابن كثير و نافع و ابو عمرو «نشراً» بضم النون و الشين. و قرأ ابن عامر- بضم النون و سكون الشين- و روى ذلك هارون عن أبى عمرو. و قرأ حمزة و الكسائى- بفتح النون و سكون الشين- و قرأ عاصم «بشراً» بالباء و سكون الشين.

قال ابو على النحوى: من ثقل أراد جمع (نشور) مثل رسول و رسل، و من سكن الشين، فعلى قول من سكن (كتب) فى (كتب) و (رسل) فى (رسل). و من فتح النون جعله مصدراً واقعاً موقع الحال، و تقديره يرسل الرياح حياة أى يحيى بها البلاد الميتة.

و من قرأ بالباء أراد جمع (بشور) أى تبشر بالغيث من قوله «الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ» «۱» يعنى بالغيث المحيى للبلاد. و قرأ حمزة و الكسائى «ليذكروا» خفيفة الذال. الباقون بتشديدها. من شدد الذال أراد (ليتذكروا) فأدغم التاء فى الذال، و هو الأجود لأن التذكير و التذكر و الاذكار فى معنى واحد و هو فى معنى الاتعاظ، و ليس الذكر كذلك. و قد حكى أبو على ان الذكر يكون بمعنى التذكر، كقوله تعالى «إِنَّها تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ» «۲» و قوله «خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ» «۳»، و الاول أكثر. و المعنى ليتفكروا فى قدرة اللَّه، و موضع نعمته بما أحيا بلادهم به من الغيث.

يقول اللَّه تعالى معدداً لنعمه على خلقه منها أنه «جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً» و معناه أن ظلمته تلبس كل شخص، و تغشيه حتى تمنع من إدراكه. و انما جعله كذلك للهدو فيه و الراحة من كد الاعمال، مع النوم الذى فيه صلاح البدن. و قوله «وَ النَّوْمَ سُباتاً»

---

(۱) سورة ۳۰ الروم آية ۴۶

(۲) سورة ۸۰ عبس آية ۱۱- ۱۲

(۳) سورة ۲ البقرة آية ۶۳ و سورة ۷ الاعراف آية ۱۷۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۹۶

أى جعل نومكم ممتداً طويلا- تكثر به راحتكم و هدوؤكم. و قيل: انه أراد جعله قاطعاً للأعمال التى يتصرف فيها. و السبات قطع العمل، و منه سبت رأسه يسبته سبتاً إذا حلقه، و منه يوم السبت، و هو يوم ينقطع فيه العمل. قال المبرد: يعنى سباتاً سكوتاً يقال: أسبت الرجل إذا أخذته سكتة.

و قوله «وَ جَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً» أى للانبساط و التصرف فى الحوائج. و النشور الانبساط فى تصرف الحى، يقال: نشر الميت إذا حيى و انشره اللَّه فنشر، قال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للميت الناشر «۱»

ثم قال «وَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» و فى الرحمة تجمع الرياح، لأنه جمع الجنوب و الشمال و الصبا. و فى العذاب (ريح) لأنها هى الدبور وحدها و هى عقيم، لا تلقح، فكل الرياح لواقح غيرها. و الرحمة التى ينزلها من السماء هى الغيث، و ذكر انه قد يرسل الرياح لينشئ السحاب. ثم ينزل «مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً» أى طاهراً مطهراً مزيلا للاحداث و النجاسات مع طهارته فى نفسه.

و انما نزل هذا الماء «لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً» قد مات بالجدب. قال ابو عبيدة: زعم بعضهم انه أراد إذا لم يكن فيها نبات، فهو بغير (هاء) و إذا كانت حية روحانية فماتت، فهى ميتة. و قال غيره: أراد بالبلدة المكان، فلذلك قال ميتاً بالتذكير، و معنى نسقيه نجعله سقياً للانعام التى خلقها اللَّه تعالى.

و قوله «وَ أَناسِيَّ كَثِيراً» جمع إنسان جعلت الياء عوضاً من النون، و قد قالوا: (أناسين) نحو بستان و بساتين. و يجوز أن يكون جمع (أنسى) نحو كرسى و كراسي. و قد قالوا: أناسية كثيرة.

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۹۳ و قد مر فى ۴/ ۴۶۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۹۷

ثم قال تعالى «وَ لَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ» قيل: معناه قسمناه بينهم يعنى المطر قال ابن عباس: ليس من غمام إلا يمطر، و إنما يصرف من موضع الى موضع.

و التصريف تصيير الشيء دائراً فى الجهات. فالمطر يصرف بدوره فى جهات الأرض.

ثم بين انه صرفه كذلك «ليتذكروا» و يتفكروا، فيستدلوا على سعة مقدور اللّه و انه لا يستحق العبادة سواه.

ثم اخبر عن حال الكفار، فقال «فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً» أى جحوداً لهذه النعم التى عددناها و إنكارها. و يقولون: مطرنا بنوء كذا و كذا.

قوله تعالى:[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۵۱ الى ۵۵] ..... ص : ۴۹۷

وَ لَوْ شِئْنا لَبَعَثْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً (۵۱) فَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ جاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبِيراً (۵۲) وَ هُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً (۵۳) وَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ كانَ رَبُّكَ قَدِيراً (۵۴) وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُهُمْ وَ لا يَضُرُّهُمْ وَ كانَ الْكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيراً (۵۵)

خمس آيات.

يقول اللّه تعالى «لَوْ شِئْنا لَبَعَثْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً» يخوفهم باللّه و يحذرهم من معاصيه. و المعنى: لو شئنا لقسمنا النذر بينهم، كما قسمنا الأمطار بينهم، ففى ذلك اخبار عن قدرته على ذلك، لكن دبرنا على ما اقتضته مصلحتهم، و ما هو أعود التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۹۸

عليهم فى دينهم و دنياهم. و فيه امتنان على النبى (ص) بأنا «لَوْ شِئْنا لَبَعَثْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً» فيخف عنك كثير من عبء ما حملته، لكنا حملناك ثقل أوزار جميع القرى لتستوجب بصبرك عليه إذا صبرت عظيم المنزلة و جزيل الكرامة.

و النذير هو الداعى الى ما يؤمن معه الخوف من العقاب، و الانذار الاعلام بموضع المخافة. و النذر عقد البر على انتفاء الخوف، يقال تناذر القوم تناذراً إذا انذر بعضهم بعضاً. ثم قال لنبيه (ص) «فَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ» يا محمد بالاجابة الى ما يريدون «وَ جاهِدْهُمْ» فى اللّه «جِهاداً كَبِيراً» شديداً، و الهاء فى قوله «به» عائدة الى القرآن- فى قول ابن عباس و الحسن- و قال الحسن: معنى «فَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ» لا تطعهم فيما يصرفك عن طاعة اللّه. و قيل: فلا تطعهم بمعاونتهم فيما يريدونه مما يبعد عن دين اللّه، و جاهدهم بترك طاعتهم.

ثم عاد تعالى الى تعديد نعمه عليهم فقال (وَ هُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) و معناه أرسلهما فى مجاريهما، كما ترسل الخيل فى المرج، فهما يلتقيان، فلا يبغى الملح على العذب و لا العذب على الملح، بقدرة اللّه. و العذب الفرات: و هو الشديد العذوبة، و الملح الأجاج يعنى المر.

ثم قال (وَ جَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً) أى حاجزاً يمنع كل واحد منهما من تغيير الآخر (وَ حِجْراً مَحْجُوراً) معناه يمنع أن يفسد أحدهما الآخر. و قال المبرد: شبه الخلط بحجر البيت الحرام. و أصل المرج الخلط و منه قوله «فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ» «۱» أى مختلط.

و فى الحديث: مرجت عهودهم أى اختلطت، و سمى المرج بذلك، لأنه يكون فيه اخلاط من الدواب. و مرجت دابتك إذا ذهبت بتخليتك حيث شاءت قال الراجز:

رعى بها مرج ربيع ممرجاً «۲»

---

(۱) سورة ۵۰ ق آية ۵

(۲) اللسان (مرج)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۴۹۹

و (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) معناه خلا- بينهما، تقول: مرجت الدابة و أمرجتها إذا خليتها ترعى. ثم قال تعالى (وَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً) يعنى من النطفة.

و قيل الماء الذى خلق اللّه منه آدم بشراً أى إنساناً، فجعل ذلك الإنسان (نَسَباً وَ صِهْراً) فالنسب ما رجع الى ولادة قريبة، و الصهر خلطة تشبه القرابة. و قيل الصهر المتزوج بنت الرجل او أخته. و قال الفراء: النسب الذى لا يحل نكاحه، و الصهر النسب الذى يحل نكاحه، كبنات العم، و بنات الخال و نحوهما. و قيل: النسب سبعة أصناف ذكرهم الله فى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ ...) الى قوله (وَ بَناتُ الْأُخْتِ).

و الصهر خمسة أصناف ذكرهم فى (أُمَّهاتُكُمُ اللَّاتِى أَرْضَعْنَكُمْ ...) الى قوله (وَ حَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ) «۱» ذكره الضحاك.

و قوله (وَ كانَ رَبُّكَ قَدِيراً) أى قادراً على جميع ما أنعم به عليكم.

ثم اخبر عن الكفار فقال (وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) الأصنام و الأوثان التى لا تنفعهم و لا تضرهم، لان العبادة ينبغى أن توجه الى من يملك النفع و الضر مطلقاً.

ثم قال (وَ كانَ الْكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيراً) قال الحسن و مجاهد و ابن زيد: يظاهر الشيطان على معصية الله. و قيل: (ظهيراً) معناه هيناً كالمطرح. و الاول هو الوجه.

و قيل: معنى (ظهيراً) معيناً.

و وصف الأصنام بأنها لا تضرّ و لا تنفع، يدل على بطلان فعل الطباع، لأنها موات مثلها. و الفعل لا يصح إلا من حى قادر.

قوله تعالى:[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۵۶ الى ۶۰] ..... ص : ۴۹۹

وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (۵۶) قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً (۵۷) وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لا يَمُوتُ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَ كَفى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً (۵۸) الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً (۵۹) وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَ مَا الرَّحْمنُ أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا وَ زادَهُمْ نُفُوراً (۶۰)

---

(۱) سورة ۶ النساء آية ۲۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۰۰

خمس آيات.

قرأ حمزة و الكسائى لما «يأمرنا» بالياء. الباقون بالتاء.

من قرأ- بالتاء- جعل الخطاب للنبى (ص) و قيل: معناه أ نسجد لأمرك فجعلوا (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر.

و من قرأ- بالياء- جعل الياء لمسيلمة الكذاب، لأنه كان يسمى نفسه الرحمن فقالوا للنبى (ص) إنا لا نعرف الرحمن إلا نبى اليمامة. فقال اللّه تعالى «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى «۱»».

و قال ابو على: من قرأ- بالتاء- أراد أ نسجد لما تأمرنا يا محمد على وجه الإنكار، لأنهم أنكروا أن يعرف الرحمن، فلا يحمل على رحمان اليمامة.

يقول اللّه تعالى لنبيه (ص) «ما أَرْسَلْناكَ» يا محمد «إِلَّا مُبَشِّراً» بالجنة و ثواب الله لمن أطاعه و مخوفاً لمن عصاه بعقاب الله. و قال الحسن: ما بعث الله نبياً قط إلا و هو يبشر الناس إن أطاعوا الله بالمتعة فى الدنيا و الآخرة، و ينذر الناس إن

(۱) سورة ۱۷ الإسراء آية ۱۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۰۱

عصوا عذاب الله فى الآخرة. و البشارة الاخبار بما يظهر سروره فى بشرة الوجه، تقول: بشره تبشيراً و بشارة. و بشارة الأنبياء مضمنة بإخلاص العبادة لله تعالى.

و النذارة هو الاخبار بما فيه المخافة، ليحذر منه. أنذره إنذاراً و نذارة، و تناذر القوم إذا أنذر بعضهم بعضاً. ثم أمره، فقال: يا محمد «قل» لهؤلاء الكفار: إنى لست اسألكم على ما أبشركم به و أحذركم منه «اجراً» تعطونى «إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا» استثناء من غير الجنس، و معناه انه جعل أجره على دعائه اتخاذ المدعو سبيلا الى ربه و طاعته إياه كقول الشاعر.

و بلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير و إلا العيس «۱»

جعلها أنيس ذلك المكان. و قيل «إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا» بإنفاقه ما له فى طاعة الله، و ابتغاء مرضاته.

ثم أمره ان يتوكل على ربه «الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ» و المراد به جميع المكلفين لأنه يجب على كل أحد ان يتوكل على الله، و يسلم لأمره، و معنى «وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ» أنى احمده منزهاً له مما لا يجوز عليه فى صفاته، بان تقول: الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على نعمه و إحسانه الذى لا يقدر عليه غيره، الحمد لله حمداً يكافئ نعمه فى عظم المنزلة و علوّ المرتبة، و ما أشبه ذلك.

و قوله «وَ كَفى بِهِ» اى كفى الله «بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً» أى عالماً «الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما» يعنى بين هذين الصنفين، كما قال القطامى:

ألم يحزنك أن جبال قيس و تغلب قد تباينتا انقطاعا «۲»

و قال الآخر:

(۱) قد مر فى ۱/ ۱۵۱ و ۳/ ۳۲۷ و ۵/ ۴۹۸ [.....]

(۲) تفسير القرطبى ۱۳/ ۶۳ و الطبرى ۱۹/ ۱۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۰۲

إن المنية و الحتوف كلاهما توقى المحارم يرقبان سوادى

و قوله فى ستة أيام قيل: كان ابتداء الخلق يوم الأحد، و انتهاؤه يوم الجمعة «ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ» و قيل «ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ» تمام الحكاية. ثم ابتدأ فقال «الرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً» و معنى «فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً» أى فاسأل سؤالك إياه خبيراً، قال ابن جريج: الخبير- هاهنا- هو اللَّه. و قيل معناه فاسأل به ايها الإنسان عارفاً يخبرك بالحق فى صفته.

ثم حكى انه إذا قيل لهؤلاء الكفار «اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ» الذى أنعم عليكم «قالُوا وَ مَا الرَّحْمنُ» أى أىّ شيء الرحمن؟ أى لا نعرفه «أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا» و قد فسرناه «وَ زادَهُمْ نُفُوراً» أى ازدادوا عند ذلك نفوراً عن قبول قول النبى (ص) و الرجوع الى طاعة اللَّه.

قوله تعالى:[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۶۱ الى ۶۵] ..... ص : ۵۰۲

تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِيها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِيراً (۶۱) وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرادَ شُكُوراً (۶۲) وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً (۶۳) وَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً (۶۴) وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً (۶۵)

خمس آيات.

قرأ حمزة و الكسائى «سرجاً» على الجمع. الباقون «سراجاً» على التوحيد. التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٥٠٣

و قرأ حمزة وحده «أن يذكر» خفيفة. الباقون بالتشديد.

من قرأ على التوحيد فلقوله «وَ جَعَلَ فِيها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِيراً». و من قرأ على الجمع، فلقوله «زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ» «١» تشبيهاً بالكواكب أعنى المصابيح كما شبهت المصابيح بالكواكب، فى قوله «الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» «٢» و قيل:

من وحد أراد الشمس وحدها. و من جمع أراد الكواكب المضيئة كلها. و اتفقوا على «و قمراً» إلا الحسن، فانه قرأ- بضم القاف و الميم- و يجوز أن يكون فيه لغتان مثل (ولد، و ولد) و يجوز أن يكون أراد الجمع غير ان العرب لا تعرف جمع القمر قمراً، و انما يجمعونه أقماراً.

قوله تعالى «تبارك» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- تقدس اللَّه، و جل بما هو ثابت لم يزل و لا يزال. لان أصل الصفة الثبوت.

و الثاني- انه من البركة، و التقدير جل تعالى، و تقدس بما به يقدر على جميع البركات «الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً» و البروج منازل النجوم الظاهرة، و هى اثنتا عشرة برجاً معروفة أولها الحمل و آخرها الحوت. و قيل: البروج منازل الشمس و القمر، و قال ابراهيم: البروج القصور العالية، واحدها برج، و منه قوله (وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ) «٣» قال الأخطل:

كأنها برج رومى يشيده لزّ بجص و آجرّ و أحجار «۴»

و قال قتادة: البروج النجوم. و قال أبو صالح: هى كبار النجوم، و البرج تباعد ما بين الحاجبين قال: الزجاج: كل ظاهر مرتفع يقال له: برج، و سميت

---

(١) سورة ٦٧ تبارك (الملك) آية ٥

(٢) سورة ٢۴ النور آية ٣٥

(٣) سورة ۴ النساء آية ٧٧

(۴) تفسير الطبرى ١٩/ ١٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج٧، ص: ٥٠۴

الكواكب بروجاً لظهورها.

و قوله (وَ جَعَلَ فِيها سِراجاً) يعنى الشمس التى يستضىء بها جميع الخلق.

و قوله (وَ قَمَراً مُنِيراً) أى مضيئاً بالليل، إذا لم يكن شمس.

فمن قرأ (سراجاً) أراد الشمس وحدها. و من قرأ (سرجاً) أراد جميع النجوم، لأنه يهتدى بها، كما يهتدى بضوء السراج.

و قوله (وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً) أى يخلف كل واحد منهما صاحبه، فيما يحتاج أن يعمل فيه، فمن فاته عمل الليل استدركه بالنهار، و من فاته عمل النهار استدركه بالليل. قال عمر بن الخطاب، و ابن عباس، و الحسن: يخلف أحدهما الآخر فى العمل. و قال مجاهد: معناه أحدهما اسود و الآخر ابيض، فهما مختلفتان. و قال ابو زيد: معناه أحدهما يذهب و يجىء الآخر قال زهير:

بها العين و الأرآم يمشين خلفة و اطلاؤها ينهضن من كل مجثم «١»

و قوله (لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ) اى خلقناه كذلك لمن أراد ان يتفكر و يستدل بها على ان لها مدبراً و مصرّفاً، لا يشبهها و لا تشبهه فيوجه العبادة اليه.

و قوله (أَوْ أَرادَ شُكُوراً) أى يشكر الله، على ما أنعم به عليه فيتمكن من ذلك، لان بهذه الأدلة و أمثالها يتوصل الى ما قلناه.

و قوله (وَ عِبادُ الرَّحْمنِ) يعنى عباده المخلصين، الذين يعبدونه، المعظمون ربهم (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً) يعنى بالسكينة و

الوقار- فى قول مجاهد- و قال الحسن: معناه حلماً و علماً، لا يجهلون و إن جهل عليهم. و قال ابن عباس:
بـالتواضع لا يتكبرون على أحـد (وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ) بما يكرهونه أو يثقل عليهم، قالوا فى جوابه (سـلاماً) أى سـداداً من القول- ذكره مجاهد- و قيل:

---

(۱) ديوانه «دار بيروت» ۷۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۰۵

معناه إنهم قالوا قولا يسلمون به من المعصية لله. و قال قوم: هذا منسوخ بآية القتال.

و ليس الأمر على ذلک، لان الأمر بالقتال لا ينافى حسن المحاورة فى الخطاب و حسن العشرة.

و قوله (وَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً) يعنى يعبدون الله فى لياليهم و يقومون بالصلاة، و يسجدون فيها «وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً» أى يدعون بهذا القول، و معنى «غَراماً» لازماً ملحاً دائماً و منه الغريم، لملازمته و إلحاحه، و فلان مغرم بالنساء أى ملازم لهن، لا يصبر عنهن قال الشاعر:

إن يعاقب يكن غراماً و إن يعط جزيلا فانه لا يبالى «۱»

و قال بشر بن أبى حازم:

فيوم النسار و يوم الجفار كانا عذاباً و كانا غراماً «۲»

و قال الحسن: ليس غريم إلا مفارق غريمه غير جهنم، فإنها لا تفارق غريمها.

قوله تعالى:[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۶۶ الى ۷۰] ..... ص : ۵۰۵

إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً (۶۶) وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً (۶۷) وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَ لا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً (۶۸) يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً (۶۹) إِلاَّ مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلاً صالِحاً فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (۷۰)

---

(۱) قائله الأعشى ديوانه: ۱۶۷

(۲) اللسان (جفر) و تفسير الطبرى ۱۹/ ۲۱ و روايته (النشار) بدل (النسار)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۰۶

خمس آيات.

قرأ أهل المدينة و ابن عامر و الكسائى عن أبى بكر «يقتروا» بضم الياء و كسر التاء، و قرأ اهل البصرة و ابن كثير بفتح الياء و كسر التاء. الباقون بفتح الياء و ضم التاء، و هم أهل الكوفة إلا الكسائى عن أبى بكر. و قرأ ابن عامر، و أبو بكر «يضاعف ... و يخلد» بالرفع فيهما. و قرأ ابن كثير و ابن عامر و ابو جعفر و يعقوب «يضعف» بتشديد العين و إسقاط الالف. الباقون «يضاعف» بإثبات الألف و تخفيف العين. تقول: قتر يقتر و يقتر- بكسر التاء، و ضمها- لغتان.

و اقتر إقتاراً لغة.

و اختلفوا فى (السرف) فى النفقة، فقال قوم: كلما أنفق فى غير طاعة اللّه، فهو سرف، لقوله تعالى «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ» «۱».

و

قال على (ع): ليس فى المأكول و المشروب سرف و إن كثر.

و قال قوم: الإسراف فى الحلال فقط، لأن الحرام لا يجوز الإنفاق فيه و لو ذرة.

---

(۱) سورة ۱۷ الإسراء آية ۲۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۰۷

و من قرأ «يضاعف» فمن المضاعفة. و من شدد، فمن التضعيف ذهب الى التكثير، و المعنيان متقاربان. و من- جزم- جعله بدلا من جواب الشرط، لان الشرط قوله «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ» و جزاءه «يَلْقَ أَثاماً» و علامة الجزم سقوط الالف من آخره. و (يضاعف) بدل منه و (يخلد) عطف عليه. و من- رفع- استأنف لان الشرط و الجزاء قد تم. و كان يجوز النصب على الظرف- فى مذهب الكوفيين.

و بإضمار (ان) على مذهب البصريين- و لم يقرأ به احد.

لما اخبر اللَّه تعالى أن عذاب جهنم كان غراماً، بين بأنها «ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً» أى موضع قرار و اقامة لما فيها من أنواع العذاب، و نصبها على التمييز.

ثم عاد الى وصف المؤمنين فقال «وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا» أى لم يخرجوا عن العدل فى الإنفاق يقال: فلان مسرف على نفسه إذا أكثر من الحمل على نفسه فى المعصية، فشبه بالمسرف فى النفقة «وَ لَمْ يَقْتُرُوا» أى لم يقصروا عن العدل فى الإنفاق، و هو مأخوذ من القترة، و هى الدخان. و الإقتار مشبه به فى الامحاق و الإضرار. و فيه ثلاث لغات: قتر يقتر، و يقتر، و أقتر إقتاراً. و قال ابو على الفارسى: من قرأ «يقتروا» بضم التاء أراد لم يقتروا فى إنفاقهم، لان المسرف مشرف على الافتقار، لسرفه. و من فتح التاء أراد لم يضيقوا فى الإنفاق، فيقصروا عن المتوسطين، فمن كان فى هذا الطرف، فهو مذموم، كما أن من جاوز الاقتصاد كان كذلك مذموم. و بين ذلك بقوله «و كان بين ذلك قواماً» أى كان إنفاقهم بين ذلك، لا إسرافاً يدخل فى حد التبذير، و لا تضييقاً يصير به فى حد المانع لما يجب. و قال ابن عباس: الإسراف الإنفاق فى معصية اللَّه، قل او كثر، و الإقتار منع حق اللَّه من المال. و قال ابراهيم: السرف مجاوزة الحد فى النفقة، و الإقتار التقصير فيما لا بد منه. و القوام- بفتح القاف- العدل، و بكسرها- السداد، يقال: التبيان فى تفسير القرآن، ج۷، ص: ۵۰۸

هو قوام الأمر و ملاكه، و يقال: هى حسنة القوام فى اعتدالها، قال الحطيئة:

طافت امامة بالركبان آونة يا حسنها من قوام زان منتقباً «۱»

ثم زاد فى وصفهم بأن قال «وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ» يوجهون عبادتهم اليه «وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» و النفس المحرمة هى نفس المسلم و المعاهد و المستثنى نفس الحربى، و من يجب عليه القتل على وجه القود، و الارتداد، و الزنا مع الإحصان (و لا يزنون) فالزنا هو الفجور بالمرأة فى الفرج.

ثم قال (و من يفعل ذلك يلق أثاماً) قال قوم: يلقى جزاء الاثام. و قال آخرون: الاثام العقاب، قال بلعا بن قيس الكنانى.

جزى اللَّه ابن عروة حيث أمسى عقوقا و العقوق له أثام «۲»

أى عقاب. و قال ابن عمر، و قتادة: هو اسم واد فى جهنم، و هو قول مجاهد و عكرمة. و قال اهل الوعيد: ان قوله (وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ) راجع الى كل واحد من المعاصى المذكورة. و قال اهل الارجاء انما يرجع الى جميعه، و يجوز- أن يكون راجعاً- الى الكفر وحده، لان الفسوق لا يستحق به العقاب الدائم و الا لأدى الى اجتماع الاستحقاقين على وجه الدوام. و ذلك خلاف الإجماع، لان الإحباط عندهم باطل، و الكلام على ذلك استوفيناه فى كتاب الأصول.

ثم زاد فى الوعيد، فقال (وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ) جزاء اثامه و يضاعف له العذاب فى كثرة الاجزاء لا انه يضاعف استحقاقه، لان اللَّه تعالى لا يعاقب بأكثر من المستحق، لأن ذلك ظلم يتعالى اللَّه عن ذلك. و قيل يضاعف عذابه على عذاب الدنيا، و بين تعالى أنه

(يخلد) مع ذلک فی النار (مهاناً) مستخفاً به.

---

(۱) تفسير الطبری ۱۹/ ۲۳

(۲) تفسير القرطبی ۱۳/ ۷۶ و الطبری ۱۹/ ۲۴

ثم استثنی من جملتهم من تاب و ندم علی معاصيه، و عمل عملا صالحاً، فان اللَّه تعالی (يبدل سيئاته حسنات) أی يجعل مکان عقاب سيئاته ثواب حسناته قال الشاعر فی التبديل:

بدلن بعد خرّه صريعاً و بعد طول النفس الوجيعاً «۱»

و قوله تعالی (وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) أی ساتراً لمعاصی عباده إذا تابوا منها، منعماً عليهم بالثواب و التفضل.

قوله تعالی:[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۷۱ الی ۷۷] ..... ص : ۵۰۹

وَ مَنْ تابَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتاباً (۷۱) وَ الَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً (۷۲) وَ الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَ عُمْياناً (۷۳) وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً (۷۴) أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا وَ يُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَ سَلاماً (۷۵)
خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً (۷۶) قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً (۷۷)

سبع آيات.

قرأ ابو عمرو و حمزة و الکسائی و خلف و ابو بکر إلا حفصاً «و ذريتنا» علی

---

(۱) تفسير الطبری ۱۹/ ۲۸

التوحيد، الباقون علی الجمع. و قرأ اهل الکوفة إلا حفصاً «و يلقون» بفتح الياء و سکون اللام و تخفيف القاف. الباقون بضم الياء و فتح اللام و تشديد القاف.

من وحد «الذرية» فلانه فی معنی الجمع لقوله «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ» «۱» و من جمع فکما تجمع الأسماء الدالة علی الجمع، نحو (قوم، و أقوام) و قد يعبر بذلک عن الواحد، کقوله «هَبْ لِي مِنْ لَدُنْکَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً» «۲» و يعبر به عن الجمع کقوله «وَ لْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَکُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ» «۳» و من جمع فللازدواج.

و من شدد «يلقون» فعلی أن المعنی يلقون التحية و السلام مرة بعد مرة لان التشديد للتکثير، و شاهده قوله «وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً» «۴». و من خفف أراد يلقون هم تحية، کما قال «فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا»»

و قال بعضهم: لو کان بالتشديد لقال (و يتلقون) لأنهم يقولون تلقيته بالتحية، و (لقی) فعل متعد الی مفعول واحد فإذا ضعفت العين تعدی الی مفعولين، و قوله «تحية» المفعول الثانی.

يقول اللَّه تعالی «وَ مَنْ تابَ» من معاصيه و اقلع عنها، و ندم عليها و أضاف الی ذلک الاعمال الصالحات «فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتاباً» أی يرجع اليه مرجعاً عظيماً جميلا، و فرق الرمانی بين التوبة الی اللَّه، و التوبة من القبيح لقبحه، بان التوبة الی اللَّه تقتضی طلب الثواب، و ليس کذلک التوبة من القبيح لقبحه.

ثم عاد تعالی الی وصف المؤمنين فقال «وَ الَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ» أی لا يحضرونه، و لا يکون بحيث يذکرونه بشیء من حواسهم

الخمس: البصر، و السمع،

(۱) سورة ۱۷ الإسراء آیة ۳

(۲) سورة ۳ آل عمران آیة ۳۸ [.....]

(۳) سورة ۴ النساء آیة ۸

(۴) سورة ۷۶ الدهر (الإنسان) آیة ۱۱

(۵) سورة ۱۹ مریم آیة ۵۹

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۵۱۱

و الانف، و الفم، و البشرة. و من لا یشهد الزور، فهو الذی لا یشهد به و لا یحضره لأنه لو شهده لکان قد حضره، فهو أعم فی الفائدة من أن لا یشهد به. و (الزور) تمویه الباطل بما یوهم أنه حق. و قال مجاهد: الزور- هاهنا- الکذب. و قال الضحاک:

هو الشرک. و قال ابن سیرین: هو أعیاد أهل الذمة کالشعانین و غیرها. و قیل:

هو الغناء، ذکره مجاهد، و اهل البیت (ع).

و قوله «وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا کِراماً» معناه: مروا من جملة الکرماء الذین لا یرضون باللغو، لأنهم یجلون عن الاختلاط بأهله، و الدخول فیه، فهذه صفة الکرام. و قیل: مرورهم کراماً کمرورهم بمن یسبهم فیصفحون عنه، و کمرورهم بمن یستعین بهم علی حق فیعینونه. و قیل:

هم الذین إذا أرادوا ذکر الفرج کنّوا عنه.

ذکره محمد بن علی (ع)

و مجاهد. و اللغو الفعل الذی لا فائدة فیه. و لیس معناه أنه قبیح، لان فعل الساهی لغو، و هو لیس بحسن و لا قبیح- عند قوم- و لهذا یقال:

الکلمة التی لا تفید لغو.

و قوله «وَ الَّذِینَ إِذا ذُکِّرُوا بِآیاتِ رَبِّهِمْ لَمْ یَخِرُّوا عَلَیْها صُمًّا وَ عُمْیاناً» معناه انهم إذا ذکروا بأدلة اللّه تعالی التی نصبها لهم نظروا فیها، و فکروا فی مقتضاها. و لم یکونوا کالمشرکین فی ترک التدبر لها حتی کأنهم صم و عمیان عنها، ذکره الحسن.

و قیل معناه یخرون سجداً و بکیاً سامعین للّه مطیعین. قال الشاعر:

بایدی رجال لم یشیموا سیوفهم و لم تکثروا القتلی بها حین سلت «۱»

أی بایدی رجال شاموا سیوفهم، و قد کثرت القتلی، و معنی شاموا أغمدوا ذکره الزجاج.

(۱) اللسان (شیم) نسبه الی الفرزدق، و لم أجده فی دیوانه (طبع- دار صادر- دار بیروت)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۷، ص: ۵۱۲

ثم وصف المؤمنین بأنهم یدعون «یَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّیّاتِنا قُرَّةَ أَعْیُنٍ» و معناه بأن نراهم مطیعین للّه، فی قول الحسن. و «قُرَّةَ أَعْیُنٍ» یکون من القر، و هو بردها عند السرور، و یکون من استقرارها عنده.

و قوله «وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِینَ إِماماً» أی یسألون اللّه تعالی أن یجعلهم ممن یقتدی بأفعالهم الطاعات.

و فی قراءة اهل البیت (ع) و «اجعل لنا من المتقین إماما»

و إنما وحد (إماماً) لأنه مصدر، من قولهم: أم فلان فلاناً إماماً، کقولهم: قام قیاماً و صام صیاماً. و من جمعه فقال: (أئمة) فلانه قد کثر

فى معنى الصفة. و قيل:

إنه يجوز أن يكون على الجواب، كقول القائل: من أميركم؟ فيقول: هؤلاء أميرنا قال الشاعر:

يا عاذلاتى لا تردن ملامتى إن العواذل ليس لى بأمير «۱»

ثم اخبر تعالى عمن جمع هـذه الأوصاف من المؤمنين بأن قال «أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا» على طاعاتهم التى ذكرها. و (الغرفة) فى الجنة المنازل العالية ثواباً على ما صبروا فى جنب اللَّه، و على مشاق الدنيا و صعوبة التكليف، و غير ذلك و انهم «يُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَ سَلاماً» من الملائكة، بشارة لهم بعظيم الثواب.

و قوله «خالِدِينَ فِيها» نصب على الحال أى هم فى الجنة مؤبدين، لا يخرجون منها و لا يفنون. و أخبر أن الجنة مستقرهم. و انها «حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا» من مواضع القرار، و موضع الاقامة و نصب على التمييز.

ثم قال لنبيه (ص) «قل» يا محمد لهؤلاء «ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى» و معناه ما يصنع بكم ربى- فى قول مجاهد و ابن زيد- و أصله تهيئة الشيء، و منه عبأت الطيب أعبؤه عباء، إذا هيأته، قال الشاعر:

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۹/ ۳۲ و القرطبى ۱۳/ ۸۳

كأن بنحره و بمنكبيه عبيراً بات يعبؤه عروس «۱»

أى تهيئه، و عبأت الجيش- بالتشديد، و التخفيف- إذا هيأته. و العبء الثقل. و ما أعبأ به أى لا أهيّء به امراً. و قال قوم: ما لا يعبأ به، فوجوده و عدمه سواء.

و قوله «لَوْ لا دُعاؤُكُمْ» قال مجاهد: معناه لولا دعاؤه إياكم الى طاعته، لم يكن فى فعلكم ما تطالبون به، و هو مصدر أضيف الى المفعول، كقولهم: اعجبنى بناء هذه الدار، و خياطة هذا الثوب. و قال الزجاج: معناه لولا توحيدكم و ايمانكم، و قال البلخى: معناه لولا كفركم و شرككم ما يعبأ بعذابكم، و حذف العذاب و أقام المضاف اليه مقامه.

ثم قال «فَقَدْ كَذَّبْتُمْ» يا معاشر الكفار بآيات اللَّه، و جحدتم رسوله «فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً» عليكم، و يكون تأويله، فسوف يكون تكذيبكم (لزاماً) فلا تعطون الثواب عليه، و تكون العقوبة لزاماً تلزمكم على ذلك. و قال مجاهد: معناه القتل يوم بدر و يكون الخطاب متوجهاً الى الذين قتلوا يوم بدر. و قيل (اللزام) عذاب الآخرة، و قال ابو ذؤيب- فى اللزام:

ففاجأه بعادية لزاماً كما يتفجر الحوض اللقيف «۲»

لزام: كثيرة يلزم بعضها بعضاً، و لقيف متساقط متهدم، و قال صخر الغى- فى اللزام:

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۹/ ۳۲ و القرطبى ۱۳/ ۸۴ و اللسان (عبأ)

(۲) اللسان (لزم)

فاما ينجوا من حتف ارض فقد لقينا حتوفهما لزاماً «۱»

أى انه واقع لا محالة. و قال الضحاك: هو لزوم الحجة لهم فى الآخرة. و قال ابو عبيدة: معناه فيصلا.

و قوله «أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ» قال الزجاج: الأحسن أن يكون خبراً ل (عباد الرحمن) «۲» فيكون قوله «الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً» و ما بعده صفة له و يجوز أن يكون «الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً» خبر، و ما بعده عطف عليه «۳» تم المجلد السابع من التبيان و يليه المجلد الثامن و أوله أول سورة الشعراء ربيع الاول سنة ۱۳۸۲ ه آب سنة ۱۹۶۲ م

(۱) اللسان (لزم)

(۲) آیة ۶۳ من هذه السورة

(۳) هذه الثلاثة أسطر ملفقة من المخطوطة و المطبوعة

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبـارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع " القائمیّة " الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله " الشمس آباذی " – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز " القائمیّة " للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی " القائمیّة " www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد

جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة"القائمیّة "

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.



مركز القائمية اصفهان للتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹